الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام



الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي
٥٠٨ — ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء السادس

تحقيق وتعليق وشرح
عبد الرحمن الوكيل

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت : ٨٦٤٢٢٤٠

توزيع
مكتبة العلم بجدة
حي الشغر
ت : ٦٨٧٧٠١٤

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مقدمة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء السادس من السيرة وشرحها «الروض الأنف» للإمام السهيلى

والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن الوكيل



قتل الرسول لأبيّ بن خلف

(قال) : فلما أُسْنِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعْب أدركه أُبَىّ ابنُ خَلَفٍ وهو يقول : أىْ محمد ، لانَجَوْتُ إن نَجَوْتَ ، فقال القوم : يارسول الله ، أيَعْطِف عليه رَجُلٌ مِنّا ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دَعُوه ؛ فلمّا دنا ، تناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحَرْبَةَ من الحارث بن الصِّمَّةِ يقول بعضُ القوم ، فيما ذُكر لى : فلما أخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منه انتَفَضَ بها انْتِفَاضَةً ، تطَايَرْنا عنه،تَطَايُرَ الشَّعْراءعن ظهر البعيرإذا انتفض بها ـ قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لدغ ـ ثم استقبله فطَعَنه فى عُنقه طَعنة تَدَأْدأ منها عن فَرَسه مراراً .

قال ابن هشام : تَدَأْدأ ، يقول : تَقَلَّب عن فَرَسه ، فجعلَ يتَدَحْرجُ .

قال ابن إسحاق : وكان أُبَىّ بن خلف ، كما حدّثنى صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يَلْقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكةَ ، فيقول : يامحمد إن عندى العَوْذَ ، فَرَساً أعْلفه كلّ يوم فَرَقاً من ذرة ، أقتلك عليه ؛ فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتُلك إن شاء الله . فلما رجَع إلى قُريش وقدخَدَشه فى عُنقه خَدْشاً غيرَ كبير ، فاحْتقن الدمُ ، فقال : قتَلنى والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إنْ بك من بأس ؛ قال : إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بَصَق علىّ لقتَلنى . فمات عدوّ الله بسَرِف وهم قافلون به إلى مكة .

شعر حسان فى مقتل أبى بن خلف

قال ابن إسحاق : فقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

لَقَدْ وَرِثَ الضّلالةَ عَن أبيهِ أُبَىّ يوم بارَزه الرسولُ
أتَيْتَ إليه تَحْمِلُ رِمّ عَظْمٍ وتُوعِـــده وأنتَ به جَهول
وقد قَتَلَتْ بنو النّجّار مِنكم أُمَيّةَ إذ يَغوثُ : يا عَقِيلُ
وتَبّ ابنا ربيعَـــة إذْ أطاعا أبا جَهْلٍ ، لأمهما الهُبول
وأفلتَ حارثٌ لمـا شَغَلنا بأسر القَــوْم ، أُسْرته فَليل

قال ابن هشام : أُسرته : قبيلته .

وقال حسّان بن ثابت أيضاً فى ذلك :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عنّى أُبيًّا لقد أُلقيت فى سُحق السّعير
تَمنّى بالضّـــلالة من بَعيد وتُقسم أنْ قدرت مع النذور
تمَنّيك الأمانِى مِنْ بَعيـــدٍ وقَوْلُ الكُفْرِ يَرْجع فى غُرور
فقد لاقَتْـك طعنةُ ذى حفاظ كريم البيت ليس بذى فُجور
له فَضْلٌ على الأحْياء طُرًّا إذا نابَت مُلِمّات الأمُور

انتهاء الرسول إلى الشعب

(قال) : فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى فَم الشّعب خَرج علىّ بن أبى طالب ، حتى ملأ دَرَقته ماءً من المِهْراس ، فجاء به إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوَجده له ريحًا ، فعافه ، فلم يَشرب منه ، وغَسل عن وَجهه الدم ، وصبّ على رأسه وهو يقول : اشتدّ غَضبُ الله على من دمّى وجه نبيه .

حرص ابن أبى وقاص على قتل عتبة

قال ابن إسحاق : فحدثنى صالح بن كَيسان عمَّن حدّثه عن سَعد بن أبى وقَّاص أنه كان يقول : والله ماحَرَصت على قَتْل رجل قطّ كحِرْصى على قَتْل عُتبة بن أبى وقّاص ، وإن كان ما علمتُ لسَّيِّئ الخلق مبغَضًا فى قومه ، ولقد كَفانى منه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضبُ الله على من دمَّى وجه رسوله .

صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم

قال ابن إسحاق : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب ، معه أولئك النفَر من أصحابه ، إذ عَلَت عاليةٌ من قريش الجبلَ .

قال ابن هشام : كان على تلك الخيل خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ إنه لا ينبغى لهم أن يَعلونا ! فقاتل عمرُ بن الخطَّاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له

قال ابن إسحاق : ونَهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى صَخْرة من

الجبل ليعلوها ، وقد كان بَدَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهَر بين دِرْعين ، فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع ، فجلس تحته طَلْحة بن عبيد الله ، فنهض به ، حتى استوى عليها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول : أوجَب طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع .

قال ابن هشام : وبلغني عن عِكْرمة عن ابن عبّاس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدَّرجة المبنيّة في الشِّعب .

صلاة الرسول قاعداً

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غُفْرة : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابتْه ، وصلى المُسلمون خلفَه قُعوداً .

مقتل اليمان وابن وقش

قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضُهم إلى المُنقَّى ، دون الأعْوص .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد ، قال : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحد ، رَفع حُسَيل بن جابر

. . . .

وهو اليمان أبو حُذيفة بن اليمان ، وثابت بن وَقْش فى الآطام مع النساء والصّبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شَيْخان كَبيران :لاأبالَكَ ، ما تَنْتَظِر ؟ فو الله لا بَقِىَ لواحد منّا من عمره إلا ظِمْء حِمار ، إنما نحن هامةُ اليوم ِ أو غدٍ ، أفلا نأخذ أسيافَنا ، ثم نَلْحق برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لعلّ الله يرزقنا شهادةً مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذَا أسيافَهما ثم خَرجا ، حتى دخلا فى الناس ، ولم يُعْلم بهما ، فأمّا ثابت بن وَقْش فقتله المُشْركون ، وأما حُسَيل بن جابر فاختلفت عليه أسيافُ المُسلمين ، فقتلوه ولا يَعْرِفُونه ، فقال حُذيفة : أبى ، فقالوا : والله إنْ عرفناه ، وصدَقوا . قال حُذَيفة : يَغفِر الله لكم وهو أرْحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَه ؛ فتصدّق حُذيفة بدِيته على المُسلمين ؛ فزَاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

مقتل حاطب ومقالة أبيه

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمر بن قَتادة : أن رجلا منهم كان يُدعى حاطب بن أُميّة بن رافع ، وكان له ابنٌ يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحةٌ يوم أُحد ، فأُتِى به إلى دار قومه وهو بالمَوْت ، فاجتمع إليه أهلُ الدار ، فجعل المُسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبْشر يابن حاطب بالجنّة ؛ قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا فى الجاهليّة ، فنجَم يومئذ نفاقُه ، فقال : بأىّ شىء تبشّرونه ؟ بجَنّة من حَرْمل اغررتم والله هذا الغلامَ من نفسه .

مقتل قزمان منافقاً كما حدّث الرسول بذلك

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أَتِيٌّ لايُدْرَى ممَّن هو ، يقال له قُزْمَان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذُكر له : إنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أُحد قاتلَ قتالا شديداً ، فقَتل وحدَه ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتتْه الجراحة ، فاحتُمِل إلى دار بنى ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أبلَيتَ اليوم يا قُزْمان ، فأبشِر ، قال : بماذ أبشر ؟ فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ماقاتلتُ . قال : فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سَهماً من كِنانته ، فقَتل به نفسه .

قتل مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أُحد مُخَيْرِيق ، وكان أحدَ بنى ثَعْلبة بن الفِطْيون ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يامَعْشَرَ يَهُودَ ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لَحَقٌّ ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال لاسَبْتَ لكم .

فأخذ سيفَه وعُدّته ، وقال : إن أُصِبتُ فمَالى لمحمَّد يَصْنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قُتل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - مُخَيريق خير يهود .

أمر الحارث بن سويد

قال ابن إسحاق : وكان الحارث بن سُوَيد بن صامت مُنافقا ، فخرج يوم

. . . .

أُحد مع المسلمين ، فلما التقى الناسُ ، عدَا على المُجذَّر بن ذِياد البَلَوى ، وقَيس ابن زيد ، أحد بنى ضُبَيعة ، فقتلهما ، ثم لحق بمكّة بقُريش ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما يذكرون ـ قد أمر عُمَر بن الخطاب بقتله إنْ هو ظفر به ، ففاتَه ، فكان بمكة ؛ ثم بَعث إلى أخيه الُجلاس بن سُويد يطلب التوبةَ ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى ؛ عن ابن عبّاس : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَشَهِدُوا أَنْ الرَّسُولَ حَقٌّ وجاءَهُمُ البَيِّنَاتُ ، وَاللهُ لا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِين ﴾ إلى آخر القصة .

تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجذر

قال ابن هشام : حدثنى مَنْ أثق به من أهل العلم : أنّ الحارث بن سُويد قَتل المُجذّر بن ذياد ، ولم يَقتل قيسَ بن زيد ، والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق لم يذكره فى قَتلى أُحد ؛ وإنما قَتل المُجذّر لأن المُجذّر بن ذياد كان قتل أباه سُويداً فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب .

فبَينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فى نفر من أصحابه ، إذ خرج الحارث ابن سُويد من بعض حَوائط المدينة ، وعليه ثوبان مُطرّجان ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفّان ، فضَرب عُنقه ، ويقال : بعضُ الأنصار .

قال ابن إسحاق : قتل سويدَ بن الصّامت معاذُ بن عَفراء غيلةً ، فى غير حَرب رماه بسَهم فقتله قبل يوم بُعاث .

أمر أصيرم

قال ابن إسحاق : وحدثنى الُحصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْد بن معاذ عن أبى سفيان ، مولى ابن أبى أحمد ، عن أبى هُرَيرة قال : كان يقول : حدثونى عن رجل دخَل الجنَّة لم يُصلّ قطُّ ، فاذا لم يعرفه الناسُ سألوه : من هو ؟ فيقول : أُصَيْرم ، بنى عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وَقْش . قال الُحصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأُصَيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه . فلمَّا كان يوم خَرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحد، بدا له فى الاسلام فأسْلم ، ثم أخذ سيفَه ، فعدا حتى دخل فى عُرض الناس ، فقاتل حتى أثْبَتَتْه الجراحة . قال : فبينا رجالٌ من بنى عبد الأشهل يَلْتمسون قَتلاهم فى المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأُصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمُنْكر لهذا الحديث ، فسألوه ماجاء به ؟ فقالوا : ما جاء بك ياعمرو ؟ أحَدَبٌ على قومك أم رَغبة فى الإسلام ، ؟ قال : بل رغبة فى الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ ، ثم أخذت سَيْفى ، فغدوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ، ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم . فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

مقتل عمرو بن الجموح

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يَسار ، عن أشياخ من بنى

سلمة : أن عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد العَرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسْد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حَبْسه ، وقالوا له: إنّ الله عزّ وجلّ : قد عَذَرَك ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بنيّ يريدون أن يحْبسونى عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعَرْجتى هذه فى الجنّة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمّا أنت فقد عَذَرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعلّ الله أن يرزقَه الشهادة ، فخرج معه فقُتل يوم أُحُد .

هند وتمثيلها بحمزة

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عُتبة ، كما حدثنى صالح بن كَيْسان ، والنسوة اللاتى معها ، يمثّلن بالقَتْلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدّعن الآذان والأنُف ، حتى اتخذت هند من آذان الرّجال وأنُفهمْ خَدَماً وقلائد ، وأعْطت خَدَمها وقلائدها وقِرَطتها وَحْشياً ، غلام جُبير بنُ مطعم ، وبَقَرت عن كَبد حمزة ، فلاكتها ، فلم تستطع أن تُسيغها ، فلَفَظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرَخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جَزَيْناكم بيوم بَدْر والحرْب بعد الحرْب ذات سُعُر
ما كان عن عُتْبة لى من صَبْر ولا أخى وعمّه وبَكْرِى
شَفَيتُ نفسى وقَضَيتُ نَذْرى شَفَيتَ وَحْشِيّ غَليل صَدْرى
فشُكْر وَحْشِيّ علىّ عُمْرى حتى ترِمّ أعظُمى فى قَبْرى

شعر هند بنت أثاثة فى الرد على هند بنت عتبة

فأجابتها هند بنت أُثَاثَةَ بنِ عَبّاد بن المُطَّلِب ، فقالت :

خَزِيتِ فى بدر وبعد بَدْر يا بنتَ وقّاعٍ عظيم الكُفْرِ
صَبَّحك اللهُ غَداةَ الفَجْر مِلهاشِمِيِّين الطِّوالِ الزُّهْرِ
بكلّ قُطّاعٍ حُسامٍ يَفْرِى حَمْزَةُ لَيْثِى وعَلِىٌّ صَقْرِى
إذْ رام شَيْبٌ وأبوكِ غَدْرِى فَخضّبا منه ضواحى النَّحْرِ
ونَذْرُكِ السُّوءَ فَشَرّ نَذْرِ

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة أبيات أقْذعتْ فيها .

شعر لهند بنت عتبة أيضاً

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضاً :

شَفَيتُ من حَمْزة نَفْسى بأُحد حتى بَقَرْتُ بَطْنَه عن الكَبِدْ
أذْهَب عنى ذاكَ ما كنتُ أجِد من لَذْعة الحُزن الشّديد المُعْتمِد
والحرب تَعلوكم بشُؤْبوب بَرِد تُقْدِم إقداماً عليكم كالأسَد

تحريض عمر لحسان على هجو هند بنت عتبة

قال ابن إسحاق : فحدثنى صالح بن كَيْسان أنه حُدّث : أن عمرَ بن الخطاب قال لحسّان بن ثابت : يابن الفُرَيعة — قال ابن هشام : الفُرَيعة بنت

خالد بن خنيس ، ويقال : خُنيس : ابنُ حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ـ لو سمعتَ ما تقول هند ، ورأيت أشرَها قائمةً على صخرة تَرْتجز بنا ، وتذكر ماصنعتْ بحمزة ؟ قال له حسّان : والله إنى لأنظر إلى الحَرْبة تَهْوِى وأنا على رأس فارع ـ يعنى أُطُمَه ـ فقلت : والله إن هذه لسلاح ماهى بسلاح العرب ، وكأنها إنما تهوى إلى حمزة ولا أدْرى ، لكن أسمِعْنى بعض قولها أكفكموها ؛ قال : فأنشده عمرُ بن الخطّاب بعض ماقالت ؛ فقال حسّان بن ثابت :

أشِرَتْ لَكاع وكان عادتُها لُؤماً إذا أشرتْ مع الكُفْر

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له تركناها ، وأبياتاً أيضاً له على الدال . وأبياتاً أخر على الذال ، لأنه أقذع فيها .

استنكار الحليس على أبى سفيان تمثيله بحمزة

قال ابن إسحاق : وقد كان الُحليس بن زَبّان ، أخو بنى الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيِّد الأحابيش ، قد مرّ بأبى سفيان ، وهو يضرب فى شِدْق حمزة بن عبد المطّلب بزُجّ الرمح ويقول : ذُقْ عُقَقُ ؛ فقال الُحلَيس : يابنى كِنانة ، هذا سيِّد قُريش يصنع بابن عَمِّه ماتَرَون لحماً ؟ فقال : ويحك ! اكتُمْها عنى ، فإنها كانت زَلّة .

شماتة أبى سفيان بالمسلمين بعد أحد وحديثه مع عمر

ثم إن أبا سُفيان بن حَرْب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ،

ثم صَرَخَ بأعلى صوته فقال : أنعمتَ فعال ، وإن الحرب سِجال يوم بيوم ، أُعْلُ هُبَل ، أى : أظهر دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قُمْ يا عمر فأجِبْه ، فقل : الله أعلى وأجلّ ، لاسَوَاء ، قتلانا فى الجنَّة ، وقتلاكم فى النَّار . فلما أجاب عمر أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : هَلُمَّ إلىَّ ياعمر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعُمر : ائته فانظر ما شأنُه ؛ فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله ياعمرُ ، أقَتلْنا محمداً ؟ قال عمر : اللهمّ لا ، وإنه ليسمع كلامَك الآن ، قال : أنت أصدق عندى من ابن قَمِئَةَ وأبَرُّ ؛ لقول ابن قَمِئة لهم : إنى قد قتلت محمداً .

قال ابن هشام : واسم ابنِ قَمِئَةَ عبدُ الله .

توعد أبى سفيان المسلمين

قال ابن إسحاق: ثم نادَى أبو سُفيان : إنه قد كان فى قتلاكم مثل ، والله ما رَضِيتُ ، وما سَخِطْتُ ، وما نَهَيْتُ ، وما أمَرْتُ .

ولما انصرف أبو سُفيان ومن معه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قُلْ : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد .

خروج علىٍّ فى آثار المشركين

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب ، فقال : اخرج فى آثار القوم ، فانظُر ماذا يصنعون وما يُريدون ، فإن كانوا قد جنَّبوا الخيل ،

وامتطوا الإبل ، فإنهم يُريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل ، فإنهم يُريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم. قال علىّ: فخرجت فى آثارهم أنظُر ماذا يصنعون ؛ فجنّبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجّهوا إلى مكة .

أمر القتلى بأحد

وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَعة المازنى ، أخو بنى النجّار : مَنْ رَجُلٌ ينظر لى مافعل سَعْدُ بن الربيع ؟ أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سَعْد ، فنظَر فوَجده جريحاً فى القتلى وبه رمَق . قال : فقلت له : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظُر ، أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات ، فأبلغْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الرّبيع يقول لك : جزاك الله عنّا خير ماجزى نبيًّا عن أمته ، وأبلغ قومَك عنى السلام وقُل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لاعُذْر لكم عند الله إن خُلص إلى نبيِّكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عينٌ تطرف . قال : ثم لم أبْرح حتى مات ؛ قال : فجئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو بكر الزُّبيرى : أنّ رجلا دخَل على أبى بكر الصدّيق وبِنْتٌ لسَعْد بن الرّبيع جاريةٌ صغيرةٌ على صَدْره يَرْشُفها ويقبلها ؛

. . . .

فقال له الرجل : مَنْ هذه ؟ قال : هذه بنتُ رجل خير منى ، سعْدِ بن الرّبيع ، كان من النُّقباء يوم العَقَبة ، وشهد بدراً ، واستشهد يوم أُحد .

حزن الرسول على حمزة وتوعده المشركين بالمثلة

قال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، يَتَلَمس حمزةَ بن عبد المُطلب ، فوَجده ببَطْن الوادى قد بُقِر بطنه عن كبده ، ومُثِّل به ، فجُدِع أنفُه وأُذُناه .

فحدثنى محمدُ بن جعفر بن الزبير : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى ما رأى : لولا أن تحْزَن صَفيّة ، ويكون سُنّة من بعدى لتركْته ، حتى يكون فى بطُون السِّباع ، وحَواصل الطير ، ولئن أظْهرنى الله على قريش فى مَوْطن من المَواطن لأمثلنّ بثلاثين رجلا منهم . فلما رأى المسلمون حُزْن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغَيظه على مَن فعل بعَمه مافعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثّلن بهم مُثْلة لم يُمثّلها أحد من العرب .

قال ابن هشام : ولما وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال: لن أُصاب بمثلك أبداً ! ماوقفتُ موقِفاً قطّ أغيظ إلىّ من هذا ! ثم قال : جاءنى جبريلُ فأخبرنى أنّ حمزة بن عبد المطلب مكتوبٌ فى أهل السماوات السبع : حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله ، وأسد رسوله .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سَلَمة بن عبد الأسد ، إخْوة من الرضاعة ، أرْضَعتهم مولاة لأبى لهب .

ما نزل فى النهى عن المثلة

قال ابن إسحاق : وحدثنى بُرَيدة بنُ سفيان بن فَرْوة الأسلمى ، عن محمد بن كَعْب القُرظى ، وحدثنى من لا أتهم ، عن ابن عبَّاس : أن الله عزّ وجلّ أنزل فى ذلك ، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ماعُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتم لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَماصَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ، وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ، فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصَبَرَ وَنهى عن المُثلة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُمَيْد الطويل ، عن الحسن ، عن سَمُرَة بن جُنْدُب ، قال : ما قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مقام قطّ ففارقه ، حتّى يأمرنا بالصَّدقة ، ويَنْهانا عن المُثْلة .

صلاة الرسول على حمزة والقتلى

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن مِقْسَم ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن ابن عبَّاس ، قال : أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحَمْزة فسُجِّى ببردة ثم صلى عليه ، فكبَّر سَبعَ تكبيرات ، ثم أُتِىَ بالقَتلى فيوضعون إلى حمزة ، فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسَبْعين صلاة .

صفية وحزنها على حمزة

قال ابن إسحاق : وقد أقبلتْ فيما بَلَغنى ، صفيَّةُ بنت عبد المطَّلب لتنظر

إليه وكان أخاها لأبيها وأمّها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزُّبير بن العوّام : القَها فأرْجعها ، لاتَرى ما بأخيها ، فقال لها : يا أُمّه ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمُركِ أن تَرْجعى ، قالت : ولِمَ ؟ وقد بلغنى أن قد مُثل بأخى ، وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسِبنّ ولأصْبرن إن شاء الله . فلما جاء الزُّبير إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خلّ سبيلَها ، فأتته ، فنظرتْ إليه ، فصلّت عليه ، واسترْجعت، واستغفرَت له ، ثم أمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدُفن .

دفن عبد الله بن جحش مع حمزة

قال : فَزعم لى آلُ عبدِ الله بن جَحْش ـ وكان لأُميْمَةَ بنت عبدالمطب، حمْزةُ خالهُ ، وقد كان مُثِّل به كما مُثِّل بحَمْزة ، إلا أنه لم يُبْقَرْ عن كَبِده ـ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دَفَنَه مع حَمْزَة فى قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

دفن الشهداء

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قتْلاهم إلى المَدينة، فدَفنوهم بها ، ثم نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرِعوا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسلم الزُّهرىّ ، عن عبد الله بن ثعْلبة

ابن صُعَير العُذْرى ، حليف بنى زُهرة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا أشْرف على القَتْلى يوم أحد ، قال : أنا شَهيد على هؤلاء ، إنه مامن جَريح يُجْرح فى الله ، إلا والله يَبْعثه يوم القيامة يَدْمى جرحُه ، اللونُ لونُ دَم ، والريحُ ريح مسك ، وانظروا أكْثرَ هؤلاء جَمْعاً للقرآن ، فاجعلوه أمام أصحابه فى القَبر – وكانوا يَدْفِنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد .

قال : وحدثنى عمِّى موسى بن يَسار ، أنه سمع أبا هُريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : مامن جريح يُجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجُرحه يَدْمى ، اللَّون لون دم ، والرِّيح ريح مسك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار ، عن أشياخ من بنى سَلَمة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ ، حين أمر بدَفْن القَتْلى : انظروا إلى عَمْرو بن الجموح ، وعبد الله بن عمرو بن حَرام ، فإنهما كانا مُتصافيين فى الدنيا ، فاجعلوهما فى قبر واحد .

حزن حمنة على حمزة

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقيتْه حَمْنَةُ بنتُ جحش ، كما ذُكر لى ، فلما لقيت الناسَ نُعِى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاستَرْجعت واستغْفَرت له ، ثم نُعى لها خالها حمزة ابن عبد المطلب فاستَرجَعت واستغْفَرت له ، ثم نُعى لها زوجها مُصْعب بن عُمير ، فصاحت وَوَلْولت ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن زَوْج المرأة منها

لبمكان! لِماَ رأى من تَثَبُّتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها.

بكاء نساء الأنصار على حمزة

قال ابن إسحاق: ومرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظَفَر، فسمع البكاء والنَّوائح على قتلاهم. فذَرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكى، ثم قال: لكنّ حمزة لابواكى له! فلما رجع سعدُ بن مُعاذ وأُسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزّمن، ثم يذهبن فَيَبْكِين على عمّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: حدثنى حكيم بن حكيم عن عَبَّاد بن حُنَيف، عن بعض رجال بنى عبد الأشهل، قال: لما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بُكاءهنّ على حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مَسْجده يبكين عليه، فقال: ارجعن يَرْحمكنّ الله، فقد آسيتنّ بأنفسكن.

قال ابن هشام: ونُهِى يومئذ عن النَّوْح.

قال ابن هشام: وحدثنى أبو عُبيدة: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهن، قال: رحم الله الأنصار! فإن المُواساة منهم ماعتَّمت لقَديمة، مُروهنّ فلْيَنْصرفن.

شأن المرأة الدينارية

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الواحد بن أبى عَوْن، عن إسماعيل بن محمد

محمد ، عن سَعْد بن أبى وقاص ، قال : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار ، وقد أُصيب زَوجُها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحد ، فلما نُعوا لها ، قالت : فما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبِّين ؛ قالت : أرُونيه حتى أنظُر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كلّ مُصيبة بعدك جَلَل ! تُريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو ها هنا من القليل . قال امرؤ القيس فى الجلل القليل :

لَقَتْل بنى أسد ربَّهم ألا كلّ شىء سواه جَلَل

قال ابن هشام : وأما قول الشاعر ، وهو الحارث بن وعْلة الجَرْمىُّ :

ولئن عَفَوْتُ لأعْفُوَنْ جَلَلاً ولئن سَطَوْتُ لأوْهِنَنْ عَظْمى

(فهو من الكثير) .

غسل السيوف

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سَيْفه ابنَته فاطمة ، فقال : اغسلى عن هذا دَمه يا بُنيَّة ، فوالله لقد صَدَقنى اليومَ ؛ وناولها علىُّ بن أبى طالب سَيْفه ، فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلى عنه دَمَه ، فوالله لقد صَدقنى اليوم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقتَ القتال لقد صَدَق معك سهلُ بن حُنَيف وأبو دُجانة .

قال ابن هشام : وكان يُقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفَقَار .

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم ، ان ابن أبى نجيح قال : نادى مُناد يومَ أُحد :

لا سَيْفَ إلَّا ذُو الفَقَار ولا فَتىً إلا عَلِىّ

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلىّ بن أبى طالب : لا يُصيب المشركون منا مثلَها حتى يَفْتح الله علينا .

قال ابن إسحاق : وكان يوم أُحد يوم السَّبت للنِّصف من شوّال .

خروج الرسول فى أثر العدو ليرهبه

قال : فلما كان الغدُ (من) يوم الأحد لستّ عشرة ليلة مضتْ من شوّال ، أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدوّ ، فأذَّنَ مؤذّنه أن لا يخرجنّ معنا أحدٌ إلا أحدٌ حضر يومَنا بالأمس . فكلَّمه جابر ابن عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، فقال : يارسول الله ، إنّ أبى كان خَلَّفنى على أخوات لى سَبْع ، وقال : يا بُنىّ ، إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نَترك هؤلاء النِّسوة لا رَجل فيهنّ ، ولستَ بالذى أُوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَفْسى ، فتخلَّفْ على أخواتك ، فتخلَّفتُ عليهنّ ، فأذِن له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه . وإنما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

مُرْهِباً للعدوّ ، وليبلغهم أنه خرج فى طَلَبهم،ليظنوا به قوةً ، وأن الذى أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوّهم .

مثل من استماتة المسلمين في نصرة الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عُثمان : أن رجلا من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، من بنى عبدَ الأشهل ، كان شَهِد أُحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدتُ أُحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لى ، فرَجعنا جَريحين ، فلما أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدوّ ، قلت لأخى أو قال لى : أتفوتُنا غَزوةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابَّة نَرْكبها وما مِناً إلا جَريح ثَقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسرَ جُرحاً ، فكان إذا غُلب حملته عُقبةً ، ومشى عُقبةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابن إسحاق : فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حَمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مَكْتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثنين والثُّلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينـة .

شأن معبد الخزاعى

قال : وقد مَرّ به كما حدثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، معبدُ بن أبى مَعْبد الخُزاعى ، وكانت خُزاعة ، مُسلمهم ومُشركهم عَيْبةَ نُصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتهامة ، صَفْقَتهم معه ، لا يُخفون عنه شيئاً كان بها ، ومَعْبد يومئذ مُشْرك ، فقال : يامحمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك ، ولودِدْنا أنّ الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ، حتى لقى أبا سُفيان بن حَرْب ومن معه بالرَّوْحاء ، وقد أجمعوا الرّجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حَدّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نَسْتأصلهم ! لنكُرّن على بَقيّتهم ، فلَنَفْرغنّ منهم. فلما رأى أبو سُفيان معبداً ، قال : ما وراءك يامعبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يَطْلبكم فى جَمْع لم أرَ مثله قطُّ ، يتحرّقون عليكم تحرُّقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه فى يوْمكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحَنَق عليكم شىء لم أرَ مثله قط ، قال : ويحك ! ماتقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترْتحل حتى أرى نواصى الخيل ، قال : فوالله لقد أجْمعنا الكرّة عليهم لنَستأصل بقيّتهم : قال : فإنى أنهاك عن ذلك ، قال : والله لقد حملنى ما رأيتُ على أن قلتُ فيهم أبياتاً من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادتْ تُهَدّ من الأصوات راحلتى ... إذ سالت الأرضُ بالجُرْد الأبابيلِ
تَرْدِى بأُسْدٍ كرامٍ لاتَنابلةٍ ... عند اللّقاء ولا مِيلٍ مَعازيل
فظلْت عَدْواً أظنّ الأرض مائلةً ... لمّا سَمَوْا برئيس غير مَخْذول

فقلتُ : ويل ابنِ حَرْبٍ من لقائــكم إذا تَغَطْمَطَتِ البَطحاء بالخَيْلِ
إنى نذيرٌ لأهل البَسْل ضاحيةً لــكلّ ذى إرْبةٍ منهم ومعقول
من جَيش أحمدَ لاوَخْشٍ تَنابِلةٍ وليس يُوصَف ما أنذرتُ بالقِيل

فثنى ذلك أبا سُفيان ومن معه .

رسالة أبى سفيان إلى الرسول على لسان ركب

ومَرّ به ركبٌ من عبد القَيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا: نريد المدينة ؟ قال : ولِم ؟ قالوا : نُريد الميرة ؛ قال : فهل أنتم مُبلغون عنى محمداً رسالة أُرْسلكم بها إليه ، وأُحمِّل لـكم هذه غداً زَبيباً بعُكاظ إذا وافيتُموها ؟ قالوا نعم ؛ قال : فإذا وافيتُموه فأَخْبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنَستأصل بقيتهم ، فمرّ الركبُ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بحَمْراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سُفيان ؛ فقال : حَسْبنا الله ونعم الوكيل .

كف صفوان لأبى سفيان عن معاودة الـكرة

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أنّ أبا سُفيان بن حَرْب لمّا انصرف يوم أُحد ، أراد الرُّجوع إلى المدينة ، ليَستأصل بقيَّـة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صَفْوان بن أُميَّة بن خَلَف : لا تفْعلوا ، فإنّ القوم قد حَرِبُوا ، وقد خَشينا أن يكون لهم قِتال غير الذى كان ، فارجِعُوا ، فرَجَعُوا . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو بحَمْراء الأسد ، حين بلَغه

. . . .

أنهم همّوا بالرّجعة : والذى نَفسى بيده ، لقد سُوّمت لهم حجارة ، لو صُبِّحوا بها لـكانوا كأمس الذاهب .

مقتل أبى عزة ومعاوية بن المغيرة

قال أبو عبيدة : وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى جهة ذلك ، قبل رُجوعه إلى المدينة ، مُعاويةَ بن المُغيرة بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس ، وهو جدّ عبد الملك بن مَروان ، أبو أُمه عائشة بنت مُعاوية ، وأبا عَزّة الجُمَحِىّ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسَره ببدر ، ثم مَنّ عليه ، فقال : يارسولَ الله ، أقِلْنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تَمْسح عارضيك بمكة بعدَها وتقول : خَدَعْتُ محمداً مرّتين ، اضربْ عنقه يازُبير . فضرب عُنقَه .

قال ابن هشام : وبلغنى عن سعيد بن المُسَيَّبِ أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ المؤمن لا يُلدَغ من جُحْرٍ مرّتين ، اضربْ عُنقَه يا عاصِمُ بن ثابت ، فضرب عُنقه .

مقتل معاوية بن المغيرة

قال ابن هشام : ويقال : إن زيدَ بن حارثة وعَمَّار بن ياسر قتلا مُعاوية ابن المُغيرة بعد حَمْراء الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفّان فاستأمن له رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث

. . . .

وتوارى ، فبعثهما النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه .

شأن عبد الله بن أبيّ بعد ذلك

قال ابن إسحاق : فلما قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان عبد الله بن أبيّ بن سلول ، كما حدثنى ابن شهاب الزُّهرى ، له مقامٌ يقومه كل جمعة لا يُنكَر ، شرفاً له فى نفسه وفى قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يَخْطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزّكم به ، فانصُروه وعزّرُوه ، واسمعوا له وأطيعوا ثم يَجْلسُ ، حتى إذا صنع يوم أحد ماصَنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المُسلمون بثيابه من نَواحيه ، وقالوا : اجلس ، أىْ عَدُوَّ الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعتَ ماصنعتَ ، فخرج يتخطَّى رقابَ الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بَجْراً أن قمت أُشدِّد أمرَه . فلَقيه رجلٌ من الأنصار بباب المسْجد ، فقال : مالك ؟ ويلك ! قال : قمتُ أشدِّد أمره ، فوَثب علىّ رجالٌ من أصحابه يجذبونى ويُعنِّفونى ، لكأنما قلت بَجْراً أنْ قُمت أشدّد أمره ، قال ويلك ! ارجع يَسْتغفر لك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله ما أبتَغى أن يَسْتغفر لى .

كان يوم أحد يوم محنة

قال ابن إسحاق : كان يوم أُحد يوم بلاء ومُصيبة وتَمْحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المُنافقين ممّن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مُسْتخف بالكفر فى قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشّهادة من أهل ولايته

. . . .

قتل الرسول لأبي بن خلف

فصل: وذكر قتلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُبيّ، وفيه: تَطَايَرْنا عنه تطَايُرَ الشَّعْرَاءِ عن ظَهْرِ البَعِير. الشَّعْراء: ذُبَابٌ صَغِيرٌ له لَدْغٌ، تقول العَرَبُ في أمثالها: قِيلَ للذِّئْبِ: ما تقول في غُنَيْمةٍ تحرُسُها جُوَيْرِيَةٌ؟ قال: شُحَيْمَةٌ في حَلْقِي، قيل: فما تقول في غُنَيْمَةٍ يحرسها غُلَيِّمٌ؟ قال: شَعْرَاء في إبْطِي أخشى خطَوَاتِهِ الخطوات: سِهَامٌ من قُضْبَانٍ لَيِّنَةٍ يتعلم بها الغِلْمان الرَّمْيَ وهي الجُمَّاحُ أيضاً قال الشاعر:

أصَابَتْ حَبَّةَ القَلْبِ بِسَهْمٍ غيرِ جُمَّاحِ[1]

من كتاب أبي حَنِيفَة، ورواه القُتَبِيُّ: تَطَايُرَ الشُّعْرِ، وقال: هي جَمْع شَعْراء، وهي ذُبَابٌ أصْغَرُ من القَمَعِ[2]، وفي الحديثِ من غير رواية ابنِ إسحَاقٍ فزَجَلَه بالحَرْبَة، أي رَمَاه بها.

حول عين قتادة:

وذكر قَتَادَةَ بن النُّعمان بن زَيْدٍ، وهو أخو أبي سَعِيد الخُدْرِيِّ لأمه، وهو الرَّجُلُ الذي سَمِعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - يقرأ: قل هُوَ الله أحد،

---

(١) رواية الشطرة الثانية في اللسان: فلم تخطىء بجماح. ويقال له: جباح أيضاً.

(٢) القمع مفردة قمعة بفتح القاف والميم ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر ويجمع على مقامع أيضاً كمشابه وملامح. وفي رواية: تطاير الشعارير، وهي بمعنى الشعر وقياس واحدها: شعرور.

. . . .

يُرَدِّدُها ، فقال وَجَبَتْ ، وحديثُه فى المُوَطَّأ ، وذكر أن عَيْنَهَ أُصيبت يوم أُحُدٍ. رُوى عن جابر بن عبد الله ، قال : أصيبت عينُ رَجُلٍ منا يوم أُحُدٍ ، وهو قَتَادَةُ بن النُّعْمان ، حتى وقعت على وَجْنَتِه ، فأتينا به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : إن لى امرأةً أُحِبُّها ، وأخشى إنْ رأَتْنِى أنْ تَقْذَرَنِى ، فأخذها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — بيده ، وَرَدَّها إلى مَوْضِعِها ، وقال : اللَّهُمّ اكْسُبه جَمَالًا ، فكانت أحْسَنَ عَيْنَيْه ، وأحَدَّهما نَظَرًا ، وكانت لا تَرْمَدُ إذا رَمِدَت الأخرى ، وقد وَفَد على عُمَرَ بن عَبْدِ العَزِيز — رحمه الله — رجلٌ من ذُرِّيَّتِه ، فسأله عمرُ من أنت ؟ قال :

أنا ابنُ الذى سالت على الخدِّ عَيْنُه ... فرُدَّتْ بكفِّ المُصْطَفَى أيَّما رَدِّ

فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حُسْنَ ما عَيْنٍ ويا حُسْنَ ما خَدِّ

قال عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيز رضى الله عنه :

تلك المكارِمُ لا قَعْبانِ (١) من لَبَنٍ ... شِيبا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبْوالَا

فَوَصَلَه عُمَرُ ، وأحسن جائزته ، وقد رُوى أنَّ عَيْنَيْه جميعاً سَقَطَتا ، فردهما النبىُّ — صلى الله عليه وسلم — رواه محمدُ بن أبى عثمان [أبو مَرْوان الأمَوِى] عن مَالِكِ بن أنَسٍ عن مُحَمَّدِ بن عَبْدِ اللهِ بن أبى صَعْصَعَةَ عن أبيه عن أبى سَعِيدٍ عن أخيه قَتَادَة بن النعمان قال : أُصيبت عَيْناى يوم أُحُدٍ ، فسقطتا على وَجْنَتَىَّ ، فأتيتُ بهما النبىَّ — صلى الله عليه وسلم — فأعادهما النبىُّ —

---

(١) القعب : قدح ضخم جاف .

. . . .

صلى الله عليه وسلم - مكانهما ، وَبَصق فيهما ، فعادتا تبرُقان. قال . الدّارَقُطْني : هذا الحديثُ غَرِيبٌ عن مالكٍ ،تفرد به عَمَّارُ بن نَصرٍ ، وهو ثِقةٌ[(١)] ورواه الدّارَقُطْنِي عن إبراهيم الحَرْبِيِّ عن عَمَّار[(٢)] بن نَصر [السَّعدِي أبو ياسر المَرْوزِيّ] .

حول نسب حذيفة اليمانى :

فصل : وذكر ثابت بن وَقْشٍ ، والوَقْشُ : الحركة ، وحُسَيْل بن جابر والد حُذَيفَةَ بن اليَمَانِ ، وسُمِّي حُسَيْل بن جابر اليَمَانِ ، لأنه من ولد جِرْوَةَ ابن مازن بن قُطَيْعَةَ بن عَبْس [بن بغيض] وكان جِرْوَة قد بَعُد عن أهله في اليَمَنِ زَمَناً طويلا ، ثم رجع إليهم فسَمَّوْه اليَمَانِي ، وحُذَيفَةُ بن اليَمَانِ يُكْنى أبا عَبْدِ الله حليف بني عبدالأشهَلِ أمُّهُ الرَّبَابُ بنتُ كَعْبٍ . قال ابن إسحاق : فاختَلَفَتْ عليه : يَعْني اليَمَانِي أسيافُ المسلمين . وفي تفسير ابن عباس : أن الذي قتله منهم خطأً هو عُتْبَةُ بن مَسْعُودٍ أخو عبدِ الله بن مَسْعُودٍ ، وجَدُّ

(١) لكن قال النووى : قال أبو نعيم : سالت عيناه ، وغلطوه .

(٢) بهذا حصل لمحمد بن أبي عثمان متابع . في روايته عن عمار بن نصر ، لكن لم يحصل متابع لعمار في روايته عن مالك . انظر تفصيل هذا في المواهب ص ١٨٦ وما بعدها .

والله يختص برحمته من يشاء ولا أحد يبرىء أحداً . وتدبر قوله سبحانه فيما يقص عن خليله إبراهيم (وإذا مرضت فهو يشفين) وتدبر كل آيات القرآن التي ذكر الله فيها آياته التي من بها على عيسى تجد فيها النص المؤكد على أنها بإذن الله وحده .

. . . .

عُبَيْدِ الله بن عَبْدِ الله بن عُتْبَةَ بن مَسْعُودٍ الفقيه، ذكره عَبْدُ بن حميد فى التَّفْسِير، وعُتْبَةُ هو أوَّلُ من سَمَّى المُصْحَفَ مُصْحَفاً، فيما روى ابنُ وَهْبٍ فى الجامع.

الهامة والظمء:

وقول ثابت بن وَقْشٍ وحُسَيْل: إنما نحن هَامَةُ اليوم أوْ غَدٍ، يريد: الموتَ، وكان من مذهب العربِ فى الميت أنَّ رُوحَه تصير هَامَةً[1]، ولذلك قال الآخر:

وكيف حَيَاةُ أصْدَاءٍ وهَام

وقوله: لم يَبْقَ من عُمْرِنا إلَّا ظمء[2] حمَارٍ. إنما قال ذلك، لأن الحمار

---

(١) الصدى — كما يقول ابن دريد فى الاشتقاق طائر معروف، وتزعم العرب أنه إذا قتل رجل خرج من هامته طائر يسمى: الصدى، فينادى الليل كله: اسقونى، حتى يقتل قاتله، وهذا باطل، ويسمونه أيضاً: هامة. ص٢٣٣ الاشتقاق. والصدى أصلا — كما فى القاموس — طائر يصر بالليل يقفز قفزانا ويطفر والناس — كما يقول العديس العبدى — يرونه الجندب، وإنما هو الصدى، فأما الجندب، فانه أصغر من الصدى، والصدى ذكر البوم. والهامة أصلا رأس كل شىء، وجمعه هام، والهامة: طير الليل وهو الصدى. وسمى الصدى لما تعتقده الأعراب من كونه عطشان ولا يزال يقول اسقونى. والصدى: العطش. وقد سمى الدماغ هامة لأنه يشبه رأس الصدى، وتسميته الطائر بالهامة يحتمل أن تكون للمعنى الذى لأجله سمى صدى وهو العطش، ويجوز أن يكون قد اشتق من الهيام، وهو داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى. القاموس، وحياة الحيوان للدميرى ج٢ ص ٥٩، ٣٧٤.

(٢) والظمء ما بين الشربتين والوردين وما بين سقوط الولد إلى حين موته؛ فيكون المعنى: لم يبق لنا إلا يسير

. . . .

أَقْصَرُ الدَّوابِّ ظِمْئاً ، والإِبل أطولُها أظْماءً .

قول بعض رجال أحد :

وذكر قُزْمَانَ ، وهو اسم مأخوذٌ من الْقَزَمِ ، وهو رُذَالُ المالِ ، ويقال : الْقُزْمَان[١] : الرَّدِيء من كُلِّ شيء .

وذكر الأُصَيْرِمَ ، وهو عَمْرو بنَ ثابت بن وقْش ، ويقال فيـــه وَقَش بتحريك القاف .

وقول حاطب الْمُنَافِق : الْجَنَّةُ من حَرْمَلٍ ، يريد الأرضَ التى دُفِن فيها ، وكانت تُنْبِتُ الحَرْمَلَ[٢] أى : ليس له جَنَّةٌ إِلَّا ذَاك .

ابن الجموح :

فصل : وذكر خبر عَمْرو بن الْجَمُوح حين أراد بنوه أن يمنعوه من الخروج إلى آخر القصة ، وزاد غيرُ ابن إسحاق أنه لما خَرَجَ قال : اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنِى ، فاسْتشهد ، فحملوه بَنُوه على بَعير ، ليحملوه إلى المدينة ، فاسْتَصْعَبَ عليهم البعيرُ ، فكان إذا وَجَّهُوه إلى كُلِّ جهةٍ سارع إلَّا جهةَ المدينة ، فكان يأبى الرجوعَ إليها ، فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله : اللهم لا تَرُدَّنى إليها ، فدفنوه فى مَصْرَعه[٣] .

---

(١) لايوجد لا فى اللسان ولا فى القاموس سوى أنه اسم أو اسم موضع .

(٢) نبت له حب أسود ، وحب هذا النبات .

(٣) قصة البعير خرافة ، والشهيد يدفن فى مصرعه كشهداء بدر .

. . . .

حكم (من) والساكن بعدها :

فصل : وقول هند بنت أثاثة :

مِنْ هاشِمّيين الطِّوالِ الزُّهْرِ

بِحذْفِ النُّون من حَرْفِ مِنْ لِالتقاءِ السَّاكِنَيْن ، ولا يجوز ذلك إلَّا في مِنْ وَحْدَها لـكثْرةِ استعمالها ، كما خُصَّتْ نُونها بالفَتْح إذا التقت مع لام التعريف ، ولايجوز ذلك في نُونٍ ساكنةٍ غيرها ، كرهوا تَوَالِيَ الـكَسْرَتَيْن مع توالى الاستعمالِ ، فإن التقت مع ساكِنٍ غير لام التعريف نحو مِنِ ابْنِك ، ومِنِ اسْمِك ، كسرت على الأصل ، والقياس الْمُسْتَتِبّ . قال سيبَوْيه : وقد فتَحها قَومٌ فُصَحَاء يعنى مع غير لام التعريف .

لـكاع ولـكع :

وقول حسَّان في هِنْدٍ : أشِرَتْ لَـكَاعِ ، جعله اسماً لها في غير النِّداء ، وذلك جائز ، وإن كان في النِّداء أكثر ، نحو يا غَدَارِ ويافَسَاقِ ، وكذلك لُـكَعُ ، قد استعمل في غير النداء ، نحو قوله عليه السلام : أين لـكَعُ يعنى : الْحَسن أو الْحُسَيْن مُمَا زِحاً لَهُمَا[1] . فإن قيل : إن النبيَّ ـصلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) يقال في النداء للئيم يالـكع ، وللأنثى : يالـكاع ، لأنه موضع معرفة ، فان لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل : يا ألـكع ، وللأنثى : يالـكعاء ، وقد استعمل الحطيئة لـكاع في غير النداء ، فقال يهجو امرأته

أطوف ما أطوف ثم آوى   إلى بيت قعيدته لـكاع

ويقال : إنه لأبى الغريب البصرى . كما جاء في اللسان .

. . . .

كان يمزح ، ولا يقول إلّا حقاً ، فكيف يقول : أينَ لُكَعٌ وقد سماه سيّداً في حديث آخر ؟ فالجوابُ : أنه أراد التشبيهَ باللَّكَع الذى هو الفَلُوّ أو المُهْرُ لأنه طفل كما أن الفَلُوَّ والمُهْر[1] كذلك ، وإذا قُصِد بالكلام قَصْدُ التشبيه ، لم يكن كَذباً ، ونحوه قوله عليه السلام : لا تقوم الساعةُ حتى يكون أسعدُ الناس في الدنيا لُكَعٌ بنُ لُكَعٍ ، واللُّكَعُ في اللغة : وَسَخُ الغُرْلَةِ ، وهو أيضاً الفَلُوُّ الصَّغِيرُ ، فمن أجل هذا جاز أن يُسْتَعْمَلَ فى غيرِ النِّداء ، لأنه على هذا الوجه غيرُ مَعْدُولٍ كما عُدِل خُبَثُ عن خَبِيثٍ ، وفُسَقُ عن فَاسِقٍ ، وقال ابن الأنباريّ فى الزّاهر : اشتقاقُه من المَلَاكِعِ ، وهو ما يخرج مع المولود من ماءِ الرَّحِم ودمِها ، وأنشد :

رَمَتِ الْفَلَاةَ بِمُعْجَلٍ مُتَسَرْبِلٍ ... غِرْسَ السَّلَى ومَلَاكِعَ الأَمْشَاجِ

قال : ويُقال فى الواحد يالُكَعُ ، وفى الاثنين ياذَوَىْ لَكِيعة ، ولَكاعَةٍ ، ولا تُصرَفُ لَكِيعَةَ ، ولكن تُصرَفُ لَكَاعَةٌ لأنه مَصْدَرٌ وفى الجميع ،

= ولكاع مبنية على الكسر . واللكع عند العرب : العبد ، ثم استعمل فى الحمق والذم ، وقد لكع الرجل بوزن فرح يلكع لكعاً فهو ألكع ، وقد يطلق على الصغير ، فان أطلق على الكبير أريد به الصغير العلم والعقل . وقد ورد فى حديث سعد بن عبادة أرأيت إذ دخل رجل بيته ، فرأى لكاعا قد تفخذ امرأته . . الخ فجعل لكاع صفة لرجل . ويقال : لعله أراد لكعاً فحرف . « خزانة الأدب والنهاية لابن الأثير »

(١) فلو : المهر الصغير ، وقيل هو الفطم من أولاد ذوات الحافر ، وفى اللسان من معانى اللكع : المهر والجحش .

. . . .

يا ذَوِى لَكِيعَةَ ولَكَاعَةٍ[1] وفى المؤنث على هذا القياس .

قال المؤلف : ولا يقال يالَكَاعَانِ ، ولا فُسَقَانِ ، لِسِرٍّ شرحناه فى غير هذا الكتاب . وتلخيص معناه : أن العَرَبَ قَصَدَتْ بهذا النَّبأ فى النِّداء قَصْدَ العَلَمِ ، لأن الاسمَ العَلَمَ أَلْزَمُ لِلْمُسَمَّى من الوَصْفِ الْمُشْتَقِّ من الفِعْل نحو فَاسِق وغَادِر ، كما قالوا عُمَر ، وعدلوا عن عَامِرٍ الذى هُو وصف فى الأصْلِ تحقيقاً منهم لِلعَلَمِيَّة ، ثم إن الاسمَ العَلَمَ لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع وهو عَلَمٌ ، فإذا ثُنِّىَ زال عنه تعريف العَلَمِيَّة ، فَمِنْ أجلِ ذلك لم يُثَنُّوا يافُسَقُ وياغُدَرَ ، لأن فى ذلك نَقْضاً لما قَصَدُوه من تَنْزِيله مَنْزِلة الاسْم الْعَلَمِ ، أى : إنه مُسْتَحِقٌّ لأن يُسَمَّى بهذا الاسم ، فهذا أبلغ من أن يقولوا : يا فَاسِقُ ، فيجيئوا بالاسم ، الذى يجرى مَجْرَى الفِعْل والفِعْل غير لازِمٍ ، والعَلَمَ أَلْزَمُ منه ، والتَّثْنِيَةُ والجَمْعُ تُبْطِل الْعَلَمِيَّة كما ذكرنا فافْهَمْه ، ووقع فى الْمُوطَّا من رواية يَحْيى فى حديثِ عبدِ الله بن عُمَرَ أنه قال لمولاةٍ له : اقْعُدِى لُكَعُ ، وقد عِيبَتْ هذه الروايةُ على يحيى ، لأنِ المرأةَ إنما يقالِ لها : لَكَاعِ ، وقد وجدتَ الحديث كما رواه يَحيَى فى كتاب الدَّارَقُطْنِى ، وَوَجْهُه فى الْعَرَبِيَّة أنه مَنْقُول غير مَعْدُولٍ فجائز أن يقال للأَمَةِ يالُكَعُ كما يقال لها إذا سبت : يازُبَلُ ويارُسَخُ إذ اللُّكَع ضَرْب من الوَسَخِ ، كما قدمناه وهو فى كتاب العين .

---

(١) قال الفراء : تثنية لكاع أن تقول : باذواتى لكيعة أقبلا ، وياذوات لكيعة أقبلن . وقالوا فى النداء للرجل : يا لكع ، وللمرأة يالكاع ، وللاثنين : ياذوى لكع .

. . . .

الرسول يسأل عن ابن الربيع :

فصل : وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ رَجُلٌ ينظر لى ما فَعَل سَعْدُ بن الرَّبيع ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا ، وذكر الحديثَ . الرجل : هو محمد بن مَسْلَمَة ، ذكره الواقدى ، وذكر أنه نادى فى القَتْلى : ياسَعْدُ بن الربيع مَرَّةً بعد مَرَّةٍ ، فلم يُجِبْه أحدٌ ، حتى قال يا سَعْدُ إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسلنى أنْظُر ماصنعتَ ، فأجابه حينئذٍ بصوت ضعيفٍ ، وذكر الحديث. وهذا خلاف ما ذكره أبو عُمَر فى كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من طريق رُبَيْح بن عبدِ الرحمن بن أبى سَعيدِ الخُدْرِىِّ عن أبيه عن جده أن الرجل الذى التمس سعداً فى القَتْلى هو أُبَىُّ بن كَعْبٍ .

حميد الطويل وطلحة الطلحات :

وذكر عن حُمَيْدِ الطَّوِيلِ عن الحَسَنِ عن سَمُرَة عن النَّبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى النهى عن المُثْلَة ، وحُمَيْدُ الطَّويل هو حُمَيْدُ بنُ تِيرَوَيْه ، ويقال : ابن تيرِى[1] يكنى أبا حُمَيْدَةَ مَوْلى طَلْحَةَ الطلحات[2] ، وهو حديث صحيح .

---

(١) فى القاموس : تير بكسر التاء وبدون ياء وكذلك فى تهذيب الأسماء واللغات ، وقال : هو أبو عبيدة ، وقيل : أبو عبيد حميد بن أبى حميد ، واسم أبى حميد تيرويه ، وقيل : تير ، وقيل ذاذويه ، وقيل طرخان ، وقيل : مهران ، ويقال : عبد الرحمن ، ويقال . داود . قال الأصمعى : رأيت حميداً ، لم يكن طويلا ، ولكن طويل اليدين مات سنة ١٤٣ هـ ص ١٧٠ حـ ١ .

(٢) هو طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعى ويقول صاحب اللسان : ورأيت فى بعض حواشى نسخ الصحاح بخط من يوثق به الصـــواب : طلحة =

فى النهى عن المُثْلَةِ. فإن قيل : فقد مَثَّل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بالعُرَنِيِّينَ[1] فَقَطَّعَ أيدِيَهُمْ وأرجلَهم وسَمَلَ أعينَهُم ، وتركهم بالحَرَّةِ .

=ابن عبد الله : وسمى طلحة الطلحات بسبب أمه ، وهى صفية بنت الحارث ابن طلحة بن أبى طلحة وزاد الأزهرى ابن عبد مناف وأخوها : طلحة ابن الحارث فقد تكنفه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقبره بسجستان ، وفيه يقول ابن الرقيات :

رحم الله أعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

وعند ابن الأثير : عن طلحة الطلحات قيل : إنه جمع بين مائة عربى وعربية بالمهر والعطاء الواسعين فولد لكل واحد منهم ولد فسمى طلحة ،فأضيف إليهم. وفى القاموس : القول الأول .

(١) عن قتادة عن أنس أن ناساً من عكل وعرينة قدموا على النبى «ص» وتكلموا بالإسلام ، فاستوخموا المدينة ، فأمر لهم النبى «ص» بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا ، فليشربوا من أبوالها وألبانها ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعى النبى «ص» واستاقوا الذود ، فبلغ ذلك النبى «ص» فبعث الطلب فى آثارهم ، فأمر بهم ، فسمروا أعينهم ، وقطعوا أيديهم ، وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم ، رواه الجماعة. وزاد البخارى ، قال : قتادة : بلغنا أن النبى «ص» بعد ذلك كان يحث على الصدقة ،وينهى عن المثلة ، وفى رواية لأحمد والبخارى وأبو داود قال قتادة فحدثنى ابن سيرين أن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود ، وللبخارى وأبى داود فى هذا الحديث ، فأمر بمسامير فأحميت ، فكحلهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وماحسمهم ،ثم ألقوا فى الحرة ، يستسقون فما سقوا حتى ماتوا .

وعند البخارى ، قال أبو قلابة : فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله .

وعند سليمان التيمى عن أنس قال : إنما سمل النبى أعين أولئك ، لأنهم=

. . . .

قلنا : فى ذلك جَوَابان : أحدهما : أنه فعل ذلك قِصاصاً لأنهم قَطَّعوا أيدى الرُّعَاء وأرجلَهم وسَمَلُوا أعينهم[1] ، روى ذلك فى حديث أنسٍ ، وقيل : إن ذلك قبل تحريم الْمُثْلَةِ . فإن قيل : فقد تركهم يَسْتَسْقُون ، فلا يُسْقَوْن ، حتى ماتوا عَطَشاً ، قلنا عَطَّشَهم لأنهم عَطَّشُوا أهْلَ بيتِ النبى ـ صَلَّى الله عليه وسلم ـ تلك الليلة ، رُوى فى حديثٍ مرفوع أنه عليه السلام لما بقى وأهلُه تلك الليلة بِلَا لبَن ، قال : اللَّهُمَّ عَطِّشْ مَنْ عَطَّشَ أهلَ بيتِ نَبِيِّك . وقع هذا فى شرح ابن بَطَّال ، وقد خَرَّجَه النَّسوِىّ .

الصلاة على الشهداء :

وروى ابن إسحاق عمن لا يُتَّهَمُ عن مِقْسَمٍ عن ابن عَبَّاسٍ أن النبىّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلَّى على حَمْزَةَ ، وعلى شهداء يوم أُحُدٍ ، ولم يأخذ بهذا الحديث

سملوا أعين الرعاة ، رواه مسلم والنسائى والترمذى

استوخموا المدينة : كرهوا المقام فيها .

الذود : قيل ما بين الثنتين إلى التسع من الإبل ، وقيل : ما بين الثلاث إلى العشر . والحرة : أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة .

وقد وفى الإمام الشوكانى الموضوع حقه فى نيل الأوطار فانظره تحت باب المحاربين وقطاع الطريق .

(١) صرح ببعض هذا فى حديث مسلم والنسائى والترمذى . والذى يعرف خلق النبى « ص » ويتدبر وصف الله له بأنه على خلق عظيم ، وأنه ليس فظاً ولا غليظ القلب ، وأنه محمد وأحمد يوقن ــ ولاريب ــ بأن مافعله بهؤلاء إنما كان قصاصاً لأمة طيبة أذلة على المؤمنين من قوم غلاظ الأكباد غلف القلوب تضطرم نفوسهم غلا وحقداً وجحوداً .

. . . .

فقهاء الحجاز ، ولا الأوزاعي لوجهين ، أحدهما ضَعْفُ إسنادِ هذا الحديث ، فإن ابن إسحاق قال : حدثني مَنْ لا أتَّهِمُ ، يعني : الحسن بن عمارة - فيما ذكروا - ولا خلاف في ضَعْفِ الحَسَن بن عمارة عند أهل الحديث ، وأكثرهم لايَرَوْنه شيئاً ، وإن كان الذي قال ابن إسحاق: حدثني مَنْ لا أتَّهِمُ غير الحسن، فهو مجهول ، والجَهْل يُوبِقه .

والوجه الثاني : أنه حديثٌ لم يصحبه العمل ، ولا يُروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا هذه الرواية في غزوة أُحُدٍ ، وكذلك في مدة الخليفتين إلاَّ أن يكون الشهيدُ مُرْتَثَّاً[1] من المعركة ، وأما ترك غَسْلِه ، فقد أجمعوا عليه، وإن اختلفوا في الصلاة إلا روايةً شاذةً عند بعض التابعين ، والمعنى في ذلك - والله أعلم - تحقيقُ حياةِ الشهداء وتصديقُ قوله سبحانه : ﴿ ولا تحسَبنَّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمْواتاً ﴾ الآية مع أن في تركِ غَسْلِه معنى آخر ، وهو أن دَمَه أثرُ عبادةٍ[2] ، وهو يجيء

(١) ارتث على البناء للمجهول : حمل من المعركة رثيثاً أي جريحاً وبه رمق .

(٢) عن جابر قال : «كان رسول الله «ص» يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في الثوب الواحد ، ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن، فاذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد ، وأمر بدفنهم في دمائهم ، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم » البخاري والنسائي وابن ماجه والترمذي وصححه . وهناك خلاف كبير حول الصلاة عليهم ، وقد رد الشافعي على من قال بالصلاة عليهم بأن الاخبار جاءت كأنها عيان من وجوه متواترة أن النبي «ص» لم يصل على قتلى أحد . . قال وماروى من أنه «ص» صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح ، وقد كان ينبغي لمن عارض بذلك هذه الاحاديث أن يستحي على نفسه . ويقول الامام =

. . . .

يوم القيامة وجُرْحُهُ يثعَبُ دَماً ، وريحُهُ ريحُ المِسْكِ ، فكيف يُطَهَّر منه وهو طَيِّبٌ وأثرُ عِبادَةٍ ، ومن هذا الأصلِ انتزع بعضُ العلماء كَرَاهِيَةَ تجفيفِ الوجه من ماءِ الوُضوء ، وهو قول الزُّهْرِيِّ ، قال الزُّهرى : وبلغنى أنه يوزَن ، ومن هذا الأصلِ انتزع كَراهية السِّوَاكِ بالْعَشِيِّ للصائم لئلا يذهب خُلُوفُ فَمِهِ ، وهو أثَر عبادةٍ ، وجاء فيه ماجاء فى دَمِ الشُّهَداء أنه أَطْيَبُ عند الله من ريح المِسْكِ ، ويُرْوَى أطيبُ يوم القيامة من ريح المسك . رواه مسلم باللفظين جميعاً ، والمعنى واحد ، وجاءت الكراهيةُ للسِّوَاكِ بالعَشِيِّ للصائم[1] عن عَلِيٍّ وأبى هُرَيْرَةَ ، ذكر ذلك الدَّارَقُطْنِى .

عبد الله بن جحش المجدع :

وذكر عبدَالله بن جَحْشٍ بن أخت حَمْزَةَ ، وأنه مُثِّلَ به كما مُثِّلَ بِحَمْزَةَ ، وعَبْد الله هذا يُعْرفُ بالْمُجَدَّع فى الله ، لأنه جُدِعَ أنفُه وأذناه يَوْمَئِذٍ ، وكان سعدُ بن أبى وَقَّاصٍ يحدّث أنه لَقِيَه يومَ أُحُدٍ أول النهار ، فَخَلَا به ، وقال له عبد الله : يا سَعْدُ هَلُمَّ فَلْنَدْعُ الله وليذكُرْ كلٌّ واحدٍ منا حاجَتَه فى دعائه ، وليُؤَمِّن الآخرُ ، قال سعد : فدَعَوْتُ الله أن أَلْقَى فارساً شديداً بأسُه شَدِيداً حَرْدُه من الْمُشْرِكين ، فأَقتُلَه ، وآخذ سَلَبُه ، فقال عبدُ الله آمين ، ثم استقبل

— الشوكانى : «فائدة: لم يرد فى شىء من الأحاديث أنه «ص» صلى على شهداء بدر، ولا أنه لم يصل عليهم ، وكذلك فى شهداء سائر المشاهد النبوية إلا ما ذكرناه فى هذا البحث ، فليعلم ذلك» . وقد عرض الشوكانى كل ماروى من أحاديث .

(١) لا يصح هذا .

. . . .

عبدُ الله القِبْلَة ، ورفع يديه إلى السّماء ، وقال اللهم لَقّنِي اليومَ فارساً شديداً بأسُهُ شَدِيداً حَرْدُهُ[١] ، يقتلني ويَجْدعُ أنفي وأُذُنِي ، فإذا لقيتُك غداً تقول لي : ياعَبْدِي : فيم جُدِع أنفُك وأذناك ، فأقول : فيك يارب ، وفي رسولك ، فتقول لي : صَدَقْتَ ، قل يا سَعْد : آمين ، قال فقلت : آمين ، ثم مررت به آخر النهار قتيلا مَجْدُوعَ الأنفِ والأُذُنَيْنِ ، وأن أُذُنَيْهِ وأنفَه معلقان بِخَيطٍ، ولقيتُ أنا فلاناً من المشركين ، فقتلته ، وأخذتُ سَلَبَه[٢] ، وذكر الزُّبَيْر أن سَيْفَ عبدِ الله بن جَحْشٍ انقطع يوم أُحُدٍ فأعطاه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عُرْجُوناً ، فعاد في يده سيفاً ، فقاتل به ، فكان يسمى ذلك السيفُ العُرْجُونَ[٣] ، ولم يزلْ يُتَوَارَثُ حتى بيع من بغاء[٤] التركي بمائتي دينار ، وهذا نحو من حديث عُكَّاشَة الذي تقدم إلا أنَّ سَيْفَ عُكَّاشَةَ ، كان يُسَمَّى العَوْن ، وكانت قصة عُكَّاشَة يوم بَدْرٍ ، وكان الذي قتل عبدَ الله بنَ جَحْشٍ أبو الحَكَم بن الأَخْنَسِ بن شَرِيقٍ[٥] وكان عَبْدُ الله

---

(١) حرد الرجل فهو حرد بكسر الراء إذا اغتاظ فتحرش بالذى غاظه ، وهم به فهو حارد ، والحرد : الغضب والقصد والمنع .

(٢) رواه البغوى من طريق إسحاق بن سعد . وابن شاهين من وجه آخر عن سعيد بن المسيب . ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

(٣) لم يروه غير الزبير .

(٤) في الإصابة : بغا الكبير دون همزة في آخر بغا . وهو من أمراء المعتصم بالله الخليفة العباسى إبراهيم بن هارون الرشيد .

(٥) اسمه : أبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة ابن عبد العزى بن غيرة .

. . . .

حين قُتِلَ ابنَ بِضع وأربعين سنةً ، فيما ذكروا ودُفِن مع حَمْزَةَ فى قَبْرٍ واحد.

حديث عمر وأبى سفياں :

فصل : ومِمَّا وقع فى هذه الغَزْوَةِ من الكَلِم الذى يُسْأَلُ عنه قولُ أبى سُفْيانَ حين قال: اعْلُ[1] هُبَلُ، أى زِدْ عُلوًّا، ثم قال: أَنْعَمْتَ، فَعَالِ،قالوا: معناه الأَزْلَامُ ، وكان اسْتَقْسَم بها حين خَرَج إلى أُحُدٍ ، فخرج الذى يُحِبُّ[2]. وقوله : فَعَالِ : أَمْرٌ أى عالِ عَنْها وأقصِر عن لَوْمِها ، تقول العرب : اعْلُ عَنِّى ، وعَالِ عنى بمعنى : أى ارْتَفِع عنى ، ودعنى . ويُرْوَى أن الزُّبَيْر قال

---

(١) فسرها ابن هشام بغير هذا فضبطت اعل فى السيرة بفتح الهمزة وسكون العين وكسر اللام فالأمر من أعلى ، وضبطتها فى الروض هكذا بهمزة وصل مع ضم اللام كما ضبطت فى اللسان والنهاية لابن الأثير والمواهب للزرقانى ص ٤٨ لأن الأمر من علا كما فسرها السهيلى .

(٢) كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين ، فكتب على أحدهما : نعم ، وعلى الآخر : لا ، ثم يتقدم إلى الغنم ويجيل سهامه ، فإن خرج سهم نعم ، أقدم ، وإن خرج سهم لا : امتنع ، وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استفتى هبل ، فخرج له سهم الإنعام ،فذاك قوله لعمر أنعمت ، فعـــال عنها أى تجاف عنها ، ولا تذكرها بسوء يعنى آلهتهم . « ابن الأثير مادة علا » وعنه نقل اللسان . . وقد ذكر الخشنى : وقوله : أنعمت — بضم التاء — فعال ، معناه : بالغت . يقال : أنعم فى الشىء إذا بالغ فيه، وقوله : أنعمت يخاطب به نفسه. ومن رواه :أنعمت بفتح التاء فانه يعنى به الحرب أو الوقيعة . . وقد يجوز أن تكون معدولة من الفعلة كما عدلوا فجار عن الفجرة ، أى بالغت فى هذه الفعلة ، ويعنى بالفعلة : الوقيعة ص ٢٣٠. وهبل اسم صنم .

. . . .

لأبى سُفيانَ يوم الفَتح : أين قولُك : أنْعَمتْ ، فَعالِ ؟ فقال : قد صنع اللهُ خَيْراً ، وذهب أمرُ الجاهلية .

وقول عُمَرَ لا سَوَاء ، أى لا نَحنُ سَوَاء ، ولا يجوز دخول لا على اسمٍ مُبْتَدَأ معرفة إلا مع التَّكرار نحو لا زيدٌ قائمٌ ، ولا عمرٌو خارجٌ ، ولكنه جاز فى هذا الموضع ، لأن القصدَ فيه إلى نفى الفعلِ ، أى لا يستوى ، كما جاز لا نَوْلُك ، أى : لا ينْبَغى لك ، وقد بينا هذا فى أولِ الكتاب حيث تكلمنا على قوله :

فَشَتَّتَنا سَعْدٌ فلا نَحْنُ مِنْ سَعْدِ

حديث مُخيريق وأول وقف فى الإسلام :

ومما يليق ذكره بهذه الغَزاةِ حديثُ مُخيْرِيقٍ ، وهو أحد بنى النَّضِير ، وقوله : إنْ أُصِبْتُ فَمَالِى لمحمَّدٍ يصنع فيه ماشاء ، فأصيب يومَ أُحد ، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين انصرف مالَه أوْقَافاً ، وهو أول حُبُسٍ حُبِس فى الإسلام ، رُوِى ذلك عن مُحمد بن كَعْب القُرَظِىّ ، وقال الزُّهْرِىّ : كانت سَبْعَ حوَائِطَ ، وأسماؤها : الأعرافُ ، والأعوافُ والصَّافيةُ والدَّلالُ وبُرْقَة ، وحُسْنَى ومَشْرَبَةُ أمِّ إبراهيم ، وإنما سُمِّيتْ مَشرَبة أمِّ إبراهيم ، لأنها كانت تسكنها ، وقد ذكر ابن إسحاق حديث مُخَيْرِيقٍ ، وهذا الذى ذكرناه تكمِلَةٌ له ، وزيادة فائدة فيه .

وذكر : لا سَيْفَ إلا ذُو الفَقَار ، بفتح الفاء جمع فَقَارَةٍ ، وإن قيل ذو الفِقارِ بالكسر ، فهو جمع فِقْرة ، وقد تقدم شَرْحُه . ووقع فى غيرِ هذه الروايةِ أنَّ

. . . .

رِيحاً هَبّت يوم أُحُدٍ ، فسمعوا قائلا يقول :

لا سَيْفَ إلّا ذو الفِقَارِ ولا فَتَى إلّا عَلِي[١]

فى أبيات ذكرها ، وذكر ابن إسحاق أيضاً من غير رواية البَكّائى قولَ علىّ لفاطمة حين غَسَلَتْ سَيفَه من الدمِ :

أفاطِمُ هاَنِي السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ فلستُ بِرِعْدِيدٍ ولا بِلَئِيمٍ

غزوة حمراء الأسد[٢]

شرح قصيدة معبد الخزاعى :

ذكر شعرَ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيّ وفيه :

إذا تَغَطْمَطت البَطْحَاء بالْخَيْلِ

لفظٌ مُسْتَعَارٌ من الغطمة[٣] ، وهو صوت غَلَيَان القِدْرِ .

قوله بالخيل جَعَل الرِّدْفَ حَرْفَ لِينٍ ، والأبياتُ كلُّها مُرَدَفَةُ الرَّوِيّ

---

(١) يقول الشيبانى ف التمييز : يروى فى أثر رواه عند الحسن بن عرفة من حديث أبى جعفر محمد بن على الباقر .

(٢) موضع على ثمانية أميال أو عشرة من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة .

(٣) تغطمطت : اهتزت وارتجت ، ومنه يقال : بحر غطامط بضم الغين وفتح الطاء إذا علت أمواجه . والجيل : الصنف من الناس ولكنها فى السيرة : الخيـل .

بحرفِ مَدٍّ ولِينٍ[١] ، وهذا هو السِّنَادُ الذى بيّنّاه فى أول الكتاب عند قول ابن إسحاق فسُوندِ بين القبائل ، ونظيرُه قول [عمرو] بن كلثوم :

ألا هُبِّى بصَحْنِك فاصْبِحِينا

ثم قال :

تُصَفِّقُها الرياحُ إذا جَرَيْنا

وتسمية هذا سِناد عَربية لاصِناعية ، قال عَدِيُّ بن الرِّقَاع :

وقَصِيدَةٍ قد بِتُّ أجمع بَيْنها حتى أُقَوِّم مَيْلَها وسِنادَها
نظر المُثَقِّفِ فى كُعُوبِ قَناتِه كيما يقيم ثِقافُه مُنادَها[٢]

وقوله : لاتَنابِلة . التَّنابِلة : القِصار ، وأحدُهم : تِنْبَالٌ ، تِفعَالٌ من النَّبلِ ، وهى صِغارُ الحَصَى[٣] .

---

(١) الردف : الألف والياء والواو التى قبل الروى ، سمى بذلك لأنه ملحق فى التزامه وتحمل مراعاته بالروى ، فجرى مجرى الردف للراكب ، أى يليه ، لأنه ملحق به ، مثل الألف فى كتاب ، والياء فى بليد ، والواو فى قئول وانظر اللسان مادة ردف

(٢) سبق هـذا وانظر اللسان فى مادة سند ، والخصائص لابن جنى ط ٢ ص ٣٢٣ ح ١

(٣) تنبال وتنبل والتنبالة بفتح التاء وكسرها ، وفتح الباء : الرجل القصير ، وهو رباعى على مذهب سيبويه وعند ثعلب ثلاثى . وحكم بزيادة التاء ، ويشتقه من النبل كما قال السهيلى ، وذكره الأزهرى فى الثلاثى ، وجمعه أيضاً : التنابيل .

. . . .

أبو عزة الجمحي :

وذكر أبا عَزَّةَ(١) ، وكان الذى أسره عُمَيْرُ بنُ عَبْدِ الله ، كذا ذكر بعضُهم ، وأحسَبُه عبدَ الله بن عُمَيْرٍ أحدِ بنى خُدَارَة ، أو عبدَ الله بن عُمَيْرٍ الخطمى . ومن خبر أبى عَزَّةَ ما ذكر الزُّبَيْرعن ابنِ جُنْدُبَةَ والضَّحَّاكِ بنِ عُثمان . والجُنْدُبَةُ فى اللغة واحدة الجَمَادبِ ، وهى النُّفَّاخَاتُ التى تكون فى الماء . قالا : بَرِص أبو عَزَّةَ الجُمَحِى ، فكانت قُرَيْشٌ لا تُؤَاكله ولا تُجالسه فقال الموت خيرٌ من هذا ، فأخذ حَدِيدةً ، ودخل بعضَ شِعَابِ مَكَّة فطَعَن بها فى مَعَدِّهِ ، والمَعَدُّ مَوْضِعُ عَقِبِ الرَّاكبِ من الدَّابَّةِ ، وقال ابن جُنْدُبَة : فارت الحديدُة ، وقال الضحاك : بين الجِلْدِ والصِّفَاقِ فسال منه أصفرُ فَبَرِىء ، فقال :

اللَّهُمَّ رَبَّ وَائِلٍ ونَهْدِ ... والتَّهَمَاتِ والجِبَالِ الجُرْدِ

وَرَبَّ مَنْ يَرْعَى بأرضٍ نَجْدِ ... أصبحتُ عبداً لك وابْنَ عَبْدِ

أبْرَأْتَنِى من وَضَحٍ بِجِلْدِ ... مِنْ بعد ماطَعَنْتُ فى مَعَدِّى

موصل مقالة أبى سفيان :

وذكر إرسال أبى سفيانَ مَعَ الركب بالوعيد ، وكان المُوَصِّلُ مقالَته للمؤمنين نُعَيمُ بنُ مَسْعُودٍ ، فقالوا : حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل ، كذلك جاء فى التفسير .

---

(١) فى حديثه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . وقد ذكر السيوطى عن هذا أن رواته : البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده وأبو داود وابن ماجة .

. . . .

قول لعبد الله بن أبي

وذكر قول عبد الله بن أُبَىّ حين أُخْرِج من المسجد : لكأنما قلت بَجْرًا. الْبَجْرُ : الأمْرُ العَظِيمُ والْبَجَارِى : الدَّوَاهى، وفى وصية أبى بكر : ياهَادِىَ الطريق جُرْتَ ، إنما هو الْفَجْرُ أو الْبَجْرُ[1] قال الخطابى: معناه الداهية.

وذكر ابن إسحاق فى غير هذه الرواية قول النبى صلى الله عليه وسلم فى قتلى أحُدٍ : ياليتنى غُودِرْتُ مع أصحاب نُحْصِ الْجَبَلِ . نُحْصُ الْجَبَل : أسفلُه ، قاله صاحب العَيْن[2] .

---

(١) ضبط القاموس البجر بالضم ، وابن الأثير بالفتح ، وفى اللسان أنها بالفتح والضم وهى الداهية والأمر العظيم . ومعنى قول أبى بكر : إن انتظرت حتى يضىء الفجر أبصرت الطريق ، وإن خبطت الظلماء أفضت بك إلى المكروه، ويروى البحر يريد غمرات الدنيا شبهها بالبحر لتحير أهلها فيها .

(٢) فى الأصل : نحض بالضاد والتصويب من النهاية واللسان، والمعنى تمنى أن يكون استشهد معهم يوم أحد ، أراد ياليتنى غودرت شهيداً مع شهداء أحد. وفى البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة : لما انصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، فقال : من يذهب فى أثرهم ، فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم : أبو بكر والزبير وزاد الطبرانى آخرين . وعن هذا يقول الحافظ ابن كثير : هذا سياق غريب جدا ، فالمشهور عند أصحاب المغازى أن الذين خرجوا إلى حمراء الأسد كل من شهد أحداً ، وكانوا سبعمائة ، قتل منهم سبعون ، وبقى الباقون. وقيل إنه لا تخالف بين قول عائشة وأصحاب المغازى لأن معنى قولها فانتدب منهم سبعون أنهم سبقوا غيرهم ، ثم تلاحق الباقون . وقد أقام عليه السلام بحمراء الأسد كما روى الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، وقال ابن سعد :كان المسلمون يوقدون تلك الليالى خمسائة نار حتى ترى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه . ثم رجع إلى المدينة صلى الله عليه وسلم.

ذكر ما أنزل الله فى أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطّلبى ، قال : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أُحد من القرآن ستون آية من آل عِمْران ، فيها صِفة ما كان فى يومهم ذلك ، ومُعاتبة من عاتَب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران : ١٢١ .

قال ابن هشام : تبوّىء المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكُميت ابن زيد :

لَيتنى كنتُ قبلَه قد تبوأتُ مَضجعا

وهذا البيت فى أبيات له .

أى سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون .

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا ﴾ : أن تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سَلِمة بن جُشَم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النَّبيت من الأوس ، وهما الجناحان . يقول الله تعالى : ﴿ والله وليُّهما ﴾ : أى المُدافع عنهما ماهمّتا به من فَشلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضَعف ووَهن أصابهما غير شكّ

فى دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته ، حتى سَلِمَتا من وُهونهما وضَعفهما ، ولَحِقتا بنبيِّهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثنى رجل من الأسْد من أهل العلم ، قال : قالت الطائفتان ما نحب أنّا لم نَهمّ بما هممنا به ، لتولى الله إيانا فى ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ : أى من كان به ضَعْف من المؤمنين فليتوكَّل علىّ ، وليستعِنْ بى ، أُعِنْه على أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به ، وأدْفع عنه ، وأقوّيه على نيّته . ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ : أى فاتّقونى ، فإنه شُكر نعمتى . ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ ﴾ وأنتم أقل عدداً وأضعف قوّة ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ : أى إن تصبروا لعدوّى ، وتُطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وَجْههم هذا ، أُمدّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : مسوِّمين : مُعْلَمِين . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرىّ أنه قال : أعْلَموا على أذناب خَيْلهم ونَواصيها بصوف أبيض . فأما ابن إسحاق فقال : كانت سيماهم يوم بدر عَمائم بيضاً . وقد ذكرت ذلك فى حديث

بدر . والسيما : العلامة . وفى كتاب الله عزّ وجلّ : (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) : أى علامتهم . و (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً) يقول : مُعلَّمة . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب . قال رُؤْبة بن العجّاج :

فالآنَ تُبلى بى الجيادُ السُّهَّم ولا تجارينى إذا ما سوَّمُوا
وشَخَصت أبصارُهم وأجْذَموا

[أجذموا « بالذال المعجمة » : أى أسرعوا : وأجدموا « بالدال المهملة » : أقطعوا] .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له : والمُسوّمة (أيضاً) المَرْعيَّة . وفى كتاب الله تعالى : (والخَيْلِ المُسَوَّمةِ) و (شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) . تقول العرب : سَوّم خَيْله وإبلَه ، وأسامها : إذا رعاها . قال الكُميت بن زيد :

راعياً كان مُسْجِحاً ففقَدنا ه وفقدُ المُسيم هُلْكُ السَّوامِ

قال ابن هشام . مُسْجِحاً : سَلِس السياسة محسن (إلى الغنم) . وهذا البيت فى قصيدة له .

(وما جَعَلَهُ اللهُ إلاَّ بُشْرَى لَكُمْ ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ، وَما النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ) : أى ما سَمّيت لكم مَنْ سَمّيتُ من جنود ملائكتى إلا بُشرى لكم ، ولتطمئنّ قلوبكم به ، لما أعرف من ضَعفكم ، وما النَّصر إلا من عندى ، لسُلطانى وقُدرتى ، وذلك أن العِزّ

والحكم إلىّ ، لا إلى أحد من خلقى . ثم قال : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ ﴾ : أى ليقطع طرفا من المشركين بقَتْل يَنتقم به منهم ، أو يردّهم خائبين : أى ويَرْجع مَنْ بَقِى منهم فَلاًّ خائبين ، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يَكْبِتهم : يغمّهم أشدّ الغَم ، ويمنعهم ما أرادوا . قال ذو الرُّمَّة :

ما أَنْسَ مِنْ شَجَنٍ لا أنسَ مَوْقِفَنا في حَيْرة بين مَسْرور ومَكْبوتِ

ويَكْبِتهم (أيضاً) : يصرعهم لوجوههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ ﴾ : أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى ، إلا ما أمرتُك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ، فإن شئتُ فعلت ، أو أعذّبهم بذُنوبهم فبحقّى ﴿ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ ﴾ : أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إيّاى ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ : أى يغفر الذنب ويَرْحم العباد ، على مافيهم .

النهى عن الربا

ثم قال : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعافاً مُضاعَفَةً ﴾ ؛ أى لا تأكلوا فى الإسلام ، إذ هداكم الله به ما كُنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ،

مما لا يحلّ لكم فى دينكم ﴿ واتقوا اللهَ لعلّكم تُفلحون ﴾ : أى فأطيعوا الله لعلّكم تنجُون مما حذّركم الله من عذابه ، وتُدرِكون ما رغّبكم الله فيه من ثوابه ، ﴿ واتّقوا النارَ التى أُعِدّتْ للكافرين ﴾ : أى التى جُعلت داراً لمن كفر بى .

الحض على الطاعة

ثم قال : ﴿ وأطيعُوا اللهَ والرّسُولَ لعلّكم تُرْحَمُونَ ﴾ معاتبةً للذين عَصَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره . ثم قال : ﴿ وَسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنّةٍ عَرْضُها السّمٰوَاتُ والأرضُ أُعِدّت للمُتّقينَ ﴾ أى داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى : ﴿ الّذِينَ يُنْفِقُونَ فى السّرّاءِ والضّرّاءِ ، والكاظِمِينَ الغَيْظَ ، والعافِينَ عَنِ النّاسِ ، وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ : أى وذلك هُوَ الإحسانُ ، وأنا أُحبّ مَنْ عمل به ، ﴿ والّذِينَ إذَا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلاّ اللهُ ، ولَمْ يُصِرّوا عَلَى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : أى إن أتوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نَهْى الله عنها ، وما حرّم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعَرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو . ﴿ ولَمْ يُصِرّوا عَلَى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : أى لم يُقيموا على مَعْصيتى كفِعْل مَن أشرك بى فيما غَلَوْا به فى كفرهم ، وهم يَعلمون ما حرّمتُ عليهم من عِبادة غيرى . ﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنْهار خالِدِينَ فِيها ، وَنِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ ﴾ : أى ثواب المُطيعين .

ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم، والبلاء الذي أصابهم، والتمحيص لما كان فيهم، واتخاذه الشهداء منهم، فقال: تعزية لهم، وتعريفاً لهم فيما صنعوا، وفيما هو صانع بهم: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾: أي قد مضت منى وقائع نقمة في أهل التكذيب لرسلي والشرك بي: عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، فرأوا مَثُلات قد مضت مني فيهم، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك مني، وإن أمليت لهم: أي لئلا يظنوا أن نقمتي انقطعت عن عدوّكم وعدوّي للدولة التي أدلتهم بها عليكم، ليبتليكم بذلك، ليعلم ما عندكم.

ثم قال تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾: أي هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾: أي نور وأدب (للمتقين) أي لمن أطاعني وعرف أمري، ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾: أي لا تضعفوا ولا تبتئسوا على ما أصابكم، ﴿ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ أي لكم تكون العاقبة والظهور ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾: أي إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عني. ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾: أي جراح مثلها ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾: أي نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾: أي ليميز بين المؤمنين والمنافقين؛ وليكرم من أكرم من

أهل الايمان بالشهادة ﴿ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ : أى المنافقين الذين يُظهرون بألسنتهم الطاعة وقلوبهم مُصِرّة على المعصية ﴿ وليُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم ، وكيف صَبْرهم ويقينهم ﴿ ويَمْحَقَ الكافِرينَ ﴾ : أى يُبْطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، حتى يظهر منهم كُفرهم الذى يستترون به .

دعوة الجنة للمجاهدين

ثم قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ ولَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ : أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثوابى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدّة ، وأبتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صِدْق ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فىّ ، ولقد كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الشَّهادَةَ على الذى أنتم عليه من الحقّ قبل أن تلقوا عدوّكم ، يعنى الذين استنهضوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى خُروجه بهم إلى عدوّهم ، لما فاتهم من حُضور اليوم الذى كان قبله ببدر ، ورغبةً فى الشهادة التى فاتتهم بها ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴾ يقول : ﴿ فَقَدْ رأَيْتُمُوهُ وأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ : أى الموت بالسُّيوف فى أيْدى الرجال قد خُلِّى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صدّهم عنكم ﴿ وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى لقول الناس : قُتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وانهزامهم

عند ذلك ، وانصرافهم عن عدوّهم ﴿ أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ ﴾ رجعتم عن دينكم كفّاراً كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوّكم ، وكتاب الله . وما خلّف نبيُّه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ، ﴿ ومَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ : أى يرجع عن دينه ﴿ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً ﴾ : أى ليس ينقص ذلك عزَّ الله تعالى ولا مُلكه ولا سلطانه ولا قُدْرته ، ﴿ وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِين ﴾ : أى مَنْ أطاعه وعَمِل بأمْره .

ذكره أن الموت بإذن الله

ثم قال : ﴿ وَما كانَ لِنفْسٍ أنْ تَمُوتَ إلَّا بإِذْنِ اللهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً ﴾ : أى أن لمحمد صلى الله عليه سلم أجلا هو بالغه ، فإذا أذِن الله عزّ وجلّ فى ذلك كان . ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنْها ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنها ، وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رَغْبة فى الاخرة ، نُؤْته منها ما قُسم له من رزق ، ولا يَعْدوه فيها ، وليس له فى الآخرة من حظّ ﴿ ومن يُرِد ثواب الآخرة نُؤْته منها ﴾ ما وُعِدَ به ، مع ما يجزى عليه من رزقه فى دُنياه ، وذلك جزاء الشَّاكرين ، أى المتّقين .

ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء

ثم قال : ﴿ وكأيِّنْ مِنْ نَبِىٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَما ضَعُفُوا وَما اسْتَكَانُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ : أى وكأين من نبىّ أصابه القتل ، ومعه ربِّيُّون كثير : أى جماعة ، فما وَهَنوا

لفَقْد نبيِّهم، وماضعفوا عن عدوّهم؛ وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم، وذلك الصبر، والله يُحبّ الصابرين ﴿ وَما كانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا، وإِسْرافَنا فِي أَمْرِنا، وَثَبِّتْ أَقْدامَنا، وَانْصُرْنا عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام: واحد: الرِّبِّيين: رِبِّى؛ وقولهم: الرّباب، لولد عبد مناة ابن أدّ بن طابخة بن إلياس، ولضبة، لأنهم تجمّعوا وتحالفوا، من هذا، يريدون الجماعات. وواحدة الرّباب: رِبّة (وربابة) وهى جماعات قِداح أو عِصى ونحوها، فشبّهوها بها. قال أبو ذؤيب الهذلىّ:

وكأنّهنّ ربابة وكأنّه يَسَر يَفيض على القِداح ويَصْدعُ

وهذا البيت فى أبيات له. وقال أُميّة بن أبى الصَّلت:

حَوْل شَياطينهم أبابيلُ رِبِّيونَ شَدُّوا سَنَوّراً مَدْسُورا

وهذا البيت فى قصيدة له:

قال ابن هشام: والربابة (أيضاً) الخِرقة التى تُلَفّ فيها القداح.

قال ابن هشام: والسَّنَوَّر: الدروع. والدُّسُر: هى المسامير التى فى الحِلَق، يقول الله عزّ وجلّ ﴿ وَحَمَلْناهُ على ذَاتِ أَلْوَاحٍ ودُسُر ﴾.

قال الشاعر، وهو أبو الأخْزر الحِمّانى، من تميم:

دَمْراً بأطراف القَنَــا المقوّم

قال ابن إسحاق : أى فقولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضُوا على دينكم كما مَضُوا على دينهم ، ولا تَرتدّوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يُثبِّت أقدامكم ، واستَنْصروه كما استَنْصروه على القوم الـكافرين ، فـكل هذا من قولهم قد كان ؛ وقَدْ قُتل نبيُّهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظُّهور على عدوّهم ، وحُسنَ ثواب الآخرة وما وَعد الله فيها ، والله يحبّ المحسنين .

تحذيره إياهم من إطاعة الـكفار

﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ ﴾ : أى عن عدوّكم ، فتذهب دُنيا كم وآخرتـكم ﴿ بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُو خَيْرُ النَّاصِرينَ ﴾ ، فإن كان ما تقولون بألسنتـكم صدقاً فى قلوبكم فاعتصموا به ، وَلا تَسْتَنْصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدّين عن دينه . ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ : أى الذى به كنتُ أنصركم عليهم بما أشركوا بى مالم أجعل لهم من حجَّة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نَصر ولا ظُهور عليـكم ما اعتصمتم بى ، واتَّبعتم أمرى ، للمُصيبة التى أصابتكم منهم بذُنوب قدَّمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى للمعصية ، وعصيتم بها النبىّ صلى الله عليه وسلم . ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهُمْ بإذْنِهِ ، حتى إذَا فَشِلْتُمْ وتَنَازَعْتُمْ فِي الأمْرِ ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ ، مِنْـكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا ، وَمِنْـكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ،

ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى وقد وفَّيت لكم بما وَعَدْتكم من النصر على عدوّكم ، إذ تحسُّونهم بالسُّيوف ، أى القتل ، بإذنى وتَسْليطى أيْديكم عليهم ، وكَفِّى أيديهم عنكم .

قال ابن هشام : الحسّ : الاستئصال: يقال : حَسَسْتُ الشىء : أى استأصلته بالسّيف وغيره . قال جرير :

تحسُّهم السُّيوفُ كما تَسامَى ‏ ‏ ‏ ‏ حريقُ النَّار فى الأَجَم الحَصِيدِ

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رُؤْبة بن العَجاج :

إذا شَكَوْنا سَنَةً حَسُوسا

تأكُلُ بَعْدَ الأخضَر اليَبِيسا

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : (حتى إذا فشلتم) : أى تخاذلتم (وتنازعتم فى الأمر) أى اختلفتم فى أمْرى ، أى تركتم أمرَ نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة ﴿ وعصَيتم مِنْ بَعْدِ ما أرَاكُمْ ماتُحِبونَ ﴾ : أى الفتح ، لاشكّ فيه ، وهزيمة القوم عن نِسائهم وأموالهم ، ﴿ مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا ﴾ : أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترَك ماأُمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ : أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى مانُهوا عنه لعرض من الدنيا ، رغبة فيها ، رجاء ماعند الله من حُسن ثوابه فى الآخرة ؛ أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نُهوا عنه ، لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لايُهلككم

بما أتيتم من مَعْصية نبيكم ، ولـكنى عُدت بفَضلى عليكم ، وكذلكَ ﴿ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِين ﴾ أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجلِ الدنيا أدباً وموعظة ، فإنه غيرُ مستأصل لـكلٍّ مافيهم من الحقّ له عليهم ، بما أصابوا من مَعْصيته ، رحمةً لهم ، وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .

تأنيبه إياهم لفرارهم عن نبيهم

ثم أنَّبهم بالفرار عن نبيِّهم صلى الله عليه وسلم ، وهم يُدعون لا يَنْعطفون عليه لدُعائه إياهم ، فقال : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ، والرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ، فأَثابَكُمْ ، غَمًّا بغَمٍّ ، لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مافاتَكُم ولا ما أصابَكُمْ ﴾ : أى كَرْباً بعد كرب ، بقتل من قُتل من إخوانكم ، وعُلوّ عدوِّكم عليكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول مَنْ قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع عليكم غَمًّا بغمّ ؛ لكيلا تحزنوا على مافاتكم ؛ من ظهوركم على عدوّكم ، بعد أن رأيتموه بأعينكم ، ولا ما أصابكم من قَتْل إخوانكم ، حتى فرّجتُ ذلك الكربَ عنكم ﴿ وَاللهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ ﴾ . وكان الذى فرّج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغمّ الذى أصابهم ، أن الله عزّ وجل ردّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيِّهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا بين أظهرهم ، هانَ عليهم ما فاتهم من القَوم بعد الظُّهور عليهم ، والمُصيبة التى أصابتهم فى إخوانهم ، حين صَرَف الله القتلَ عن نبيِّهم صلى الله عليه وسلم ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغْشَى طائِفَةً مِنْكُمْ ، وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، يَظُنُّونَ بِاللهِ غيرَ الحقِّ ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ ،

يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الأمرِ مِنْ شَيْء ، قُلْ إنَّ الأمْرَ كُلَّه لِلهِ ، يُخْفُونَ فى أنفُسِهم مالا يُبْدُونَ لكَ ؛ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأمْرِ شَىء ما قُتِلْنا هاهُنا ، قُلْ لَوْ كُنتُمْ فى بُيُوتِكُمْ لَبرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِىَ اللهُ مافِى صُدُورِكُمْ ، ولِيُمَحِّصَ مافِى قُلُوبِكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بذاتِ الصُّدُورِ ﴾ ، فأنزل الله النعاس أمنةً منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهلُ النِّفاق قد أهمَّتهم أنفسهم ، يظنُّون بالله غير الحقّ ظنَّ الجاهليّة ، تخوّفَ القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله عزّ وجلّ تلاوُمَهم وحَسْرتهم على ما أصابهم . ثم قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾ لم تحضُروا هذا الموطنَ الذى أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سَرائركم ﴿ لَبرَزَ ﴾ لأَخْرَجَ ﴿ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِم القَتْل إلى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ إلى موطن غيره يُصرعون فيه ، حتى يبتلى به مافى صدورهم ﴿ وَلِيُمَحِّصَ مافِى قُلُوبِكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور ﴾ : أى لا يخفى عليه مافى صُدُورهم مما استخفوا به منكم .

تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون الموت فى الله

ثم قال : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وقالُوا لِإخْوَانِهِمْ إذَا ضَرَبُوا فِى الأرْضِ أوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْدَنا ماماتُوا وَما قُتِلُوا ، لِيَجْعَلَ اللهُ ذلكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي ويُمِيتُ ، وَاللهُ بِما تَعْمَلُون بَصِيرٌ ﴾ : أى لا تكونوا كالمنافقين الذين يَنْهون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله ، والضَّرْب فى الأرض فى طاعة الله عزّ وجلّ ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويقولون إذا ماتوا أو قُتلو : لو أطاعونا ماماتوا وما قُتلوا ﴿ لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ لقلّة اليقين بربهم ، ﴿ وَاللهُ

يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ : أى يعجّل مايشاء ويؤخّر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته . قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ : أى إن الموت لكائن لابدّ منه ، فموتٌ فى سبيل الله ، أو قتل ، خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التى لها يتأخّرون عن الجهاد ، تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادةً فى الآخرة ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ أىّ ذلك كان ﴿ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ﴾ : أى أن إلى الله المرجع ؛ فلا تغرنّكم الدنيا ، ولا تغترّوا بها ، وليكن الجهادُ وما رغّبكم الله فيه من ثوابه آثرَ عندكم منها .

ذكره رحمة الرسول عليهم

ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ : أى لتركوك ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ : أى فتجاوز عنهم ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ فذكر لنبيّه صلى الله عليه وسلم لينه لهم ، وصبره عليهم ، لضعفهم ، وقلّة صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم فى كلّ ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيّهم صلى الله عليه وسلم . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ : أى تجاوز عنهم ، ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ذنوبهم ، من قارف من أهل الإيمان منهم ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ : أى لتريهم أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت غنياً عنهم ، تألّفاً لهم بذلك على دينهم ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ : أى على أمرٍ جاءك منى وأمرٍ من دينك فى جهاد

. . . .

عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أمرتَ به ، على خلاف من خالفك ، وموافقة من وافقك ، ﴿ وتوكَّلْ على الله ﴾ ، أى ارض به من العباد ، ﴿ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ * إنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ ، وَإنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ : أى لئلا تترك أمرى للناس ، وارفض أمر الناس إلى أمرى ، وعلى الله لا على الناس ، فليتوكل المؤمنون .

ما نزل فى الغلول

ثم قال : ﴿ وَما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ : أى ما كان لنبىّ أن يكتم الناسَ مابعثه الله به إليهم ، عن رَهْبة من الناس ولا رغبة ، ومن يَفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يُجزى بكسبه ، غيرَ مَظلوم ولا معتدًى عليه ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللهِ ﴾ على ما أحبّ الناسُ أو سَخطوا ﴿ كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ ﴾ لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفمن كان على طاعتى ، فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه ، فكان ﴿ مأواه جهنم وبئس المصير ﴾ أسواء المثلان ! فاعرفوا . ﴿ هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ ، واللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ ﴾ لكلّ درجات مما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

فضل الله عَلَى الناس ببعث الرسل

ثم قال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ

أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ : أى لقد منّ الله عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم ، وفيما عملتم ، فيعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، لتتخلصوا بذلك من نقمته ، وتدركوا بذلك ثوابه من جنته ﴿وَإِنْ﴾ كُنْتُمْ ﴿مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ : أى لفى عمياء من الجاهلية ، أى لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة ، صم عن الخير ، بكم عن الحق ، عمى عن الهدى .

ذكره المصيبة التى أصابتهم

ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم ، فقال : ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ : أَنَّى هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : أى إن تك قد أصابتكم مصيبة فى إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبلُ من عدوكم ، فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، قتلاً وأسراً ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : أى إن الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فبإذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى ، وصدقتكم وعدى ، ليميز بين المؤمنين

. . . .

والمُنافقين ، ﴿ وليعلم الذين نافقوا ﴾ منكم : أى ليظهر مافيهم . ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا ﴾ : يعنى عبد الله بن أُبَىّ وأصحابه الذين رَجعوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حين سار إلى عـدوّه من المُشركين بأحد ، وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لسِرْنا معكم ، وَلَدَفَعْنا عنكم، ولكنَّا لانظنّ أنه يكون قِتال . فأظهر منهم ما كانوا يُخفون فى أنفسهم . يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مالَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ أى يُظهرون لك الإيمان وليس فى قلوبهم ﴿ وَاللهُ أَعلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ أى ما يُخفون ﴿ الَّذِينَ قالُوا لإِخْوَانِهِمْ ﴾ الذين أُصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم : ﴿ لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا ، قُلْ فادْرَءوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ : أى أنه لابدّ من الموت ، فإن استطعتم أن تَدْفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهادَ فى سبيل الله ، حرْصاً على البقاء فى الدنيا ، وفراراً من الموت .

الترغيب فى الجهاد

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يرغّب المؤمنين فى الجهاد ، ويهوّن عليهم القتل : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْياء عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ : أى لاتظننّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً : أى قد أحيَيْتهم ، فهم عندى يُرزقون فى رَوْح الجنة وفَضْلها ، مَسْرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويَستبشرون

بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، أى وُيَسرون بلُحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مَضَوْا عليه من جهادهم ، ليَشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوفَ والحزَن . يقول الله تعالى : ﴿ يَسْتَبْشِرونَ بِنعْمَةٍ منَ اللهِ وَفَضْلٍ ، وأَنَّ اللهَ لايُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ ﴾ لما عاينوا من وَفاء المَوْعود ، وعظيم الثواب .

مصير قتلى أُحد

قال ابن إسحاق : وحدثنى إسماعيل بن أُميَّة ، عن أبى الزُّبير ، عن ابن عبَّاس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمَّا أُصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خُضْر ، تَرِد أنهارَ الجنَّة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قَناديل من ذهب ، فى ظلّ العرش ، فلما وجدوا طيبَ مَشْربهم ومأكلهم ، وحُسْن مَقيلهم ، قالوا : ياليت إخوانَنا يعلمون ما صَنع الله بنا ، لئلا يزْهدوا فى الجهاد ، ولا يَنْكُلوا عن الحرب ؛ فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات : (ولا تحسبنّ . . .) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحارث بن الفَضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشُّهداء على بارق نهر بباب الجنّة ، فى قُبَّة خَضراء ، يخرج عليهم رزقُهم من الجنَّة بُكرة وعشيًّا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سُئل عن

. . . .

هؤلاء الأيات : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فقال : أما إنّا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أُصيب إخوانُكم بأُحد جعل الله أرواحَهم فى أجواف طير خضر ، تَرِد أنهار الجنّة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قَناديل من ذهب فى ظلّ العرش ، فيَطَّلع الله عزّ وجلّ عليهم إطّلاعةً فيقول : يا عبادى ، ماتَشْتهون فأزيدكم ؟ قال: فيقولون ربّنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنّة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطّلع الله عليهم اطلاعةً ، فيقول : ياعبادى ، ماتشتهون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ما أعْطيتنا ، الجنة نأكلُ منها حيث شئنا ! قال : ثم يطَّلع عليهم إطَّلاعة ، فيقول : ياعبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . إلا أنا نُحبّ أن تردّ أرواحُنا فى أجسادنا ، ثم نُردّ إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نُقتل مرّة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أُبَشِّرك ياجابر ؟ قال :قلت: بلى يانبىّ الله ؛ قال: إنّ أباك حيث أُصيب بأُحد أحياه الله عزّ وجلّ ، ثم قال له : ماتحبّ ياعبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أى ربّ ، أحبّ أن تردّنى إلى الدنيا فأُقاتل فيك ، فأُقتل مرّة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن عُبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نَفْسى بيده ، مامن مُؤمن يُفارق الدنيا يُحبّ أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ،

. . . .

فإنه يحب أن يُردّ إلى الدنيا ، فيُقاتل فى سبيل الله ، فيُقتل مرةً أخرى .

ذكر من خرجوا على الرسول إلى حمراء الأسد

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ القَرْحُ ﴾ أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أُحد إلى حمراء الأسد على مابهم من ألم الجراح : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ ، فَزادَهُمْ إِيماناً ، وَقالُوا حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾ ، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، النَّفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ، قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم. يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوانَ اللهِ ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ لما صرف الله عنهم من لقاء عدوّهم (إنما ذلكم الشيطان) ، أى لأولئك الرهط وماألقى الشيطان على أفواههم ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ ﴾ : أى يرهبكم بأوليائه : ﴿ فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الكُفْرِ ﴾ : أى المنافقون ﴿ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً ، يُرِيدُ اللهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عذاب عظيم * إنّ الَّذين اشْتَرُوا الكُفْر بالإيمانِ لنْ يَضرّوا اللهَ شيْئاً وَلهُمْ عَذابٌ أَليمٌ * وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ ، إِنَّما نُمْلِى لَهُم لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ * ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ عَلَى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حتى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ :

أى المنافقين ﴿ وَما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ ﴾ أى فيما يُريد أن يبتليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ ﴾ أى يعلمه ذلك ﴿ فَآمِنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا ﴾ أى ترجعوا وتتوبوا ﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

من بنى هاشم

قال ابن إسحاق : واستُشهد من المُسلمين يوم أُحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قُريش ، ثم من بَنى هاشم بن عَبد مناف : حمزةُ ابن عبد المطلب بن هاشم ، رضى الله عنه ؛ قتله وَحْشِىّ ، غلامُ جُبير بن مُطعم .

من بنى أمية

ومن بنى أُمَيَّة بن عبد شمس : عبدُ الله بن جَحْش ، حليف لهم من بنى أسد بن خُزيمة .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدّار بن قُصىّ : مُصعب بن عُمير ، قتله ابنُ قَمِئَة اللَّيثىّ .

من بنى مخزوم

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : شَمَّاس بن عُثمان . أربعة نفر .

. . . .

من الأنصار

ومن الأنصار ، ثم من بنى عبد الأشهل : عمرو بن مُعاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعُمارة بن زياد بن السَّكن .

قال ابن هشام : السَّكَن : ابنُ رافع بن امرىء القيس ؛ ويقال : السَّكْن.

قال ابن إسحاق : وسَلَمة بن ثابت بن وَقْش ، وعمرو بن ثابت بن وَقْش . رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباهما ثابتاً قُتل يومئذ . ورفاعة بن وَقْش . وحُسَيْل بن جابر ، أبو حُذيفة وهو اليَمان ، أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون ، فتصدّق حُذيفة بديته على مَنْ أصابه ؛ وصَيْفِىّ بن قَيْظِى . وحَباب بن قَيْظِى . وعَبَّاد بن سَهْل ، والحارث بن أوْس ابن مُعاذ . اثنا عشر رجلا .

من راتج

ومن أهلِ راتج : إياس بن أوْسِ بن عَتيك بن عمرو بن عبد الأعام بن زَعُوراء بن جُشم بن عبد الأشهل ؛ وعُبيد بن التَّيِّهان .

قال ابن هشام : ويقال : عَتِيك بن التَّيِّهان .

وحبيب بن يَزيد بن تَيم . ثلاثة نفر .

من بنى ظفر

ومن بنى ظفر : يزيد بن حاطب بن أُميّة بن رافع . رجل .

من بنى ضبيعة

ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضُبيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث ابن قيس بن زيد ، وحَنظلة بن أبى عامر بن صيْفى بن نعمان بن مالك بن أمَة ، وهو غَسيل الملائكة ، قتله شدّاد بن الأسود بن شعوب الليثى . رجلان .

قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضُبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

من بنى عبيد

قال ابن إسحاق : ومن بنى عُبيد بن زيد : أُنيس بن قتادة . رجل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حَيّة ، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه .

قال ابن هشام : أبو حَيّة : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جُبير بن النُّعمان ، وهو أمير الرماة . رجلان .

من بنى السلم

ومن بنى السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : خَيْثمة أبو سعد ابن خيثمة . رجل .

. . . .

من بنى العجلان

ومن حلفائهم من بنى العَجْلان : عبدُ الله بن مَلَمَة : رجل .

من بنى معاوية

ومن بنى مُعاوية بن مالك : سُبيع بن حاطب بن الحارث بن قَيس بن هَيْشة . رجل .

من بنى النجار

قال ابن هشام : ويقال : سُويبِق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النَّجَّار ، ثم من بنى سَوَاد بن مالك بن غَنى : عمرو بن قَيْس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن هشام : عمرو بن قيس : ابنُ زيد بن سواد .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مَخْلد . أربعة نفر .

من بنى مبذول

ومن بنى مَبْذول : أبو هُبيرة بن الحارث بن عَلقمة بن عمرو بن ثَقْف بن مالك بن مَبْذول ، وعمرو بن مُطرِّف بن عَلْقمة بن عمرو . رجلان .

من بنى عمرو

ومن بنى عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن المُنذر . رجل .

. . . .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسَّان بن ثابت .

من بنى عدى

قال ابن إسحاق : ومن بنى عَدِىّ بن النَّجَّار : أنس بن النَّضر بن ضَمْضم بن زيد بن حَرام بن جُندب بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن النَّجَّار . رجل .

قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عمّ أنس بن مالك : خادم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

من بنى مازن

ومن بنى مازن بن النَّجَّار : قَيس بن مُخلَّد ، وكيسان ، عبد لهن . رجلان .

من بنى دينار

ومن بنى دينار بن النَّجار : سُليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو . رجلان .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبى زُهير ، وسَعْد بن الربيع بن عمرو بن أبى زُهير ، دُفنا فى قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثَعْلبة بن كعب . ثلاثة نفر .

من بنى الأبجر

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خُدْرة : مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة

. . . .

ابن عبيد بن الأبجر ، وهو أبو أبى سعيد الُخدرىّ .

قال ابن هشام : اسم أبى سعيد الخدرىّ : سنان ، ويقال : سعد .

قال ابن إسحاق : وسَعيد بن سُوَيد بن قَيْس بن عامر بن عَبّاد بن الأبجر ، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر . ثلاثة نفر .

من بنى ساعدة

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثَعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وثقف بن فَرْوة ابن البَدىّ . رجلان .

من بنى طريف

ومن بنى طَرِيف ، رَهْط سعد بن عُبادة : عبدُ الله بن عمرو بن وَهب ابن ثعلبة بن وقْش بن ثَعلبة بن طريف ، وضَمْرة ، حليف لهم من بنى جُهينة . رجلان .

من بنى عوف

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم ، ثم من بنى مالك بن العجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم : نوفل بن عبد الله ، وعبَّاس بن عُبادة بن

نَضلة بن مالك بن العَجْلان ، ونُعمان بن مالك بن ثَعْلبة بن فِهْر بن غَنْم ابن سالم ، والمُجذَّر بن ذِياد ، حليف لهم من بَلِيّ ، وعُبادة بن الحَسْحاس .

دُفن النُّعمان بن مالك ، والمُجَذّر ، وعُبادة فى قبر واحد . خمسة نفر .

من بنى الحبلى

ومن بنى الحُبلى : رِفاعة بن عَمْرو . رجل .

من بنى سلمة

ومن بنى سَلِمة ، ثم من بنى حَرام : عبد الله بن عمرو بن حَرام بن ثَعلبة ابن حرام ، وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، دُفنا فى قبر واحد ، وخلّاد بن عَمْرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام ، وأبو أيمن ، مولى عَمْرو بن الجموح . أربعة نفر .

من بنى سواد

ومن بنى سَواد بن غَنْم : سُلَيم بن عمرو بن حَديدة ، ومولاه عَنترة ، وسهل بن قَيس بن أبى كعب بن القَين . ثلاثة نفر .

من بنى زريق

ومن بنى زُرَيق بن عامر : ذَكْوان بنُ عبد قَيْس ، وعُبيد بن المُعلَّى ابن لَوْذان . رجلان .

. . . .

قال ابن هشام : عُبيد بن المُعَلَّى ، من بنى حبيب .

عدد الشهداء

قال ابن إسحاق : فجميع من استُشهد من المُسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المُهاجرين والأنصار ، خمسة وستون رجلا .

من بنى معاوية

قال ابن هشام : وممّن لم يذكر ابن إسحاق من السّبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بنى مُعاوية بن مالك : مالك بن نُمَيلة ، حليف لهم من مزينة .

من بنى خطمة

ومن بنى خَطْمة ـ واسم خَطْمة : عبد الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس ـ الحارث بن عَدِىّ بن خَرَشة بن أُميَّة بن عامر بن خَطْمة .

من بنى الخزرج

ومن الخزرج ، ثم من بنى سَواد بن مالك : مالك بن إياس .

من بنى عمرو

ومن بنى عمرو بن مالك بن النَّجار : إياس بن عدىّ .

من بنى سالم

ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

. . . .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

من بنى عبد الدار

قال ابن إسحاق : وقُتل من المُشركين يوم أُحد من قُريش ، ثم من بنى عَبْد الدار بن قُصَىّ من أصحاب اللِّواء : طلحة بن أبى طَلْحة ، واسم أبى طلحة : عبدُ الله بن عبد العُزَّى بن عُثْمان بن عبد الدار ، قتله علىّ بن أبى طالب ، (و) أبو سعيد بن أبى طلحة ، قتله سعدُ بن أبى وقّاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علىُّ بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبى طَلْحة ، قتله حمزة بن عبد المُطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجُلاس بن طلحة ، قَتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح . وكلاب بن طَلْحَة ، والحارث بن طَلْحة ، قَتلهما قُزْمان ، حليف لبنى ظفر .

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلاباً عبدُ الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عَبْد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ، قتله حمزة بن عبد المطّلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان ، وصُؤَاب : غلام له حَبشىّ ، قتله قُزْمان .

قال ابن هشام : ويقال : قَتله علىُّ بن أبى طالب ، ويقال : سعد بن أبى وقّاص ، ويقال : أبو دُجانة .

. . . .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شُرَيح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الد ر
قتله قُزْمان . أحد عشر رجلا .

من بنى أسد

ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : عبدُ الله بن حُميد بن زُهير بن
الحارث بن أسد . قتلة علىٌّ بن أبى طالب . رجل .

من بنى زهرة

ومن بنى زُهْرة بن كلاب: أبو الحَكَم بن الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن
وَهْب الثّقفى ، حليف لهم ، قتله على بن أبى طالب ، وسباع بنُ عبْد العُزّى ـ
واسم عبد العُزّى : عَمْرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سليم بن مَلَكان بن أفصى ـ
حليف لهم من خُزاعة ، قتله حمزةُ بن عبد المطلب . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مخزوم بن يقَظة ، هشام بن أبى أُميّة بن المُغيرة ، قتله قُزْمان ،
والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قُزْمان، وأبو أُميّة بن أبى حُذيفة
ابن المغيرة ، قتله علىٌّ بن أبى طالب ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، قتله
قُزْمان . أربعة نفر .

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عَمرو : عمرو بن عبد الله بن عُمَير بن وهب بن

حُذَافة بن جمح ، وهو أبو عَزّة ، قتله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَبْرًا .
وأُبَىّ بن خَلف بن وَهْب بن حذافة بن جُمح ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده . رجلان .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لؤىّ : عُبيدة بن جابر ، وشيبة بن مالك بن المضرِّب ،
قتلهما قُزمان . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : قتل عُبيدةَ بن جابر عبدُ الله بن مسعود .

عدد قتلى المشركين

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحد من
المشركين ، اثنان وعشرون رجلا .

تفسير ما نزل من القرآن فى أحد

بعض من آمن رغم الدعاء عليهم :

قد ذكر ابن إسحاق ما يحتاج إليه قارىء السيرة من تفسير ذلك ، وذكر
قولَه سبحانه ﴿ لَيسَ لَكَ من الأَمْرِ شىءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم ﴾ الآية لم يزد على
ما فى الكتاب منه . وفى تفسير الترمذى حديث مَرْفُوع أن رسول الله ـ صلى الله
عليه وسلم ـ كان يدعو على أبى سفيان والحارثِ بنِ هِشَامٍ وعمرو بن العاص ،
حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شىء ، أو يتوب عليهم ﴾ قال :

. . . .

فَتَابُوا وأسْلَمُوا ، وحَسُن إسلامهم ، وهذا حديث ثابت فى حسن إسلام أبى سفيان خِلَافاً لمن زعم غير ذلك ، وأما الحارث بن هشام فلا خلافَ فى حُسْن إسلَامِه ، وفى موته شهيداً بالشام ، وأما عَمْرُو بن العاص ، فقد قال فيه النبى عليه السلام : أسلم الناسُ وآمن عَمْرو ، وقال فى حديث جَرَى : ما كانت هِجْرَتى للمال ، وإنما كانت لله ورسوله ، فقال له النبى – صلى الله عليه وسلم – نِعِمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح ، فسماه : رجلا صالحاً ، والحديث الذى جَرَى : أنه كان قال له : إنى أريد أن أبعثك[1] وَجْهاً يُسَلِّمُك اللهُ فيه ، ويُغَنِّمُكَ ، وأَزْعَب لك زَعبَةً من المال[2] ، وستأتى نُكَتٌ وعُيُونٌ من أخبار الحارثِ ، وأبى سُفْيَانَ – فيما بعد – إن شاء الله.

معنى اتخذ :

وذكر قوله سبحانه : ﴿ وَيَتَّخِذَ منكم شُهَدَاء ﴾ وفيه فضل عظيمٌ للشهداء وتنبيهٌ على حُبِّ الله إياهم حيث قال (وَيَتَّخِذَ منكم شُهَدَاء) ولا يقال : اتَّخَذْتُ ولا أَتَّخِذُ إلا فى مُصْطَفًى مَحْبُوبٍ ، قال الله سبحانه : ﴿ ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ وقال : ﴿ وَلَم يَتَّخِذْ صاحِبَةً ولا وَلَداً ﴾ فالاتخاذُ إنما هو اقتناء واجتباء[3] ،

---

(١) فى رواية : على جيش .

(٢) أعطيك دفعة من المال . وفى الحديث : بعد هذا : فقلت يارسول الله : ما أسلمت من أجل المال ، بل أسلمت رغبة فى الإسلام . وأخرجه أحمد بسند حسن عن عمرو بن العاص .

(٣) يقول الراغب فى معنى المادة : الأخذ : حوز بالقهر الشىء وتحصيله ، وذلك تارة بالتناول ، وتارة بالقهر .

. . . .

وهو افتعال من الأخذِ ، فإذا قلت : اتَّخذتُ كذا ، فمعناه : أخذتُه لنفسى ، واخترتُه لها ، فالتاء الأولى بَدَلٌ من ياء ، وتلك الياء بَدَلٌ من همزة أَخَذَ ، فَقُلِبَتْ تاءً إذ كانت الواوُ تنقلب تاء فى مثل هذا البناء ، نحو اتَّعد واتَّزَرَ والياء أختُ الواو ، فقُلبت فى هذا الموضع تاءً ، وكثُر استعمالهم لهذه الكلمة، حتى قالوا: تَخِذْتُ بحذف إحدى التاءين اكتفاءً بأحَدَيْهما عن الأُخرى ، ولا يكون هذا الحذفُ إلا فى الماضى خاصَّة،لا يقال تَتْخَذُ كما يقال تَخِذَ ، لأن المستقبلَ ليس فيه همزةُ وَصْلٍ ، وإنما فروا فى الماضى من ثقل الهمزة فى الابتداء ، واسْتَغْنَوا بحركةِ التاء عنها ، وكسروا الخاء من تَخِذْتُ لأنه لامستقبل له مع الحذف ، فحركوا عينَ الفعل بالحركة التى كانت له فى المستقبل . وكلامُنا هذا على اللغة المشهورة ، وإلا فقد حُكِىَ يَتْخذُ فى لغة ضعيفة ذكرها أبو عبيد، وذكرها النحاس فى إعراب القرآن .

أدلة على صحة خلافة أبي بكر :

وذكر قوله سبحانه ﴿ أفإنْ مات أو قُتِل انْقَلَبْتم على أعقابكم ﴾ إلى قوله: ﴿ وسَيَجْزى اللهُ الشاكرين ﴾ ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهلُ الرِّدَّةِ على أعقابهم ، فلم يَضُرَّ ذلك دينَ الله ، ولا أُمَّةَ نبيِّه ، وكان أبو بكر يُسَمَّى: أمير الشاكرين لذلك ، وفى هذه الآية دليلٌ على صحة خلافتِه ، لأنه الذى قاتل المنقلبين على أعقابهم حين رَدَّهم إلى الدين الذى خرجوا منه ، وكان فى قوله سبحانه : ﴿ وسَيَجْزِى اللهُ الشاكرين ﴾ دليلٌ على أنهم سَيَظْفَرُون بمَنْ ارْتَدَّ ، وتَكْمُل عليهم النعمةُ ، فيشكرون ، فتحريضُه إيَّاهم على الشُّكرِ

. . . .

- والشكرُ لا يكون إلّا على نعمة - دليلٌ على أن بَلاءَ الرِّدَّةِ لا يطُول ، وأن الظَفَر بهم سَرِيعٌ ، كما كان .

وكذلك قوله سبحانه : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِين من الأعْرَابِ ﴾ فيه أيضاً : التصحيحُ لخلافَةِ أبى بكر، لأنه الذى دعا الأعرابَ إلى جهَادِ حَنِيفَة ، وكانوا أولى بأْسٍ شَدِيدٍ ، ولم يُقاتلوا لِجِزْيَةٍ ، وإنما قُوتِلوا لِيُسْلِمُوا ، وكان قتالُهم بأمر أبى بكر ، وفى سلطانه ، ثم قال : ﴿ فإن تطيعوا يُؤْتِـكُمُ اللهُ أجْراً حَسَناً ﴾ فأوجب عليهم الطاعةَ لأبى بكر ، فـكان فى الآية كالنص على خلافته .

وكذلك قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتَّقُوا الله ، وكانوا مع الصادقين ﴾ وقد بَيَّن فى سورة الحَشْرِ مَن الصادقون ، وهم المهاجرون بقوله : ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ فأمر الذين تَبوَّءوا الدارَ والإيمان أنْ يكُونوا معهم ، أى : تَبعاً لهم ، فحصلت الخلافةُ فى الصادقين بهذه الآية ، فاستحقوها بهذا الاسم ، ولم يكن فى الصادقين مَنْ سماه الله الصِّدِّيقَ إلا أبو بكر ، فـكانت له خاصَّةً ، ثم للصادقين بعده .

ربيون ورفعها فى الآية :

وذكر قوله تعالى : ﴿ وكَأَيِّن مِنْ نَبِيٍّ قُتِل معه رِبِّيُّون كَثِيرٌ ﴾ ارتفع رِبِّيُّون على تفسير ابن إسحاقٍ بالابتداء ، والجملة فى موضع الحالِ من الضمير فى قُتِل ، وهذا أصحُّ التَّفسِيرين ، لأنه قال : فما وَهَنُوا لما أصابَهُم ، ولو كانوا هم المقتولين ما قال فيهم : ما وَهَنوا لما أصابَهم أى : ما ضَعُفوا ، وقد يُخَرَّج

. . . .

أيضاً قولُ من قال : رِبِّيُّونَ مفعولٌ لم يُسَمَّ فاعلُه بقُتِل على أن يكون معنى قوله : فما وَهَنُوا أى ما وَهَنَ الباقون منهم ، لما أصيبوا به مِنْ قَتْلِ إخوانهم ، وهذا وَجْهٌ ، ولكن سبَب نزولِ الآية يدل على صحة التفسير الأول[1] .

وقوله : رِبِّيُّون ، وهم الجماعات[2] فى قول أهل اللغة ، وقال ابن مسعود : رِبِّيُّون أُلوفٌ ، وقال أَبَانُ بن تَغْلِب : الرِّبِّيُّ : عشرة آلاف .

من تفسير آيات أُحد :

وقوله تعالى : ﴿ فأثابكم غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ وعلى : تفسير ابن إسحاقٍ غَمًّا بعد غَمٍّ الباء متعلقة بمحذوفٍ ، التقدير : غَمٌّ مَقْرونٌ بِغَمٍّ ، وعلى تفسير آخر متعلقة : بأثابكم ، أى : أثابكم غَمًّا بما غَمَمْتُم نبيَّه حين خالفتم أمرَه .

وقوله ﴿ ومنكم مَنْ يُريد الآخرة ﴾ قال ابن عباس : هو عَبْدُ الله بن جُبَيْرٍ الذى كان أميراً على الرُّمَاةِ ، وكان أمرَهم أنْ يَلْزَموا مكانَهم ، وألا يُخالِفوا أمرَ نبيهم ، فثبتت معه طائفةٌ ، فاسْتُشْهِد ، واسْتُشْهِدُوا ، وهم الذين

(١) التلاوة فى المصحف : قاتل بفتح القاف على البناء للفاعل . وهى قراءة جماعة من قراء الحجاز والكوفة . أما قتل بضم القاف فقراءة جماعة من الحجاز والبصرة. ورأى السهيلى تلخيص لرأى ابن جرير الطبرى فى تفسيره . وقد اختار ما قال عنه السهيلى إنه أصح التفسيرين . وقال : وأما الربيون فانهم مرفوعون بقوله : معه لا بقوله : قتل .

(٢) هذا رأى بعض نحويى الكوفة ، ويرى بعض نحويى البصرة أن الربيين هم الذين يعبدون الرب ، ويرى بعض المفسرين أنهم العلماء ، أو الفقهاء ، أو الأتباع ، ويرى ابن زيد أن الربيين هم الاتباع والرعية وأن الربانيين هم الولاة .

. . . .

أرادوا الآخرةَ ، وأقبلت طائفةٌ على المَغْنَمِ ، وأخْذِ السَّلَبِ ، فكَرَّ عليهم العدوُّ ، وكانت المصيبةُ ، وفى الخبر : لقد رأيت خَدَمَ هِنْدٍ وصواحبها ، وهُنَّ مُشَمِّرَاتٌ فى الحَرْب. والخَدَمُ : الخلاخِيلُ[1] ، وكذلك قوله حين ذكر هنداً ، وأنها اتخذت من آذان الشُّهَداء وآنُفِهِمْ خَدَماً وقلائد ، وأعطت خَدَمَها وقَلائِدها وقِرَطَتَها وَحْشِيًّا ، معناه : الخلاخل أيضاً .

وقوله سبحانه : ﴿ لو كان لنا من الأَمْرِ شَىْءٌ ما قُتِلْنَا هُهُنا ﴾ فى صحيح التفسير أن عَتَّابَ بن قُشَيْر هو قائل هذه المقالة ، وكان مَنْبُوذاً بالنِّفاق .

وقوله : ﴿ يَظُنُّون بالله غَيْرَ الحَقِّ ﴾ أى : يَظُنُّون أن اللهَ خَاذِلٌ دينَه ونبيَّه .

وقوله : ﴿ ظَنَّ الجاهِلِيَّة ﴾ أى : أهل الجاهلية كأبى سفيان وأصحابه .

وذكر قوله : ﴿ وشَاوِرْهُم فى الأمر ﴾ وفسّره ، وقد جاء عن ابن عباس أنه قال : نزلت فى أبى بكر وعُمَرَ أُمِرَ بمُشَاوَرَتِهما[2] .

حكم الغلول :

وذكر قوله : ﴿ وما كان لِنَبِىٍّ أن يَغُلَّ ﴾ وفسره أن يَكْتُمَ ما أنزل الله ، وأكثر المفسرين يقولون : نزلت فى الغُلول ، وفى بعض الآثار أنهم فقدوا قَطِيفَةً من المَغْنَمِ[3] ، فقال قائل : لعلَّ النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) مفردها : خدمة بفتح الخاء والدال ، وتجمع أيضاً على خدام .
(٢) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
(٣) أخرجه ابن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس قال : فقدوا قطيفة يوم بدر ، فقالوا : لعل رسول الله « ص » أخذها .

=

. . . .

أخذها، فأنزل الله الآية ، ومن قرأ يُغَلّ بضم الياء وفتح الغين فمعناه أن يُلْفَى غالًّا ، تقول : أَجْبَنْتُ الرجلَ إذا أَلْفَيْته جبانًا ، وكذلك أَغْلَلْتُهُ : إذا وَجَدته غالًّا ، وقد قال عَمْرو بن مَعْد يكَرِب لبني سليم : قاتلنا كم، فما أَجْبَنَّا كُم ، وسألنا كم فما أبخلنا كم . وتفسير ابن إسحاق [غير](١) خارج عن مُقْتَضَى اللغة . فمن كتم فقد غلَّ ، أى : ستر ، وكذلك من خان فى شىء وأخذه خِفْيَةً ، فقد ستره وكتمه . وأصلُ الكلمة : السَّتْر والإخفاء ، ومنه الغِلَالةُ والغَلَلُ للماء الذى يُغَطِّيه الشجرُ والنبات ، وقد أمر النبى — صلى الله عليه وسلم — فى بعض المغازى بإحراق متاع الغالّ ، وأخذت به طائفةٌ من الفقهاء ، منهم أحمد وإسحاق(٢) .

= وروى ابن جرير وأبو داود والترمذى أنها نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر .. الخ .

وقال الترمذى : حسن غريب . . ورواه بعضهم عن خصيف عن مقسم مرسلا . وروى ابن مردويه أن بعض المنافقين اتهم رسول الله « ص » بشىء، فنزلت . والغلول هو الخيانة فى المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة ، وكل من خان فى شىء خفية فقد غل . القراءة بفتح الياء هى قراءة المصحف ، وهى قراءة ابن عباس وأبى عبد الرحمن السلمى وجماعة من قراء الحجاز والعراق . والقراءة بضم اليا . وفتح الغين قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة .

(١) سياق الكلام يفرضها ، وهى محذوفة فى الأصل .

(٢) قال البخارى : قد روى فى غير حديث عن النبى « ص » فى الغال ، ولم يأمر بحرق متاعه . وقد قال رسول الله « ص » عن رجل غل بردة ، ثم مات فى المعركة فقيل عنه إنه شهيد — كلا ، إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة . « من حديث رواه أحمد ومسلم » وجاءه رجل بشراك كان قد غله يوم خيبر فقال رسول الله « ص » . شراك من نار « من حديث متفق عليه » .

. . . .

الشهادة والشهداء :

فصل : وذكر قوله سبحانه : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ﴾ الآيات ، وهؤلاء هم الذين سماهم الله شهداء بقوله : ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾ وهذا الاسم مأخوذ من الشهادة أو من المشاهدة ، فإن كان من الشهادة فهو شهيد بمعنى مشهود ، أى مشهود عليه ، ومشهود له بالجنة ، أما مشهود عليه ، فلأن النبى — صلى الله عليه وسلم — حين وقف على قتلى أحد ، قال : هؤلاء الذين أشهد عليهم ، أى : أشهد عليهم بالوفاء ، وقال : عليهم ، ولم يقل : لهم ، لأن المعنى : أجىء يوم القيامة شهيداً عليهم ، وهى ولاية وقيادة ، فوصلت بحرف عَلَى ، ويجوز أن يكون من الشهادة وتكون فعيلا بمعنى فاعل ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وتكونوا شهداء على الناس ﴾ أى : تشهدون عليهم ، وهذا ، وإن كان عاماً فى جميع أمة محمد — عليه الصلاة السلام — فالشهداء أولى بهذا الاسم ، إذ هم تبع للصديقين والنبيين. قال الله سبحانه : ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ﴾ فهذان وجهان فى معنى الشهيد ، إذا جعلته مشتقاً من الشهادة ، وإن كان من المشاهدة ، فهو فعيل بمعنى : فاعل أيضاً ، لأنه يشاهد من ملكوت الله ، ويعاين من ملائكته مالا يشاهده غيره ، ويكون أيضاً بمعنى مفعول ، وهو من المشاهدة ، أى : إن الملائكة تشاهد قبضه ، والعروج بروحه ، ونحو ذلك ، فيكون فعيلا بمعنى مفعول . وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون فعيلا بمعنى مفعول ، ويكون معناه . مشهوداً له بالجنة ، أو يشهد عليه النبى عليه السلام كما قال : هؤلاء أنا شهيد عليهم ، أى : قيم عليهم بالشهادة لهم ، وإذا حشروا تحت لوائه ، فهو وال عليهم ، وإن كان

. . . .

شاهدا لهم ، فمن هاهنا اتصل الفعلُ بعلى ، فتقوّى هذا الوجه من جهة الخبر .
ومن وجه آخر من العربية ، وهو أن النبي – صلى الله عليه وسلم – حين ذكر الشهداء قال : والمرأة تموت بِجُمعٍ[1] شهيدٌ ، ولم يقل شهيدةَ ، وفي رواية أخرى قال : والنُّفساء شهيدٌ يجرُّها جنينُها بِسَرَرِه إلى الجنَّة ، ولم يقل : شهيدة وفَعِيلٌ إذا كان صِفَةً لمؤنَّثٍ كان بغير هاء إذا كان بمعنى مفعول ، نحو : امرأة قتيلٌ وجريحٌ ، وإن كان بمعنى فاعل ، كان بالهاء كقولهم : امرأة عليمة ورحيمة ، ونحو ذلك ، فدل على أن الشهيد مشهود له ، ومشهود عليه . وهذا استقراء من اللغة صحيحٌ ، واستنباطٌ من الحديث بديعٌ ، فقف عليه[2] .

---

(١) أي : تموت وفي بطنها ولد . أو التي تموت بكراً . والجمع بالضم بمعنى المجموع كالذخر بمعنى المذخور ، وكسر الكسائي الجيم ، والمعنى : أنها ماتت مع شيء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة .

(٢) « الشهداء جمع شهيد ، وبين الرازي أنه لا يجوز أن يراد بالشهيد هنا من قتله الكفار في الحرب ، لأن الشهادة مرتبة عالية عظيمة في الدين وكون الإنسان مقتول الكافر ليس فيه زيادة شرف ، لأن هذا القتل قد يحصل في الفساق ، ومن لا منزلة له عند الله تعالى ، ولأن المؤمنين يدعون الله تعالى أن يرزقهم الشهادة ، ولا يجوز أن يطلبوا منه أن يسلط عليهم الكفار يقتلونهم ، ولأنه ورد إطلاق لفظ الشهيد على المبطون والمطعون والغريق ، قال : أي الرازي : فعلمنا أن الشهادة ليست عبارة عن القتل ، بل نقول : الشهيد فعيل بمعنى الفاعل ، وهو الذي يشهد بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان ، وأخرى بالسيف والسنان ، فالشهداء هم القائمون بالقسط ، وهم الذين ذكرهم الله في قوله : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ﴾ آل عمران : ١٨ =

. . . .

وذكر ابنُ إسحاق حديثَ ابن عباس المرفوعَ ، وفيه أن الله جعل أرواحَهم فى أجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، وعن قتادةَ قال : ذكر لنا أن أرواحَ الشُّهداء تتعارف عند السِّدْرَةِ فى أجوافِ طَيْرٍ بيضٍ ، وقد أنكر هذه الروايةَ قومٌ ، وقالوا : لا يكون رُوحان فى جَسَدٍ وَاحِدٍ ، وإن ذلك مُحَالٌ ، وهذا جَهْلٌ بالحقائق ، فإن معنى الكلام بَيِّن ، فإن رُوحَ الشَّهيد الذى كان فى جسده فى الدنيا ، يُجْعَلُ فى جَسَدٍ آخرَ كأنه صورةُ طائر ، فيكون فى هذا الجسدِ الآخرِ ، كما كان فى الأوَّل ، إلى أن يُعيده الله يومَ القيامة كما خَلَقَه ، وهذه الرواية لا تُعارِضُ ما رَوَوْه من قوله : فى صُورِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، والشهداء طَيْرٌ خُضْرٌ ، وجميع الروايات كُلُّها متفقة المعنى ، وإنما الذى يستحيل فى العَقل قيامُ حياتين بجَوْهرٍ واحدٍ ، فيَحْيَا الجَوْهَرُ بهما جميعاً ، وأما رُوحانِ فى جَسَدٍ فليس بمُحَالٍ إذا لم نَقُلْ بِتَداخُلِ الأَجْسَام ، فهذا الجَنِينُ فى بَطْنِ أُمِّه وروحه

= ويقال للمقتول : شهيد من حيث إنه بذل نفسه فى نصرة دين الله وشهادته له بأنه هو الحق ، وماسواه باطل ، وإذا كان من شهداء الله بهذا المعنى ، كان من شهداء الله فى الآخرة . كما قال (وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، ولتكونوا شهداء على الناس) البقرة : ١٤٣ . وقال الأستاذ الإمام : الشهداء هم الذين أمرنا الله تعالى أن نكون منهم فى قوله : (لتكونوا شهداء على الناس) وهم أهل العدل والإنصاف الذين يؤيدون الحق بالشهادة لأهله بأنهم محقون ، ويشهدون على أهل الباطل أنهم مبطلون ، ودرجتهم تلى درجة الصديقين ، والصديقون شهداء وزيادة .

وأقول — أى الشيخ رشيد رضا — إن الشهادة التى تقوم بها حجة أهل الحق على أهل الباطل ، تكون بالقول والعمل والأخلاق والأحوال ، فالشهداء هم حجة الله تعالى على المبطلين فى الدنيا والآخرة بحسن سيرتهم . تفسير المنار الآية رقم ٦٩ أو ٧١ من سورة النساء .

. . . .

غيرُ رُوحِها ، وقد اشتمل عليهما جَسَدٌ واحد ، وهذا أن لو قِيل لهم : إن الطائر له رُوحٌ غيرُ رُوحِ الشَّهِيدِ ، وهما فى جَسَدٍ واحد ، فكيف ، وإنما قال: فى أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، أى : فى صورة طَيْرٍ خُضْرٍ ، كما تقول : رأيت مَلَكاً فى صُورة إنسانٍ ، وكذلك قوله عليه السلام : إنما نَسَمَةُ المؤمن طائرٌ يَعْلَق فى ثَمَرِ الجنَّة[1] تأوَّله بعضُهم مَخْصُوصاً بالشَّهِيد ، وقال بعضهم : إنما الشهيد فى الجَنَّة يأكل منها حيث شاء ، ثم يأوِى إلى قناديل مُعَلَّقَةٍ فى العَرْشِ ، وغير الشهيد ، من المؤمنين نَسَمَتُه ، أى : رُوحه طائر ، لا أنَّ رُوحَه جُعِل فى جَوْفِ طائر ، ليأكل ويشرَبَ ، كما فُعِل بالشَّهيد لكن الروحَ نفسَه طائرٌ يَعْلَق بشَجَرِ الجنة ، يَعْلَق بفتح اللامَ يَنْشَب بها ، ويَرَى مَقْعَدَه منها ، ومن رواه : يَعْلُق فمعناه يُصِيب العُلْقة ، أى ينال منها ماهو دون نَيْل الشهيد ، فضرب العُلْقَة مثلا ، لأن من أصاب العُلْقة من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيرُه مِمَّن أدرك الرَّغَد ، فهوَ مَثَلٌ مَضْروبٌ يُفْهَم منه هذا المعنى.

وإن كان أراد بِيَعْلَق[2] الأكلَ نفسَه ، فهو مخصوص بالشهيد ، فتكون

---

(١) رواه أحمد عن الشافعى عن مالك .

(٢) العلقة بضم العين وسكون اللام : ما يتبلغ به من الطعام والمركب . وفى اللسان : تعلق — بفتح ـ التاء وضم اللام — من ثمار الجنة : تناول بأفواهها وهو تفسير الأصمعى ، وفى النهاية لابن الأثير : تعلق بضم اللام أيضاً ، وقال : أى تأكل ، وهو فى الأصل للابل إذا أكلت العضاه ، فنقل إلى الطير . وما أعد الله للشهداء هو من علم الغيب الذى هو لله وحده فلنتحر فى حديثنا عنه الخبر الصادق الذى لاريب فيه. هذا وفى حديث الشهداء شىء من الاضطراب كما يقول الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار ـ فى رواية مسلم والترمذى من حديث ابن مسعود =

. . . . : . . . .

رواية مَنْ رواه بالنَّم للشهداء ، ورواية الفتح لمن دونهم ، فالله أعلم بما أراد رسوله من ذلك .

وقوله ثم تأوى إلى قناديل يُصَدِّقه قوله تعالى عزَّ وجَلَّ : ﴿ والشُّهَداء عند ربهم لَهُم أجرُهم ونورُهم ﴾[1] الحديد : ١٩. وإنما تأوى إلى تلك القناديل

= أنها فى حواصل طيور خضر تسرح من أنهار الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش ، وفى رواية عبد الرازق من حديث عبد الله بن كعب ابن مالك : « إن أرواح الشهداء فى صور طيور خضر معلقة فى قناديل الجنة حتى يرجعها الله يوم القيامة » فهذا يدل على أنها محبوسة فى مكان خاص ، والأول يفيد أنها مطلقة تسرح حيث تشاء ، ثم إن لها مأوى تأوى إليه حين تشاء . وفى رواية مالك وأصحاب السنن ما عدا أبا داود أنها فى أجواف خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة ، وعبد الطاغوت والقبور يحرفون الكلم عن مواضعه فى هذه الآية الإلهية . فيضعون مكان « أحياء عند ربهم » « أحياء فى قبورهم » بغية استهواء الناس إلى عبادة الموتى بالدعاء والرجاء والخوف والحب والتوكل ، زاعمين لهم أنهم يسمعون لأنهم « أحياء فى قبورهم » ، وهذه الحياة الدقيقة السامية عند الله حياة غيبية هو وحده جل شأنه العليم بحقيقتها ، إنها حياة روحية لا جسدية ، لأن الأجساد أرمت وفنيت وكم من دود منها طعم ، وسوس عاث ، وشجر منها نبت ، فأكلنا ثمره ، واصطلينا بناره . فإذا جاء يوم الفصل بعث الله كل امرىء من مرقده ، كيف ؟ أو ليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يحيى الموتى ؟ بلى : إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون . ولا يأتى حين يتشعب القول بين : كيف ، ولم ـ وهذا هو رأيى ـ إلا بتشقق القلب بالقلق الأسود . والنسكت عن المراء فى شأن الغيب ؛ فالمراء كفر .

(١) هم القائمون بالشهادة لله سبحانه ، ولهم ، وعلى الأمم يوم القيامة ، ولم لا يكون قوله سبحانه إخبارا عن الذين آمنوا بالله ورسوله ؟ ثم هو بيان عن النور الذى سيكون يوم القيامة . واقرأ من سورة الحديد من قوله سبحانه : =

. . . .

ليلا ، وتَسْرحُ نهاراً ، فتعلم بذلك الليلَ من النهارِ ، وبعد دخول الجنة فى الآخرة ، لا تأوى إلى تلك القناديل — والله أعلم — وإنما ذلك مُدَّة البرزخ هذا مايدل عليه ظاهرُ الحديث . وقال مجاهد : الشهداء يأكلون من ثَمَر الجنّة وليسوا فيها ، وقد أنكر أبو عُمر قولَ مجاهد ، وردَّه وليس بمنكَر عندى ، ويشهد له ماوقع فى مُسْنَد ابن أبى شَيْبَةَ وغيره عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : الشهداء بِنَهَرٍ أو على نَهَرٍ يقال : له : بارقٌ عند باب الجنة فى قِبَابٍ خُضْرٍ يأتيهم رزقُهم منها بُكْرَةً وعَشِيًّا[1] ، فهذا يبين ما أراد مجاهدٌ ، والله أعلم .

ومما وقع السِّيرة أيضاً ، ولم يذكره ابنُ هِشامٍ حديثٌ رواه ابن إسحاق ، قال : حدثنى إسحاق بنُ عبدِ الله بن أبى فروة ، قال : حدثنى بعضُ أهلِ العلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : الشُّهداء ثلاثةٌ ، فأدنى الشهداءِ عند الله منزلةً رَجُلٌ

=(يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار) الحديد : ١٢ فالحديث عن القيامة والجزاء فيها .

(١) لفظ أحمد والطبرانى والحاكم كلهم عن ابن عباس « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » . وبهذا يتبين أن بعض الروايات تدل على دخولهم الجنة وبعضها يدل على وقوفهم ببابها عند النهر . ولقد حاول ابن كثير فى تفسيره الجمع ، أو المصالحة بين الضدين فقال : كأن الشهداء أقسام . وقد قال الزرقانى قولا طيبا هنا عن كلمة ابن كثير كأن : وعبر بكأن ، لأنه على سبيل الاحتمال لا القطع ، لأن حقيقة الحال غيب عنا » . وهى كلمة حق .

. . . .

خرج مسوداً بنفسه ورَحْلِه، لا يريد أن يَقْتلَ ولا يُقْتَل[١] أتاه سَهْمٌ غَرْبٌ فأصابه، قال: فأوَّلُ قطرةٍ تَقْطُر من دَمِه، يغفر الله بها ما تَقَدَّم من ذَنْبِه، ثم يُهْبِطُ الله إليه جَسَداً من السماء، فيجعل فيه رُوحه، ثم يصعد به إلى الله، فما يُمرّ بسماء من السماوات إلا شَيَّعَتْه الملائكةُ، حتى ينتهى به إلى الله، فإذا انتهى به إليه وقع ساجداً، ثم يُؤْمَر به فيُكْسى سَبْعِين زَوْجاً من الإستبرق، ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: كأحْسَنِ ما رأيتم من شَقَائِقِ النُّعْمَان. وجدّث كعبُ الأحْبَارِ عن قولِ ـ رسول الله عليه السلام ـ فقال كعبُ الأحْبَار: أجَلْ كأحْسَنِ ما رأيتم من شَقَائِق النُّعْمَانِ، ثم يقول: اذهبوا به إلى إخوانه من الشهداء، فاجعلوه معهم، فيؤتى به إليهم فى قُبَّةٍ خَضْراء فى رَوْضَة خَضْراء عند باب الجنة يخرج عليهم حُوتٌ وثَوْرٌ من الجنة لِغَدائهم، فيلعبانهم[٢]، حتى إذا كثر عجبُهم منها طَعن الثَّوْرُ الحوتَ بقرنه، فيَبقره لهم مما يَدَّعُون. ثم يروحان عليهم لعشائهم، فيلعبانهم، حتى إذا كثر عجبُهم منهما ضرب الحوتُ الثورَ بذنبه فيَبقره لهم عَمَّا يَدَّعُون، فإذا انتهى إلى إخوانه سألوه تَسْألوا[٣] الراكبَ يَقْدُم عليكم بلادَكم، فيقولون: ما فعل فلانٌ؟ فيقول: أفلس، فيقولون: فما أهلك ماله فوالله إن كان لكيساً جَمُوعا تاجراً، فيُقال لهم: إنا لا نعدّ الفَلَسَ ما تَعُدُّون، وإنما نعدّ الفَلَسَ من الأعمال، فما فعل فلانٌ وامرأته فلانه؟ فيقول: طَلَّقها، فيقولون: فما الذى

(١) فى نسخة: يريد أن يقتل، ولا يقتل (٢) فى نسخة: فيلعبا بهم.

(٣) هكذا فى الأصل.

. . . .

نَزَل بينهما ، حتى طافها ، فوالله إن كان بها لَمُعْجَباً ؟ فيقولون : مافعل فلان ؟ فيقولون : مات أيْهات قبل بزمان ، فيقولون : هلك والله ماسمعنا له بذكر ، إن لله طريقين ، أحدهما : علينا ، والآخر : يخالف بها عنَّا ، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً أمرَّ به علينا ، فعرفناه ، وعَرَفنا متى مات ، وإذا أراد الله بعبد شرًّا خُولف به عنا ، فلم نَسْمع له بذكر ، هلك والله فلان ، فإن هذا لأدْنَى الشهداء عند الله منزلةً ، وإن الآخر رجلٌ خرج مسوداً بنفسه ورَحْلِه يُحب أن يَقْتُل ، ولا يُقْتَل ، أتاه سَهْمٌ غَرْبٌ فأصابه ، فذلك رفيق إبراهيم خليل الرَّحْمٰن يوم القيامة يَحُكُّ رُكْبتاه رُكبتَيْه ، وأفضل الشهداء : رجل خرج مسوداً بنفسه ورَحْله يُحِبُّ أن يَقْتُل وأن يُقْتَل ، وقاتل حتى قَتَل قَعصاً فذلك يبعثه الله يوم القيامة شاهراً سيفَه ، يتمنَّى على الله ، لا يَسْأله شيئاً إلا أعطاه إيَّاه . وقع في هذا الحديث ذِكرُ الحوت ولَعِبه مع الثَّور وقد خَرَّجه هنَّاد بنُ السرى بإسنادٍ حسن في كتاب الرقاق له بأكثر مما وقع هاهنا ، وفي الصحيحين منه ذِكرِ أكلُ أهلِ الجنة من كبدِ الحوت أوَّلَ ما يأكلون ، ثم يُنْحَر لهم ثورُ الجنَّة ، وفي هذا الحديث من باب التفكُّر والاعتبارِ أن الحوتَ لما كان عليه قرارُ هذه الأرضِ[1] ، وهو حيوان سابح لِيَسْتَشْعِرَ أهلُ هذه الدار أنهم في منزلٍ قُلْعةٍ ، وليس بدارِ قرارٍ ، فإذا نُحِر لهم ، قبل أن يدخلوا الجنة ، فأكلوا من كبدِه ، كان في ذلك إشعارٌ لهم بالرَّاحة من دار الزَّوَالِ ، وأنهم قد صاروا إلى دارِ القرارِ ، كما يُذبح لهم الكَبْشُ الأمْلَحُ على الصِّراط ، وهو

(١) ذلك كان مبلغ علم عصره عن الأرض، ولهذا يجب النظر فيما بناه عليه.

. . . .

صورةُ الموتِ لِيَسْتَشْعِروا أن لامَوْتَ ، وأما الثورُ فهو آلةُ الحَرْثِ ، وأهلُ الدنيا لايخلون من أحد الحَرْثَيْنِ ، حَرْثٍ لِدُنْيَاهُم ، وحرثٍ لأُخْرَاهُم ، فنى نَحْرِ الثَّوْرِ لهم هنالك إشعارٌ بإراحتهم من الكَدَّيْن وتَرْفِيهِم من نَصَبِ الحَرْثَيْن ، فاعتبر ، والله المستعان .

إغفال ابن إسحاق نسب عبيد بن التيهان :

فصل : وذكر ابن إسحاق فيمن استشهد يوم أُحد عُبَيْدَ بنَ التَّيِّهَانِ . واسم التَّيِّهَان : مالِكٌ ، ولم يرفع نَسَبَه ، وكذلك فعل في هذا النسب حيث وقع في هذا الكتاب ، وهو نَسَبٌ مختلَف فيه ، وقد رفعناه عند ذكر أبي الْهَيْثَم ، وذكرنا الخلافَ فيه هنالك .

وقول كعب بن مالك :

ولا مِثْل أضْيَافِ الأَرَاشِيِّ مَعْشَرا

يعنى : أبا الهَيْثَم ، فجعله إرَاشِيًّا ، وليست إراشة من الأنصار ، ونسبه موسى بن عُقْبَة فى جماعة معه إلى بَلِيٍّ ، وقالوا هو حَلِيفُ الأنصارِ ، وليس من أنفسهم ، وقال ابن إسحاق والواقدى فى المستشهد يوم أُحد : عُبَيْد بن التَّيِّهان ، وقال ابنُ عُقْبَة ، وأبو مَعْشر ، وابنُ عمارة : هو عَتِيكُ بن التَّيِّهَانِ[1] .

---

(١) ذكر ذلك ابن دريد فى الاشتقاق .

. . . .

أبو حنة أو حبة :

وذكر فيهم أبا حَبَّة الأنصارى البَدْرِىّ ، وقال ابن هشام أبو حَنَّة بن ثابت بالنون، وكذلك قال الواقدى ، قال : ليس فيمن شَهِد يوم بدرٍ مَن اسمه أبو حَبَّة بالباء ، وكذلك روى موسى بن عُقْبة عن ابن شهاب : أبو حَنَّة بالنون شَهِد بدراً ، واستشهد يوم أُحد ، وهو من الأوس ، واسمه ثابتٌ ، وقيل : عَمْرو بن ثابت ، والاخْتِلَافُ فى اسمه ، وفى كُنْيَتِه كثيرٌ .وأما أبو حَبَّة المستشهد يوم اليمامة ، فهو أبو حَبَّة بن غُزَيَّة بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل ، ولم يخالف فى ذلك إلا من لايُؤْبه بقوله ، واسمه : زَيْد بن غُزَيَّة بن عَمْرو ، وهو من الخَزْرج ، والأول من الأوْسِ ، وقد قيل فى الأول : أبو حَيَّة[1] بياء معجمة باثنتين،فالله أعلم .

وحَنَّة بالنون : دَيْرُ حَنَّة معروف[2] بالشام ، وحَنَّة أُمُّ مَرْيَمَ بنتِ عِمْرَان ، وخَنَّة بخاء منقوطة بنتُ يَحْيَى بن أكْثَمَ القاضِى ، وهى أُمُّ مُحَمَّدِ ابن نَصر المَرْوَزِىّ الفقيه[3] وجَنَّة بالجيم لايعرف إلا أبو جنَّة خالُ ذى الرُّمَّة الشاعر ، قاله ابن ماكُولا .

---

(١) هو فى السيرة : أبو حية بالياء .

(٢) فى معجم البكرى أنه دير قديم بناه بنو ساطع حى من تنوخ ، وهو بالحيرة . والحيرة بالعراق . ودير حنة آخر ، وهو بالأكيراح ، وقد ذكره أبو نواس فى شعره . والأكيراح موضع بالحيرة .

(٣) فى القاموس أنها أخت يحيى وزوجة محمد بن نصر .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

شعر هبيرة

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم أحد ، قولُ هُبَيْرَةَ ابن أبى وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمْران بن مخزوم – قال ابن هشام : عائذ: ابن عمران بن مخزوم :

ما بالُ همٍّ عميدٍ بات يَطْرُقُنى ... بالوُدِّ من هندَ إذْ تَعْدو عَوَاديها

باتَتْ تُعاتِبنى هندٌ وتَعْذُلنى ... والحربُ قد شُغِلَت عنى مواليها

مَهْلاً فلا تَعْذُلينى إنَّ من خُلُقِى ... ماقد عَلمْتِ وما إن لستُ أُخْفيها

مُساعِفٌ لبَنى كَعْبٍ بما كَلِفُوا ... حَمَّالُ عِبْءٍ وأثْقالٌ أُعانيها

وقد حملتُ سلاحى فوق مُشْتَرَف ... ساطٍ سَبوحٍ إذا تَجْرى يُباريها

كأنَّه إذْ جَرى عَيْر بفَدْفَدة ... مُكَدَّمٌ لاحِقٌ بالعُون يَحْميها

من آل أعوجَ يَرْتاح النَّدِىّ له ... كجِذْع شَعْراء مُسْتَعْلٍ مَراقِيها

أعْدَدْتُه ورِقاقَ الحدّ مُنتخَلا ... ومارِنًا لخُطوبٍ قدْ أُلاقِيها

وذكر فيمن استشهد يوم أُحد عبدَ الله بن سَلَمة العَجْلانى، سَلَمَةُ بفتح اللام تقيد فى الأصل ، وفى الأصول الصِّحاح من رواية ابن هشام ، وذكره الدَّارَقُطنِى فى باب سَلِمَة بكسر اللام ، وأخبر أنها رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكر أبو عُمَر أيضاً أنها رواية إبراهيم بن سعد ، والله أعلم .

هذا وبيضاء مثل النهى محكمة ... نيطت على فما تبدو مساويها

سقنا كنانة من أطراف ذى يمن ... عرض البلاد على ما كان يزجيها

قالت كنانة : أنى تذهبون بنا؟ ... قلنا : النخيل ، فأموها ومن فيها

نحن الفوارس يوم الجر من أحد ... هابت معد فقلنا نحن نأتيها

هابوا ضرابا وطعنا صادقا خذما ... مما يرون وقد ضمت قواصيها

ثمت رحنا كأنا عارض برد ... وقام هام بنى النجار يبكيها

كأن هامهم عند الوغى فلق ... من قيض ربد نفته عن أداحيها

أو حنظل ذعذعته الريح فى غصن ... بال تعاوره منها سوافيها

قد نبذل المال سحا لا حساب له ... ونطعن الخيل شزرا فى مآقيها

وليلة يصطلى بالفرث جازرها ... يختص بالنقرى المثرين داعيها

وليلة من جمادى ذات أندية ... جربا جمادية قد بت أسريها

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... من القريس ولا تسرى أفاعيها

أوقدت فيها لذى الضراء جاحمة ... كالبرق ذاكية الأركان أحميها

أورثنى ذاكم عمرو ووالده ... من قبله كان بالمثنى يغاليها

كانوا يبارون أنواء النجوم فما ... دنت عن السورة العليا مساعيها

شعر حسان فى الرد على هبيرة

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم ... إلى الرسول فجند الله مخزيها

أوردتموها حياض الموت ضاحية فالنارُ موعدها ، والقتل لاقيها

جمّعتموها أحابيشاً بلا حسب أئمة الكفر غرّتكم طواغيها

ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت أهل القليب ومن ألقينه فيها

كم من أسير فككناه بلا ثمن وجزّ ناصية كنا مواليها

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك :

قال ابن هشام : وبيتُ هُبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه :

وليلة يصطلى بالفرث جازرُها يختص بالنّقرى المُثرين داعيها

يروى لجنوب ، أخت عمرو ذى الكلب الهُذلى ، فى أبيات لها فى غير يوم أُحد .

شعر كعب فى الرد على هبيرة

قال ابن إسحاق : وقال كعبُ بن مالك يجيب هُبيرة بن أبى وهب أيضاً :

ألا هل أتى غسّانَ عنا ودونهم من الأرض خرق سيرُه متنعنع

صحارٍ وأعلامٌ كأنّ قتامها من البُعد نقعٌ هامدٌ متقطّع

تظلّ به البُزْلُ العراميس رُزّحاً ويخلو به غيثُ السّنين فيُمْرِع

به جيَفُ الحَسْرى يلوح صليبُها كما لاح كتّانُ التّجار الموضّع

به العينُ والآرامُ يمشين خِلفةً وبيضُ نعام قيضُه يتقلّع

مُجالدُنا عن ديننا كلُّ فخمة مُذرّبة فيها القوانسُ تلمع

وكل صَمُوتٍ فى الصِّوانِ كأنَّها　　إذا لُبِسَت نَهْىٌ مِن الماء مُتْرَع

ولكن ببَدْر سائلوا مَن لَقيتمُ　　مِن النَّاس والأنباء بالغيب تنفع

وإنَّا بأرض الخوف لو كان أهلها　　سوانا لقد أجلَوا بلَيل فأقشَعُوا

إذا جاء مِنَّا راكبٌ كان قولُه　　أعدّوا لما يُزجى ابنُ حرب وَيجمَع

فمَهما يهِمُّ النَّاسَ مما يَكيدُنا　　فنحن لهُ مِن سائر النَّاس أوْسَع

فلو غيرُنا كانت جميعاً تَكيدُه البريَّة قد أعطَوْا يداً وتوزَّعوا

نُجالِد لاتبقى علَيْنا قَبيلَةٌ　　من النَّاس إلا أنْ يهابوا ويَفظُعوا

ولمَّا ابتَنَوْا بالعرْض قال سَراتُنا　　عَلامَ إذا لم تمنَع العِرْضَ نَزرَع؟

وفينا رسولُ الله نَتبع أمْره　　إذا قال فِينا القَوْل لانتطلَّع

تَدَلّى عليه الرُّوحُ من عندِ ربِّه　　يُنَزَّل مِن جَوّ السَّماء ويُرْفَع

نُشاوِره فِيما نُريد وقَصرُنا　　إذا ما اشتهى أنَّا نُطيعُ ونَسْمَع

وقال رسولُ الله لما بَدَوْا لَنا　　ذَرُوا عنكم هَوْلَ المنيَّات واطْمعوا

وكُونوا كمَن يَشْرى الحياةَ تَقرُّباً　　إلى مَلِك يُحْيا لَدَيه ويُرْجَع

ولكن خذُوا أسيافكم وتوكَّلوا　　على الله إنّ الأمْرَ لله أجمَع

فسرْنا إليهم جَهْرَةً فى رِحالهِم　　ضُحَيَّا علَيْنا البيضُ لانتخشَّع

بمَلْمُومَةٍ فيها السَّنَوَّر والقَنا　　إذا ضربوا أقْدامَها لاتَورَّع

فجِئنا إلى مَوْج من البحر وَسْطَه　　أحابيشُ منهم حاسرٌ ومُقَنَّع

ثلاثة آلاف ونحنُ نَصِيَّةٌ　　ثلاث مئِين إن كَثُرنا وأربع

نُغاورهم تجرى المنيَّة بيننا ‏ نُشارعهم حوضَ المنايا ونَشرع

تَهادَى قِسِىُّ النَّبعِ فينا وفيهمُ ‏ وما هو إلا اليثربىّ المُقطَّع

ومَنجوفةٌ حِرْمية صاعِديّةٌ ‏ يُذَرّ عليها السُّمُّ ساعةَ تُصنَع

تَصُوبُ بأبدان الرِّجالِ وتارةً ‏ تمرُّ بأعراضِ البِصار تَقَعقع

وخيلٌ تَراها بالفضاء كأنها ‏ جَراد صَباً فى قَرَّةٍ يَتَربَّع

فلمَّا تلاقَينا ودارتْ بنا الرَّحى ‏ وليس لأمرٍ حَمَّه الله مَدْفع

ضَربْناهمُ حتى تركْنا سَراتَهم ‏ كأنهمُ بالقاع خُشْبٌ مُصرَّع

لَدُن غُدوةً حتى استفقْنا عشيَّةً ‏ كأنَّ ذكانا حرُّ نارٍ تَلَفَّع

وراحوا سِراعاً مُوجِفين كأنهم ‏ جهامٌ هراقت ماءَه الريحُ مُقْلِع

ورُحنا وأُخرانا بطاءٌ كأنَّنا ‏ أُسودٌ على لحمٍ ببيشة ظُلَّع

فقتلنا ونال القومُ منَّا وربما ‏ فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع

ودارتْ رَحانا واستدارت رَحاهمُ ‏ وقد جُعلوا كُلٌّ من الشَّرِّ يَشبَع

ونحن أُناسٌ لا نرى القَتْلَ سُبَّةً ‏ على كُلِّ مَنْ يحمِى الذِّمارَ ويمْنَع

جِلادٌ على رَيْبِ الحوادِث لا نَرَى ‏ على هالكٍ عَيناً لنا الدَّهرَ تَدْمَع

بنو الحرْبِ لا نَعيا بشىءٍ نقولُه ‏ ولا نحن مما جرّت الحربُ نجزَع

بنو الحرْبِ إنْ نَظفَرْ فلسنا بفحَّشٍ ‏ ولا نحنُ مِن أظفارها نتوجَّع

وكُنَّا شِهاباً يتَّقى النَّاسُ حرَّه ‏ ويَفرُجُ عنه من يَليه ويَسْفع

فخرْتَ علىَّ ابنَ الزِّبعرى وقد سرى ‏ لكم طَلَبٌ مِن آخر الليل مُتْبع

. . . .

فَسَلْ عنك فى عُلْيا مَعدٍّ وغيرِها ... من الناس مَنْ أخْزَى مقاماً وأشْنَع

ومَنْ هو لم تَترك له الحربُ مَفْخراً ... ومَن خدُّه يومَ الكريهة أضْرَع

شَدَدْنا بحَوْلِ اللهِ والنَّصْرِ شَدَّةً ... عليكم وأطرافُ الأسِنَّةِ شُرَّع

تَكُرُّ القَنا فيكُمْ كأنَّ فُروعَها ... عَزَالى مَزَادٍ ماؤُها يَتهزَّع

عَمَدْنا إلى أهلِ اللِّواء ومن يطِرْ ... بذِكْر اللِّواء فهو فى الحمد أسْرَع

فخانوا وقد أعطَوْا يداً وتخاذَلُوا ... أبى اللهُ إلاَّ أمْرَه وهو أصْنَع

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

مُجالِدُنا عن جِذْمِنا كلَّ فخمة

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أيصلُح أن تقول : مجالدنا عن دينِنا ؟ فقال كعب : نعم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فهو أحسن ؛ فقال كعب : مجالدنا عن ديننا .

شعر لابن الزبعرى

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أُحد :

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمَعْتَ فقُلْ ... إنما تَنطِق شيئاً قد فُعِلْ

إنَّ للخَيْرِ وللشَّرِّ مَدًى ... وكِلا ذلكَ وَجْهٌ وقَبَلْ

والعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بينهم ... وسَواءٌ قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلّ

كلُّ عَيْشٍ ونَعيمٍ زائلٌ ... وبناتُ الدَّهرِ يَلْعَبْنَ بكُلّ

أبلغن حسّانَ عنى آيةً   فقريض الشّعر يشفى ذا الغلل

كم ترى بالجرّ من جمجمة   وأكفٍّ قد أترّت ورجل

وسرابيلَ حسانٍ سُرِيَتْ   عن كماة أهلكوا فى المنتزل

كم قتلنا مِنْ كريم سيّد   ماجدِ الجدّين مقدام بطل

صادق النّجدة قرمٍ بارع   غير مُلتاثٍ لدى وقع الأسل

فَسَل المِهْراس مَنْ ساكنُه ؟   بين أقحافٍ وهامٍ كالحجل

ليْت أشياخى ببدر شهدوا   جزَعَ الخزرج مَنْ وقْع الأسل

حين حكّت بقباءٍ بركَها   واستحرّ القتل فى عبد الأشل

ثمّ خفّوا عند ذاكم رُقّصاً   رقصَ الحفّان يعلو فى الجبل

فقتلنا الضّعفَ مِنْ أشرافهمْ   وعدلنا ميلَ بدرٍ فاعتدل

لا ألوم النّفس إلا أننا   لو كررنا لفعلنا المُفتعل

بسُيوفِ الهند تعلو هامَهم   عَللاً تعلوهم بعد نهل.

رد حسان على ابن الزبعرى

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ رضى الله عنه ، قال :

ذهبتْ يابن الزِّبعْرى وقعةٌ   كان منّا الفضلُ فيها لو عدل.

ولقد نلتُمْ ونلنا منكمُ   وكذاكَ الحربُ أحيانًا دُول.

نضع الأسيافَ فى أكتافكم   حيثُ نهْوى عَللاً بعد نهل

نُخرِج الأصبح من أستاهكم   كسُلاح النِّيب يأكُلن العَصل

. . . .

إذْ تُوَلُّونَ عَلَى أعقابكمْ ... هُرَّبًا فى الشِّعْب أشباه الرَّسَل

إذْ شَدَدْنا شَدَّةً صادِقةً ... فأجأناكم إلى سَفْح الجبَل

بخناطِيلَ كأشراف المَلَا ... مَنْ يُلَاقُوه مِنَ النَّاس يُهَلْ

ضَاقَ عنَّا الشِّعْبُ إذ نَجْزَعُه ... وَمَلأنا الفَرْطَ منه والرَّجَل

برجالٍ لَسْتُمُ أمْثالَهمْ ... أيِّدُوا جِبريلَ نَصراً فَنَزَل

وعَلَوْنا يوْمَ بَدْرٍ بالتُّقَى ... طاعةِ الله وتَصْديق الرُّسُل

وقَتَلْنا كُلَّ رأسٍ مِنْهُمُ ... وقَتَلْنا كُلَّ جَحْجاحٍ رِفَل

وتركْنا فى قُرَيْشٍ عَوْرَةً ... يومَ بَدْرٍ وأحاديثَ المَثَل

ورَسُولُ اللهِ حَقًّا شاهِدٌ ... يَوْمَ بَدرٍ والتَّنابيل الهُبُل

فى قُرَيْشٍ من جموع جُمِّعُوا ... مثل ما يُجْمع فى الخِصْب الهَمَل

نحن لا أمثالُكمْ وُلْدَ استِها ... نَحْضُر الناسَ إذا البأسُ نَزَل

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو زيد الأنصارىُّ : « وأحاديث المثل » والبيت الذى قبله . وقوله : « فى قريش من جموع جَمَّعُوا » عن غير ابن إسحاق .

شعر كعب فى بكاء حمزة وقتلى أحد

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حَمْزَةَ بن عبد المطَّلب وقَتْلى أُحُد من المسلمين :

نَشَجْتَ وهل لك من مَنْشَجِ ... وكنتَ متى تَذَّكِرْ تَلْجَجِ

تَذَكُّرَ قَوْمٍ أتانِى لهم ... أحاديثُ فى الزَّمَن الأعْوَجِ

فقلبُكَ من ذِكْرِهم خافقٌ ... منَ الشَّوْقِ والحَزَنِ المُنْضِجِ
وقتلاهمُ في جِنانِ النَّعيمِ ... كِرامُ المَداخلِ والمَخْرَجِ
بما صَبَرُوا تحت ظلِّ اللِّواءِ ... لواءِ الرَّسُولِ بذي الأضْوُجِ
غَداةَ أجابَتْ بأسْيافِها ... جميعاً بَنُو الأوْسِ والخَزْرَجِ
وأشْياعُ أحمدَ إذْ شايَعوا ... على الحقِّ ذي النُّورِ والمَنْهَجِ
فما بَرِحُوا يَضْرِبُونَ الكُماةَ ... ويَمْضُونَ في القَسْطَلِ المُرْهَجِ
كذلكَ حتى دَعاهُمْ مَليكٌ ... إلى جَنَّةٍ دَوْحَةِ المَوْلِجِ
فكُلُّهُم ماتَ حُرَّ البَلاءِ ... على مِلَّةِ اللهِ لم يَحْرَجِ
كحَمْزَةَ لمَّا وَفَى صادقاً ... بذي هَبَّةٍ صارمٍ سَلْجَجِ
فلاقاه عَبْدُ بَني نَوْفَلٍ ... يُبَرْبِرُ كالجَمَلِ الأدْعَجِ
فأوْجَرَه حَرْبَةً كالشِّهابِ ... تَلَهَّبُ في اللَّهَبِ المُوهَجِ
ونُعْمانُ أوْفَى بميثاقِهِ ... وحَنْظَلَةُ الخَيْرِ لم يُحْنَجِ
عن الحقِّ حتى غَدَتْ رُوحُهُ ... إلى مَنْزِلٍ فاخِرِ الزِّبْرِجِ
أولئكَ لا مَنْ ثَوَى مِنكُمُ ... من النَّارِ في الدَّرْكِ المُرْتَجِ

شعر ضرار في الرد على كعب

فأجابه ضرار بن الخطّاب الفِهْرِيّ، فقال:

أيَجْزَعُ كَعْبٌ لأشْياعِهِ ... ويَبْكي منَ الزَّمَنِ الأعْوَجِ
عَجيجَ المُذَكِّي رأى إلْفَهُ ... تَرَوَّحَ في صادرٍ مُحْنَجِ

فراح الرّوايا وغادرْنَهُ يُعَجْعِج قَسْراً ولم يُحْدَجِ
فقولا لكَعْبٍ يُثنِّى البُكا وللنيء من لحمه يَنْضَج
لمِصْرع إخوانه فى مَكَرٍّ من الخَيْل ذى قسْطل مُرْهَج
فياليت عَمْراً وأشياعَه وعُتْبة فى جَمْعنا السَّوْرج
فَيَشفُوا النُّفوس بأوْتارها بقَتْلى أُصيبتْ من الخزْرج
وقَتْلَى من الأوْس فى مَعْرَكٍ أُصيبوا جميعاً بذى الأضْوُج
ومَقْتَل حمزة تحْتَ اللِّواء بمُطَّرِدٍ ، مارِنٍ ، مُخْلَج
وحيثُ انثَنَى مُصْعَب ثاوِياً بضَرْبة ذى هَبَّة سَلْجَج
بأُحُد وأسْيافُنا فيهمُ تَلَهَّبُ كاللَّهَب المُوهَجِ
غَداة لقيناكُمُ فى الحديد كأُسْد البَراح فلم تُعْنَج
بكُلّ مُجَلِّحَة كالعُقاب وأجْرد ذى مَيْعَة مُسْرَج
فَدُسْناهمُ ثَمَّ حتى انثَنَوْا سوَى زاهق النَّفْس أو مُحْرَج

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضِرار. وقولُه كعب: « ذى النور والمنهج » عن أبى زيد الأنصارى.

شعر ابن الزبعرى فى يوم أُحد

قال ابن إسحاق: وقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أُحُد، يبكى القتلى:

ألا ذَرَفَت مِن مُقْلتَيك دُموعُ وقد بانَ من حَبْل الشَّباب قُطوعُ
وشَطَّ بمَن تَهْوَى المَزارُ وفرَّقت نَوَى الحىّ دارٌ بالحَبيب فَجُوع

وليس لما ولّى على ذى حرارة وإن طال تذراف الدموع رجوع

فذر ذا ولكن هل أتى أم مالك أحاديث قومى والحديث يشيع

ومجنبنا جرداً إلى أهل يثرب عناجيج منها متلد ونزيع

عشية سرنا فى لهام يقودنا ضرور الأعادى للصديق نفوع

نشد علينا كل زغف كأنها غدير بضوج الواديين نقيع

فلما رأونا خالطتهم مهابة وعاينهم أمر هناك فظيع

وودوا لو ان الأرض ينشق ظهرها بهم وصبور القوم ثم جزوع

وقد عريت بيض كأن وميضها حريق ترقى فى الأباء سريع

بأيماننا نعلو بها كل هامة ومنها سمام للعدو ذريع

فغادرن قتلى الأوس غاصبة بهم ضباع وطير يعتفين وقوع

وجمع بنى النجار فى كل تلعة بأبدانهم من وقعهن نجيع

ولولا علو الشعب غادرن أحمداً ولكن علا والسمهرى شروع

كما غادرت فى الكر حمزة ثاويا وفى صدره ماضى الشباة وقيع

ونعمان قد غادرن تحت لوائه على لحمه طير يجفن وقوع

بأحد وأرماح الكماة يردنهم كما غال أشطان الدلاء نزوع

شعر حسان فى الرد على ابن الزبعرى

فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

أشاقك من أم الوليد ربوع بلاقع ما من أهلهن جميع

عَفاهُنَّ صَيْفِيٌّ الرِّياح ووَاكِفٌ من الدَّلْوِ رَجَّافُ السَّحاب هَمُوعُ
فلم يَبْقَ إلا مَوْقِدُ النَّار حَوْله رَواكِدُ أمثال الحَمام كُنُوعُ
فَدَعْ ذِكْرَ دارٍ بدَّدَتْ بين أهلها نَوًى لِمَتِينات الحِبال قَطُوعُ
وقُلْ إنْ يَكُن يومٌ بأُحُد يَعُدُّهُ سَفيهٌ فإنَّ الحقَّ سوف يَشيعُ
فقد صابرتْ فيه بَنُو الأوس كلهم وكان لهم ذِكْرٌ هناك رَفيعُ
وحامَى بنو النَّجّار فيه وصابَروا وما كان منهم في اللِّقاء جَزُوعُ
أمامَ رسولِ الله لا يَخذُلونه لهم ناصرٌ من ربِّهم وشَفِيعُ
وَفَوْا إذْ كفرتم ياسَخِينَ بربِّكم ولا يَسْتوي عبدٌ وَفَى ومُضِيعُ
بأيديهمُ بيضٌ إذا حَمِش الوَغَى فلابُدَّ أنْ يَرْدَى لهنَّ صَريعُ
كما غادرتْ في النَّقع عُتبة ثاوياً وسَعْداً صَريعاً والوشيجُ شُروعُ
وقد غادرتْ تحتَ العَجاجة مُسْنَداً أُبيًّا وقد بَلَّ القَميصَ نَجيعُ
بكَفِّ رسولُ الله حيث تَنصَّبت على القوم ممَّا قد يُثِرْن نُقُوعُ
أولئك قومٌ سادةٌ من فُروعِكم وفي كُلِّ قومٍ سادَةٌ وفُروعُ
بهنَّ نُعزّ اللهَ حتى يُعزَّنا وإن كان أمرٌ ياسَخِينَ فَظيعُ
فلا تَذكُروا قَتْلى وحمزة فيهمُ قَتيلٌ ثَوَى لله وهو مُطيعُ
فإنَّ جِنان الخُلد مَنْزِلةٌ له وأمْرُ الذي يَقْضِي الأمور سَريعُ
وقتلاكُمُ في النّار أفضلُ رِزْقهم حَميمٌ معاً في جَوْفِها وضَريعُ

شعر عمرو بن العاص فى يوم أحد

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسّان وابن الزِّبَعْرَى. **وقوله** : « ماضى الشّباة ، وطير يحفن » عن غير ابن إسحاق .

وقال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاص (فى) يوم أُحُد :

خَرَجْنا مِنَ الفَيْفا عَلَيهِمْ كأنَّنا ... مع الصُّبح من رَضْوَى الحبيكُ المُنَطَّق

تمنَّت بنو النَّجَّار جَهْلاً لقاءنا ... لدَى جَنْب سَلْعٍ والأمانِيّ تَصْدُق

فما راعَهم بالشرِّ إلا فُجاءة ... كَرَاديس خَيْل فى الأزِقَّة تَمْرُق

أرادوا لكَيما يَسْتَبيحوا قِبابَنا ... ودونَ القِباب اليومَ ضَرْبٌ مُحَرِّق

وكانت قِباباً أُومِنت قبلَ ما ترَى ... إذْ رامَها قَوْم أُبيحوا وأُحْنِقوا

كأنّ رُءوس الخزرجيّين غدوةً ... وأيمانَهم بالمُشْرِفيَّة بَرْوَق

شعر كعب فى الرد على ابن العاص

فأجابه كَعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، **فقال** :

ألا أبْلِغا فِهراً على نَأْيِ دارِها ... وعِندهمُ مِنْ علْمنا اليومَ مَصْدَق

بأنَّا غداةَ السَّفح من بطن يَثْربٍ ... صَبَرْنا وراياتُ المَنيَّة تَخْفِق

صَبَرْنا لهُمْ والصَّبْرُ منّا سَجيَّةٌ ... إذا طارتِ الأبْرامُ نَسْمُو ونَرْتُق

على عادة تِلْكُم جَرَيْنا بصَبْرِنا ... وقِدْماً لدَى الغايات نَجْرِى فنَسْبِق

لَنا حَوْمَةٌ لا تُسْتَطاع يَقُودُها ... نَبِيٌّ أتَى بالحقّ عَفٌّ مُصَدَّق

. . . .

ألا هل أتى أفناء فِهر بن مالك ... مُقَطَّعُ أطرافٍ وهامٌ مُفَلَّقُ

شعر ضرار فى يوم أُحد

قال ابن إسحاق: وقال ضِرار بن الخطّاب:

إنى وجدّك لولا مُقْدَمى فَرَسى ... إذْ جالت الخيل بين الجِزْع والقاع

مازال منكم بجَنْب الجزْع من أُحُدٍ ... أصواتُ هام تَزَاقى أمرُها شاعى

وفارسٌ قد أصابَ السيفُ مَفْرِقَه ... أفلاقُ هامته كَفَرْوة الراعى

إنى وجــدّك لا أنفك مُنتطِقاً ... بصارِمٍ مثل لَوْن المِلْحِ قطّاع

على رِحالة مِلْواحٍ مُثابِرة ... نحو الصَّريخ إذا ماثوّب الدّاعى

وما انتميْتُ إلى خُور ولا كُشُفٍ ... ولا لِئام غداة البَأْسِ أوْرَاع

بل ضارِبين حَبيكَ البيض إذ لحقوا ... شُمّ العَرانين عند الموْت لُذّاع

شُمٌّ بهاليل مسترخٍ حمائلهم ... يَسْعَون للموت سَعْياً غير دَعْداع

وقال ضرار بن الخطّاب أيضاً:

لمّا أتت مِن بنى كَعْب مُزَيْنَةٌ ... والخزْرجيةُ فيها البيضُ تأْتلِق

وجرّدوا مَشْرَفِيّاتٍ مُهَنّدةً ... ورَايةً كجَناح النَّسرِ تختفق

فقُلْت يَوْمٌ بأيّامٍ ومَعْرَكَةٌ ... تُنْسِى لما خَلْفَها ما هُزْهِزَ الوَرَق

قد عَوّدوا كل يوم أن تكون لهم ... رِيحُ القتالِ وأسْلابُ الذين لَقوا

خَيّرتُ نفسى على ما كان من وَجَل ... منها وأيقنتُ أنّ المَجْدَ مُسْتَبَق

. . . .

أكرهتُ مُهرى حتى خاض غمرتهم ... وبلّه من نجيع عانك علق

فظلّ مُهرى وسربالى جسيدهما ... نفخ العروق رشاش الطعن والورق

أيقنتُ أنى مقيمٌ فى ديارهمُ ... حتى يفارق ما فى جوفه الحدق

لا تجزعوا يا بنى مخزوم إن لكم ... مثل المغيرة فيكم ما به زهق

صبراً فدًى لكمُ أمى وما ولدت ... تعاوروا الضرب حتى يدبر الشفق

شعر عمرو فى يوم أحد

وقال عمرو بن العاص:

لما رأيتُ الحربَ ينـــزو شرّها ... بالرضف نزوا

وتناولت شهباء تلحـــو الناس بالضراء لحوا

أيقنتُ أن الموتَ حقٌّ ... والحياةُ تكونُ لغـــوا

حمّلتُ أثوابى عـــلى ... عتدٍ يبذُّ الخيل رهوا

سَلِسٍ إذا نُكِبن فى الـــبيداء يعلو الطرف علوا

وإذا تـــنزّل ماؤه ... من عطفه يزداد زهوا

ربذٍ كيعفور الصريـــمة راعه الرامون دحوا

شنجٍ نساهُ ضـــابطٍ ... للخيل إرخاءً وعـــدوا

ففدًى لهم أمى غـــدا ... ة الروع إذ يمشون قطوا

سيراً إلى كبش الكتيـــبة إذ جلته الشمسُ جلوا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو .

شعر كعب في الرد على عمرو بن العاصي

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك ، فقال :

أَبْلِغْ قُرَيْشاً وخيرُ القَوْلِ أصدقُهُ ... والصدقُ عندذَوِى الألباب مقبولُ
أنْ قد قَتَلْنا بقَتْلانا سَرَاتَكم ... أهْلَ اللّواء ففيما يَكْثُرُ القِيلُ
ويَوْمَ بدرٍ لَقينا كم لنا مَدَدٌ ... فيه مع النَّصر مِيكالٌ وجِبْرِيل
إن تَقْتُلُونا فَدِينُ الحقّ فِطْرَتُنا ... والقَتْلُ فى الحقّ عند الله تَفْضِيل
وإن تَرَوْا أمرَنا فى رأيكم سَفَهاً ... فرأْىُ مَنْ خالف الإسْلام تَضْليل
فلا تَمَنَّوْا لِقاحَ الحَرْبِ واقْتَعِدوا ... إنّ أخا الحرب أصْدى اللونِ مشْغول
إنّ لكم عِنْدَنا ضَرْباً تَرَاحُ له ... عُرْجُ الضباع له خَذْم رَعابيل
إنَّا بنو الحَرْب نَمْرِيها ونَنْتُجُها ... وعندنا لذَوِى الأضْغان تَنْكيل
إن يَنْجُ منها ابنُ حَرْب بعدما بلغتْ ... منه التَّراقِى، وأمرُ الله مَفْعول
فقد أفادَتْ له حِلْماً ومَوْعِظَةً ... لِمَن يكُونُ له لُبٌّ ومَعْقُول
ولو هَبَطْتُم بِبَطْن السَّيْل كافَحكم ... ضَرْبٌ بشاكِلَة البَطْحاء تَرْعِيل
تَلْقاكُمُ عُصَبٌ حَوْلَ النّبىّ لهم ... مما يُعِدّون للهَيْجا سَرابِيل
من جِذْم غَسَّان مُسْترخٍ حمائلهم ... لاجُبَناء ولا مِيلٌ مَعازِيل
يَمْشُونَ تحت عَمايات القِتال كما ... تَمْشِى المَصاعِبَةُ الأُدْم المَراسيل
أو مِثْل مَشْى أُسُود الظِّلِّ ألْثَقَها ... يومُ رَذاذٍ من الجوْزاء مَشْمول
فى كلّ سابغةٍ كالنِّهْى مُحْكَمَةٍ ... قِيامها فَلَج كالسَّيْف بُهْلُول

تردّ حدّ قرام النّبل خاسئةً ويرجع السيف عنها وهو مفلول

ولو قذفتم بسلع عن ظهوركم وللحياة ودفع الموت تأجيل

مازال في القوم وترٌ منكمُ أبداً تعفو السّلام عليه وهو مطلول

عبدٌ وحرٌّ كريمٌ موثقٌ قنصاً شطر المدينة مأسور ومقتول

كنّا نؤمّل أخراكم فأعجلكم منّا فوارس لاعزلٌ ولاميل

إذا جنى فيهم الجاني فقد علموا حقّاً بأنّ الذى قد جرّ محمول

مانحن لانحن من إثم مجاهرةً ولا ملومٌ ولا فى الغرم مخذول

شعر حسان فى أصحاب اللواء

وقال حسّان بن ثابت، يذكر عدّة أصحاب اللّواء يوم أحد:

— قال ابن هشام: هذه أحسن ماقيل —

منع النّوم بالعشاء الهمومُ وخيالٌ إذا تغور النّجومُ

من حبيب أضاف قلبك منه سقم فهو داخلٌ مكتومُ

يا لقومى هل يقتل المرء مثلى واهنُ البطش والعظام سؤوم

لو يدبّ الحولىّ من ولد الذ رّ عليها لأندبتها الكلوم

شأنها العطر والفراش ويعلو ها لجينٌ ولؤلؤٌ منظوم

لم تفتها شمسُ النّهار بشىء غير أنّ الشّباب ليس يدوم

إن خالى خطيبُ جابيةِ الجو لانِ عند النّعمان حين يقوم

. . . .

وأنا الصقر عند باب ابن سَلْمى يوم نُعمان فى الكُبُول سَقِيم
وأبىٌّ وواقِدٌ أُطْلِقا لى يَوْمَ راحا وكَبْلُهُمْ مَخْطوم
ورهَنْتُ اليَدَين عنهم جميعاً كلّ كَفٍّ جُزء لها مَقْسُوم
وَسطَتْ نِسْبتى الذوائبَ منهم كلُّ دارٍ فيها أبٌ لى عظيم
وأبى فى سُمَيحة القائل الفا صِل يوم التقَتْ عليه الخصوم
تلك أفعالُنا وفِعْل الزِّبعْرَى خاملٌ فى صَديقه مَذْمُوم
ربّ حِلْم أضاعَه عَدَم الما لِ وجَهْل غطا عليه النَّعيم
إن دَهْراً يَبُور فيه ذَوُو العِـلْم لدَهرٌ هو العَتُوُّ الزنيم
لا تُسَبِّنَّنى فَلَسْتَ بِسِبِّى إنّ سِبِّى من الرِّجالِ الكَرِيم
ما أُبالى أنبَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ أم لَحانى بظَهْر غَيْبٍ لَئيم
ولِىَ البأْسَ منكم إذْ رَحَلْتم أُسرةٌ من بَنى قُصَىّ صَميم
تِسْعَةٌ تَحْمل اللّواء وطارتْ فى رَعاع من القَنا مَخْزوم
وأقامُوا حتى أُبيحوا جَمِيعاً فى مَقام وكُلُّهم مَذْمُوم
بدمٍ عانِك وكان حِفاظاً أن يُقيموا إن الكريم كريم
وأقامُوا حتى أُزيروا شَعُوباً والقَنا فى نُحُورهم مَحْطوم
وقُرَيْش تَفِرّ مِنَّا لِواذاً أن يُقيموا وخَفّ منها الحُلوم
لم تُطِق حَمْلَه العواتِقُ منهم إنما يَحْمِل اللِّواءَ النُّجوم

قال ابن هشام : قال حسّان هذه القصيدة :

منع النَّوم بانعشاء الهُموم

ليلا ، فدعا قومه ، فقال لهم : خَشِيت أن يُدرِكني أجلي قبل أن أصبح ، فلا تَزْوُوها عني .

قال ابن هشام : أنشدني أبو عُبيدة للحَجَّاج بن عِلَاطٍ السُّلَمي يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ، ويذكر قَتْله طَلْحة بن أبي طلحة ابن عبد العُزى بن عثمان بن عبد الدّار ، صاحب لواء المشركين يوم أُحد :

لله أيُّ مُذَبِّب عن حُرْمةٍ   أعْني ابنَ فاطمة المُعمَّ المُخْوِلا

سَبَقتْ يداكَ له بعاجلِ طَعْنَةٍ   تركَتْ طُلَيْحة للجَبين مُجَدَّلا

وشَدَدْتَ شَدّة باسلٍ فكَشَفْتهم   بالجرِّ إذْ يَهْوُون أخْول أخْوَلا

شعر حسان في قتلى يوم أُحد

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يَبْكي حَمْزة بن عبد المطلب ومن أُصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد :

يامَيَّ قُومي فانْدُبِنْ   بسُحيرَةٍ شَجْوَ النَّوائحِ

كالحامِلات الوِقْرَ بالـ   ثِّقْلِ المُلِحَّاتِ الدَّوالحِ

المُعْوِلات الخامِشا   تُ وُجوهَ حُرَّاتٍ صحائحِ

وكأنَّ سَيْلَ دُموعِها الـ   أنْصابُ تُخضَبُ بالذبائحِ

يَنقُضْن أشْعاراً لهنّ   هُنـاك بادِيةَ المَسائحْ

. . . .

وكأنهــا أذنابُ خَيْــلٍ بالضحى شُمْسٍ رواسح

مِنْ بين مَشْزُورٍ ومَجْـزُورٍ يُذَعْذَعُ بالبوارح

يَبْكِين شَجْواً مُسْلِما تِ كَدَّحْتَهن الكوادح

ولقــدْ أصب قلوبَها مَجْلٌ له جُلَبٌ قوارح

إذْ أقصدِ الحِدْثان مَنْ كُنَّا نُرَجِّي إذْ نُشَايح

أصحابَ أُحْــدٍ غالَهُم دهرٌ ألمّ له جوارح

مَنْ كانَ فارسَنا وحا مِينا إذا بُعِث المسالح

يا حَمْــزَ، لا والله لا أنســاكَ ماصُرّ اللقائح

لمناخ أيتــام وأضــيافٍ وأرْمَــلَةٍ تُلامح

ولِمَا يَنُوب الدهرُ في حَرْبٍ لحرْبٍ وهي لاقح

يا فارساً يا مِــدْرهاً يا حَمْزَ قد كُنْتَ المُصامح

عَنَّا شَــدِيداتِ الخطُو بِ إذا يَنُوب لهنّ فادح

ذَكّرتني أسَــدَ الرَّسو لِ، وذاكَ مِدْرَهنا المُنافِح

عَنَّا وكان يُعَدّ إذْ عُــدَّ الشَّرِيفون الجحاجح

يَعْــلو القَماقِم جهْرةً سَبْطَ اليدَيْنِ أغرّ واضِح

لا طائشٌ رَعِشٌ ولا ذو عِــلّةٍ بالحِمْل آنِح

بَحْرٌ فليس يُغِبّ جــا راً منه سَيْبٌ أو منادِح

أوْدَى شَبابُ أُولِي الحفا ظِ والثقيلونَ المَراجِح

. . . .

المُطْعِمُونَ إذا المَشا تِى ما يُصَفِّقُهُنَّ ناضِحْ

لَحْمَ الخِلادِ وفَوْقَهُ من شَحْمِهِ شُطَبٌ شَرائِحْ

لِيُدافِعُوا عنْ جارِهِمْ ما رَامَ ذو الضِّغْنِ المُكاشِحْ

نَهْنِى لِشُبَّانٍ رُزِئْناهُم كأنَّهُمُ المَصابِيحْ

شُمٌّ ، بَطارِقَةٌ ، غَطا رِفَةٌ ، خَضارِمَةٌ ، مَسامِحْ

المُشْتَرُونَ الحَمْدَ بالأمْوالِ إنَّ الحَمْدَ رابِح

والجازِرُونَ بِلُجْمِهِم يوماً إذا ما صاح صائح

مَنْ كانَ يُرْمَى بالنَّوا قِرِ مِنْ زَمانٍ غَيْرِ صالح

ما إنْ تَزالُ رِكابُهُ يَرْسِمْنَ فى غُبْرٍ صَحاصِح

راحَتْ تَبارَى وهو فى رَكْبٍ صُدورُهُمُ رَواشِح

حتى تَئُوبَ لَهُ المَعا لى ليسَ من فَوْزِ السَّفائح

يا حَمْزَ قد أوْحَدْتنى كالعُودِ شَذَّ به الكَوافِح

أشْكُو إليكَ وفَوْقَكَ التُّـ ـرْبُ المُكَوَّرُ والصَّفائح

من جَنْدَلٍ نُلْقِيهِ فَو قَكَ إذ أجادَ الضَّرْحَ ضارِح

فى واسِعٍ يَحْشُونَه بالتُّرْبِ سَوَّتْهُ المَماسِح

فَعَزاؤُنا أنَّا نَقُو لُ وقَوْلُنا بَرْحٌ بَوارِح

مَنْ كانَ أمْسَى وهو عَمَّا أوْقَعَ الحِدْثانُ جانِح

فلْيأتِنا فلْتَبْكِهِ عَيْناهُ لِهَلْكانا النَّوافِح

القَائِلِينَ الفَاعِلِين ذَوِى السَّماحة والمَمادِح
مَنْ لايَزَالُ نَدَى يَدَيْهِ له طَوَال الدّهْرِ مَائح

قال ابن هشام : وأكثر أهلِ العِلْم بالشعر يُنكرها لحسّان ، وبيته : « المطعمون إذا المَشاتى » و بيته : « الجامزون بلُجْمِهِم » ، وبيته : « من كان يُرْمَى بالنواقر » عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان فى بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضاً يبكى حمزة بن عبد المطلب :

أتعرِفُ الدارَ عَفا رَسْمُها بعدكَ صَوْبُ المُسْبِل الهاطِلِ
بينَ السَّراديح فأُدْمانَةٍ فَمَدْفَعِ الرَّوْحاء فى حائل
ساءلْتَها عَن ذاك فاستعجمَتْ لم تَدْرِ ما مَرْجُوعةُ السَّائل؟
دَعْ عنْك داراً قد عَفا رَسْمُها وابكِ على حَمزةَ ذى النَّائل
المالىء الشِّيزى إذا أعصَفَت غَبْراء فى ذى الشَّبِمِ المَاحل
والتَّارِكِ القِرْنَ لدَى لِبْدَةٍ يَعْثُرُ فى ذى الخُرُص الذَّابل
واللابس الخَيْل إذ أجْحَمت كاللَّيْث فى غابَتِه الباسِلِ
أبْيَضُ فى الذّروة من هاشِمٍ لم يَمْرِ دونَ الحقّ بالباطِلِ
مالَ شَهِيداً بينَ أسْيافكم شُلَّت يدَا وحْشِىٍّ مِنْ قاتل
أىّ امرىءٍ غادَرَ فى ألَّةٍ مَطْرُورةٍ مارنَةِ العامِلِ

أظلمتِ الأرضُ لفقـدانه ... وأسودّ نورُ القمرِ الناصلِ

صلى عليـه اللهُ فى جنّةٍ ... عاليـةٍ مُكرَمَة الداخلِ

كُنّا نَرَى حمزةَ حِرْزاً لَنا ... فى كلّ أمرٍ نابنا نازلِ

وكان فى الإسلام ذا تُدرَأٍ ... يكفيك فقدَ القاعد الخاذلِ

لا تفرَحى ياهنـد واستحْلبى ... دَمعاً وأذرى عَبرةَ الثاكِلِ

وابكى على عُتبـة إذ قطّه ... بالسّيف تحت الرّهج الجائلِ

إذا خرّ فى مشيخة منكمُ ... مِنْ كُلّ عاتٍ قلبُهُ جاهِلِ

أرْداهُمُ حمزة فى أسْرةٍ ... يَمْشُون تحتَ الحلَق الفاضِلِ

غَداةَ جبـريل وَزيرٌ له ... نِعْم وزيرُ الفارسِ الحامِلِ

شعر كعب فى بكاء حمزة

وقال كعبُ بن مالك يَبْـكى حمزةَ بن عبد المطّلب :

طَرقتْ هُمُومُك فالرُّقاد مُسهَّدُ ... وجزِعت أن سُلخ الشبابُ الأغيدُ

ودَعتْ فؤادَك للهوى ضَمْرِيّةٌ ... فهواكَ غَوْرِىٌّ وَصحوك مُنْجِدُ

فدعِ التّمادىَ فى الغَوايَة سادِراً ... قد كنتَ فى طَلَب الغَواية تُفْنَدُ

ولقد أنَى لك أنْ تـناهَى طائِعاً ... أو تَسْتَفيق إذا نَهاكَ المُرْشِدُ

ولقد هُدِدْتُ لفَقْد حمزة هَدّةً ... ظلّت بناتُ الجوْف منها ترْعَدُ

ولوَ انه فُجِعَت حِراء بمثْله ... لرأيتُ راسِىَ صَخْرها يتبدّدُ

قَرْمٌ تَمكّنَ فى ذُؤابة هاشمٍ ... حيث النُّبوّة والنّدَى والسُّوددُ

والعاقِرُ الكُومَ الجِلادَ إذا غدَتْ ريحٌ يكادُ الماءُ منها يَجْمُدُ

والتَّارِكُ القِرْنَ الكَمِيَّ مُجَدَّلا يَوْمَ الكَرِيهَةِ والقَنا يَتَقَصَّدُ

وتَراهُ يَرْفُلُ في الحديدِ كأنَّه ذو لِبْدَةٍ شَثْنُ البراثِنِ أرْبَدُ

عمُّ النبيِّ محمَّدٍ وصَفِيُّه وَرَدَ الحِمامَ فطابَ ذاكَ المَوْرِدُ

وأتى المَنِيَّةَ مُعْلِماً في أُسْرَةٍ نَصَروا النبيَّ ومنهم المُسْتَشْهَدُ

ولقد إخالُ بذاكَ هِنداً بُشِّرَت لَتُمِيتُ داخِلَ غُصَّةٍ لا تَبْرُدُ

مِمَّا صَبَحْنا بالعَقَنْقَلِ قَوْمَها يوماً تَغَيَّبَ فيه عنها الأسْعَدُ

وبِبِئْرِ بَدْرٍ إذ يَرُدُّ وُجُوهَهم جِبْرِيلُ تحتَ لِوائنا ومُحَمَّدُ

حتى رأيتُ لَدَى النبيِّ سَراتَهم قِسْمَيْنِ: يَقْتُلُ مَن نشاء ويَطْرُدُ

فأقامَ بالعَطَنِ المُعَطَّنِ منهمُ سَبْعون: عُتْبَةُ منهمُ والأسْوَدُ

وابنُ المغيرةِ قد ضَرَبْنا ضَرْبَةً فوقَ الوَرِيدِ لها رَشاشٌ مُزْبِدُ

وأُمَيَّةُ الجُمَحِيُّ قَوَّمَ مَيْلَه عَضْبٌ بأيْدِي المُؤْمِنين مُهَنَّدُ

فأتاكَ فَلُّ المُشْرِكين كأنَّهم والخَيْلُ تَثْفِنُهم نَعامٌ شُرَّدُ

شَتَّانَ مَنْ هو في جَهَنَّمَ ثاوِياً أبداً ومَن هو في الجِنانِ مُخَلَّدُ

وقال كعبٌ أيضاً يبكي حمزة:

صَفِيَّةُ قُومِي ولا تَعْجِزِي وبَكِّي النِّساءَ على حَمْزَةِ

ولا تَسْأَمِي أن تُطِيلِي البُكا على أسَدِ اللهِ في الهِزَّةِ

فقد كانَ عِزّاً لأيْتامِنا ولَيْثَ المَلاحِمِ في البِزَّةِ

. . . .

يُريد بذاكَ رِضا أحمـــــدٍ ورِضْوانَ ذِى العَرْشِ والعِزَّة

شعر كعب فى أُحد

وقال كعب أيضاً فى أُحد :

إنكِ عَمْرَ أبيكِ الكَرِيـــم أنْ تَسألى عنكِ منْ يَجْتَدينا
فإنْ تسألى ثَمّ لا تُكْذَبى يُخبرك مَنْ قد سألتِ اليَقِينا
بأنّ لَيــالىَ ذاتِ العِظا م كُنَّا ثمالا لمَنْ يَعْترِينا
تَلوذ النجومُ بأذْرَانِنــــا من الضُّرّ فى أزَماتِ السّنينا
بجَدْوَى فُضول أولى وُجْدِنا وبالصَّبْرِ والبَذْل فى المُعدِمينا
وأبْقَتْ لنا جَلَمــات الحرو ب ممّن نوازى لَدُنْ أن بُرِينا
مَعاطِنَ تَهْوِى إليها الحُقو ق يَحسَـبها من رآها الفَتينا
تُخَيَّس فيها عِتاقُ الجمـــا ل صُحْماً دَواجِنَ حُمراً وجُونا
ودُفّاع رَجْلٍ كَمَوْج الفُرا ت يَقْدم جَأْواء جُولاً طَحونا
تَرى لونَها مثلَ لون النُّجو م رَجْراجةً تُبْرِق الناظِرينا
فإن كنتَ عَن شأننا جاهلاً فَسَلْ عنه ذا العِلْم مِمَّن يَلِينا
بِنا كيف نَفْعل إن قَلَّصَتْ عَوَاناً ضَرُوساً عَضُوضاً حَجُونا
ألَسْنا نَشُــدُّ عَلَيها العِصاَ ب حتى تَدُرّ وحتى تَلِينا
وَيَوْمٌ لَهُ رَهَــــجٌ دائمٌ شَديد التَّهاوُل حامى الأرينا
طَويلٌ شَديدُ أُوارِ القِتا ل تَنفى قَواحِزُهُ المُقْرِفينا

. . . .

تَخالُ الكُماةَ بأعْراضِه ثِمالاً على لَذَّةٍ مُنْزِفينا

تَعاوَرُ أيمانُهم بينهم كئُوسَ المنايا بحدِّ الظُّبِينا

شَهِدْنا فكُنَّا أُولِي بأسِه وتحت العَماية والمُعْلِمِينا

بخُرْس الحَسِيسِ حِسانٍ رِواء وبُصْرِيّةٍ قد أجَمْنَ الجُفونا

فما يَنفَلِلْنَ وما يَنحَنِين وما يَنتَهِين إذا ما نُهِينا

كبرْق الخريف بأيدى الكُماةِ يُفَجِّعن بالظِّلِّ هاماً سُكُونا

وعَلَّمنا الضَّربَ آباؤنا وسوف نُعلِّمُ أيضاً بَنينا

جِلادَ الكُماة، وبَذْل التِّلا دِ، عن جُلِّ أحسابنا ما بَقِينا

إذا مَرَّ قَرْنٌ كفى نَسْلُه وأوْرَثَه بَعْدَه آخَرِينا

نَشِبُّ وتَهلِكُ آباؤنا وبينا نُرَبِّى بَنِينا فَنِينا

سألتُ بك ابنَ الزِّبَعْرَى فلم أُنَبَّأْك فى القَوْمِ إلا هَجِينا

خَبِيثاً تُطِيف بك المُنْدِيات مُقيما على اللُّؤْمِ حِيناً لَحِينا

تَبجَّسْتَ تَهْجو رسول المَلِيـك قاتَلك الله جِلْفاً لَعِينا

تَقولُ الخَنا ثم تَرْمى به نَقِىَّ الثِّياب تَقيًّا أمِينا

قال ابن هشام: أنشدنى بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذى يليه، والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله «نشبّ وتهلك آباؤنا» والبيت الذى يليه، والبيت الثالث منه، أبو زيد الأنصارىّ.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك أيضاً، فى يوم أُحد:

. . . .

سائلْ قُرَيْشاً غداةَ السَّفْحِ من أُحُدٍ ... ماذا لَقِينا وما لاقَوْا من الهَرَبِ

كُنَّا الأُسُودَ وكانوا النُّمْرَ إذ زَحفوا ... ما إنْ نُرَاقِبُ من آلٍ ولا نَسَبِ

فكَمْ تَركْنا بها من سَيِّدٍ بَطَلٍ ... حامِي الذِّمارِ كَرِيمِ الجَدِّ والحَسَبِ

فِينا الرَّسولُ شِهابٌ ثم يَتْبعه ... نُورٌ مُضِيءٌ له فَضْلٌ على الشُّهُبِ

الحقُّ مَنْطِقُه والعَدْلُ سِيرَتُه ... فمَنْ يُجِبْه إليه يَنْجُ من تَبَبِ

نَجْدُ المُقَدَّمِ ، ماضِي الهَمِّ ، مُعْتَزِمٌ ... حِينَ القُلوبُ على رَجْفٍ من الرُّعُبِ

يَمْضِي ويَذْمُرُنا عن غير مَعْصِيَةٍ ... كأنه البدرُ لم يُطْبَعْ على الكَذِبِ

بَدَا لنا فاتَّبَعْناه نُصَدِّقُه ... وكَذَّبوه فكُنَّا أسعدَ العَرَبِ

جالُوا وجُلْنا فما فاءوا وما رَجَعوا ... ونحن نَثْقَفُهم لم نَأْلُ في الطَّلَبِ

لَيْسا سَواءً وشَتَّى بين أمْرِهما ... حِزْبُ الإلهِ وأهلُ الشِّركِ والنُّصُبِ

قال ابن هشام : أنشدني من قوله : « يمضي ويذمرنا » إلى آخرها ، أبو زيد الأنصاري .

شعر ابن رواحة في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقال عبدُ الله بن رَوَاحة يَبْكِي حمزةَ بن عبد المطلب :
قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكَعْب بن مالك :

بَكَتْ عَيْني وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغْنِي البُكاءُ ولا العَوِيلُ

على أسدِ الإلهِ غداةَ قالوا ... أحمزةُ ذاكُمُ الرجلُ القَتِيلُ

أصيب المسلمون به جميعاً هُناك وقد أُصِيب به رَسُولُ
أبا يَعْلَى لك الأرْكانُ هُدَّت وأنت الماجدُ البَرُّ الوَصُولُ
عَليك سلامُ ربِّك فى جِنانٍ يُخالِطها نَعِــــيمٌ لا يَزُولُ
ألا يا هاشمَ الأخيارِ صَبراً فكُلُّ فِعالِكم حَسَنٌ جَميلُ
رسولُ الله مُصْطَبِرٌ كريمٌ بأمرِ الله يَنطق إذ يَقُولُ
ألا مَنْ مُبْــــلغ عنى لُؤَيًّا فبَعد اليَوْمِ دائِلةٌ تَدُولُ
وقَبل اليَوْمِ ما عَرَفوا وذاقُوا وقائِعَنا بهــا يُشْفَى الغَليلُ
نَسِيتم ضَرْبنا بقَليب بَدْرٍ غداةَ أتاكُمُ المَوْتُ العَجِيلُ
غداةَ ثَوى أبو جَهل صَريعاً عليــه الطَّيرُ حائمة تَجُولُ
وعُتْبة وابنُه خَرّا جميعــاً وشَيبةُ عضَّه السيفُ الصَّقيلُ
ومَتركُنا أُمَيَّـــةَ مُجْلَعِباً وفى حَيْزُومه لَدْنٌ نَبيلُ
وهامَ بَنى رَبيعة سائِلُوها ففى أسْــيافِنا مِنْها فُلُولُ
ألا يا هِنْدُ فابكى لا تَمَلِّى فأنت الوَالِه العَبْرَى الهَبُولُ
ألا يا هِنْدُ لا تُبْدِى شِماتاً بحَمْزة إنّ عِزَّكم ذَلِيلُ

شعر كعب فى أُحد

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

أبْلغ قُرَيْشاً على نَأْيِها أتفْخَـــرُ مِنا بِما لَم تَلِى
فَخَرْتُم بقَتْـــلى أصابتهمُ فواضلُ من نعَم المُفْضِلِ

تخـــالُو جنانًا وأبقوا لكم أُسُوداً تُحامى عَنِ الأَشْبُل
تُقاتل عن دينها وَسْطَها نَبِيٌّ عَنِ الحقِّ لمْ يَنْـكُل
رَمَتْه مَعدٌّ بعُور الـكَلام ونَبْل العَــــداوة لا تأتلى

قال ابن هشام: أنشدنى قوله: «لم تلى»، وقوله: «من نعم الفضل» أبو زيد الأنصارىّ.

شعر ضرار فى أحد

قال ابن إسحاق: وقال ضِرَارُ بن الخَطَّاب فى يوم أُحُد:

ما بالُ عَيْنكَ قدأزْرى بهاالسُّهُدُ كأنَّما جالَ فى أجْفانها الرَّمَدُ
أمِن فِراق حَبيبٍ كُنتَ تألَفه قد حالَ من دونه الأعداء والبُعد.
أم ذاكَ من شَغْب قوم لاجَداء بهم إذ الحروب تلظَّت نارُها تقِد.
ما ينْتَهون عن الغَىِّ الذى رَكِبوا وما لهم من لؤىّ وَيْحَهم عَضُد.
وقد نَشَدناهُمُ بالله قاطبـــةً فمَا تردُّهمُ الأرحامُ والنِّشَد.
حتى إذا ما أبَوْا إلا مُحاربةً واستَحْصدت بيننا الأضغان والحِقَدُ
سِرْنا إليهم بجَيْش فى جَوانبه قَوانِسُ البَيْض والمَحْبوكة السَّرد.
والجُرْدُ تَرْفُل بالأبطال شازِبةً كأنَّها حِدأٌ فى سَيْرها تُؤَد.
جَيْش يَقودُهُمُ صَخْر ويرأَسُهُم كأنَّه لَيْثُ غابٍ هاصِرٌ حَرِد.
فأَبْرَز الحين قوْماً من مَنازلهم فكان مِنَّا ومنهم مُلْتَقَى أُحُد

فَغُودِرت منهم قتلى مُجدَّلة ... كالمَعْز أصْرَدَه بالصَّرْدحِ البَرد

قتلى كرامٌ بنو النجَّار وسْطهم ... ومُصْعَب مِن قَنانا حوله قِصَد

وحمزة القَرْم مَصروع تُطيف به ... ثَكْلَى وقد حُزّ منه الأنف والكَبد

كأنه حين يكبُو في جَدِيَّته ... تحت العَجاجِ وفيه ثَعْلَب جَسِد

حُوارُ نابٍ وقَدْ ولّى صَحابتُه ... كما تولّى النَّعام الهارب الشُّرد

مجلِّحين ولا يَلْوون قد مُلِئوا ... رُعْباً، فنجّتهم العَوْصاء والكُؤُد

تبكى عليهم نِساء لا بعُولَ لها ... مِنْ كُلّ سالبة أثوابُها قِدَد

وقَدْ تركْناهم للطَّيْر مَلحمة ... وللضباعِ إلى أجْسادهم تَفِد

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لضِرَارٍ.

رجز أبى زعنة يوم أُحد

قال ابن إسحاق: وقال أبو زَعْنة بن عبد الله بن عمرو بن عُتبة، أخو بني جُشَم بن الخزرج، يوم أُحد:

أنا أبو زَعْنة يعدو بى الهُزَمْ ... لم تُمنَع المَخْزاة إلا بالألَمْ

يحمى الذِّمارَ خَزْرجىّ من جُشَمْ

رجز ينسب لعلىّ فى يوم أُحد

قال ابن إسحاق: وقال علىّ بن أبى طالب — قال ابن هشام: قالها رجل

من المسلمين يوم أحد غير علىّ ، فيما ذكر لى بعضُ أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلىّ :

لاهُمَّ إنّ الحارث بن الصِّمَّهْ كان وفيًّا وبنا ذا ذِمَّهْ

أقبــــل فى مَهامِهٍ مُهِمَّهْ كَلَيلة ظَلْمـــــاء مدْلهِمَّه

بين سُيوف ورِماح جَمَّــهْ يَبْغى رسولَ الله فيما ثَمَّهْ

قال ابن هشام : قوله : « كليلة » عن غير ابن إسحاق .

رجز عكرمة فى يوم أُحد

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أُحد :

كلّهم يزجره أرْحِبْ هَلا ولن يَرَوْه اليومَ إلا مُقْبلا

يَحْمِل رُمْحا ورَئيساً جَحْفَلا

شعر الأعشى التميمى فى بكاء قتلى بنى عبد الدار يوم أحد

وقال الأعشى بن زُرارة بن النَّبّاش التَّميمى — قال ابن هشام : ثم أحد بنى أسد بن عمرو بن تَميم — يبكى قَتْلى بَنى عَبْد الدار يومَ أُحد :

حُيِّيَ مِنْ حَىّ علىّ نأْيِهم بنو أبى طَلْحة لا تُصرفُ

يَمُرُّ ساقيهم عليهم بها وكلُّ ساق لهمْ يَعرف

لا جارُهم يَشْكو ولا ضَيْفُهم مِنْ دُونه باب لهم يَصرف

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى يوم أُحد :

قَتَلْنا ابن جَحْش فاغتبطنا بقَتْله　　وحَمْزةَ فى فُرْسانه وابن قَوْقَل

وأفلتَنا منهم رجالٌ فأسْرَعوا　　فليتهم عاجُوا ولم نتعجّل

أقامُوا لنا حتى تَعض سُيوفنا　　سَراتهم وكُلّنا غيرُ عزّل

وحتى يكون القتلُ فينا وفيهمُ　　ويَلْقَوا صَبوحاً شَرّه غيرُ مُنْجَلى

قال ابن هشام : وقوله : « وكلنا » ، وقوله « ويلقوا صبوحاً » : عن غير ابن إسحاق .

شعر صفية فى بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقالت صَفِيَّة بنت عبد المطَّلب تبكى أخاها حمزةَ بن عبد المطَّلب :

أسائلةٌ أصحاب أُحْد مَخافةً　　بناتُ أبى من أعْجَم وخَبير

فقال الخَبير إنّ حَمْزة قد ثَوَى　　وَزِيرُ رسولِ اللهُ خيرُ وَزير

دَعاه إلهُ الحقّ ذو العرْش دَعوةً　　إلى جنّة يحيا بها وسُرور

فذلك ما كُنّا نرجّى ونَرْتَجى　　لحَمْزة يومَ الحَشْر خيرَ مَصير

فوالله لا أنساك ما هبَّت الصَّبا　　بكاءً وحزناً مَحْضَرى ومَسِيرى

على أسد اللهِ الذى كان مِدْرَهاً　　يَذُود عن الإسْلام كلَّ كَفُور

فياليْت شلْوى عند ذاك وأعْظُمى　　لدى أضْبُع تعتادنى ونُسور

أقولُ وقد أعْلَى النَّعِيّ عَشيرتى جزَى الله خيراً مِنْ أخٍ ونَصير

قال ابن هشام : وأنشدنى بعضُ أهل العِلْم بالشعر قولها :

بكاء وحُزْناً محْضَرى ومسيرى

شعر نعم فى بكاء شماس

قال ابن إسحاق : وقالت نُعم ، امرأة شَمّاس بن عثمان ، تبكى شَمّاساً ، وأُصيب يوم أحد :

يا عينُ جودِى بفَيْضٍ غير إبْساسِ على كريمٍ مِن الفِتْيان أبّاسِ

صَعْبِ البَديهَة مَيْمُونٍ نَقيبتُه حَمّالِ أَلْوِيةٍ رَكّابِ أفْراس

أقولُ لمَا أتَى الناعِى له جَزَعاً

أَوْدَى الجوادُ وأَوْدَى المُطْعِم الكاسِى

وقُلْتُ لمَا خَلَت منه مَجالسُه لا يُبعد اللهُ عَنّا قُرْبَ شَمّاس

شعر أبى الحكم فى تعزية نعم

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحكَم بن سعيد بن يَرْبوع ، يعزّيها ، فقال :

إقْنَى حياءكِ فى سِتْرٍ وفى كَرَم فإنّما كانَ شَمّاس مِنَ النّاس

لا تَقْتُلى النفسَ إذ حانت مَنِيَّته فى طاعةِ الله يومَ الرَّوْع والباس

قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطبرِى فذَاق يومَئذٍ من كأسِ شَمّاس

. . . .

شعر هند بعد عودتها من أحد

وقالت هِنْد بنت عُتبة ، حين انصرف المشركون عن أُحُد :

رجعتُ وفى نَفْسِى بَلابلُ جَمَّةٌ ... وقد فاتنى بعضُ الذى كانَ مَطْلَبِى

مِنَ أصحابِ بدرٍ من قُريش وغيرِهم ... بنى هاشمٍ منهم ومن أهل يثرب

ولكنَّنى قد نِلْتُ شيئاً ولم يَكن ... كما كنتُ أرجو فى مسيرى ومركبى

قال ابن هشام : وأنشدنى بعضُ أهل العِلم بالشعر قولها :

وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى

وبعضهم يُنكرها لهِنْد ، والله أعلم .

شرح ما وقع فى هذه الغزوة من الأشعار

وقد شرطنا الإضراب عن شَرْح شِعْر الكَفَرة والمفاخرين بقتال النبى — صلى الله عليه وسلم — إلا مَنْ آمَنَ منهم ، لكنه ذكر فى شعر هُبَيْرَة الذى بدأ به بيتين ليسا من شعره ، فلذلك ذكرتهما ، وهما :

ولَيْلةٍ يَصْطَلِى بالفَرْثِ جازِرُها ... يَخْتَصُّ بالنَّقرى المُثْرِين دَاعِيها

فى ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أَنْدِيةٍ ... جَرْبا جُمادِيَّةٍ قد بِتُّ أَسْرِيها

قوله : يَصْطَلِى بالفَرْثِ ، أى : يستدفئ به من شِدَّة البرد .

. . . .

قول جمع ندى وأسماء الشهور :

وقوله يَخْتَصّ بالنقرى(1) المثرين، يريد يختص الأغنياء طَلَبًا لمكافأتهم، وليأكل عندهم، يصف شِدّة الزمان، قاله يعقوب فى الألفاظ، ونسبهما للهُذَلِيّ، وكذلك قال ابن هشام فى هذين البيتين أنهما ليسا لهُبَيْرَة ونسبهما لجَنُوب أختِ عَمْرو ذى الكَلْب الهُذَلِيّ .

وقوله : ذات أَنْدِيَة : جمع نَدى على غير قياس، وقد قيل : إنه جَمْع الجمع كأنه جمع نَدًى على نداء مثل جَمَلٍ وجِمَالٍ(2) ، ثم جمع الجمع على أَفْعِلة، وهذا بعيد فى القياس، لأن الجمع الكثير لايُجْمع، وفِعال من أبنية الجمع الكثير، وقد قيل هو جَمْع نَدِيّ والنَّدِيُّ المجلس، وهذا لايُشبه معنى البيت، ولكنه جمع جاء على مثال أَفْعِلَة، لأنه فى معنى الأَهْوِيَة والأَشْتِيَة(3)

---

(1) هى النقرى بالقاف، والنقرى - كما يقول الخشنى - أن يدعو قوما دون قوم، يقال هو يدعو الجفلى إذا عم، وهو يدعو النقرى إذا خص .

(2) أنظر ص ٢٧٧ ج ٤ شرح شواهد الشافية المطبوع مع الشافية فقد فصل ابن جنى القول عن هذا. هذا والشطرة الأولى فى شعر لمرة بن محكان. وانظر اللسان أيضا فى مادة ندى .

(3) يقول البغدادى فى شرحه لشواهد الشافية بعد أن نقل قول السهيلى هذا : « وقريب منه قول الخوارزمى « ندى وإن كان فى نفسه فعلا - بفتح الفاء والعين - لكنه بالنظر إلى مايقابله، وهو الجفاف - فعال فمن ثم كسروه على أفعلة، ويقول ابن جنى « وأجود تكسير ندى : أنداء » ويرد البغدادى على السهيلى فى قوله أن القول بأن أندية هو جمع ندى - أى المجلس - لايشبه معنى البيت، يرد بقوله : « قد يمنع، ويكون معناه : فى ليلة من ليالى الشتاء ذات مجالس يجلس فيها =

. . . .

ونحو ذلك ، وأقرب من ذلك أنه في معنى الرَّذَاذ والرَّشَاش ، وهما يجمعان على أفْعِلة ، وأراد بجُمَادَى الشهرَ ، وكان هذا الاسمُ قد وقع على هذا الشهر في زمن جُمُودِ الماء ، ثم انتقل بالأَهِلَّةِ وبقي الاسم عليه ، وإن كان في الصيف والقَيْظ ، وكذلك أكثرُ هذه الشهورِ العربية سميت بأسماء مأخوذة من أحوال السَّنَةِ الشمسية ، ثم لزمتها ، وإن خَرَجَتْ عن تلك الأوقات[1] .

= الأشراف والأغنياء لإطعام الفقراء ، فإنهم كانوا إذا اشتد الزمان وفشا القحط ، وذلك يكون عند العرب في الشتاء ، يجلسون في مجالسهم ويلعبون الميسر ، وينحرون الجزر ، ويفرقونها على الفقراء » ص٢٧٨ ج٤ شرح الشافية وشواهدها .

(١) قال البغدادي في شرحه لشواهد الشافية : « وينبغي أن يعتبر هنا أصل الوضع ، وإلا فلا فائدة في ذكر اسم شهر لا يدل على شدة البرد وجمود الماء ، والشاعر إسلامي ، وليس ممن أدرك زمن وضع الشهور ، ويجوز أن يلاحظ في الأعلام أصل وضعها » .

ويقول ابن الأنباري عن أسماء الشهور « أسماء الشهور كلها مذكرة إلا جمادى فهما مؤنثان . تقول : مضت جمادى بما فيها ، فان جاء تذكير جمادى في شعر ، فهو ذهاب إلى معنى الشهر ، وهي غير مصروفة للتأنيث والعلمية ، والأولى والآخرة صفة لها ، فان الآخرة بمعنى المتأخرة ، ولا يقال . جمادى الأخرى ، لان الأخرى بمعنى الواحدة ، فتتناول المتقدمة والمتأخرة ، فيحصل اللبس ، ويحكى أن العرب حين وضعت الشهور وافق وضع الأزمنة فاشتق الشهر معان من تلك الأزمنة ، ثم كثر حتى استعملوها في الأهلة وإن لم توافق ذلك الزمان ، فقالوا : رمضان لما أرمضت الأرض من شدة الحر ، وشوال لما شالت الإبل بأذنابها للطروق ، وذو القعدة لما ذللوا القعدان للركوب ، وذو الحجة لما حجوا ، والمحرم لما حرموا القتال والتجارة ، وصفر لما غزوا فتركوا ديار القوم صفرا ، وشهر ربيع لما أربعت الأرض وأمرعت ، وجمادى لما جمد الماء . =

. . . .

شرح شعر كعب :

وذكر شعر كعب بن مالك يجيب هُبَيْرَةَ وأوله : ألا هل أتى غَسَّانَ .
وقد افتتح قصيدة أخرى فى أشعار بدر بهذا اللفظ ، فقال :

ألا هل أتى غَسَّان فى نَأْيِ دارِها

وإنما يذكر غَسَّان لأنهم بَنُو عَمِّ الأنصارِ ، والأنصارُ بَنُو حارثة بن ثَعْلَبَةَ بن عَمْرو بن عَامر .

والذين بالشام بنو جَفْنَة بن عَمْرو بن عَامِر ، والكُلُّ غَسَّانُ ، لأن غَسَّانَ ماء شربوا منه حين ارتحالهم من اليَمن فسُمُّوا به .

وقوله : سَيْرُهُ مُتَنَعْنِعُ ، أى : مُضْطَرِبٌ[1] . وقوله : العَرَامِيسُ : جمع عِرْمِس ، وهى الناقة القوية على السير .

وقوله : قَيْضُه يَتَقَلَّع ، أى يَتَشَقَّقُ ، والقَيْضُ : قُشُورُ البَيْضِ ، والقَوَانِسُ : جمع قَوْنَسٍ ، وهى بَيْضَةُ السِّلاح[2] .

وقوله : وكلُّ صَمُوتٍ فى الصِّوَانِ ، يعنى الدِّرْعَ جعلها صَمُوتاً لشدة

= ورجب لما رجبوا الشجر ، وشعبان لما شعبوا العود » ص ٢٨٠ جـ ٤ المصدر السابق .

(١) الخرق : الفلاة الواسعة التى تخرق فيها الريح . ومتنعنع تروى بالتاء ، والمعنى : متردد « عن الخشنى باختصار » .

(٢) عند الخشنى وفى القاموس أن القونس رأس بيضة السلاح ، أو أعلى بيضة الحديد .

. . . .

نَسْجِها وإحكام صَنْعَتِها ، والنَّهْىُ والنِّهْىُ : الغَدِيرُ ، سُمِّىَ بذلك ، لأن ماءه قد مُنِعَ من الجَرَيَانِ بإرتفاع الأرضِ ، فغادره السَّيْلُ ، فسُمِّىَ غَدِيراً ، ونَهَتْه الأرضُ فسُمِّىَ نَهْياً .

وقوله: ومَنْجُوفَةٌ ،مَفْعُولة من نَجَفْتُ : إذا حَفَرْتُ ، ويكون أيضاً من . من نَجَفْتَ العنز إذا شددتَها بالنِّجَافِ ، وهو الحَبْلُ ، فإن كان أراد الرِّماح ، فمعنى قوله : مَنْجُوفَة ، أى : مَشْدُودَة مُثَقَّفَة ، وإن كان أراد أَسِنَّتها ، فهى أيضاً مَنْجُوفَةٌ ، من نَجَفْتُ إذا حفرت، لأن ثَعْلَبَ الرُّمْحِ داخل فى الحَدِيدة ، فهى مَنْجُوفَةٌ له ، وإن كان أراد السيوفَ ، فَمَنْجُوفَةٌ ،أى كَالمَحْفُورَةِ ، لأن مُتُونَها مَدُوسَةٌ مَضْرُوبة بمطَارِقِ الحَدِيد ، فهى كَالمَحْفُورة .

وقوله :

تَصُوبُ بأَبْدَانِ الرِّجَالِ وتارَةً تمر بأعْرَاضِ البِصَارِ تَقَعْقَعُ

يقول : تَشُقّ أبدانَ الرِّجَال حتى تبلغ البِصَارَ فَتَقَعْقَعُ فيها ، وهى جمع بَصْرَةٍ ، وهى حِجَارَةٌ لَيِّنَة ، ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة، مثل كَرِيمَة، وكِرام ، والبَصِيرَةُ الدِّرْعُ ، وقيل: التُّرْسُ، والبَصِيرةُ أيضاً : طريقة الدَّم فى الأرْضِ ، فإن كانت فى الجسد ، فهى جَدِيَّةٌ ، ولا معنى لها فى هذا البيت .

شرح شعر ابن الزبعرى :

وقول ابن الزِّبَعْرَى :

. . . .

يا غُرابَ البَيْنِ أَسْمَعْتَ ، فقل   إنما تنطق شيئاً قد فُعِلْ

إقرار الجاهلية بالقدر :

قوله : قد فُعِل : أى : قد فُرِغَ منه ، وقد كانوا فى الجاهلية يُقِرُّون بالقَدَرِ ، وقال لَبِيدُ فى الجاهلية :

إنّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ   وبإذن الله رَيْثِى والعَجَلْ

مَن هداه سُبُلَ الخير اهتدى   ناعِمَ البالِ وَمَن شاء أَضَلّْ

وقال راجزُهُم :

يا أيها اللائمُ لُمْنِى ، أو فَذَرْ   إن كُنتُ أَخطأتُ فما أَخطأَ القَدَرْ

وقوله : غَيْرُ مُلْتَاثٍ ، هو مُفْتَعَلٌ من اللَّوْثَةِ كما قال الضَّبِّى :

عند الحَفِيظَةِ إِنْ ذِى لُوثَةٍ لانا[1]

والمِهْرَاسُ : حَجَرٌ مَنْقُورٌ يمسك الماء ، فَيُتَوَضَّأُ منه ، شُبِّه بالمِهْرَاسِ الذى هو الهاوُون ، ووَهِمَ المُبَرِّدُ ، فجعل المِهْرَاسَ اسماً عَلَماً لِلمِهْرَاسِ الذى بأُحُدٍ خاصَّةً ، وإنما هو اسم لِكل حَجَرٍ نُقِر فأمسك الماءَ . وروى ابن عُبْدُوس

---

(١) فى ديوان الحماسة لأبى تمام لقريط بن أنيف أحد بنى العنبر :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى   بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذا لقام بنصرى معشر خشن   عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

وكذلك رواه ابن فارس فى معجمه غير منسوب فى مادة لوث : « إن ذو لوثة لانا »

. . . .

عن مالكٍ أنه سُئل عن رجُلٍ يمر بمِهْراسٍ في أرض فَلاةٍ كيف يَغْتَسِل منه ؟ فقال مالك : هَلّا قلت مرّ بغديرٍ ، ومَنْ يجعل له مِهْرَاساً في أرضٍ فَلَاة ؟ فهذا يبين لك أن المِهْرَاسِ ليس مخصوصاً بالمِهْرَاسِ ، الذى كان بأُحُدٍ ، وكذلك وَقَع في غَريبِ الحديث أن النبى – صلى الله عليه وسلم – مرّ بقوم يَتجاذَوْنَ[1] مِهْرَاساً أى : يرفعونه .

شعر حسان يرد به على ابن الزبعرى :

قول حَسّانٍ يجيبه :

هُرَّباً في الشِّعْبِ أشباه الرَّسَلْ

يعنى : الغَنَمَ إذا أرسلها الراعى ، يقال لها حينئذ رَسَل[2] .

وقوله كأشْرَافِ المَلا، الأشْرَافُ : جمع شَرَفٍ ، وهو الشَّخْصُ ، والملا : ما اتّسَع من الأرض ، ويريد بالأشراف هاهُنا أشْخَاصَ الشَّجَرِ وأصولها .

وقوله : يُهَلّ ، أراد : فيُهَال ثم جزم للشرط ، فانحذفت الألفُ لالتقاء الساكنين ، وهو من الهَوْل ، يقال هالنى الأمر يَهُولنى هَوْلًا إذا أفْزَعَك .

وقوله : وملأنا الفَرْطَ ، أراد : الفَرَطَ بتحريك الراء ، وهى الأكَمَةُ ،

---

(١) فى الأصل : يتجارون والتصويب من النهاية لابن الأثير مادة جذا ، وكذلك فى اللسان .

(٢) يقول الخشنى عن الرسل : الإبل المرسلة التى بعضها فى أثر بعض ، وقال بعض اللغويين : الرسل : الجماعة من كل شىء .

. . . .

وما ارتفع من الأرض ، والرَّجَلُ : جمع رَجْلَةٍ ، وهو المُطْمَئِنُّ من الأرض ، والرَّجْلَة أيضاً فى معنى الرِّجْلِ من الجَرَادِ ، قال الشاعر :

وتحت نُحُورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ

يريد بالحَرْشَفِ جماعةَ الرُّبَا ، وهم صِغَار الجَرَادِ ، ضَرَبهم مَثَلاً للرَّجالة والرُّماة ، وجمع الفَرَطِ : أفْرَاطٌ .

وقوله : وُلْدَ استِها : كلمةٌ تقولها العربُ عند السَّبِّ ، تقول : يا بَنِي استِها والوُلْد : بمعنى الأولاد . وكتب أهل دِمَشْقَ إلى أهل مِزَّةَ وهى على فَرْسَخٍ من دِمَشْقَ وكانوا أمسكوا عنهم الماءَ فكتبوا إليهم : من أهل دِمَشْقَ إلى بَنِي استِها .

وبعد : فإمَّا أن يُمَسِّينا الماء وإلَّا صَبَّحَتْكُمُ الخيلُ. ذكره الجاحظ[1].

متى يضر حذف حرف الجر ؟

وقوله فى المؤمنين : أيِّدُوا جِبْرِيلَ ، أى : أيِّدُوا بجبْريل ، وحُذِفَ الجارُّ فتعدَّى الفعلُ فنصَبَ ، ولا يَضُرُّ هذا الحذفُ إلا أن يكونَ الفعلُ المتعدَّى بحرفِ جرٍّ مُتَضَمِّناً لمعنى فعل آخرَ ناصبٍ ، كقولهم : أمرتك الخيرَ أى كلَّفتكَ

---

(١) ذكره فى البيان والتبيين ، والذى كتب إلى أهل مزة هو أبو الهيذام ، ويقول راوى الخبر ثمامة بن أشرس : فوافاهم الماء قبل أن يعتموا ، فقال أبو الهيذام : الصدق ينبي عنك لا الوعيد . ص ٢٠١ ج ١ البيان والتبيين للجاحظ ط سنه ١٩٤٨ بتحقيق عبد السلام هارون .

الخيرَ وأَزْمَمْتُكَهُ ، ولا يستقيم نَهَيْتُكَ الشرَّ إذ ليس فى معنى نَهَيْتُكَ فعلٌ ناصبٌ . وقوله : أَيِّدُوا جبْرَئِل ، أى أَصْحِبُوه ، ونحو هذا ، فحَسُن حذفُ الباء لهذا .

عود الى شعر حسان :

وقول حسان :

يُخْرِجُ الأصْبَحَ من استاهِكُمْ

رواه أبو حنيفة : يخرج الأضياحَ ، وهو اللبن الممزوج بالماء ، وهو فى معنى الأصبح ، لأن الصُّبْحة بياضٌ غير خالص ، فجعله وَصْفاً لِلَّبنِ الممْذُوقِ المُخْرَجِ من بُطُونهم .

وقوله :

كسلاح النِّيب يأكلن العَصَلْ

العَصَلُ : نبات كالرفلين[1] يُصَلِّح الأبلَ إذا أكلته ، ويكثر شربها للماء ، وهو من الحَمْضِ ، ويَنْبت فى السِّباخ ، قاله أبو حنيفة .

شعر كعب بن مالك :

وقول كعب بن مالك :

---

(١) فى اللسان : « شجر يشبه الدفلى - بكسر الدال وسكون الفاء وفتح اللام . تأكله الإبل وتشرب عليه الماء كل يوم » ، ولم أجد الرفلين ، وإنما الرفلى فى عجائب المخلوقات للقزوينى واللسان .

. . . .

لواءُ الرَّسُولِ بذى الأضْوُجِ

الأضْوُجُ : جمع ضَوْج ، والضَّوْجُ : جانب الوادى .

وقوله : فى القَسْطَلِ المُرهِجِ . القَسْطَلُ : الغُبار ، وكذلك الرَّهَجُ ، وقد شرحنا الساجج(١) فيما مضى ، والجمل الأدْعَجُ : يعنى الأسود ، ومنه الحديث فى صفة النبى –صلى الله عليه وسلم– فى عَيْنَيه دَعَجٌ ، وفى أشْفَارِه وَطَفٌ(٢) .

وقوله : وحَنْظَلَةُ الخَيْرِ لم يُحْنَج ، أى لم يُمِله شىء عن الطريق المستقيم ، يقال حَنَجْتُ الشىء إذا أمَلْتَه وَعدلته عن وَجْهه ، ويقال أيضاً : أحْنَجْتُه فهو مُحْنَجٌ ، وسيأتى فى الشعر بعد هذا ما يدل عليه .

وقوله :

عن الحق حتى غَدَتْ روحُه

أنَّثَ الرُّوحَ لأنه فى معنى النَّفسِ ، وهى لغة مشهورة معروفة. أمر ذُو الرُّمَّةِ عند موته أن يُكْتَبَ على قبره :

يانازِعَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِى إذا قُبِضَتْ ... وفَارِجَ الكَرْبِ أنْقِذْنِى من النَّارِ

فكان ذلك مكتوباً على قبره .

وقوله : فاخِرِ الزِّبْرِج ، أى : فاخرِ الزِّينَة ، أى ظَاهِرِها .

---

(١) السيف المرهف القاطع .

(٢) مر فى حديث أم معبد ، تعنى فى شعر أجفانه طول ، والدعج : السواد فى العين ، وقيل : شدة السواد مع شدة البياض .

. . . .

وقوله : فى الدَّرَكِ الْمُرْتَج ، أى الْمُغْلَق ، يقال : ارْتَجْتُ الباب إذا أغلقته،وهو من الرِّتاج ، قالت جارية من العرب ماتت أمها ، وتزوج أبوها :

ولكن قد أَتى مِنْ دُون وُدِّى ... وبين فؤادِه غلق الرِّتاجِ
ومَنْ لم يُؤذِه أَلَمٌ بِرأْسِى ... وما الرِّتمانُ إلّا بالفتاح

ومنه قيل: أُرْتِج على الخطيب ، إذا أُغلِق عليه بابُ القول .

وفى شعر ضرار [1]: من جَمْعِنا السَّوْرَج ، وهو فَوْعَلٌ من السِّراج يريد الْمُضِئَ :

من شعر حسان :

وفى شعر حسان :

وَفَوْا إِذْ كَفَرْتُم ياسَخِينَ بِرَبِّكُمْ

إراد سَخِينَة ، فَرَخَّم وَعَنى قُرَيْشاً لأنها كانت تُلَقَّب بذلك [لمداومتهم على شرب هذا الحساء المتخذ من الدقيق الذى يُسَمَّى : سخينة][2] ، وفى أشعار ضِرارٍ فى العَيْنِيَّة[3] منها أَمْرُها شاعٍ ، أراد: شائِع ، فقلبت ، كما قال الآخر :

لاثٍ به الأَشاء والْعُبْرِئُ[4]

---

(١) فى السيرة : من

(٢) ما بين قوسين من شرح السيرة لأبى ذر ، وضعته لإتمام المعنى .

(٣) لا توجد « منها » فى السيرة .

(٤) الأشاء : صغار النخل واحدتها أشاءة ، والعبرى من السدر ما نبت على عبر النهر ، وقيل : العبرى والعمرى منه ما شرب الماء ، والذى لا يشرب الماء يكون بريا ، وهو الضال . ولاث الشجر فهو لاث — بضم الثاء — ولاث =

. . . .

أراد : لاثِث ، وكما جاء فى الحديث : لايَحْتَكِرُ الطعامَ إلّا طَاغٍ[1] أو بَاغٍ أو زَاغٍ أراد : زائغ .

وفى شعره القَافِى :

رشاشُ الطَّعْنِ والوَرَقِ

الوَرَق : ماتعقّد من الدّم ، قاله ابن دُرَيد وغيرُه ، وفيه مابه رَهَقٌ ، أى عَيْبٌ ، والمُرَهَّقُ من الرِّجَال المَعِيبُ .

فى شعر عمرو بن العاص :

وفى شعر عمرو بن العاصى : يَمْشُون قَطْواً . القَطْوُ والاُقْطِيطَاء : مَشْىُ القَطا[2]

= بكسرها : لبس بعضه بعضا ، قد تنعم . وأما لاث بضم الثاء ، فقد يكون فعلا بفتح فكسر ، وقد يكون فاعلا حذفت عينه . وأما لاث بكسر الثاء ، فمقلوب من لاثث ، ووزنه فالع .

(١) فى مسلم وأبى داود وابن ماجة والنسائى وأحمد فى مسنده : « لا يحتكر إلا خاطىء » .

(٢) ومن معانى قصيدة عمرو كما جاء فى شرح أبى ذر : ينزو : يرتفع ويثب . الرضف : الحجارة المحماة . شهباء : يعــــنى كتيبة كشهرة السلاح . تلحو : تقشر وتضعف . تقول لحوت العود إذا قشرته والعيد : الفرس الشديد . يبذ الخيل رهوا : يسبق ، والرهو : الساكن اللين . ربذ : سريع . يعفور : ولد الظبية . الصريمة : الرملة المنقطعة . شنج : منقبض . نساه : النسا عرق مستبطن الفخذين . ضابط : ممسك . كبش الكتيبة : رئيسها . جلته : أبرزته .

. . . .

شعر كعب :

وفي شعر كعب : خذمٌ رَعَابيل . الخَذْمُ[1] : القطع بالأسنان ، ورَعَابِيلُ : قِطَعٌ مُتَمَزِّقَةٌ ، يقال خباء مُرَعْبلٌ ، أى مُتَمَزِّق .

وقوله :

إنَّا بَنُو الحَرْبِ نَمْرِيها ونَنْتِجُها

مُسْتَعار من مرَيْتُ الناقة إذا استَدْرَرتَ لبنها ، ونَتَجْتَها إذا استَخْرَجْتَ منها ولداً ، يقال : نُتِجَت الناقة ، ونَتَجها أهلُها ، وأما أَنْتَجَت تُنْتج فإذا دنا نِتَاجُها .

وقوله :

يَوْمُ رَذَاذٍ من الجَوْزَاء مَشْمُولُ

يريد : من أيام أنْوَاء الجَوْزَاء ، وهونَوْء الْهَقْعَة ، أو الْهَنْعَةِ[2] ، وذلك في الشتاء في شهر كانُون الأول[3] ومَشْمُولٌ من الرِّيح الشمال[4] .

وقوله : الشَّقها من اللَّثَقِ ، وهو البَلَلُ والطِّينُ اليسير ، والرَّذَاذُ

---

(١) يقول الخشنى من رواه بضم الخاء فيعنى به قطع اللحم ، ومن رواه بفتح الخاء ، فهو مصدر .

(٢) كانت الهقعة والصواب كما أثبت : الهنعة بفتح الهاء وسكون النون وفتح العين ، فهى كذلك فى اللسان .

(٣) هو شهر ديسمبر كما أخبرتنى ابنتى إشراق .

(٤) عند أبى ذر : هبت فيه ريح الشمال .

. . . .

معروف ، وهو أكثر من الطَّشِّ والبَغْشِ[١] ، والطَّلُّ نحوٌ منه ، أو أقوى منه قليلا ، يقال : أرضٌ مَطْلُولة ومَبْغُوشَةٌ ، ولا يقال : مَرْذُوذَةٌ ، ولكن يُقال : مُرَذَّةٌ ومُرَذٌّ عليها[٢] قاله الخطابى.

أجود ما قال حسان :

وذكر شعر حسّان . قال ابن هشام : هذه أجوَدُ ما قال ، وهذه القصيدة التى قالها حسّانُ ليلاً ، ونادى قومه أنا أبو الحُسام ، أنا أبو الوَليد ، وهما كُنْيَتَان له ، ثم أمرهم أن يَرْوُوها عنه قبل النهار ، مخَافَةَ أن يَعُوقَه عائقٌ ، فَخَر فيها على ابن الزِّبَعْرَى بِمَقَامَاتٍ له عند مُلوكِ الشام من أبناء جَفْنَة ، افتَكَ فيها عُناةً من قومه .

وذكر مقام خالد عند النُّعْمان الغسّانى من آلِ جَفْنَة ، وليس بالنُّعْمان ابن المُنذِرِ ، وقال فيها :

---

(١) البغشة المطرة الضعيفة ، وفى الأصل بالعين ، والطش : المطر الضعيف فوق الرذاذ ، والرذاذ : المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار أو هو بعد الطل. ويقول الأصمعى : الطل أخف المطر وأضعفه ، ثم الرذاذ ، والرذاذ فوق القطقط « بكسر القافين » .

(٢) فى القاموس : أرذت السماء ورذت وأرض مرذ عليها ، ومرذوذة ويوم مرذوذ ورذاذ . وكذلك فى اللسان : أرض مرذ عليها ، ومرذة ومرذوذة الأخيرة عن ثعلب . وقال الأصمعى : لا يقال أرض مرذة ولا مرذوذة ، ولكن يقال : أرض مرذ عليها ، أما الكسائى فقال : مرذة .

. . . . : . . . .

رُبَّ حِلْمٍ أضاعه عَدَمُ المَا لِ وجَهْلٍ غَطَا عليه النعيمُ

غَطَا بتخفيف الطاء أنشده يُونُسُ بن حبيب ، وهكذا كان في حاشية الشيخ مذكوراً عن يونس ، وغَطَا معناه ارتفع وعلا ، وأنشد القُتَبى :

ومِنْ تعاجيب خَلْقِ الله غاطِيَةٌ يُعْصَى منها مُلاحِيٌّ وغِرْبِيبُ⁽¹⁾

مُلاحِيٌّ بتخفيف اللام ، ويقال: مُلَّاحِيّ كما قال :

كعنقود مُلَّاحِيَّةٍ حين نوَّرا

وقال أبو حنيفة : مَن قال مُلَّاحِيَّة بالتشديد شبهه بالمُلَّاح وهو ثمر الأَراك⁽²⁾ وفيه مُلُوحَةٌ ، وقال : والغِرْبِيبُ اسم لنوع من العِنبِ ، وليس بنَعْتٍ . قال المؤلف : وإذا ثبت هذا فلك أن تفهم منه معنى قوله سبحانه : ﴿ وغَرَابِيبُ سُود ﴾ فاطر : ٢٧ . حين وصف الجُدَدَ ، وسُودٌ عِنْدِى بَدَلٌ ، لا نَعْتٌ ، وإنما يتم شرحُ الآية لمَنْ لحظه من هذا المَطْلَع ، فإن أبا حنيفة زعم أن الغِرْبِيبَ إذا أُطلق لفظُه ، ولم يقيَّد بشيء موصوف به ، فإنما يفهم منه العِنَبُ الذى هذا اسمُهُ خاصَّة ، والله الموفق للصواب وفهم الكتاب .

---

(١) فى اللسان أنشده ابن قتيبة وفيه : يعصر وهو الصواب .

(٢) فى اللسان وحكى أبو حنيفة ملاحى — بتشديد اللام — وهى قليلة ، وقال مرة إنما نسبه إلى الملاح - بتشديد اللام وضم الميم — وإنما الملاح فى الطعم ، والملاحى — بتخفيف اللام — من الاراك الذى فيه بياض وشهبة وحمرة . وفى اللسان أيضاً : ملاحى بتخفيف اللام : عنب أبيض .

. . . .

وذكر فيه حُمَاةَ اللِّواء من بنى عَبْدِ الدار ، وأنهم صُرِعوا حوله حتى أخذته امرأةٌ منهم وهى عَمْرَةُ بنت علقمَةَ ، فلذلك قال :

لم تُطِقْ حمله العواتقُ منهم إنما يحمل اللواء النُّجُومُ[1]

شعر ابن علاط :

وقال فى شعر حَجَّاج بن عِلَاطٍ يمدح عليًّا رضى الله عنه .

لله أيَّ مُذَبِّبٍ عن حُرْمَةٍ

أَلْفَيْتُ فى حاشية الشيخ أبى بَحْرٍ على هذا البيت فى حاشية الأصل يعنى أصل أبى ألوليد ، قال إبراهيم : أيَّ نُصِب لأنه مَدِيحٌ والمديح نَصْبٌ فى أىِّ حاليه ، فأما ابنُ هشام فرَفَع أيّ . قال المؤلف : وهذا الذى ذكره من نَصْبِ أىٍّ على المديح ، لايستقيم إلا أن تُقَدِّر حذفَ المبتدأ قبـــله ، كأنه قال لله أنت لأنه لا يُنْصَبُ على المدح إلا بعد جملة تامةٍ ، وأما الرفع على أن تجعل خَبره لله : فقبيحٌ لأنها وإن كانت خَبراً ، فأصلُها

(١) وإليك بقية شرحها من شرح السيرة لأبى ذر الخشنى : « أضاف : نزل وزار . السئوم : الملول . الحولى : الصغير . أندبتها : أثرت فيها من الندب ، وهو أثر الجرح . الكلوم : الجراحات . اللجين : الفضة . الجابية : الحوض الصغير . الجولان : موضـــع بالشام . إن خالى خطيب : يعنى بخاله مسلمة ابن مخلد بن الصامت . محطوم : مكسور . جز : أراد جزءا فنقل حركة الهمزة وحذفها . وسطت : توسطت . الذوائب : الأعالى : سميحة : اسم بئر بالمدينة كان عندها احتكام الأوس والخزرج فى حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد حسان ابن ثابت . غطى : من رواه بتشديدها فهو معروف . فلست بسبى : السب هو الذى يقاوم الرجل فى السب ، ويكون شرفه مثل شرفه . نب : صاح . لحانى : ذكرنى . الرعاع : الضعفاء . لواذ : مستترين . الحلوم : العقول . العواتق : جمع عاتق وهو مابين الكتف والعنق . النجوم هنا المشاهير من الناس ، ص ٢٥٧ وما بعدها

. . . .

الاستفهام فلها صَدْر الكلام كما كان ذلك فى كَمْ خَبَرِيَّةً كانت ، أو استفهامية ، فالتقدير إذاً : لله دَرُّه أىّ مُذَبِّبٍ عن حُرْمَةٍ هو ، ألا ترى أنه يَقْبُحُ أن يقول : جاءنى أىّ فتى ، فإن جعلته وصفاً جارياً على ما قبلها ، فقلت جاءنى رَجُلٌ أىُّ رَجُلٍ جاز ذلك ، لأنه إذا كان وَصْفاً لم تَلِه العواملُ اللَّفْظِيَّةُ ، فكأنه لم لم يخرج عن أصله ، إذ المبتدأ لا تليه العواملُ اللفظية .

وقوله : أخْوَلَ أخْوَلا ، أى : متفرقين ، ووقع تفسيره فى بعض النسخ من قول ابن هشام ، وكان أصله من الخال ، وهو الخُيَلَاء والكبر ، تقول : فلانٌ أَخْوَلُ من فلانٍ ، أى أشَدُّ كِبْراً منه ، واختيالاً ، فمعنى قولهم : إذا جاء القومُ أَخْوَلَ أخْوَلا ، أى انفرد كُلُّ واحد منهم بنفسه ، وازْدَهَاه الخالُ أن يكون تابعاً لغيره ، فكلما رأيت أحداً منهم ، قلت : هذا أخْوَلُ من الآخر ، هذا هو الأصْلُ ، ثم كثر حتى استعمل فى التَّفَرق مثلا ، وإن لم يكن هناك من معنى الخال شَىْءٌ ، وقد قيل فى أخْوَل : إنه من تَخَوَّلْتُ بالمَوْعِظَة ، ونحوها إذا فعلت ذلك شيئاً فشيئاً ، وفى الحديث : كان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتَخَوَّلُنا بالموعظة ، مخافة السَّآمة علينا .

شعر حسان الحائى :

وذكر شعر حسان الحائى وقال فيه :

كالحامِـــــلَاتِ الوِقْرِ بالثِّقْـــلِ الْمُلِحَّـــاتِ الدَّوَالِحْ

الدَّوَالِحُ : جمع دَالحة وهى الْمُثْقَلَة ، وكذلك الدُّلُوحُ من السَّحابِ ، وهى الْمُثْقَلَة بالماء وفيه :

. . . . . ، . . . .

يَنْفُضْــــنَ أَشْعَاراً لَهُــــنَّ هناكَ بادِيَةَ الْمَسَائِحْ

المسائح : جميع : مَسِيحَة ، وهو مالم يُمْشَط من الشَّعر بدُهْنٍ ، ولاشَىْء ، والمَسِيحَة أيضاً القِطْعَة من الفِضَّة ، والمَسِيحَةُ الفَرَسُ .

وقوله : من بين مَشْرُورٍ ، أى مُفَرَّق ، ويقال شَرَرْتُ الْمِلحَ إذا فرقته[1] ، والمَجْلُ كالجُرْح ، تقول : مَجِلَتْ يدى من العمل .

وقوله : نُشَائِح ، أى نحاذِر ، كما قال الآخر .

وشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ إنَّكَ شِيحُ[2]

وقوله: قد كُنْتَ الْمُصَامِحَ ،وفى الحاشيةعند الشيخ المصافح[3] بالفاءفى رواية أخرى ، وأما الْمُصَامِح بالميم ، فيجوز أن يكون من صَمَحْتُ الشىء إذا أذبْتُه، قاله صاحب العين ، قال : والصَّمَحْمَحُ من الرِّجال : الشَّدِيدُ العَصَب ، وسِنُّه

---

(١) فى رواية : مشزور ، أى مفتول . ويذعذع : يفرق . والبوارح : الرياح الشديدة .

(٢) الشعر لأبى ذؤيب الهذلى يرثى رجلا من بنى عمه ، ويصف مواقفه فى الحرب :

وزعتهم حتى إذا ماتبددوا ... سراعاً ولاحت أوجه وكشوح
بدرت إلى أولاهم فسبقتهم ... وشايحت قبل اليوم إنك شيح

أنظر اللسان فى مادة شيح وديوان الهذليين ح ١ ص١١٤ — ١٢٠ .

(٣) ومعنى المصافح : الراد للشىء ، تقول : أتانى فلان ، فصفحته عن حاجته أى : رددته عنها . والمصامح : المدافع الشديد ، والمنافح المدافع عن القوم «ص٢٦٠ شرح السيرة لأبى ذر»

. . . .

مابين الثلاثين إلى الأربعين ، والقُماحُ فيما ذكر أبو حنيفة الرِّيحُ المُنْتِنَةُ .

وقوله : سَلْبٌ أو مَنَادح ، يجوز أن يكون جَمْعَ : مَنْدُوحَة،وهى السَّعَةُ ، وقياسه:مَنَادِيح بالياء ، وحذفُها ضرورة ، ويجوز أن يكون من النَّدْح ، فيكون مُفَاعِلاً بضم الميم ، أى مُكَاثِراً ، ويكون بفتح الميم فيكون جمعَ مَنْدَحة مَفْعَلة من الكَثْرَة والسَّعَة ، وأما قولُهم : أنا فى مَنْدُوحَةٍ من هذا الأمر ، فهى مَفْعُولَةٌ من النَّدْح ، وَوَهِم أبو عُبَيْد ، فجعله من انْدَاحَ بَطْنُه إذا اتَّسَعَ ، والنون فى مَنْدُوحَةٍ أصلٌ ، وهى فى انداح زائدة ، لأن وزنه انْفَعَلَ ، والألف فى انداحَ أَصْلٌ وهى بدل من واو كأنه مَنْدُوحة الشج ، والميم فى مَنْدُوحة زائدة ، والدال عين الفعل ، وهو فى انْدَاحَ فاء الفعل ، ومن هاهُنا قال الخطابى : ياعَجَباً لابن قُتَيْبَةَ يترك مثل هذا من غَلَطِ أبى عُبيد ، ويعنُف فى الرد عليه ، فيما لابَالَ له من الغَلَطِ .

وقوله: خَضَارِمة : جمع خِضْرِمٍ ، وهو الكثير العطاء .

وقوله : يَرْسِمْنَ من الرَّسِيم فى السَّيْر، والصَّحَاصِحُ : جمع صَحْصَحٍ ، وهى الأرض المَلْساء .

وقوله : ليس من فَوْز السَّفَائِح ، السَّفائِح : جمع سَفِيحَةٍ ، وهى كالجُوَالَقِ[1] ونحوه .

---

(١) المفرد جوالق بضم الجيم وكسر اللام وفتحها ، أو بكسر الجيم واللام. وجمعها جوالق كصحائف ، وجواليق بفتح الجيم ، وجوالقات بضم الجيم ، =

. . . .

شعر حسان اللامي :

وقال فى القصيدة اللَّامِيَّة: ذى الخُرُصِ الذَّابِلِ، يريد : الرُّمْح ، والخُرُصُ سِنَانه وجمعه خُرْصَان . وفيه : شُلَّتْ يَدَا وَحْشِيٍّ مِنْ قَاتِلٍ .

ترك تنوين العلم للضرورة :

ترك التنوين للضرورة لما كان اسماً علماً ، والعَلَمُ قد يُتْرَكُ صَرْفُه كثيراً ، ومنع من ذلك البَصْرِيُّون، واحتج الكوفيون فى إجازته بأن الشاعِرَ قد يحذف الحرف والحرفين نحو قول عَلْقَمَةَ [بن عَبَدَةَ] :

كَأَنَّ إِبْرِيقَهم ظَبْيٌ على شَرَفٍ   مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ[1]

أى بسبائب ، وقول لبيدٍ :

كالحَمَالِيجِ [2] بأيْدِى التَّلَامِ

=والجوالق: وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما كالغرارة . وعند أبى ذر : أن السفائح : جمع سفيح ، وهو من قداح الميسر .

(١) لم يكن فى الروض غير قوله : بسبا الكتان . والسبيبة هى الشقة .

(٢) هى فى الأصل : الحلاميح ، ولا معنى لها ، والحماليج : جمع حملاج — بكسر الحاء — منفاخ الصائغ . وفى اللسان فى مادة تلم ورد هذا البيت منسوبا إلى الطرماح يصف بقرة :

تتقى الشمــس بمدرية   كالحماليج بأيدى التلامى

وقال : التلام : اسم أعجمى ، ويراد به الصاغة ، وقيل: غلمان الصاغة، يقال هو بالكسر يقرأ بإثبات الياء فى القافية — ورواه بعضهم بأيدى التلام — فمن رواه بفتح التاء وإثبات الياء أراد التلاميذ يعنى: تلاميذ الصاغة . ومن رواه بكسر التاء من تلام ، فهى جمع تلم: الغلام. وقيل كل غلام تلم تلميذاً كان أو غير تلميذ والجمع التلام وقيل: التلام بالكسر=

. . . .

أي التَّلامِيذ .

وقال ابن السراج محتجاً عليهم : ليس التنوينُ من هذا في شيء لأنه زائدٌ لمعنًى ، وما زيد لمعنى لا يحذف .

شعر كعب

وفي شعر كعب :

طرقت هُمُومُك فالرُّقَادُ مُسَهَّدُ

أراد الرُّقاد مُسَهِّدُ صاحبَه ، فحذف المضافَ ، وأقامَ المضاف إليه مُقَامَه ، وهو الضمير المخفوضُ ، فصار الضمير مفعولا لم يُسَمَّ فاعلُه ، فاسْتَتَر في المُسَهَّد[١] . ومنه :

وجَزِعْتَ أن سُلِخَ الشَّبابُ الأَغْيَد

أي : الأَغْيَدُ صاحبُه ، وهو الناعم .

وقوله : والخيل تَثْفِنُهُمْ ، أي : تتبع آثارهم ، وأصله من ثَفِنَاتِ البَعِير ، وهو ماحول الخُفِّ منه .

قصيدة كعب الزائية :

وقول كعب في الشعر الزَّائي :

= الخلاج الذي ينفخ فيه ، والتلام بالفتح التلاميذ التي تنفخ فيها . وأنشد .

كالتلاميذ بأيدي التلام

وانظر مادة حلج من اللسان . والتلاميذ : الخدم والأتباع .

(١) ذهب أبو ذر إلى ما ذهب إليه السهيلي ، ولكنه زاد : ويجوز أن يكون وصف الرقاد بأنه مسهد على وجه المجاز .

. . . .

وَأَيْتُ الْمَلَاحِمِ فِي الْبِزَّةِ

البِزَّةُ: الشارة الحسنة، والبِزَّةُ السلاح أيضاً، وهو من بَزَزتُ الرجلَ، إذا سلبته بِزَّتَه، يقال: من عَزَّ بَزَّ، أي: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ، والبُزَابِزُ: الرَّجُلُ الشَّدِيدُ.

نونية كعب:

وقال أيضاً في القصيدة النونية.

تَلُوذُ البُجُودُ، بأَذْرائِنا

البُجُود: جمع بَجْدٍ، وهم جماعة من الناس، ويُروى النُّجُود بالنون، وهي المرأة الْمَكْرُوبة. والنَّجُودُ من الإبل: القَوِيَّة[1] وقوله: بأَذْرائنا، جمع ذَرًا من قولهم: أنا في ذَرَا فُلانٍ، أي في سِتْرِه، وتقول العرب: ليس في الشجر أَذْرَى من السَّلَمِ، أي: أدفأ ذَرًا منه، لأنه يقال: ما مات أَحَدٌ صَرْداً[2] قطُّ في ذَرَا سَلَمَةٍ.

وقوله: جَلَمَاتِ الْحُروب. من قولك جَلَمْتُ الشيء، وجَرَشْتُه إذا قطعته، ومنه: الْجَلَمَانُ[3]. وقوله: لَدُنْ أن بُرِينا أي خُلِقْنَا، والبارى: الخالق[4] سبحانه، أي هذا حالنا من لَدُنْ خُلِقْنَا.

---

(١) وهي في السيرة: النجوم ويعني: المشهورين من الناس.

(٢) الصرد بسكون الراء وفتحها: البرد أو شدته.

(٣) هما المقراضان واحدهما: جلم. وقيل الجلم الذي يجز به الصوف والشعر، والجلمان شفرتاه.

(٤) يقول ابن الأثير عن البارىء: هو الذي خلق الخلق لا عن مثال، =

. . . .

وقوله : يحسبها من رآها الفَتِينا ، هى الصخور السُّودُ ، سُمِّيت بذلك لأنها تشبه مافُتِن بالنار ، أي : أُحْرِق . وفى التنزيل : ﴿ على النار يُفْتَنُون ﴾ الذاريات : ١٣ وأصل الفَتن[١] الاختبارُ ، وإنما قيل: فَتَنْتُ الحديدة بالنار ، لأنك تختبر طَيِّبَها من خَبيثها .

وقوله : دَوَاجِن حُمْراً وجُونا،أي : حُمْراً وسُوداً[٢]،وقوله:جَأْوَاء ،أى: كَتِيبَةً لَوْنُهَا لَوْنُ الحديد .

وقوله : جُولًا طَحُونا : الْجُولُ : جانِبُ البِئْر .

وقوله : إنْ قَلَّصَتْ، يعنى الحرب[٣] ، ثم وصفها فقال : عَضُوضاً حَجُونا من العَضِّ ، وحَجُوناً من حَجَنْتُ العُودَ إذا لويته[٤] ، وقوله :

= ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ماليس لها بغيره من المخلوقات ، وقلما تستعمل فى غير الحيوان ، فيقال : برأ الله النسمة ، وخلق السماوات والأرض . ويقول أبو هلال العسكرى فى فروقه عن البرية : « البرية فعيلة من برأ الله الخلق ، أى : من صورهم ، وترك همزه لكثرة الاستعمال ، وقيل أصل البرية البرى وهو القطع ، وسمى برية لأن الله عز وجل قطعهم من جملة الحيوان فأفردهم بصفات ليست لغيرهم، أما الخالق ، فهو كما يقول ابن الأثير ـ الذى أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة ، وأصل الخلق : التقدير ، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها ، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير : خالق . وقد ذكر القرآن الإسمين ، فلا يمكن أن يكون أحدهما عين الآخر فى معناه الكلى .

(١) فى الأصل : الفتى .

(٢) الدواجن : المقيمة .

(٣) وقلصت : ارتفعت وانقبضت .

(٤) الحجون : المعوجة الأسنان .

. . . .

أَلَسْنَا نَشُدُّ عليها العصا ... بَ حتى تَذُرَّ وحتى تَلِينا

هذا كله من صِفَةِ الحرب ، شبهها بناقةٍ صَعْبَةٍ قَلَّصَتْ ، أى صارت قَلُوصاً ، أى إنا نُذَلِّلُ صَعْبَها ، ونلين من ضِرَاسِها . وقوله : ويوم له رَهَجٌ دائم

الرهج : الغُبار .

وقوله : شديد التَّهاوُلِ : جمع تَهْوِيلٍ ، والتَّهاوِيلُ : ألوان مختلفة ، قال الشاعر [عبد المسيح بن عَسَلَةَ] يصف روضاً :

وعازب قد علا التَّهويلُ جَنْبَتَه ... لا تَنفَعُ النَّعْلُ فى رَقراقِه الحافى (١)

وقوله : حامى الأَرِينا : جمع إِرَةٍ ، وهو مُسْتَوْقَد النارِ ، يجوز أن يكون وَزْنُها عِلَةً من الأُوَارِ ، وهو الحر ، فحذفت الهمزة ، وهمزت الواو لانكسارها ، وجائز أن يكون وزنها فِعَةً من تَأَرَّيْتُ بالمكان ، لأنهم يتأرَّوْنَ حَوْلَها ، وهذا الوجه هو الصحيح ، لأنهم جَمَعُوها على إرين مثل سنين ، ولا يُجْمَعُ هذا الجمع المسلم جمع مَنْ يعقل إلا إذا حُذِفَتْ لامُه ، وكان مُؤَنَّثاً ، وكان لامُ الفعل حرفَ عِلَّة ، ولم يكن له مذكر كالأمة ، إذا اجتمعت فيه هذه الشروطُ الأربعةُ جُمِع بالواو والنون فى الرفع ، والياء والنون فى الخفض والنصب ، كسنين

---

(١) يصف به ما أخرجه الزرع من الألوان ، وفى المحكم يصف نباتة وقد نسبه اللسان فى مادة هول كما أثبت لعبد المسيح بن عسلة وهو أخو بنى مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان . وبيته هذا مع أربعة غيره فى المفضليات الضبى وانظر ص ٥٧ سمط اللآلى . للبكرى ج ١ وص ٢٥٤ الأمالى للقالى ج ٢ واللسان مادة هول ولنا . وص ٢٢٥ المؤتلف والمختلف لأبى القاسم الحسن ابن بشر بن يحيى الآمدى ط ١٩٦١ .

. . . .

وعِضين ، غير أنهم قد قالوا رِقين[1] فى جمع الرِّقَة وهى الوَرِقُ وقد تكلمنا على سِرِّ هذا الجمع وسِرِّ أرضين فى « نتائج الفكر » بما فيه جَلَاء والحمد لله .

وقوله : كنار أبى حُبَاحِبَ والضبينا[2] يقال أبو حُبَاحِب ذُبَابٌ يَلْمَعُ بالليل ، وقيل كان رجلا لئيما لا يرفع ناره[3] خَشْيَةَ الأضياف ، ولا يوقدها إلا ضَعِيفَةً ، وترك صَرْفَه ولم يَخْفِضْ ، وهو فى موضع الخفض ، لما قدّمناه من أن الاسم إذا تُرِكَ صَرْفُه ضرورةً أو غير ضرورة ، لم يدخله الخفضُ كما لا يدخله التَّنْوِينُ ، لئلا يُشْبِهَ ما يُضيفه المتكلمُ إلى نفسه ، وقال أبو حنيفة : لا أدرى ما حُبَاحِبٌ ولا أبو حُبَاحِبٌ ، ولا بلغنى عن العرب فيه شىء[4] ، وقال فى الإرة عن قوم حكى قولهم : هو من أرَيْتُ الشىء إذا عملته ، وقال : الأَرْىُ هو عمل النحل وفعلها ،

---

(١) فى الأصل : رقيق وهو خطأ صوابه ما أثبته . والرقة : الدرهم المضروب . ورقون فى حال الرفع ، ورقين فى حالى النصب والجر .

(٢) لا يوجد فى القصيدة ماذكره ، ولكنه بيت للكميت هو :

يرى الراءون بالشفرات منها　　　كنار أبى حباحب والظبينا

وإنما ترك الكميت صرفه ، لأنه جعله اسما لمؤنث .

(٣) كان من محارب خصفة ، وقد ضرب بناره المثل ، فقالوا : نار الحباحب لما تقدحه الخيل بحوافرها ، فان ماأورت الخيل لا ينتفع به كما لا ينتفع بنار الحباحب ، وقيل إنه كان إذا انتبه منتبه ، ليقبس من ناره أطفأها ، وقد اشتق ابن الأعرابى نار الحباحب من الحبحبة ، وهى الضعف . وأما : أم حباحب فدويبة مثل الجندب تطير صفراء خضراء رقطاء .

(٤) قال : ويزعم قوم أنه اليراع ، واليراع فراشة إذا طارت ظن أنها شررة . وقيل إن الحباحب هو طائر أطول من الذباب فى دقة يطير فيما بين المغرب والعشاء .

. . . .

ثم سمى العسل أرْياً لهذا كما يُسمّى مَزْجاً وأنشد [لأبى ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِى] :

وجاؤُا بِمَزْجٍ لم يَرَ الناسُ مِثْلَه هو الضَّحْكُ إلّا أنَّه عَمَلُ النَّحْلِ (١)

قال : والضَّحْك : الزُّبْدُ الأبيض ، وقيل الثَّغر ، وقيل الطَّلْعُ ، وقيل : العَجَب .

وقوله : والظَّبِينا : جمع ظُبَةٍ ، جَمَعَها على هذا الجمع المسلم ، لما قدّمناه فى الأَرِين والسِّنين ، غير أنه لم يكسر أوّل الكلمة كما كُسِرتْ السِّين من سِنين إشعاراً بالجمع ، لأن ظُبِين لا يُشْبِه أن يكون واحداً ، إذ ليس فى الأسماء فُعِيل ، وكَسَرُوا أول (٢) سِنين إيذاناً بأنه جَمْعٌ كى لا يُتَوَهَّمَ أنه اسم على فُعُول ، إذ ليس فى الأسماء فُعُولٌ ولا فِعِيل ولم يبلغ سيبويه أن ظُبَة تجمع على ظُبِين ، وقد جاء فى هذا الشعر ، وفى غيره كما تراه .

وقوله : قَوَاحِزُه : جمع قاحِزٍ وهو الوَثّابُ الْقَلِقُ ، يقال : قَحَز قَحَزاناً

---

(١) فى اللسان فى مادة ضحك : فجاء .

(٢) بعضهم ـ كما جاء فى اللسان ـ يقول: سنون بضم السين ، وبعضهم يجعل النون فى سنين هى علامة الإعراب فيقول . هذه سنين بضم النون مع تنوينها ، ورأيت سنيناً ، وبعضهم يجعل النون نون الجمع ، فيقول هذه سنون ، ورأيت سنين. وللنحويين بعض تفصيل فى هذه المسألة . فقالوا : الغالب فى باب سنه وأخواتها أن ما كان منه مفتوح الفاء فى المفرد فإنه يكسر فى الجمع مثل سنه وسنين ، وما كان مكسور الفاء فى المفرد لم يتغير فى الجمع ، مثل مائة ومئين وعضه وعضين وعزه وعزين وما كان مضموم الفاء يجوز فيه الكسر والضم ، مثل : ثبة وثبين. انظر ص ٧٤ ج ١ من التصريح على التوضيح لابن هشام .

. . . .

[وقَحْزاً وقُحوزاً](١) ، إذا وَثَب وقَلِق . وقوله : بخُرْسِ الخَيسِ ، يصف السُّيوفَ بالخَرَسِ لوقوعِها فى الدم واللحم .

وقوله : حِسانٍ رِوَاء :من الدَّمِ ، وقوله : بُصْرِيَّة : منسوبة إلى بُصْرَى من أرض الشام ، كما أن المَشْرَفيَّة مَنْسُوبة إلى مَشَارِفَ من أرضِ الشام ، لأنها تُصْنَع فيها .

وقوله : قد أَجِمْنَ الجُفُونا ، أى كَرِهْنَ المُقَامَ فيها ، ومَلَلْنَهُ ، ومنه قولُ هِشَامٍ لسَالِم بنِ عَبْدِ الله : ما طعامُك ؟ قال : الخُبْزُ بالزَّيْت ، قال : أما تأجِمُهُمَا ؟ قال : إذا أَجِمْتُهما تَرَكْتُهما حتى أشْتَهِيهما .

وقوله:وتحت العَمَاية والمُعْلِمينا،بإسقاط الواو من أول القِسْمِ الثانى(٢)وقع فى الأصل وفى الحاشية ، وتحت العَمَاية بواو العطف وقع فى الأصلين ، وبها يَكْمُل الوزنُ ولا يجوز إسقاطها إلا على مذهب الأخفشِ الذى يُجيز الخَرْمَ فى أول القِسْمِ الثانى من البيت ، كما يجيزه العَروضِيُّون فى أول البيت .

وقوله : تطيف بك المُنْدِيات : أى الأمور الشَّنِيعة .

وقوله : تَبَجَّسْتَ ،من تَبَجَّسَ الماء ، إذا انفجر .

---

(١) ما بين القوسين من القاموس .

(٢) أى بحذف الواو قبل : تحت .

. . . .

شعر ضرار

وقول ضِرَارٍ فى قصيدته الدَّالِيَّة يَكْبُو فى جَدِيَّته[1] ، أى : فى دمه .

وقوله : ثَعْلَبَ جَسَدُ ، يريد ثَعْلَبَ الرُّمْحِ ، وجَسِدَ من الجِسَادِ وهو الدم[2] .

وقوله : الأضغان والحِقِد ، حَرَّكَ القافَ بالكسر ضَرُورةً ، ولو وقف على الدال بالسكون ، وكان الاسم مخفوضاً كان الكسر أحسنَ فى الوقف ، كما قال : واصْطِفَاقاً بالرِّجِلْ ، أى : الرِّجْل[3] .

وقوله : العَوْصاء والكُؤُد ، يريد الرَّمْلَة العويصَ مَسْلَكُها ، والكُؤُد جمع عَقَبَةٍ كَؤُودٍ وهى الشاقة .

---

(١) عند الخشنى : طريقة الدم .

(٢) الثعلب ما دخل من الرمح فى السنان . وجسد يبس عليه الدم « الخشنى ص ٢٧٢ » .

(٣) انظر ص ٣٢١ حـ ٢ الشافية لابن الحاجب مع شرحها للرضى ، وقد أنشد اللسان :

أرتنى حجلا على ساقها   فهش الفؤاد لذاك الحجل
فقلت ، ولم أخف عن صاحبى   ألا بى أنا أصل تلك الرجل

ثم قال : أراد الرجل — بكسر الراء وسكون الجيم — والحجل — بضبط الرجل — فألقى حركة اللام — وهى الكسر — على الجيم . وليس هذا وضعا ، لأن فعلا — بكسر الفاء والعين — لم يأت إلا فى قولهم : إبل وإطل .

. . . .

رجز عكرمة :

وقول عِكْرِمَةَ : أرْحبْ هَلا ، هو من زَجْر الخيل ، وكذلك هِقِطْ وهِقِطْ وهَبْ وسقب[١] . وذكر قول نعيم :

شعر نعيم :

ياعيْنُ جودى بفيض غير إبْسَاسِ

الإبساس : أنْ تَسْتَدِرَّ لَبَنَ الناقة بأن تَمْسَح ضَرْعَها ، وتقول لها : بِسْ بِسْ فاستعارت هذا المعنى للدمْع الفائض بغير تَكَلُّفٍ ولا اسْتِدْرارٍ له .

وقولها : صَعْب البَدِيهَة ، أى : بَدِيهتُه[٢] لاتُعارَض ولاتُطاقُ ، فكيف رَوِيَّتُه واحْتِفالُه .

شعر كعب اللامي :

وفى شعر كعب :

بَكَتْ عَيْنى وحق لها بكاها ... وما يُغْنِى البُكاء ولا العَوِيلُ

وضع المقصور فى مَوْضِعِه ، والممدودَ فى موضعه ، لأن البُكا مَقْصُورٌ بمعنى

---

(١) سبق ذكرها . وهقط عن المبرد وحده . وقد كررها فى الروض مرتين ، وأظن أن الأخرى : هقب بكسر ففتح وهى من زجر الخيل أيضاً

(٢) البديهة : سداد الرأى عند المفاجأة ، والمعرفة يجدها الإنسان فى نفسه من غير إعمال للفكر ، ولاعلم بسببها ، وأول كل شىء ومايفجأ منه .

. . . .

الحزن والغم ، وإن كان ممدوداً فهو الصُّراخُ ، وكذلك قياس الأصوات أن تكون على فُعال ، فقوله : حُق لهـا بكاها ، أى حق لها حزنُها ، لأنه الذى يَحِقّ دون الصُّراخ . ثم : قال : وما يُغنى البكاء ولا العويلُ ، أى : ليس ينفع الصِّياحُ ولا الصُّراخُ ، ولا يُجْدِى على أحَدْ ، فتنزلت كُل كلمةٍ منزلتها .

وقوله : حُقّ لها ، أى : حَقّ ، والأصل : حَقِقَ على فُعِل ، فبكاها : فاعِلٌ لا مفعول ، وكل فِعْلٍ إذا أردت المبالغة فى الأمر ومعنى التَّعَجُّب نقلت الضَّمَّة من عين الفعل إلى فائه ، فتقول : حُسْن زَيْدٌ ، أى حَسُنَ جداً ، فإن لم تُرِدْ معنى التعجب لم يجز إلا الضَّمُّ أو التَّسْكِين ، تقول : كَبُر زَيْدٌ وكَبْر ، ولا تقول كُبْرَ إلا مع قَصْد التَّعَجُّب . قال الشاعر [الأخطلُ] :

فقلتُ : اقْتُلُوها عنكم بِمزاجِها   وحُبَّ بها مَقْتُولَةً حين تُقْتَل

يعنى الخمر . وقال آخر : [سهم بن حنظلة الغنوى] :

لم يَمنع القومُ مِنِّى ما أرَدْتُ ولم   أُعْطِيهم ما أرادُوا حُسْنَ ذا أدَبا(١)

أى حَسُن ، وقال آخر :

ألا حُبَّ بالبيت الذى أنت زائرُه

---

(١) سبق هذا وانظر ص ٤١ إصلاح المنطق لابن السكيت وتهذيبه للتبريزى ص ٥٤ ففيهما مانقل السهيلى وعنه وعن التبريزى نقلت اسم الأخطل ، ونقلت اسم سهم بين حنظلة وعن كتاب تهذيب إصلاح المنطق لأبى زكريا يحيى بن على ابن الخطيب التبريزى ص ٥٤ .

ذكر يوم الرجيع

فى سنة ثلاث مقتل خبيب وأصحابه

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المُطَّلبى ، قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهطٌ من عَضَل والقارة .

وقال : بالبيت ، لأن معناه كمعنى أخبِبْ بالبيت تعجُّباً . وقول كعب :

أبا يَعْلَى لك الأركانُ هُدَّتْ

كان حمزة يُكنَى أبا يَعْلَى بابنه يَعْلَى ، ولم يَعِش لحمزةَ ولدٌ غيره ، وأعقبَ يَعْلَى خمسة من البنين ، ثم انقرض عَقِبُهم فيما ذكر مُصْعَبٌ . ويُكنَى حمزةُ أيضاً أبا عُمارة ، وقد تقدم ذكره فى المبعث ، بهذه الكُنية ، قيل : إن عُمارَةَ بنت له كُنِّى بها ، وهى التى وقع ذكرها فى السُّنَن للدَّارَقطنى : أن مَوْلَى لحمْزَةَ مات ، وترك[1] بنتاً فوَرِثَتْ منه النصفَ ، وورثت بنتُ حَمْزَةَ النصفَ الآخر ، ولم يُسَمِّها فى السنن ، ولكن جاء اسمها فى كتاب أحكام القرآن لبكر بن العَلَاء والله أعلم ، وقد رُوِى أن الولاء كان لها ، وأنها كانت المُعتِقَةَ لاحَمْزَةَ .

---

(١) فى جمهرة ابن حزم « ولد حمزة عمارة أمه خولة بنت قيس بن فهد الأنصارى ويعلى وعامر أمهما أنصارية ، وابنة تزوجها سلمة بن أبى سلمة ابن عبد الأسد المخزومى ، وقد انقرض عقب حمزة رضى الله عنه » ص ١٥ .

نسب عضل والقارة

قال ابن هشام : عَضَل والقارة ، من الهَوْن بن خُزَيمة بن مُدْرِكة .

قال ابن هشام : ويقال : الهُون ، بضم الهاء .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يارسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعثْ معنا نفراً من أصحابك يُفقِّهوننا في الدين ، ويُقرِئوننا القرآن ، ويعلِّموننا شرائع الإسلام . فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفراً ستة من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد الغَنوىّ ، حليفُ حمزة بن عبد المطَّلب ؛ وخالدُ بن البُكير اللَّيثى ، حليف بنى عَدِىّ بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، أخو بنى عمرو ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ؛ وخُبَيب بن عدىّ ، أخو بنى جَحْجَبى بن كُلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَّة بن مُعاوية ، أخو بنى بَياضة بن عمرو بن زُرَيق بن عبد حارثة بن غضب بن جُشَم بن الخزْرج ؛ وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر بن الخزْرج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس .

وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مَرْثَد بن أبي مرثد الغَنوىّ فخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرَّجيع ، ماء لهُذيل بناحية الحِجاز ، على صدور الهَدْأة غدرُوا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذيلا ، فلم يَرُع القوم ، وهم فى رِحالهم ، إلا الرِّجالُ بأيديهم السيوف ، قد غَشُوهم ؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فقالوا لهم : إنّا والله ما نُريد قتلَكم ، ولكنَّا نُريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهدُ الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

مقتل مرثد وابن البكير وعاصم

فأما مَرْثَد بن أبي مرثد، وخالد بن البُكير، وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نَقْبل من مُشرك عهداً ولا عقداً أبداً؛ فقال عاصم بن ثابت:

ما عِلَّتِي وأنا جَلْدٌ نابِلُ والقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُنابِلُ

تَزِلُّ عن صَفْحتها المَعابِلُ الموتُ حَقٌّ والحياةُ باطِل

وكلُّ ما حَمَّ الإلهُ نازِلُ بالمَرْء والمرءُ إليه آئِل

إن لم أقاتلكم فأُمِّي هابِل

قال ابن هشام: هابل: ثاكل.

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

أبو سُلَيمان وريشُ المُقْعَد وضالَةٌ مثل الجحيمِ المُوقَدِ

إذا النَّواجي افتُرِشْتِ لم أُرْعد ومُجْنأ من جلدِ ثَوْرٍ أجْرَدِ

ومُؤْمِنٌ بما على محمَّد

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

أبو سُلَيمان ومِثْلي رامَى وكان قومى معشراً كراماً

وكان عاصم بن ثابت يُكنى: أبا سليمان. ثم قاتل القومَ حتى قُتل وقُتل صاحباه.

حماية الدبر لعاصم

فلما قُتِل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه، ليبيعوه من سُلافة بنت سعد

ابن شُهَيد ، وكانت قد نَذَرت حين أصاب ابنيها يوم أحد : لئن قدَرت على رأس عاصم لتشربَنّ فى قِحْفه الخمر ، فمنعته الدَّبْرُ ، فلما حالت بيْنه وبينهم الدَّبْرُ قالوا : دعُوه يُمْسِي فتذهب عنه ، فنأخذه . فبعث الله الوادىَ ، فاحتمل عاصمًا ، فذهب به . وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً أن لا يَمَسّه مشركٌ ، ولا يَمَسُّ مُشْركا أبداً ، تنجُّساً ؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه أن الدَّبْر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نَذَر أن لا يمسّه مشرك ، ولا يمسّ مُشركا أبداً فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه فى حياته .

مصرع خبيب وابن طارق وابن الدثنة

وأما زيد بن الدَّثِنَة وخُبَيب بن عدىّ ، وعبد الله بن طارق ، فلانُوا ورقُّوا ورغبوا فى الحياة ، فأعْطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خَرجوا إلى مكّة ، ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظَّهران انتزع عبدُ الله بن طارق يده من القِران ، ثم أخذ سيفه ، واستأْخر عنه القومُ ، فرَموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبْره ، رحمه الله ، بالظَّهران ؛ وأما خُبيب بن عَدىّ وزيد بن الدَّثِنَة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعوهما من قُريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خُبيباً حُجيرُ بن أبى إهَابٍ التميمىّ ، حليف بنى نوفل ، لِعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث ابن عامر لأمه لقتله بأبيه .

. . . .

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبى إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ، ويقال : أحد بنى عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بنى تميم .

مثل من وفاء ابن الدثنة للرسول

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدَّثِنَةِ فابتاعه صفوان بن أُميّة ليقتله بأبيه ، أُميّة بن خَلَفٍ ، وبعث به صَفْوانُ بن أُميَّة مع مَوْلى له ، يقال له : نِسطَاس ، إلى التَّنْعيم ، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه . واجتمعَ رهطٌ من قُريش ، فيهم أبو سفيان بن حَرْب ؛ فقال له أبو سفيان حين قَدِم ليُقتل : أَنْشُدُكَ اللهَ يازيد ، أتحبّ أن محمداً عندنا الآن فى مكانك نَضرِب عنقه ، وأنك فى أهلك ؟ قال : والله ما أحبّ أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تُصيبه شَوْكَة تُؤذيه ، وأنّى جالس فى أهلى . قال : يقول أبو سفيان : مارأيت من الناس أحداً يُحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمدٍ محمداً ؛ ثم قتله نِسطاس ، يرحمه الله .

مقتل خبيب وحديث دعوته

وأما خُبَيْبُ بن عدىّ ، فحدثنى عبدُ الله بنُ أبى نَجيح ، أنه حُدِّث عن ماوِيَّة ، مــــولاةِ حُجَيْر بن أبى إهَاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خُبيب عِنْدى ، حُبس فى بيتى ، فلقد اطّلعت عليه يوماً ، وإن فى يده لَقِطْفاً من عِنب ، مِثل رأس الرّجُل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنبا يُؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة وعبد الله بن أبي نَجيح جميعاً أنها قالت : قال لي حين حضره القتلُ : ابعثي إليَّ بحَديدة أتطهّر بها للقتل ، قالت : فأعطيتُ غلاماً من الحيّ المُوسى ، فقلت : ادخُل بها على هذا الرجلِ البيتَ ؛ قالت: فوالله ماهو إلا أن ولّى الغلامُ بها إليه ، فقلت: ماذا صنعتُ! أصاب والله الرجلُ ثأرَه بقتلِ هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعَمْرك ، ما خافت أُمُّك غَدْرى حين بَعثتك بهذه الحديدة إليَّ ! ثم خلَّى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنُها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخُبَيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التَّنْعيم ليَصْلُبوه ، قال لهم : إن رأيتُم أن تَدَعوني حتى أرْكَع ركْعتين فافعلوا ؛ قالوا : دُونَكَ فارْكَع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أمَا والله لولا أن تَظُنّوا أنّي إنما طَوّلْتُ جَزَعاً من القتل لاستكثرتُ من الصلاة . قال : فكان خُبَيْبُ بنُ عديّ أوّل من سَنَّ هاتين الرَّكْعَتَيْن عند القَتْل للمُسلمين . قال : ثم رَفعوه على خَشَبَةٍ ، فلما أوثقوه ، قال : اللهمّ إنّا قد بَلَّغنا رسالةَ رسولك ، فبلِّغْه الغَدَاةَ ما يُصْنَع بنا ؛ ثم قال : اللهمّ أحْصِهم عدداً ، واقتُلهم بِدَداً ولا تُغادر منهم أحداً . ثم قتلوهَ رحمه الله .

فكان معاويةُ بن أبي سُفيان يقول : حضرتُه يومئذ فيمن حضَره مع أبي سفيان ، فلقد رأيتُه يُلقيني إلى الأرض فَرقاً من دعوة خُبَيْبٍ ، وكانوا

. . . .

يقولون إن الرجل إذا دُعى عليه ، فاضْطَجَعَ لجَنْبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عَباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عُقبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيباً ، لأنى كنت أصغرَ من ذلك ، ولكنّ أبا مَيْسرة ، أخا بنى عبد الدار ، أخذ الحربة فجعلها فى يدى ، ثم أخذ بيدى وبالحربة ، ثم طَعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمَل سَعيد بن عامر بن حِذْيَم الُجمحىّ على بعض الشام ، فكانت تُصيبه غَشْية ، وهو بينَ ظَهْرَى القوم ، فذُكر ذلك لعمر بن الخطَّاب ، وقيل : إنّ الرجل مُصاب ؛ فسأله عمَر فى قَدْمةٍ قَدِمها عليه ، فقال : ياسَعيد ، ماهذا الذى يُصيبك ؟ فقال : والله يا أميرَ المؤمنين مابى من بَأْس ، ولكنى كنتُ فيمن حضر خُبيب بن عدىّ حين قُتل ، وسمعتُ دعوتَه ، فوالله ما خطرتْ على قلبى وأنا فى مَجلس قطُّ إلا غُشى علىّ ، فزادَتْهُ عند عمر خيراً .

قال ابنُ هشام : أقام خُبيب فى أيديهم حتى انقضتْ الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .

ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن

قال : قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السَّرِيَّة ، كما

حدثنى مولًى لآل زيد بن ثابت ، عن عِكْرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عبّاس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السَّرِيَّة التى كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرَّجيع ، قال رجال من المُنافقين : ياويحَ هؤلاء المَفْتونين الذين هَلَكوا (هكذا) ، لاهم قَعدوا فى أهْليهم ، ولا هم أدَّوْا رسالةَ صاحبهم ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المُنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذى أصابهم ، فقال سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ : أى لما يُظهر من الإسلام بلسانه ، ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ ، وهو مخالف لما يقول بلسانه ، ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ : أى ذو جِدال إذا كلمك وراجعك .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الألدّ : الذى يَشْغب ، فتشتدّ خصومته ؛ وجمعه : لُدّ . وفى كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ . وقال المُهلهل بن ربيعة التَّغلَبىّ ، واسمه امرؤ القيس ؛ ويقال : عدىّ بن ربيعة :

إنّ تحتَ الأحجار حَدّاً ولِينا   وخَصيما ألدَّ ذا مِغْـلاقِ

ويروى ذا مِعْلاق ، فيما قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الألَنْدَدُ . قال الطِّرِمّاح بن حَكيم الطائىّ يَصِف الحِرْباء :

يُوفِى على جِذْم الجُذُول كأنه   خَصْم أبَرَّ على الخُصوم ألَنْدَدُ

———

. . . .

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى ﴾ : أى خرج من عندك ﴿ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ، وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ أى لا يحب عمله ولا يرضاه . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ : أى قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله ، والقيام بحقّه ، حتى هلكوا على ذلك ، يعنى تلك السرِيَّة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يَشْرِى نفسه : يبيع نفسه ؛ وشَرَوْا : باعوا . قال يزيد ابن رَبيعة بن مُفرِّغ الحِمْيرىّ :

وشَرَيتُ بُرْداً لَيتَنِى ... من بعد بُرْد كنتُ هامَه

برد : غلام له باعه : وهذا البيت فى قصيدة له . وشَرَى أيضاً : اشترى .

قال الشاعر :

فقُلتُ لها لا تَجْزَعى أمَّ مالكٍ ... على ابنَيْك إنْ عَبْدٌ لئيم شَرَاهما

شعر خبيب حين أريد صلبه

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل فى ذلك من الشعر ، قول خُبيب بن عدىّ ، حين بلغه أن القومَ قد اجتمعوا لصَلْبه .

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له .

لقد جَمَّع الأحزابُ حَوْلى وألَّبُوا ... قبائلَهم واستجْمَعوا كلَّ مَجْمعِ

وكلُّهم مُبْدى العداوة جاهدٌ ... علىَّ لأنى فى وِثاقٍ بمَضْيعِ

وقد جَمَّعوا أبناءهم ونساءهم ... وقُرِّبتُ من جذْعٍ طَويل مُمنَّعِ

إلى الله أشكو غُرْبتى ثم كُرْبتى ... وما أرْصَد الأحزابُ لى عند مَصرعى

فذا العرش، صبِّرنى على ما يُرادُ بى ... فقد بَضَّعوا لحمى وقد ياسَ مَطمَعى

وذلكَ فى ذاتِ الإله وإنْ يشأْ ... يُبارِكْ على أوْصال شلْوٍ مُمزَّعِ

وقد خيَّرونى الكُفْرَ والموتُ دونه ... وقد هَمَلتْ عيناىَ من غير مَجزعِ

ومابى حِذَارُ الموْت، إنى لميِّتٌ ... ولكنْ حِذَارى جَحْم نار مُلَفَّعِ

فوالله ما أرجُو إذا مِتّ مُسْلماً ... على أىّ جَنْب كان فى الله مَصرعى

فَلَسْتُ بِمُبْدٍ للعَدُوّ تَخَشُّعاً ... وَلا جزَعاً إنى إلى اللهِ مَرْجِعِى

شعر حسان فى بكاء خبيب

وقال حسَّان بن ثابت يبكى خُبيباً :

ما بالُ عَيْنِكِ لاتَرْقا مَدامعُها ... سحًّا على الصَّدْر مثل اللؤلؤ القَلِق

على خبيبٍ فتى الفِتْيان قد عَلِموا ... لا فَشِلٍ حينَ تَلْقاه وَلا نَزِق

فاذهب خُبَيبُ جزَاكَ الله طَيِّبة ... وجَنَّةَ الخُلْد عِندَ الحورِ فى الرُّفُق

ماذا تقُولونَ إنْ قالَ النَّبِىّ لكم ... حينَ الملائكةُ الأبْرار فى الأُفُق

. . . .

فيم قتلتم شهيدَ الله فى رَجلٍ   طاغٍ قد اوعثَ فى البُلدان والرُّفَق

قال ابن هشام : ويروى : «الطرق» وتركنا ما بقى منها ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضاً يبكى خُبيباً :

ياعين جُودى بدَمْعٍ منك منسكب   وابكى خُبَيباً مع الفِتْيان لم يَؤُبِ
صَقْراً توسَّط فى الأنصار مَنْصِبُه   سَمْحَ السجيّة مَحْضاً غير مُؤْتَشِبِ
قد هاجَ عَيْنى على عِلاّتِ عَبْرتها   إذ قيل نُصَّ إلى جِذْعٍ من الخشب
ياأيها الرّاكِب الغادِى لِطِيَّتِه   أبلغ لديك وَعيداً ليس بالكَذِب
بنى كُهَيْبَةَ أنّ الحرْب قد لَقِحَتْ   مَحْلُوبُها الصَّابُ إذ تُمْرَى لمُحْتَلَب
فيها أُسُودُ بَنى النَّجّار تَقْدُمُهم   شُهْبُ الأسنّة فى مُعْصَوْصَبٍ لَجِبِ

قال ابن هشام : وهذه القصيدةُ مثل التى قَبْلها ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكرها لحسّان ، وقد تركنا أشياء قالها حسّان فى أمر خُبيب لِما ذَكرتُ .

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضاً :

لو كانَ فى الدّار قَرم ماجدٌ بَطل   ألْوى من القوم صَقْر خاله أَنَسُ
إذن وجدتَ خُبيباً مجلساً فَسِحاً   ولم يُشَدّ عليك السِّجنُ والحَرَسُ
ولم تَسُقْك إلى التَّنْعيم زِعْنِفَة   من القبائل منهم من نَفت عُدُسُ
دلّوكَ غَدْراً وهم فيها أولو خُلُفٍ   وأنت ضَيْم لها فى الدّار مُحْتَبَس

قال ابن هشام : : أَنَسٌ : الأصمّ السُّلمىّ : خال مُطْعِم بن عدىّ بن نوفل

ابن عبد مناف . وقوله : « من نفث عُدُسٍ » يعنى حُجَيْر بن أبى إهاب ، ويقال الأعشى بن زُرارة بن النَّبّاش الأسدىّ ، وكان حليفاً لبنى نَوْفل بن عبد مناف .

من اجتمعوا لقتل خبيب

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا على خُبَيب فى قَتْله حين قُتل من قُرَيش : عِكْرمة بن أبى جهل ، وسَعيد بن عبد الله بن أبى قَيس بن عبد وُدّ ، والأخنَس بن شَرِيقٍ الثَّقفى ، حليف بنى زُهْرَة ، وعُبَيْدة بن حَكيم بن أُميَّة بن حارثة بن الأوْقَص السَّلمِىّ ، حليف بنى أُميَّة بن عبد شمس ، وأُميَّة بن أبى عُتبة ، وبنو الحضرمى .

شعر حسان فى هجاء هذيل لقتلهم خبيباً

وقال حسَّان أيضاً يهجو هُذَيلا فيما صَنَعوا بخُبيب بن عَدِىّ :

أَبلِغْ بنى عَمْرٍو بأنّ أخاهُمُ ... شَرَاهُ امْرُؤٌ قد كانَ للغَدْرِ لازِما

شَرَاهُ زُهَير بن الأغَرّ وجامِع ... وكانا جَميعاً يَرْكَبانِ المَحارِما

أجَرْتُم فلمَّا أن أجرْتُم غَدَرْتُمُ ... وكُنْتُمْ بأكْنافِ الرَّجيع لَهاذِما

فليتَ خُبَيباً لم تَخُنْهُ أمانَةٌ ... وليتَ خُبَيْباً كانَ بالقَوْمِ عالِما

قال ابن هشام : زهير بن الأغرّ وجامع : الهُذَليَّان اللذان باعا خُبَيباً .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

إنْ سَرَّكَ الغدْرُ صِرْفاً لا مِزاجَ له ... فأتِ الرَّجيعَ فَسَلْ عن دارِ لِحْيان

قومٌ تواصَوْا بأكْلِ الجارِ بَيْنَهُمْ ... فالكَلْبُ والقِرْدُ والإنسانُ مِثْلانِ

لو يَنْطِقُ التَّيْسُ يوماً قام يَخْطُبهم ... وكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شانِ

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاريّ قوله:

لو ينطق التَّيس يوماً قام يخطبهم ... وكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شانِ

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً يهجو هُذيلا:

سالتْ هُذَيْلٌ رسولَ الله فاحشةً ... ضلَّت هُذيل بما سالت ولم تُصِبِ

سالوا رسولَهُمْ ما ليس مُعْطِيَهمْ ... حتى المَمات، وكانوا سُبَّةَ العَرَبِ

ولَن تَرى لِهُذَيْل داعِياً أبَداً ... يَدْعو لمَكْرُمة عن منزل الحَرَبِ

لقد أرَادوا خِلال الفُحْش وَيْحَهُمُ ... وأن يُحِلُّوا حراماً كان في الكُتُبِ

وقال حسَّان بن ثابت أيضاً يهجو هُذَيلا:

لعمْرِي لقد شانت هُذَيلَ بنَ مُدْرِكٍ ... أحاديثُ كانت في خُبَيْبٍ وعاصِمِ

أحاديثُ لِحْيانٍ صَلَوْا بقَبِيحها ... ولِحْيانُ جَرّامون شرَّ الجرائمِ

أُناسٌ هُم من قومِهم في صَمِيمهم ... بمَنْزِلة الزَّمْعان دُبْرَ القَوادِمِ

هُمُ غَدرُوا يوم الرَّجِيع وأسْلَمت ... أمانَتُهم ذا عِفَّة ومَكارِمِ

رسولَ رسولِ الله غدراً ولم تكُن ... هُذَيلٌ تَوَقَّى مُنكراتِ المَحارِمِ

فسوف يَرَوْن النَّصرَ يوماً عليهمُ ... بقَتْلِ الذي تَحْمِيه دون الحَرائمِ

أبابيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دون لَحْمه ... حَمَت لَحْمَ شَهّادٍ عظامَ المَلاحِمِ

. . . .

لَعَلَّ هُذَيْلاً أنْ يَرَوْا بمُصَابِه ... مَصَارِعَ قَتْلى أو مَقاماً لِمأتَمِ
ونُوقِعَ فيهم وقعةً ذاتَ صَوْلَةٍ ... يُوافِي بها الرُّكْبانُ أهلَ المَواسِمِ
بأمرِ رسولِ الله إنَّ رَسولَه ... رأى رأيَ ذى حَزْمٍ بلِحْيانَ عالِمِ
قُبَيِّلَةٌ لَيْسَ الوَفاءُ يُهِمُّهم ... وإنْ ظُلِموا لم يَدْفَعوا كَفَّ ظالِمِ
إذا النّاسُ حلّوا بالفَضاءِ رأيتَهم ... بمَجْرى مَسِيلِ الماءِ بين المَخارِمِ
مَحَلُّهم دارُ البَوارِ ورأيُهم ... إذا نابَهُم أمْرٌ كرأيِ البَهائِمِ

وقال حسّان بن ثابت يهجو هُذَيلا :

لَحَى اللهُ لِحياناً فَلَيْسَتْ دِماؤُهم ... لَنا مِن قَتيلَيْ غَدْرَةٍ بوَفاءِ
هُمو قتلوا يومَ الرَّجيعِ ابنَ حُرَّةٍ ... أخا ثِقَةٍ في وُدِّه وصَفاءِ
فلو قُتِلوا يومَ الرَّجيعِ بأسْرِهم ... بذِي الدَّبْرِ ما كانوا له بكِفاءِ
قَتيلٌ حَمَتْهُ الدَّبْرُ بين بُيوتِهم ... لدَى أهلِ كُفْرٍ ظاهرٍ وجَفاءِ
فقد قتلتْ لِحيانُ أكرَمَ مِنهُمُ ... وباعُوا خُبَيْباً وَيْلَهم بلِفاءِ
فأُفٍّ لِلِحْيانٍ على كلِّ حالةٍ ... على ذِكْرِهم في الذِّكْرِ كلَّ عفاءِ
قُبَيِّلَةٌ باللُّؤْمِ والغَدْرِ تَعْتَرِي ... فلم تُمْسِ يَخْفَى لُؤْمُها بخَفاءِ
فلو قُتِلوا لم تُوفِ منه دِماؤُهم ... بَلَى إنّ قَتْلَ القاتِلِيه شِفائي
فإلّا أمُتْ أذْعَرْ هُذَيْلاً بغارَةٍ ... كغادِي الجَهامِ المُغْتَدِي بإفاءِ
بأمرِ رسُولِ الله والأمْرُ أمْرُه ... يَبِيتُ لِلِحْيانَ الخَنا بفِناءِ
يُصَبِّحُ قَوْماً بالرَّجيعِ كأنّهم ... جِداءُ شِتاءٍ بِتْنَ غيرَ دِفاءِ

وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هُذَيلا :

فلا واللهِ ، ما تَدرِي هُذَيْلٌ أصافٍ ماءُ زَمزمَ أم مَشُوبُ
ولا لهُمُ إذا اعْتَمَرُوا وَحَجُّوا مِنَ الحِجْرين والمَسْعَى نَصيب
ولكِنَّ الرَّجِيعَ لهُمْ مَحَلٌّ به اللُّؤمُ المُبيَّن والعُيوب
كأنهُم لَدَى الكَنَّات أصْلاً تُيُوس بالحِجَاز لها نَبِيبُ
هُم غَرُّوا بِذمَّتِهم خُبَيْباً فبئسَ العَهْدُ عهدُهم الكَذُوب

قال ابن هشام : آخرها بيتاً عن أبي زيد الأنصاري .

شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يبكي خُبيباً وأصحابه :

صلى الإلهُ على الَّذين تتابعُوا يوْمَ الرَّجِيع فأُكْرِموا وأُثِيبُوا
رأس السَّرِيَّة مَرْثَد وأميرهم وابن البُكَير إمامهم وخُبَيب
وابنُ لطارقٍ وابن دَثْنَةَ منهمُ وافاه ثَمَّ حِمامُه المكتوب
والعاصم المَقتول عند رَجِيعهم كَسَب المَعالى إنه لَكَسُوب
مَنَعَ المُقَادَةَ أن يَنالُوا ظَهْرَه حتى يُجالِد إنَّه لنَجِيب

قال ابن هشام : ويروى : حتى يجدّل إنه لنجيب .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسَّان .

. . . .

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقيَّةَ شوّال وذا القَعْدة وذا الحِجّة ـ ووَلى تلك الحِجّةَ المشركون ـ والمحرم، ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَ بئر معونة فى صفر ، على رأس أربعة أشهر من أُحُد.

حديث بئر معونة

سبب إرسال بعث بئر معونة

وكان من حديثهم ، كما حدثنى أبى إسحاقُ بن يسار عن المُغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وغيرُه من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو بَراء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعبُ الأَسِنَّةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، فعرض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يُسلم ولم يَبْعُد من الإسلام ، وقال : يامحمد لو بعثتَ رجالا من أصحابك إلى أهل نجد ، فَدَعَوْهم إلى أمرك ، رجوتُ أن يَسْتجيبوا لك ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنى أخشى عليهم أهل نجد ؛ قال أبو بَراء : أنا لهم جار، فابعثهم فليدْعُوا الناس إلى أمرك .

رجال البعث

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُنذر بن عَمرو ، أخا بنى ساعدة ، المُعْنِق لِيَمُوت فى أربعين رجلا من أصحابه ، من خِيار المسلمين : منهم : الحارثُ بن الصِّمَّة ، وحَرام بن مِلْحان أخو بنى عَدِىّ بن النّجّار ، وعُرْوة ابن أسماء بن الصَّلْتِ السُّلَمى ، ونافع بن بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعىّ ، وعامر

ابن فُهَيْرة مولى أبى بكر الصدّيق، فى رجال مُسَمَّين من خيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا ببئر مَعُونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحَرَّة بنى سُلَيْم ، كلا البلدين منها قريب ، وهى إلى حَرَّةِ بنى سُلَيْم أقرب .

عامر يقتل صحابياً

فلما نزلُوها بعثوا حَرام بن مِلْحان بكتابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى عَدُوِّ الله عامرِ بن الطُّفَيْل ؛ فلما أتاه لم ينظُر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر، فأبوا أن يُجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخفِر أبا بَراء ، وقد عقد لهم عقداً وجِواراً ؛ فاستصرخ عليهم قبائلَ من بنى سُلَيم من عُصَيَّة ورِعْلٍ وذَكْوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشُوا القومَ ، فأحاطوا بهم فى رِحالهم، فلما رأوهم أخذوا سُيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قُتِلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعبَ بن زيد ، أخا بنى دينار ابن النجّار ، فإنهم تركوه وبه رَمَق ، فارتُثَّ من بين القَتْلى ، فعاش حتى قُتل يوم الخَنْدق شهيداً ، رحمه الله .

ابن أمية والمنذر وموقفهما من القوم بعد علمهما بمقتل أصحابهم

وكان فى سَرْح القوم عَمْرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِى ، ورجل من الأنصار ، أحد بنى عمرو بن عوف .

قال ابن هشام : هو المُنذر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيْحَة بن الجُلَاح .

قال ابن إسحاق : فلم يُنبئْهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحومُ على

المَسْكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دِمائهم ، وإذا الخيلُ التى أصابتهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن أُمَيَّة : ماترى ؟ قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنُخبره الخبَرَ ، فقال الأنصارى : لكنى ما كنتُ لأرغب بنفسى عن مَوْطن قُتل فيه المُنذر ابن عمرو ، وما كنتُ لتُخبرنى عنه الرجال ؛ ثم قاتل القومَ حتى قُتل ، وأخذوا عمرو بنَ أُميَّة أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مُضر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزّ ناصيَته ، وأعتَقه عن رَقَبة زعم أنها كانت على أمه .

قتل العامريين

فخرج عمرو بن أُميَّة ، حتى إذا كان بالقَرْقرة من صَدْر قَناة ، أقبل رجلان من بنى عامر .

قال ابن هشام : ثم من بنى كلاب ، وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بَنى سُلَيم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه فى ظلّ هو فيه . وكان مع العامريين عَقْدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجِوار ، لم يَعلم به عمرو بن أُميَّة ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤْرةً من بنى عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلتَ قَتيلين ، لأَدِيَنَّهما !

. . . .

كراهية الرسول عمل أبي براء

ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي بَراء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوِّفاً . فبلغ ذلك أبا براء ، فشقّ عليه إخفارُ عامر إيَّاه ، وما أصاب أصحابَ رسول الله — صلى الله عليه وسلم بسببه وجِواره ؛ وكان فيمن أُصيب عامر بن فُهيرة .

ابن فهيرة والسماء

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عُروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطُّفيل كان يقول : مَنْ رَجُـلٌ مِنهم لماَّ قُتِـل رأيته رُفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فُهيرة .

سبب إسلام ابن سلمى

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض بني جَبَّار بن سَلْمى بن مالك بن جعفر ، قال — وكان جَبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسْلم — (قال) فـكان يقول : إن مما دعاني إلى الاسلام أني طعنتُ رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفَيه ، فنظرتُ إلى سِنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فُزْتُ والله ! فقلت في نفسي : ما فاز ! ألستُ قد قتلتُ الرجل ! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ؛ فقلت : فاز لعَمْرو الله .

شعر حسان فى تحريض بنى أبى براء على عامر

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت يحرّض بنى أبى بَراء على عامر ابن الطفيل :

بَنى أمّ البَنين ألم يَرُعْكم ... وأنتم مِن ذَوائب أهْل نَجْدِ
تَهَكُّمُ عامرٍ بأبى بَراءٍ ... لِيُخْفِرَهُ وَما خَطأٌ كَعَمْدِ
ألا أبْلِغْ رَبيعةَ ذا المَساعى ... فمَا أحدثتَ فى الحدَثان بعدِى
أبُوكَ أبو الحُرُوب أبو براء ... وخالُك ماجدٌ حَكَمَ بنُ سَعْد

نسب حكم وأم البنين

قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القَيْن بن جَسْر ؛ وأمّ البنين : بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة وهى أمّ أبى بَراء .

طعن ربيعة لعامر

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعةُ (بن عامر) بن مالك على عامر بن الطفيل، فطَعنه بالرمح ، فوقع فى فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبى بَراء ، إن أمُت فَدمى لعمّى، فلا يُتْبَعَنَّ به ، وإن أعش فسأرى رأيى فيما أُتِىَ إلىّ .

مقتل ابن ورقاء ورثاء ابن رواحة له

وقال أنس بن عبّاس السُّلَمىّ ، وكان خال طُعيمة بن عدىّ بن نوفل ،

وقتل يومئذ نافعَ بن بُدَيل بن وَرْقاء الخزاعىّ :

تركتُ ابنَ وَرقاء الخزاعىّ ثاويًا ... بمُعْتَرَك تَسفِى عليه الأعاصِرُ
ذكرتُ أبا الرَّيَّانِ لما رأيته ... وأيقنت أنى عند ذلك ثائر

وأبو الريَّان : طُعيمة بن عدىّ .

وقال عبدُ الله بن رَواحة يبكى نافع بن بُديل بن وَرْقاء :

رَحِم الله نافعَ بن بُديلٍ ... رحمةَ المُبتغى ثواب الجهادِ
صابر صادق وفىّ إذا ما ... أكثَرَ القومُ قال قولَ السَّدادِ

شعر حسان فى بكاء قتلى بئر معونة

وقال حسَّان بن ثابت يبكى قَتلى بئر معونة ، ويَخُصُّ المُنذر بن عمرو :

على قَتْلَى مَعونةَ فاستهِلِّى ... بدَمْعِ العَيْن سَحًّا غير نَزْرِ
على خَيْل الرسولِ غداةَ لاقَوا ... مَناياهُم ولاقَتْهم بقَدْرِ
أصابهمُ الفَناء بعَقْدِ قوْم ... تُخُوِّن عَقْدُ حَبْلهم بغَدْرِ
فَيا لَهْفى لمُنذِر إذْ توَلَّى ... وأعنَق فى منيَّته بصَبْرِ
وكائنْ قد أُصيب غداةَ ذاكُم ... منَ ابْيض ماجدٍ من سرّ عمرو

قال ابن هشام : أنشدنى آخرها بيتًا أبو زيد الأنصارى .

شعر كعب فى يوم بئر معونة

وأنشدنى لكعب بن مالك فى يوم بئر مَعونة، يُعيِّر بنى جعفر بن كلاب :

تركتم جاركم لبنى سُلَيم مخافة حَرْبِهم عجزاً وهُونا

فلو حَبْلاً تناولَ من عُقَيل لمدّ بحَبْلها حبـــلا مَتِينا

أو القُرَطاء ما إن أسْلَموه وقِدْما ماوَفَوا إذ لاتَفُونا

نسب القرطاء

قال ابن هشام: القُرطاء: قبيلة من هَوازن، ويُروى «من نَفيل» مكان «من عقيل»، وهو الصحيح؛ لأن القُرَطاء من نُفَيل قريب.

مقتل خبيب وأصحابه

وذكر غَدْرَ عَضَلٍ والقَارَةَ، وهما بَطْنان من بنى الْهُون، والْهُون هم بنو الرِّيش وَيثيعُ ابـنَىْ الْهُونِ بن خُزَيْمَةَ[1]، وقد تقدم التعريف بمعنى

---

(١) ورد عنهم فى نسب قريش للمصعب الزبيرى أن خزيمة بن مدركة ولد الهون وأن أمه برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ثم قال بالنص «فأما الهون بن خزيمة فهم عضل وديش والقارة بنو بيشغ بن الهون، وهم بطنان من خزاعة يقال لهما: الحيا والمصطلق» ص ٩ وفى جمهرة ابن حزم أن الهون بن خزيمة ولد مليحا، وأن هذا ولد يثيعا. وأن الديش هو ابن محلم ابن غالب بن عائذة بن يثيع. وأن الديش ولد عضلا، وأن الدبش هم القارة ص ١٧٩ لكن ابن عبد البر يقول: «ولد خزيمة كنانة أمه هند ابنة عيلان ابن مضر، وأسد أوالهون وهو القارة أمهما بنت مر أخت تميم بن مر، وفى القارة بطون كثيرة» ويكرر هذا بقوله عن أكثر أهل العلم أنهم لايعلمون لخزيمة ولدا غير أسد والهون وهو القارة وكنانة» بل إنه ليجعل القارة عنوانا خاصا ثم يقول «وهو الهون بن خزيمة» ثم قال: «قال الزبير: عضل والقارة ابنا بيشغ بن الهون بن خزيمة.. يقال لهم القارة. وقال أبو عبيدة عن يثيع =

. . . .

القَارَةِ ، وبالمَثَل الذى جَرَى فيهم ، والقَارَةُ الحَرَّةُ(١) ، وذَكرنا السببَ فى تَسْمِيَتِهِم بها .

وذكر أن أصحابَ خُبَيْبٍ كانوا سِتَّةً ، وفى الجامع الصحيح للبخارى أنهم كانوا عَشَرَةً ، وهو أصح ، والله أعلم .

وذكر أسماءَ السِّتَّةِ ، وقد نسبهم فيما تقدم ، فأما خُبَيْبٌ فهو من بنى جَحْجَبَى(٢) بن كُلْفَة بن عَمْرو بن عَوْف بن مَالِكِ بن الأوس ، وزَيْد بن الدَّثِنَّة(٣) بن معاوية مَقْلُوبٌ من الثَّدِنَةِ والثَّدَنُ استِرْخاء اللحم(٤) .

وذكر فيهم عاصِمَ بن ثَابتٍ وقوله :

ماعلتى وأنا جَـــــلْدٌ نابِلُ والقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُنَابِلُ

والعُنَابِلُ : الشديدُ ، وكأنه من العَبَالَةِ ، وهى القُوَّةُ ، والنون زائدة .

= هو أيثع بن الهون بالألف ، وقال محمد بن حبيب: هو يثيع بالياء كما قال الزبير وقال ابن الكلبى : يثيع بن مليح بن الهون بن خزيمة ، وهو القارة ، ص ٧٣ وما بعدها الإنباه . أما الديش ، فهو فى الأصل الريش وهو خطأ ، والديش بكسر الدال . وقال الجوهرى وربما قالوا بفتح الدال . ص ٥٦ نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى .

(١) الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار .

(٢) فى الأصل حجحبى وهو خطأ .

(٣) ضبطه القاموس بدون تضعيف النون .

(٤) فى الأصل تدنية . والتدن وهو خطأ ، ويقول ابن دريد إن الدثنة مشتقة من دثن الطائر — بتضعيف الثاء — إذا طاف حول وكره ولم يسقط عليه .

. . . .

والعَبَالَةُ أيضاً : شجرة ضُابَةٌ ، وفى الخبر أن عَصَا موسى كانت من عَبَالَةٍ ، وقد روى أن عصا موسى كانت من عَيْنِ وَرَقَةِ آس الجَنَّةِ ، ويجوز أن يكون مَنْحُوتًا من أصلين : من الْعَنَنِ[١] والنَّبْلِ ، كأنه يُصيب ما عَزَّ له بِنَبْلِه .

وذكر قوله : أبو سُلَيْمَانَ وريشُ الْمُقْعَد .

قوله : أبو سليمان ، أى : أنا أبو سُلَيْمَانَ قد عُرِفْتُ فى الْحُروبِ ، وعندى نَبْلٌ راشها الْمُقْعَدُ ، وكان[٢] رائشاً صانعاً . وريش : السَّهْمُ المحمودُ فيه اللُّؤَامُ ، وهو أن تكون الرِّيشَةُ بطْنُها إلى ظَهْر الأُخرى ، واللُّغَابُ[٣] بعكس ذلك ، أن يكون ظهرُ واحدة إلى ظَهْرِ الأُخْرى ، وهو الظُّهَارُ أيضاً ، ومن اللُّؤام أُخِذَ الْلأْمُ وهو السهم الْمَرِيشُ قال امرؤ القيس :

كَرِّكَ لأْمَيْنِ على نَابِلِ[٤] .

وسُئِل رُؤْبَةُ عن معنى هذا البيت ، ، فقال : حدثنى أبى عن أبيه ، قال حدثتنى عمتى ، وكانت فى بنى دَارِمٍ قالت : سألت امْرَأَ القَيْس ، وهو يشرب

(١) العنن : ظهور الشىء أمامك .

(٢) أى هذا المقعد المذكور كان رجلا رائشاً الخ .

(٣) فى القاموس : سهم لأم عليه ريش لؤام يلائم بعضها بعضا . واللغاب : السهم الفاسد لم يحسن بريه « القاموس » .

(٤) البيت فى اللسان

نطعنهم سلكى ومخلوجة   لفتك لأمين على نابل

ويروى كما ذكر السهيلى : كرك لأمين

. . . .

طِلَاءٍ له مع عَلْقَمَةَ بنِ عَبْدَةَ : ما معنى قولك : كَرّاكَ لأمَيْنِ على نابل ؟ فقال : مررت بنابلٍ وصاحبُه يناوله الرِّيش لُؤاماً وظُهاراً ، فما رأيت شيئاً أسرعَ منه ، ولا أحْسَنَ ، فشبَّهت به ، ذكر هذا أبو حنيفة . وقوله : وضَالَةٌ ، أى : سِهامٌ قِدَاحُها من الضَّالِ ، وهو السِّدْرُ . قال الشاعر [ذو الرُّمَّة] :

قَطَعْتُ إذَا تَخَوَّفتُ العَوَاطِى ضُرُوبَ السِّدْرِ عُبْرِيّاً وضَالَا

فالعُبْرِيُّ منها ما كان على شُطُوطِ الأنْهارِ ، والضَّالُ ما كان فى البَرِّيَّةِ ، والعَواطى هى الماشية تَعْطو أى تَتَناوَلُ ، وإنما تتناول أطراف الشَّجَرِ فى الصيف ، فمعناه : قطعتُ هذه الصحراء فى هذا الوقتِ ، وتخوفت : أى تَنَقَّصْتُ من قوله سبحانه : ﴿ أو يأخذَهم على تَخَوُّف ﴾ النحل : ٤٧ . وذكر أن حُجَيْرَ بنَ أبى إهابٍ هو الذى اشترى خُبَيْباً ، وكان خُبَيْبٌ قد قتل الحارث بن نَوْفَلٍ أخا حُجَيْرٍ لأمِّه ، وقال مَعْمَرُ بنُ راشدٍ : اشترى خُبَيْباً بنو الحارثِ بن نَوْفَلٍ ، لأنه قتل أباهم يوم بدر ، والمعنى قريب مما ذكر ابنُ إسحاق .

وقوله ماوِيَّةَ بنت[1] حُجَيْرٍ بالواو ، رواه يُونُسُ بن بكير عن ابن

---

(١) فى السيرة : مولاة ، وفى رواية للبخارى أنه استعار الموسى من بعض بنات الحارث ، وقد وقع فى الأطراف لخلف أن اسمها زينب بنت الحارث . وهى أخت عقبة الذى قتل خبيبا ، وقيل : امرأته . وفى رواية البخارى أن بنت الحارث قالت بعد أن أعارته الموسى ليحلق به عانته : « قالت : فغفلت عن صبى لى فدرج إليه حتى أتاه ، فوضعه على فخذه ، فلما رأيته ، فزعت فزعة ، عرف ذاك منى ، وفى يده الموسى ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ! ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله تعالى ، وكانت تقول : ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب » ثم ذكرت =

. . . .

إسحاق ، ورواه غيره عن ابن إسحاق : مارِيَة بالراء ، وبالواو وقع فى النسخ العَتيقَةِ من رواية ابنِ هِشَامٍ ، كما رواه ابن بُكَيْرٍ ، وقد تكلمنا عن اشتقاق هذا الاسم فى صدر هذا الكتاب ، فأغنى عن إعادته ، وذكرنا أن مَارِيَة بالتخفيف هى البَقَرَةُ ، وبتشديد الياء : القَطَاة الْمَلْسَاء ، وأما الغلام الذى أعطاته الْمُدْيَةَ ، فقيل : هو أبو عيسى بن الحارث بن عَدِىٍّ بن نَوْفَلِ بن

= قطف العنب . وفى الفتح نقلا عن الزبير أيضاً أن الغلام هو : أبو حسين ابن الحارث بن عدى بن نوفل بن عبد مناف . وفى رواية بريدة بن سفيان : وكان ابن صغير ، فأقبل إليه الصبى ، فأخذه ، فأجلسه عنده ، فخشيت المرأة أن يقتله ، فناشدته . وعند أبى الأسود عن عروة ، فأخذ خبيب بيد الغلام ، فقال : هل أمكن الله منكم ، فقالت : ما كان هذا ظنى بك ، فرمى لها الموسى ، وقال : إنما كنت مازحا ، وفى رواية بريدة بن سفيان : ما كنت لأغدر . وقد حوول الجمع بين الروايتين رواية ابن إسحاق وما تقدم فى مسألة من حل الموسى . ويعلق ابن بطال على مسألة قطف العنب : « هذا ويمكن أن يكون الله جعله آية على الكفار وبرهانا لنبيه ، لتصحيح رسالته . قال : فأما من يدعى وقوع ذلك له اليوم بين ظهرانى المسلمين ، فلا وجه له ، إذ المسلمون قد دخلوا الدين ، وأيقنوا بالنبوة ، فأى معنى لإظهار الآية عندهم ، ولو لم يكن فى تجويز ذلك إلا أن يقول جاهل : إذا جاز ظهور هذه الآيات على يد غير نبى ، فكيف نصدقها من نبى ، والغرض أن غيره يأتى بها ، لكان فى إنكار ذلك قطعا للذريعة — إلى أن قال — إلا أن يكون وقوع ذلك مما لا يخرق عادة . ولا يقلب عينا ، مثل أن يكرم الله عبدا بإجابة دعوة ، فى الحين ، ونحو ذلك مما يظهر فيه فضل الفاضل وكرامة الولى ، ومن ذلك حماية الله تعالى عاصما لئلا ينتهك عدوه حرمته » ص ٣٠٥ ﺟ ٧ فتح البارى .

. . . .

عَبْد مَنَاف(١) ، قاله الزبير : وهو جَدُّ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حُسَيْنٍ الذى يروى عنه مالكٌ فى الْمُوَطَّأ .

وذكر أن أبا مَيْسَرَةَ هو الذى طَعَن خُبَيْباً فى الخَشَبَةِ ، وهو أبو مَيْسَرَةَ ابن عَوْف بن السَّبَّاق بن عَبْد الدار ، والذى طعنه معه عُقْبَةُ بن الحارث يُكَنَّى أبا سَرْوَعَة ، ويقال : إن أبا سَرْوَعَةَ وعُقْبَةَ أخوان أسلما جميعاً ولعُقْبَةَ بنِ الحارث حديثٌ واحد فى الرَّضاع ، وشهادةِ امرأةٍ واحدةٍ فيه . وحديثُه مشهور فى الصِّحاح ، فيه أنه قال : تزوجتُ بنت أبى إهاب بن عزيز ، فجاءت امرأةٌ ، سَوْداء ، فقالت : إنى قد أرْضَعْتُكما ، وذكر الحديث(٢) ، وزاد فيه الدَّار قُطنِيُّ قال : جاءت امرأةٌ سَوْدَاء تَسْأَلُ ، فلم نُعْطِها شيئاً ، فقالت : إنى والله أرْضَعْتُكما ، فذكر ذلك للنبى — صلى الله عليه وسلم — وقال إنها كاذبةٌ يارسول الله ، فقال له عليه السلام : كيف ؟ وقد قيل ؟ فطَلَّقها ، ونكحت ضَرِيبَ بن الحارث ، فولدت له أمَّ قِتَالٍ ، وهى امرأةُ جُبَيْرِ بن مُطْعِم ، وأمُّ ابنه محمد ، ونافع ابنا جابر ، واسم هذه المرأة التى طلقها عُقْبَة :

---

(١) وهى كلمة حق يجب أن يعيها الذين لا عمل لهم فى الدين سوى إثبات أن شيوخهم كانوا صناع معجزات تقلب الإنسان حجرا ! !

(٢) رواه البخارى فى الشهادات والعلم والبيوع والنكاح ، ورواه أبو داود فى القضايا ، والترمذى فى الرضاع ، والنسائى فى النكاح . ولعقبة حديث : « صلى العصر ثم قام مسرعا ، فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه » رواه البخارى والنسائى ، وحديث ثالث « جىء بالنعيمان أو ابن النعيمان شاربا » رواه البخارى .

. . . .

غُنَيَّةُ ، وتُكَنَّى أمَّ يَحْيى ، ذكر اسمها أبو الحسن الدَّارَقُطْنى فى المُؤْتَلِف والمُخْتَلِف ، ولم يذكره أبو عُمَرَ فى كتاب النساء ، ولا كثير ممن ألف فى الحديث .

وذكر قصة عاصم حين حَمَتْه الدَّبْرُ . الدَّبْرُ ها هنا : الزَّنَابِيرُ ، وأما الدَّبْرُ[1] فصغار الجراد، ومنه يقال ماء دَبْرٌ[2] قاله أبو حنيفة ، قال : وقد يقال للنَّحْل أيضاً دَبْر بفتح الدَّال واحدتها دبرة ، قال : ويقال له : خَشْرَمٌ ، ولا واحد له من لفظه ،هذه رواية أبى عُبَيْدٍ عن الأَصْمَعىِّ، ورواية غيره عنه أن واحدته : خَشْرَمَةٌ . والثَّوْلُ جماعة النحل أيضاً ، ولا واحد لها ، وكذلك الثَّوبُ والأُوبُ . ومن الأوبِ : حديث زَبَّان بن قَسْوَرٍ[3] ، قال : رأيت النبيَّ — صلى الله عليه وسلم — وهو نازلٌ بوادى الشوحط[4] فكلمته ، فقلت : يارسول الله إن معنا أُوباً لنا — يعنى نَحْلاً — كانت فى عَيْلَم لنا به طِرْمٌ وشَمْعٌ ، فجاء رجل فضرب ميتين[5] فانتج حياً ، وكَفَّنَه بالثُّمام ، يعنى ناراً

---

(١) هكذا ضبطها اللسان .

(٢) فى اللسان : مال دبر : أى كثير .

(٣) فى الإصابة : ابن قيس ، أو قيسور . وقال : روى حديثه الدراقطنى فى المؤتلف من طريق محمد بن إسحاق عن يحيى بن عروة عن أبيه عنه ، قال الدارقطنى : حديثه منكر .

(٤) فى القاموس وفى مراصد الإطلاع : شواحط بضم الشين وكسر الحاء جبل مشهور قرب المدينة كثير التمور

(٥) لم أهتد إليها ، فى المعاجم ، فلعلها حنين وهو الجبل أو الخيار أو عتين وهى خيوط تشد بها أوصال الخيام ! ! لا أدرى .

. . . .

من زَنْدَيْنِ، ونحسه يعنى: دُخْنَه ، فطار الأُوبُ هارباً ، ودَلَّى مِشْوَارَه فى الْعَيْلَمِ فاشتار العَسَل ، فمضى به ، فقال النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَذْمُونٌ مَأْمُونٌ مَنْ سَرَقَ شَرْوَ قَوْم ، فأضرَّ بهم ، أَفَلَا تبعتم أَثَره ، وعرفتم خبَرَه ؟ قال : قلت : يارسول الله إنه دخل فى قوم لهم مَنَعَةٌ ، وهم جيرانُنا من هُذَيْلٍ ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ صَبْرَكَ صَبْرَكَ تَرِدُ نَهرَ الجَنَّةِ ، وإن سَعَتَهُ كما بين اللاميقة والسحيقة(١) يَتَسَيْسَبُ جَرْياً بعسَلٍ صافٍ من قَذَاه مَا تَقَيَّأَه لُوبٌ ، ولا مَجَّه ثُوبٌ . فالعَيْلَمَ البئر ، وأراد بها هاهنا قُبَّة النَّحْلِ أو الخَلِيَّة ، وقد يقال لموضع النحل إذا كان صَدْعاً فى جَبَل : شِيقٌ ، وجمعه : شِيقَانٌ ، ويقال لـكل دُخَانٍ نُحَاسٌ(٢) ، ولا يقال أَيَامٌ إلَّا لدخان النحل خاصَّة ، يقال : آمها يئومُها إذا دَخَّنَهَا ، قاله أبو حنيفة .

مقتل حجر بن عدى :

فصل : وذكر أن خُبَيْباً أول من سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عند القتل . قوله هذا يَدُلُّ على أنهما سُنَّةٌ جارية ، وكذلك فعلهما حُجْرُ بن عَدِيّ بن الأَدْبَر حين قتله معاويةُ ـ رحمه الله ـ وذلك أن زياداً كتب من الْبَصْرةِ إلى مُعَاوِيَةَ يذكر أن حُجْراً وأصحابه ، قد خرجوا على السُّلْطَانِ ، وشَقُّوا عصا المسلمين ، ووجّه مع الـكتابِ(٣) بك فيه شهادة سبعين رجلا فيهم الحَسَن بن أبى الحَسَن.

---

(١) لم أهتد فى مراجعى إلى معرفتهما .

(٢) الذى سبق ذكره نحسة لا نحاس ، وليس فى المعاجم نحسة بمعنى دخان.

(٣) هـكذا بالأصل ، ولعلها : صكا .

. . . .

البصرىّ وابنُ سيرين والرَّبيعُ بن زياد وجماعة من عِلْيَةِ التَّابعين ذكرهم الطبرى(١) يشهدون بما قال زِيادٌ من خُروج حُجْرِ بن عَدِيٍّ عليه(٢) ، وكان حُجرٌ شديد الإنكار للظلم ، غليظاً على الأمراء ، وأنكر على زيادٍ أموراً من الظلم ، فخرج عليه ، ولم يكن قصدُه الخروجَ على مُعَاوِيَةَ ، فلما حُمِل حُجْر إلى معاوية فى خَمْسةٍ من أصحابه ، قال له : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له معاوية : أو أنا للمؤمنين أمير ؟ ! ثم أمر بقتله ، فعند ذلك صَلَّى حُجْرٌ الركعتين ، ثم لقى معاويةُ عائشةَ بالمدينة ، فقالت له : أما اتقيت الله يا مُعَاوِيَة فى حُجْر بن عدى وأصحابه ؟ فقال : أو أنا قَتَلْتُهم ، إنما قتلهم من شَهِد عليهم ، فلما أكثرت عليه ، قال لها : دَعِيني وحُجْراً فإنى مُلاقيه غداً على الجادَّة ، قالت : فأين عَزَبَ عنك حِلْمُ أبى سُفْيَانَ ؟ فقال : حين غاب عنى مِثْلُك من قومى(٣) .

---

(١) فى ص ٢٦٩ وما بعدها ح ٥ ط دار المعارف .

(٢) وقد جاء فى كتاب هذه الشهادة ما يأتى : « هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبى موسى لله رب العالمين . شهد أن حجر بن عدى خلع الطاعة ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة ، وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله عز وجل كفرة صلعاء » ص ٢٦٩ المصدر السابق .

(٣) تعددت روايات الطبرى للقاء عائشة ومعاوية رضى الله عنهما . ففى ص ٢٥٧ يذكر أنه لقيها بمكة ، فقالت : يا معاوية أين كان حلمك عن حجر ؟ فقال لها : يا أم المؤمنين لم يحضرنى رشيد ! ! وفى ص ٢٧٨ أن عائشة أرسلت إلى معاوية بعث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فى شأن حجر وأصحابه ، فقدم عليه ، وقد قتلهم ، فقال له عبد الرحمن : أين غاب عنك حلم أبى سفيان ؟ قال : غاب عنى حين غاب عنى مثلك من حلماء قومى .

. . . .

لِمَ صارت صلاة خبيب سنة ؟ :

وإنما صار فعلُ خُبَيْب سُنَّةً حَسَنَةً . والسُّنَّةُ إنما هى أقوالٌ من النبىِّ — صلى الله عليه وسلم — وأفعالٌ وإقرارٌ ، لأنه فعلها فى حياته عليه السلام ، فاستُحْسِن ذلك من فعله ، واستحسنه المُعَلِّمُون ، مع أن الصلاة خَيْرُ ما خُتِم به عملُ العبد ، وقد صَلَّى هاتين الركعتين أيضاً زيدُ بن حَارِثَةَ مَوْلَى النبىِّ — صلى الله عليه وسلم — وذلك فى حياته عليه السلام ، حدثنا أبو بكر بن طاهر الإشبيلى ، قال : أخبرنا أبو على الغسانى ، قال : أخبرنا أبو عُمَرَ النَّمَرِىّ ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الوارث بن سُفيان بن جَبْرُون ، قال : أخبرنا أبو محمد قاسم بن أَصْبَغ ، قال : أخبرنا أبو بكر بن أبى خَيْثَمَةَ : أخبرنا ابن مَعِين : أخبرنا قال : أخبرنا يَحْيَى بن عبد الله بن بكير المصرى ، قال : أخبرنا اللَّيْثُ بن سَعْد ، قال : بلغنى أن زيد بن حارثة اكْتَرَى من رجل

= وفى نفس الصفحة ذكر أن معاوية حين حج مر على عائشة رضوان الله عليهما ، فاستأذن عليها ، فأذنت له ، فلما قعد قالت له : يا معاوية : أأمنت أن أخبأ لك من يقتلك ؟ ! قال بيت الأمن دخلت . قالت : يا معاوية أما خشيت الله فى قتل حجر وأصحابه؟قال : لست أناقتلتهم إنماقتلهم من شهد عليهم . هذا وقد فصل الطبرى فى تاريخه قصة حجر وجعل مصرعه من أحداث سنة إحدى وخمسين وهى فى كتابه من ص ٢٥٣ إلى ص ٢٨٥ أما المسعودى فذكر أن مصرع حجر كان فى سنة٥٣هـ . ولكنه قال : قيل إن قتلهم كان فى سنة ٥٠ ص ١٢ حـ ٣ مروج الذهب لابى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ط ١٩٤٨ وانظر ص٢٢ المجلد الثالث من تاريخ عبد الرحمن بن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الخ ، ط لبنان ١٩٥٧ .

. . . .

بغلًا من الطائف اشترط عليه الكَرِىُّ أن يُنزله حيث شاء ، قال : فمال به إلى خَرِبةٍ ، فقال له : انزل فنزل ، فإذا فى الخَرِبَةِ قَتْلى كثيرةٌ ، قال : فلما أراد أن يقتلَه ، قال : دعنى أُصَلِّ ركعتين ، قال : صَلِّ ، فقد صلَّى قبلَك هؤلاء فلم تَنفعْهم صلاتُهم شيئاً ، قال : فلما صليتُ أتانى ، ليقتلَنى ، قال : فقلتُ : يا أرحَمَ الراحمين ، قال : فسمع صوتاً : لا تقتُلْه ، قال : فهاب ذلك فخرج يطلب أحداً ، فلم ير شيئاً ، فرجع إلىَّ ، فناديتُ : يا أرحَمَ الراحمين ، ففعل ذلك ثلاثاً ، فإذا أنا بفارس بيده حَرْبَةُ حديد فى رأسها شُعْلَةٌ من نارٍ فطعنه بها ، فأنفذه من ظهره ، فوقع ميتاً ، ثم قال : لما دعوتَ المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنتُ فى السماء السابعة ، فلما دعوتَ المرة الثانية يا أرحم الراحمين ، كنتُ فى السماء الدنيا ، فلما دعوتَ المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتُك[1] .

ما أنزل الله من القرآن فى صوم خبيب وأصحابه :

فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل اللهُ تعالى فى خبر خُبَيْبٍ وأصحابه من قول المنافقين فيهم ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُـك قولُه فى الحياةِ الدنيا ويُشْهِدُ اللهَ على مافى قلبه ﴾ البقرة : ٢٠٤ الآية ، وأكثر أهل التفسير على خلاف قوله وأنها نزلَتْ فى الأخنَسِ بن شَرِيقٍ الثَّقَفِى ، رواه أبو مالك عن ابن عباس ، وقاله مجاهد ، وقال ابن الكلبى : كنت بمكة ، فسُئِلتُ عن هذه الآية فقلت :

---

(١) لا شك فى أنها أسطورة .

. . . .

نزلتْ في الأخنس بن شَرِيق ، فسمَّني رجلٌ من وَلَدِه ، فقال لي : ياهذا إنما أُنزِلَ القرآنُ على أهلِ مكَّة ، فلا تُسَمِّ أحداً مادمت فيها ، وكذلك قالوا في قوله : ﴿ ومِنَ الناس من يَشْرِى نفسَه ابْتِغاءَ مَرْضَاةِ الله ﴾ البقرة ٢٠٧ . نزلت في صُهَيبِ بن سِنَان حين هاجر ، وتَرَكَ جميع مَالِه لقُرَيْشٍ ويدعونه يهاجر بنفسه إلى الله ورسوله ، واستشهد ابن هشام على تفسير الألدِّ بقول مُهَلْهِل ، قال : واسمه امْرُؤ القيس ، ويقال عَدِيٌّ ، وقد صرَّح مُهَلْهِلٌ باسم نفسه في الشعر الذى استشهد به ابن هشام ، فقال :

صَرَبَتْ صَدْرَها إليَّ وقالت   ياعَدِيًّا لقد وَقَتْك الأَوَاقِى[1]

وفيه البيت الذى ذكر ابن هشام :

إن تحت الأحْجَارِ حدًّا وليناً   وخَصِيماً أَلَدَّ ذا مِغْلَاقِ[2]

ويروى : مِغْلَاق بالغين المعجمة ، والمِعْـلَاقُ : اللسان ، وأما المِغْـلَاقُ بالغين مُعْجَمَةً ، فالقول الذى يُغلِق فَمَ الخَصْمِ ويُسكته . وبعده :

حَيَّة في الوِجَارِ أَرْبَدُ لايَنْـ   ـفَعُ منها السَّلِيمَ نَفْثُ الرَّاقِى

---

(١) الأواقى : جمع واقية ، فهمز الواو الأولى في الجمع . ومن قال : إن اسمه امرؤ القيس بن ربيعة الخ روى الشطرة الثانية هكذا : يا امرأ القيس حان وقت الفراق . ص ١١١ سمط اللآلى للبكرى .

(٢) أنشده اللسان : إن تحت الاحجار حزماً وجوداً . وزاد في تفسير المعلاق أنه اللسان إذا كان جدلا . هذا وبيت الطرماح الذى في السيرة أنشده اللسان هكذا : يضحى على سوق الجذول كأنه . . . يلندد ،

. . . .

وسمى مُهَلْهِلاً بقوله :

لمـا تَوَقَّلَ فى الـكُرَاعِ هَجِينُهم   هَلْهَلْتُ أَثْأَرُ جَابِراً أو صِنْبِلاَ[1]

هَلْهَلْتُ :أى كِدْت وقَارَبْتُ ، وأما الأَلَدُّ ، فهو من اللَّدِيدَيْن ، وهما جانبا العنق ، فالأَلدُّ الذى يَرُبغُ الْحُجَّةَ من جانب إلى جانب ، يقال : تركته يَتَلَدَّدُ[2] ، وقال الزَّجَّاجُ :الخِصام جَمْع فى هذه الآية ، ولايستقيم أن يكون معناه الخاصَمة ، لأن أفْعَل الذى يراد به التفضيل إنما يكون بعض ما أضيف إليه ، تقول : زيد أفصح الناس ، ولا تقول : زيد أفصح الـكلام .

قال الشيخ الحافظ رضى الله عنه : وهذا الذى قاله حَسَنٌ إن كان ألدُّ من هذا الباب الذى مُؤنَّثُه الفُعْلَى ، أما إن كان من باب أفعل الذى مَؤنَّثُه فَعْلاء نحو : أخْرَسُ وخَرْساء ، فالخصامُ مصدَرُ خاصمته ، وهو ظاهر قول المفسرين ، فإنهم فسروه بالشديد الخصومة ، فاللَّدَدُ إذاً من صِفَةِ الْمُخَاصَمَة ، وإن وُصِفَ

---

(١) فى الأصل : نوقل وصوابها توقل، والبيت فى اللسان . وفى سمط اللآلى ص ١١٢ : توعر بدلا من توقل . والبيت من شعر قاله لزهير بن جناب ، وقد قاله لما ادرك بثأر أخيه كليب ، وقد سبق الحديث عن المهلهل ، وقد ذكر ابن قتيبة أنه سمى مهلهلا لأنه هلهل الشعر ،أى أرقه وقول السهيلى هو قول الطوسى، وهو الذى ارتضاه أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران ، وجابر وصنبل رجلان من تغلب .

(٢) قال أبو اسحاق : معنى الخصم الألد فى اللغة : الشديد الخصومة الجدل واشتقاقه من لديدى العنق ، وهما صفحتاه . وتأويله : أن خصمه أى وجه أخذ من وجوه الخصومة غلبه فى ذلك .

. . . .

به الرجل مجازاً ، ويقوى هذا قوله : و خَصِيما أَلَدّ ، ولم يُضِفه ، ولا قال أَلَدُّ من كذا، فجعله من باب أصمّ وأشمّ ونحوه ، ويقويه أيضاً قولهم فى الجمع : قوم لُدٌّ ، روت عائشة عن النبى - صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ أبغض الخَلْق إلى الله الخَصِم الألَدُّ ﴾[1] وقرأ ابن محيصن ﴿ ويَشْهَدُ اللهُ على مافى قلبه ﴾ بفتح الياء والهاء ، ورفع الهاء من اسم الله تعالى ، أى : ويعلم اللهُ مافى قلبه .

---

(١) البخارى ومسلم والترمذى والنسائى . والخصم بكسر الصاد الذى يحج من يخاصمه .

هذا وقد استشهد ابن هشام فى السيرة ببيت قاله يزيد بن ربيعة بن مفرغ . وقد سبق حديث عنه وعن السبب الذى من أجله قال القصيدة . والقصيدة التى منها البيت « وشريت برداً ليتنى » الخ هى كما رواها الزجاج فى أماليه :

أصرمت حبلك من أمامه ... من بعد أيام برامه

لهفى على الرأى الذى ... كانت عواقبه ندامه

تركى سعيداً ذا الندى ... والبيت ترفعه الدعامه

وتبعت عبد بنى علا ... ج تلك أشراط القيامه

جاءت به حبشية ... سكاء تحسبها نعامه

من نسوة سود الوجو ... ه ترى عليهن الدمامه

وشريت برداً ليتنى ... من بعد برد كنت هامه

أو بومة تدعو صدى ... بين المشقر واليمامه

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الملامه

الريح تبكى شجوها ... والبرق يلمع فى غمامه

ورمقتها فوجدتها ... كالضلع ليس له استقامه

ص ٢٩ وما بعدها الأمالى لأبى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى ط ١٣٢٤

. . . .

عدس في شعر حسان في خبيب :

وذكر شِعْرَ حسَّان فى قِصَّة خُبَيْبٍ ، وقوله فيه :

من القبائِلِ منهم مَنْ نَفَتْ عُدَسُ

قوله : من نَفَتْ عُدَسُ ، يعنى حُجَيْرَ بن أبى إهاب بن عُزَيْن ، وهو ينتسب إلى بنى عُدُسِ بن زيد بن عبد الله بن دَارِمِ بن مالك بن حَنْظَلَة ، ويقال : بل هو من بنى رَبِيعَةَ بن مالك بن حَنْظَلَة ، ومن هاهنا ذكَرَ نفىَ بنى عُدُسٍ له ، من أجْلِ الاختلاف فى نسبه.وعُدُسٍ بضم الدال فى تميم ، وهوهذا، وكل عُـدَسٍ فى العرب سواه فهو بفتح الدال ، وهو من عَدَسَ فى الأرض إذا ذَهَب فيها ، والله أعلم ، فمن المفتوح الدال عُدَسُ بن عُبَيْدٍ فى الأنصار ، ثم فى بنى النَّجَّار،وهو جدأبىأُمَامَةَ أسْعَد بن زُرَارَةَ(١)وقد قال بعض النسابين فى عُدُسِ بن زَيْد بن عبد الله بن دَارِمٍ الذى تقدم ذكره:عُدَس بفتح الدال ، والأول أعرفُ وأشْهر .

دعوة خبيب على قاتليه :

وذكر قول خُبَيْب حين رفعوه فى الخشبة: اللهمأحْصِهِمْ عَدَداً ، واقْتُلْهُم بَدَداً ، فمن رواه بِدداً بكسر الباء ، فهو مصدر بمعنى التَّبدُّد ، أى : ذوى(٢)

---

(١) فى الأصل دارة وهو خطأ وصوابه ما أثبته .

(٢) جاء فى هامش المطبوعة : وفى النسخة الأخرى : بكسر الباء فهو جمع بدة ، وهى الفرقة والقطعة من الشىء المتبدد ، أى ذوى بدد هذا وقد ذكر=

. . . .

بِدَدٍ. فإن قيل: فهل أجيبت فيهم دعوة خُبَيْبٍ، والدعوة على تلك الحال من مثل ذلك العبد مُسْتَجَابَةٌ؟

قلنا: أصابت منهم مَنْ سبق فى علم الله أن يموتَ كافراً، ومن أسلم منهم فلم يَعْنِه خُبَيْبٌ ولا قصده بدعائه، ومن قُتل منهم كافراً بعد هذه الدعوة، فإنما قُتلوا بَدداً غير مُعَسْكِرِين ولا مُجتمعين كاجتماعهم فى أُحُدٍ، وقبل ذلك فى بدر، وإن كانت الخَنْدَقُ بعد قِصَّة خُبَيْب فقد قتل منهم آحادٌ فيها مُتَبَدِّدُون، ثم لم يكن لهم بعد ذلك جَمْعٌ ولا معسكر غَزَوْا فيه، فنفذت الدعوةُ على صُورتها وفيمن أراد خُبَيْبٌ - رحمه الله - وحاشا له أن يكره إيمانهم وإسلامَهم[1].

ابن كهيئة فى شعر حسان:

فصل: وذكر أشعارَ حسَّانٍ فى خُبَيْبٍ وأصحابه، وليس فيهم معنى خفى، ولا لفظ غريب وَحْشِىٌّ، فيحتاج إلى تفسيره، لكن فى بعضها:

= الخشنى: البدة بكسر الباء: المتفرقون، وهو بفتح الباء المصدر، وأصله من التبدد وهو التفرق. وذكر ابن الأثير ما يأتى: بدد: يروى بكسر الباء جمع بدة وهى الحصة والنصيب: أى اقتلهم حصصا مقسمة، لكل واحد حصته ونصيبه. ويروى بالفتح. أى متفرقين فى القتل واحداً بعد واحد من التبديد.

(١) وقصيدة خبيب فى السيرة لم يرو منها البخارى غير هذين:

ما إن أبالى حين أقتل مسلماً ... على أى شق كان لله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

وفى رواية أبى الأسود عن عروة ذكر البيت الأول والرابع من القصيدة.

. . . .

. بنى كُهَيْبَة أن الحربَ قدْ لَقِحَتْ

جعل كُهَيْبَةَ كأنه اسمٌ عَلَمٌ لأُمِّهِم ، وهذا كما يقال : بَنى ضَوْطَرَى وبنى الْغَبْراء وبنى دَرْزَةَ[1] قال الشاعر :

أولادُ دَرْزَة أسْلَمُوكَ وطاروا[2]

وهذا كله اسمٌ لمن يُسَبُّ ، وعِبَارَةٌ عن السِّفْلَة من الناس ، وكُهَيْبَةُ من الكُهْبَةِ ، وهى الغُبْرة ، وهذا كما قالوا : بنى الغَبْراءِ ، وأكثر أشعار حسَّانَ فى هذه القصة ، قال فيها من هُذَيْلٍ ، لأنَّهم إخْوَةُ القارَةِ ، والمشاركون لهم فى الغَدْر بخُبَيْبٍ وأصحابه ، وهُذَيْلٌ وخُزَيْمَةُ أبناء مُدْرِكَةَ بن إلياس وعَضَلُ والقارَةُ من بنى خُزَيْمَةَ .

حول العلم ومنعه من التنوين مع الخفض :

وقوله : وابنُ طارِقٍ، وابن دَثْنَةَ منهم، حذف التنوين كما تقدم فى قوله

---

(١) الضوطرى : الرجل الضخم الذى لا غناء عنده ، ويقال للقوم إذا كانوا لايغنون غناء بنو ضوطرى . وبنو ضوطرى : حى معروف . وبنو غبراء تقال للمحاويج أو الفقراء كأنهم نسبوا إلى الأرض ، وهى فى الأصل : غبرى — مقصورة — ولم أجدها . وبنو درزة يقال للدعى هو ابن درزة وابن ترنى ، وذلك إذا كان ابن أمة تساعى فجاءت به من المساعاة : ولايعرف له أب ويقال : هؤلاء أولاد درزة وأولاد فرتنى للسفلة والسقاط . انظر اللسان فى مادة درز وضطر وغبر .

(٢) فى اللسان قاله شاعر يخاطب زيد بن على . ويقال . أراد به الخياطين ، وقد كانوا خرجوا معه ، فتركوه وانهزموا .

. . . .

شَلَّتْ يَدا وَحْشِيّ مِنْ قَاتِلِ ، ولو أنه حين حذف التنوين نَصَبَ ، وجعله كالاسم الذى لاينصرف ، وهو فى موضع الخفض مفتوحٌ ، لكان وَجْهاً وقياساً صحيحاً ، لأن الخفْضَ تابعُ التنوين ، فإذا زال التنوينُ زال الخفض ، لئلا يلتبس بالمضاف إلى ضمير المتكلِّم ، لأن ضميرَ المتكلم ، وإن كان ياء فقد يحذف ، ويكتفى بالكسرة منه ، وزوال التنوين فى أكثر مالا ينصرف إنما هو لاستغناء الاسم عنه ، إذ هو علامَةُ الانفصالِ عن الاضافة ، فكل اسمٍ لايُتَوَهَّم فيه الاضافةُ لايحتاج إلى التنوين ، لكنه إذا لم يُنوَّن لم يُخْفَض ، لما ذكرناه من التباسه بالمضاف إلى المتكلم ، وقد تقدم فى أشعار أُحُد : كَفَارِ أبى حُبَاحِبَ والظُّبينا بفتح الباء من حُبَاحِبَ فى موضِع الخَفْضِ ، وكان حَقُّ كلِّ علَمٍ ألَّا يُنوَّنَ ، لأنه مُسْتَغْنٍ عن الإضافة كما لم يُنوَّن جميعُ أنواعِ المعارف ، ولكنهُ نوِّنَ ما نُوِّن منه للسِّرِّ الذى بيناه فى أسرارِ مالا يَنْصَرِف من الأسماء ، وقد أملينا فى ذلك جُزْءاً . ولكن الخَفْضَ فى طارقٍ وَوَحْشِيٍّ مَرْوِيٌّ ، ووجهه أنه لما كان ضَرُورَةَ شِعْرٍ ، ولم يكثر فى كلامهم لم يُتْبِعوا الخفضَ فيه التنوين إذ لا يتَوَهَّمُ إضافتُه إلى المتكلم ، إذ لايقع إلا نادراً فى شعر ، فاللَّبس فيه بعيد .

اشتقاق اسم خبيب وهذيل :

وقوله : وابن البُكَيْر إمامُهم وخُبَيْبُ ، أردف حَرْفَ الرَّوِيِّ بياءٍ مَفْتُوحٍ ماقبلها ، وقد تقدم القولُ فيه مرَّتين . وخبيب فى اللغة تصغير خِبٍّ ، وهو الماكر من الرجال الخداع ، ويجوز أن يكون تصغير خابٍّ من الخَبِيبِ ،

. . . .

فيكون من باب تصغير التَّرْخيم ، وهو الذى ينبنى على حذف الزَّوائِد ، وأما هُذَيلٌ فقالوا فيه : إنه مُصغَّر تَصْغِير التَّرْخيم ، لأنه من هَوْذَلَ الرَّجُلُ بِبَوْلِه إذا باعد به ، فكأنه تصغيرُ مُهَوذِلٍ على حذف الزوائد ، ويجوز أن يكون تصغير هُذْلُولٍ ، وهو التَّل الصَّغير من الرَّمْلِ على تَصْغِيرِ الترخيم أيضاً[1] .

سالت بدون همزة :

وقوله : سالت[2] هُذَيْلٌ رسولَ الله فاحِشَة ، ليس على تسهيل الهمزة فى سالت ، ولكنها لغةٌ بدليل قولهم : تَسَايَلَ القومُ ، ولو كان تَسْهِيلا ، لكانت الهمزةُ بَيْن بَيْن ، ولم يستقم وَزْنُ الشعر بها ، لأنها كالْمُتحَرِّكةِ ، وقد تقْلَبُ ألِفاً ساكِنَة كما قالوا : الْمِنْسَاة[3] ، ولكنه شيء لا يُقَاس عليه ، وإذا كانت سَالَ لغةً فى سأل فيلزم أن يكون المضارعُ يَسِيلُ ، ولكن قد حكى يونس : سِلْتَ تَسَالُ مثل خِفْتَ تخافُ ، هو عنده من ذَوَاتِ الواو ، وقال الزجاج : الرجـــلان يَتَسَايَلانِ ، وقال النَّحَّاس والْمُبَرِّدُ : يتساولان ، وهو مثل ماحكى يونس .

خبر بئر معونة

قال ابن إسحاق : وكانوا أربعين رجُلا ، والصحيح أنهم كانوا سَبْعِين ،

---

(١) قريب منه قـــول ابن دريد : اشتقاق هذيل من الهذل وهو الاضطراب ، يقال : هوذل الرجل ببوله إذا اضطرب بوله فقد هوذل .

(٢) السهيلى ينتقل من قصيدة إلى قصيدة دون ترتيب .

(٣) المنساة : العصا يهمز ولا يهمز .

. . . .

كذا وقع فى صحيح البخارى ومسلم .

ملاعب الأسنة وإخوته ومعوذ الحكماء :

وذكر أبا بَرَاء مُلَاعِبَ الأَسِنَّة،وأنه أجار أصحابَ بئر مَعُونَةَ من أهل نَجْدٍ ، وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَة، سُمِّى مُلاعبَ الأَسِنَّةِ فى يوم سُوبانَ ، وهو يوم كانت فيه وَقيعةٌ فى أيام جَبَلَةَ ، وهى أيامُ حَرْبٍ كانت بين قَيْسٍ وتميم ، وَجَبَلَةُ اسم لهَضَبَةٍ عالية ، وقد تقدمَ طَرَفٌ من هذا الحديث فى أول الكتاب ، وكان سببُ تَسْمِيَتِهِ فى يوم سُوبانَ مُلاعِبَ الأَسِنَّةِ أن أخاه الذى يقال له فارسُ قُرْزُلٍ ، وهو طُفَيْلُ بن مالكٍ ، وقد ذكرنا فى أول الكتاب معنى قُرْزُل ، كان أسْلَمَه فى ذلك اليوم، وَفَرَّ فقال شاعر :

فَرَرْتَ وأَسْلَمْتَ ابنَ أُمِّكَ عامِراً ... يُلاعِبُ أطرافَ الوَشِيجِ المُزَعْزَعِ

فسُمِّى مُلاعبَ الأَسِنَّة ، ومُلاعِب الرِّماح . قال لبيد :

وإنِّى مُلَاعِبُ الرِّمَاحِ ... ومِدْرَهُ الكَتِيبَةِ الرَّدَاحِ

وهو عَمُّ لَبيد بن ربيعة،وكانوا إِخْوَةً خَمْسَةً:طُفَيْلٌ فارسُ قُرْزُلٍ ، وعامِرٌ مُلَاعِبُ الأَسِنَّةِ ،ورَبِيعَةُ المُقْتِرِين[1] وهو والدلبيدَ ، وعُبَيْدَةُ الوَضَّاح، ومعاويةُ مُعَوِّذُ الحُكَمَاء[2] وهو الذى يقول :

---

(١) فى الجمهرة لابن حزم: وربيعة ، وهو ربيع المقترين .

(٢) فى الجمهرة معود ص ٢٦٨ وكذلك فى اللسان وفى سمط اللآلى ص ١٩٠ ، ٤٤٨ .

. . . .

إذا سقط السماء بأرض قوم   رعيناه وإن كانوا غضابا

وفى هذا الشعر يقول :

يعوّذ مثلها الحكماء بعدى   إذا ما الأمر فى الحدثان نابا

وبهذا البيت سُمّى مُعوّذ الحكماء[1].

شعر لبيد عن ملاعب وإخوته أمام النعمان :

وإيام عنى لبيدُ حين قال بين يدى النُّعمان بن المُنذِر :

نحنُ بنى أُمّ البنينَ الأربعهْ   المُطعِمُون الجفنةَ المُدعدعهْ

والضاربُونَ الهامَ تحت الخيضَعَهْ   يارُبَّ هيجاَ هِىَ خيرٌ مِنْ دَعَهْ[2]

---

(١) البيت فى اللسان هكذا :

أعود مثلها الحكماء بعدى   إذا ما الحق فى الحدثان نابا

ويقول اللسان قبلها : وسمى معود الحكماء لقوله فى هذه القصيدة ثم ذكر البيت .

وفى سمط اللالى ص ١٩٠ يقول : سمى معود ـ بالدال ـ الحكماء بقوله :

سأعقلها وتحملها غنى   وأورث بعدها أبداً كلابا

أعود مثلها الحكماء بعدى   إذا ما معضل الحدثان نابا

وفى ص ٤٤٨ يذكر بعد بيته إذا نزل السماء هذين البيتين :

لكل مقلص عبل شواه   إذا وضعت أعنتهن ثابا

وحفزة الحزام بمرفقيها   كشاة الربل أفلتت الكلابا

وانظر ص ١٨٢ ج ١ الأمالى للقالى ط ٢

(٢) فى اللسان وفى سمط اللآلى : نحن بنو ، وزاد اللسان بعد الشطرة الأولى فى مادة خضع : ونحن خير عامر بن صعصعة ، والمدعدعة : المليئة ، والخيضعة : البيضة أو التفاف الأصوات فى الحرب وقد قال لبيد الرجز حين ناظر الربيع=

. . . .

ثم ذكر الرَّبيعَ بن زِيادٍ [العَبْسِى] فقال :

مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهْ

إلى آخر الرَّجز فى خَبَر طويل ، إنما قال : الأَرْبَعَةَ ، وهم خَمْسَةٌ ، لأن أباه ربيعة قد كان ماتَ قبل ذلك ، لا كما قال بعضُ الناس ، وهو قول يُعْزَى إلى الفرَّاء أنه قال إنما قال أربعة ، ولم يَقُلْ خَمْسَة من أجل القوافى ، فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يَلْحَنَ لإقامة وَزْنِ الشِّعر ، فكيف بأن يَكْذِبَ لإقامة الوَزْنِ ، وأعجبُ من هذا أنه استشهد به على تأويلٍ فاسدٍ تأوله فى قوله سبحانه : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ الرحمن : ٤٦ وقال : أرادَ جَنَّةً واحدةً ، وجاء بلفظ التَّثْنِيةِ ، لتتفقَ رُءوسَ الآى ، أو كلاماً هذا معناه ، فَصَمِّى صَمَامْ(١) ما أشنع هذا الكلام ، وأبعدَه عن العِلم ، وفهم القرآن : وأقلَّ هَيْبَةِ قائله من أنْ يَتَبَوَّأَ مَقْعَدَه من النار ، فَحَذَارِ منه حَذَارِ . ومما يدلك أنهم كانوا أرْبَعَةً حين قال لَبيدُ هذه المقالة أن فى الخبَر ذِكْرَ يُتْم لَبيد وصِغَر سِنِّه ، وأن أعمامَه الأربعة استَصْغَرُوه أن يُدْخِلوه معهم على النعمان حين هَمَّهم ما قاوَلَهُمْ به الربيعُ بن زِيادٍ ، فسمعهم لبيدٌ يتحدثون بذلك ، ويَهْتَمُّون له ، فسألهم أن يُدْخِلوه معهم على النُّعمانِ ، وزعم أنه سَيُفْحِمُه فتهاوَنُوا بقوله ،

= ابن زياد العبسى بحضرة النعمان بن المنذر . أنظر ص ١٥١ سمط اللآلى . وحسنا فعل السهيلى حين بتر الرجز ، فقد أفحش فيه لبيد ، ورمى زياداً بما تبرأ منه الرجولة بألفاظ تثير التقزز .

(١) صمى صمام : يضرب للرجل يأتى الداهية ، أى اخرسى ياصمام . ويقال للداهية : صمى صمام مثل قطام وهى الداهية ، أى زيدى .

. . . .

حتى اختبروه بأشياء مذكورة فى الخبر ، فبان بهذا كلّه أنهم كانوا أربعةً ، ولو سكت الجاهلُ لقلَّ الخلافُ والحمدُ لله .

مصير ابن فهيرة :

وذكر ابن إسحاق عن هشام بن عُروةَ عن أبيه أن عامر بن الطفيل قال يومئذ : مَنْ رَجُلٌ لما طَعَنْتُه رُفِع حتى رأيتُ السماءَ من دونه . هذه رواية البَكَّائى عن ابن إسحاق ، وَروَى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبى عليه السلام : مَنْ رَجُل يا محمدُ لما طَعَنْتُه رُفِع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فُهَيْرة[1] وروى عبد الرَّزَّاق وابنُ المُبارَكِ أن عامر بن فُهَيْرَةَ الْتُمِسَ فى القَتْلَى يومئذ ، فَفُقِد ، فيرَون أن الملائكة رفعته أو دَفَنَتْه .

أم البنين الأربعة :

وذكر قول حسان :

بَنِى أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرُعْكُمْ   وأنتم فى[2] ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدِ

وهذه أم البنين التى ذكر لبيد فى قوله :

نحن بَنِى أُمِّ البنين الأَرْبَعَه

---

(١) فى رواية البخارى أن عامر بن الطفيل سأل عمرو بن أمية الضمرى ، وأن عامرا قال : لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء ، حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض . . . . وهذا قول رجل كافر ظل على كفره فهل يصدق ؟

(٢) فى السيرة : من .

. . . .

واسمها: لَيْلى بنتُ عامر ـ فيما ذكروا وقد ذكر ابن هشام نسبَها، ولم يذكر اسمها.

وذكر قول أنس بن عباس السلمي:

تركتُ ابنَ وَرْقاءَ الخُزَاعِيَّ ثاوِياً ... بمُعْتَرَكٍ تَسْفِي عليه الأعاصِرُ
ذكرت أبا الزَّبَّانِ لما رأيتُه ... وأيقنتُ أنى عند ذلك ثائرُ

الزبان أو الريان

هكذا وقع في النسخة أبا الزبَّانِ[1]، وفي رواية إبراهيم بن سَعْدٍ: أبا الرَّيَّانِ بالراء المهملة، وبالياء أخت الواو، وهكذا ذكره الدَّارَقُطْنِيُّ في المُؤْتَلِف والمُخْتَلِف، كما في رواية إبراهيم بن سعد.

القرطاء:

وذكر شعر كعب وفيه: أو القُرَطَاء ما إن أسْلَمُوه. القُرَطَاء: هم بنو قُرْطٍ وقُرَيْطٍ وقَرِيطٍ، وهم أبطُنٌ من بني عَامِرٍ ثم من بَنِي كِلَابٍ.

شيء منسوخ

ولما قتل أصحابُ بئر معونة نزل فيهم قرآن، ثم رُفِع: أن أبلغوا قَوْمَنَا أنْ قد لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينا عنه[2]، فثبت هذا في الصَّحيح، وليس

(١) في أبي ذر: الزبان أي بالزاء والباء وقد صوب: الريان.

(٢) البخاري: إنا لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا. ولتتدبر النقد الرائع الذي نقد به السهيلي هذا.

. . . .

عليه رَوْنَقُ الإعجاز ، فيقال : إنه لم يَنزِل بهذا النظم ، ولكن بِنَظْمٍ مُعْجِزٍ كَنَظْمِ القُرْآنِ .

فإن قيل : إنه خَبَرٌ والخبرَ لايدخلُه النسخُ ، قلنا : لم يُنْسَخ منه الخبرُ ، وإنما نُسِخَ منه الحكم ، فإنَّ حُكمْ القرآن أنْ يُتْلَى فى الصَّلاةِ ، وأنْ لا يَمَسَّه إلاَّ طاهرٌ[1] ، وأن يُكْتَبَ بين اللَّوْحَيْن ، وأن يكون تعلُّمه من فُروض الكِفاية ، فكل ما نُسِخَ ، ورفعت منه هذه الأحكامُ ، وإن بقى محفوظاً ، فإنه منسوخٌ ، فإن تضمن حُكماً جاز أنْ يَبْقَى ذلك الحكمُ معمولاً به ، وأنكرت ذلك المنزلةُ ، وإن تضَمَّن خبراً بقى ذلك الخبرُ مُصدقاً به ، وأحكامُ التلاوة منسوخةٌ عنه ، كما قد نزل: لو أن لابن آدمَ وَادِيَيْن مِنْ ذَهَبٍ لابْتغَى لهما ثالثاً ، ولا يملأ جَوْفَ ابنِ آدم إلا الترابَ ، ويتوبُ الله على من تاب .

ويُرْوى : لا يملأ عَيْنَىْ ابن آدمَ ، وَفَم ابنِ آدم ، كل ذلك فى الصحيح ، وكذلك رُوى : وادياً من مالٍ أيضاً ، فهذا خبرٌ حَقٌّ ، والخبر لا يُنْسَخُ ، ولكن نُسِخ منه أحكامُ التِّلاوة له ، وكانت هذه الآية أعنى قوله : لو أنَّ

---

(١) يشير إلى قوله سبحانه : (إنه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون) الواقعة : ٧٧ — ٧٩ والضمير فى لا يمسه يعود إلى الكتاب الذى فى السماء كما قال ابن عباس . والمطهرون هم الملائكة . وقال ابن زيد : زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى : (وما تنزلت به الشياطين) وقال الفراء : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به .

أمر إجلاء بنى النضير

فى سنة أربع

بنو النضير يأتمرون بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النَّضير يَستعينهم فى دِية ذينك القَتيلين من بنى عامر ، اللذين قَتل عمرو بن أميَّة الضَّمْرى ، للجوار الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَقد لهما ، كما حدَّثنى يزيد بن رُومان ، وكان بين بنى النَّضير وبين بنى عامر عَقْد وحِلْف .

لابن آدمَ فى سُورة يُونُسَ بعد قوله : كأنْ لم تَغْنَ بالأمْسِ كذلك نُفَصِّل الآياتِ لقوم يتفكرون ، كذلك قال ابن سلام ، وأما الحكم الذى بَقِى ، وكان قرآنا يُتلَى : فالشَّيْخُ والشَّيْخَةُ إذا زَنيا ، فارجُمُوهُمَا البَتَّة نَكَالاً من الله ، ولا تَرْغَبُوا عن آبائكم ، فإن ذلك كُفْرٌ بكم ، فهذا حكمٌ كان نسخه جائزاً حين نُسِخَ حكمُ التلاوة ، وكان جائزاً أن يَبْقى حُكْمُ التِّلاوة ، ويَنسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدم(١) .

---

(١) سؤال نسأله لهؤلاء الذين يزعمون مثل هذا : هل يجوز لمسلم أن يزعم أن قوله : لو أن لابن آدم الخ من القرآن ؟ . ثم هل يكفر من ينكر أنه كان من القرآن ؟ وفى آى القرآن من جلال البيان وجماله واشراقه ما يغنى عن هذا ، وما يحكم بأن هذا كلام ليس عليه — كما قال السهيلى من قبل — رونق الإعجاز ثم كيف تنسخ آية ويبقى حكمها ؟ أهذه تتفق مع حكمة الله بعباده ورحمته ؟ ليتق الله الذين يزعمون مثل هذا ، وكيف نأمن شراً يفترى مثل هذا؟!وسؤال آخر : أفى كتاب الله آية يحرم على المسلم أن يعمل بها ؟ ! لا يجرؤ أحد على قول : نعم.

فلما أتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دِيَة ذَيْنك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم ، نُعينك على ما أحببْت ، مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضُهم ببعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه — ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنْب جِدار من بيوتهم قاعد — فمَنْ رجلٌ يعلو على هذا البيت ، فيُلقى عليه صخرةً ، فَيريحنا منه ؟ فانتدَب لذلك عمرو ابن جحاش بن كعب ، أحدُهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليُلْقىَ عليه صخرة كما قال ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نَفَر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعُمر وعلىّ ، رِضْوان الله عليهم .

الله يُعلم نبيه بما دبّروا

فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما أراد القومُ ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث النبىَّ صلى الله عليه وسلم أصحابُه ، قاموا فى طَلبه ، فلقُوا رجلاً مُقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه ؛ فقال : رأيته داخلاً المدينة . فأقبل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبرَ ، بما كانت اليهودُ أرادتْ من الغَدْر به ، وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسَّيْر إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أمِّ مكتوم .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالنَّاس حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك فى شهر رَبيع الأوّل ، فحاصرهم ستّ ليال ؛ ونزل تحريم الخمر .

حصار الرسول لبنى النضير

قال ابن إسحاق : فتحصّنوا منه فى الحصون ، فأمر رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم بقَطْع النَّخيل والتَّحْريق فيها ، فنادَوْه : أنْ يا محمد ، قد كنتَ تَنْهى عن الفَساد ، وتَعِيبه على مَن صَنَعه ، فما بال قَطْع النخل وتحريقها ؟

تحريض الرهط لهم ثم محاولتهم الصلح

وقد كان رَهْط من بنى عَوْف بن الخزرج ، منهم (عدُوّ الله) عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلول، ووديعة، ومالك بن أبى قَوْقل ، وسُوَيد وداعِس، قد بعثوا إلى بنى النَّضير : أن اثبتُوا وتمنَّعوا ؛ فإنّا لن نُسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أُخرِجتم خرَجنا معكم ، فتربّصوا ذلك من نَصرهم ، فلم يَفعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرُّعب ، وسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُجْليَهم ويكفّ عن دمائهم ، على أنّ لهم ماحملت الإبل من أموالهم إلا الحَلْقة ، ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبلُ ، فكان الرجلُ منهم يَهْدِم بيتَه عن نِجَافِ بابِه ، فيَضعه على ظَهْر بعيرِه ، فينطلق به . فخرَجوا إلى خَيْبَر، ومنهم مَن سار إلى الشام .

من هاجر منهم إلى خيبر

فكان أشرافُهم مَنْ سار منهم إلى خَيْبر : سلاّم بن أبى الحُقَيق ،

وكِنانة بن الرَّبيع بن أبى الحُقَيق، وحُيَيّ بن أخطَب. فلما نزلوها دان لهم أهلها.

قال ابن إسحاق: فحدّثنى عبد الله بن أبى بَكر أنه حُدِّث: أنهم استقلُّوا بالنساء والأبناء والأموال، معهم الدُّفوف والمزامير، والقِيان يَعزفن خَلفهم، وإنّ فيهم لأمّ عَمرو صاحبةَ عُروة بن الوَرْد العَبْسيّ، التى ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساء بنى غِفار، بزُهاءٍ وفَخْرٍ ما رُئِىَ مثله من حىّ من الناس فى زمانهم.

تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين

وخلَّوُا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّةً، يضعها حيث يشاء، فقسّمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار. إلا أنّ سَهْل بن حُنيف وأبا دُجانة سِماك بن خَرَشة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

من أسلم من بنى النضير

ولم يُسْلم من بنى النَّضير إلا رجلان: يامينُ بن عُمير، أبو كَعْب بن عمرو ابن جِحاش؛ وأبو سعد بن وَهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها.

تحريض يامين على قتل ابن جحاش

قال ابن إسحاق ــ وقد حدثنى بعض آل يامين: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين: ألم تر ما لقِيتُ من ابن عمِّك، وما همّ به من شأنى؟

فجعل يامينُ بن عُمير لرجل جُعْلاً على أن يقتل له عَمْرو بن جِحاش ، فقتله فيما يزعمون .

ما نزل فى بنى النضير من القرآن

ونزل فى بنى النَّضير سورةُ الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته . وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، ماظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ، وظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ ، فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم إذا احتملوها . ﴿ فاعْتَبِرُوا يا أُولِى الأَبْصارِ . وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجلاء ﴾ وكان لهم من الله نقمة ، ﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيا ﴾ : أى بالسيف ، ﴿ وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عذابُ النَّارِ ﴾ مع ذلك . ﴿ ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلَى أُصُولِها ﴾ . واللينة : ماخالف العجوة من النخل ﴿ فَبِإِذْنِ اللهِ ﴾ : أى فبأمر الله قُطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نقمة من الله ﴿ وَلِيُخْزِىَ الفاسِقِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : اللِّينة : من الألوان ، وهى مالم تكن بَرْنيَّة ولا عَجْوة من النخل ، فيما حدَّثنا أبو عُبيدة . قال ذو الرُّمَّة :

كأنَّ قُتُودى فوقَها عُشُّ طائر على لِينَةٍ سَوْقاءَ تَهْفو جُنُوبها

وهذا البيت فى قصيدة له.

﴿ وما أفاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ ﴾ - قال ابن إسحاق : يعنى من بنى النَّضير - ﴿ فما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ ، ولكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشاء ، وَاللهُ على كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : أى له خاصة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أوجفتم : حركتم وأتعبتم فى السير . قال تميم بن أُبىّ بن مُقْبِل أحد بنى عامر بن صَعْصعة :

مذاويد بالبيض الحديثِ صِقالها عن الرَّكب أحيانًا إذا الركبُ أوجفوا

وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الوجيف . (و) قال أبو زبيد الطائىّ ، واسمه حَرْملة بن المُنْذِر :

مُسْنِفات كأنهنَّ قَنا الهنْـــدِ لطُول الوَجيف جَدْبَ المَرُود

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : السِّناف : البِطان . والوجيف (أيضًا) : وجيف القلب والكبد ، وهو الضَّربان . قال قيس بن الخطيم الظَّفَرى :

إنَّا وإن قَدَّموا التى علِمُوا أكبادُنا مِنْ وَرائهم تَجِف

وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلّهِ ولِلرَّسُولِ ﴾ — قال ابن إسحاق : مايُوجَف عليه المسلمون بالخيل والركاب ، وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول — ﴿ وَلِذِى القُرْبَى واليَتَامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بينَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ ، ومَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فخذوه ، وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا ﴾ . يقول : هذا قَسْم آخر فيما أُصيب بالحرب بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا ﴾ يعنى عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه ، ومَن كان على مثل أمرهم ﴿ يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ ﴾ : يعنى بنى النَّضير ، إلى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ ، ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : يعنى بنى قَيْنُقاع . ثم القصة . . إلى قوله : كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلإِنْسانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ ، إِنِّى أَخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ . فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فى النارِ خالِدَيْنِ فِيها ، وذلكَ جزاء الظَّالمينَ ﴾ .

ماقيل فى بنى النضير من الشعر

وكان مما قيل فى بَنى النَّضير من الشعر قولُ ابن لُقَيم العَبْسى ، ويقال : قاله قيس بن بَحْر بن طَرِيف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعى — فقال :

أهْلى فِداءٌ لامرىءٍ غيرِ هالكٍ أحَلَّ اليهودَ بالحَسِىِّ المُزَنَّمِ
يَقِيلون فى جَمْر الغَضاةِ وبُدِّلوا أُهَيْضِبَ عُودى بالوَدِىِّ المُكَمَّمِ

فإنْ يَكُ ظَنِّى صادقاً بمُحَمَّدٍ   تَرَوْا خيلَه بين الصَّلا ويَرَمرم

يؤم بها عمرَو بن بُهْثة إنهم   عدوٌّ وما حيٌّ صديق كمُجْرِم

عليهنَّ أبطالٌ مساعيرُ فى الوَغَى   يهزّون أطرافَ الوَشِيج المُقوَّم

وكلَّ رقيق الشَّفرتين مهنَّد   تُوُورِثْن من أزمان عادٍ وجُرْهُم

فمَنْ مُبْلِغٌ عنِّى قُرَيشاً رِسالةً   فهلْ بعدهم فى المجْدِ من مُتكرَّم

بأنَّ أخاكم فاعلمُنْ محمَّداً   تَلِيدُ النَّدى بين الحجون وزَمْزم

فدِينُوا له بالحقِّ تجسُم أمورُكم   وتَسْموا من الدُّنيا إلى كلِّ مُعْظَم

نبىٌّ تلاقته من الله رحمةٌ   ولا تَسألوه أمرَ غَيْبٍ مُرَجَّم

فقد كانَ فى بَدْرٍ لعَمْرِى عِبْرةٌ   لكم يا قُرَيشاً والقَلِيبِ المُلَمَّمِ

غداةَ أتَى فى الخزرجيَّة عامداً   إليكم مُطيعاً للعظيم المُكرَّم

مُعاناً برُوح القُدْس يُنكى عَدُوَّه   رسولا مِنَ الرَّحمن حقًّا بمَعْلَمَ

رسولا مِنَ الرَّحمن يَتْلو كِتابَه   فلمَّا أنارَ الحقُّ لم يَتَلَعْثَمَ

أرَى أمرَه يَزْداد فى كلِّ مَوْطن   عُلُوًّا لأمر حَمَّه الله مُحْكَمَ

قال ابن هشام: عمرو بن بُهْثة، من غَطَفان. وقوله «بالحىّ المزنم» عن غير ابن إسحاق:

قال ابن إسحاق: وقال علىّ بن أبى طالب: يذكر إجلاء بنى النضير، وقتل كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قالها رجلٌ من المسلمين غير علىّ بن أبى طالب، فيما ذكر

لى بعضُ أهل العلم بالشِّعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلىّ :

عرفتُ ومَنْ يَعتَدلْ يَعرِفِ وأيقَنْتُ حقّاً ولم أصدِفِ
عَن الكلم المُحْكم اللاء من لدى الله ذى الرّأفة الأرأفِ
رسائلُ تُدرَس فى المؤمنين بهنّ اصطفى أحمدَ المُصْطفى
فأصبح أحمدُ فينا عزيزاً عزيزَ المقامةِ والموْقفِ
فيا أيها المُوعِدوه سَفاهاً ولم يأتِ جوْراً ولم يَعْنُفِ
ألستم تخافون أدنى العَذابِ وما آمِنُ اللهِ كالأخْوفِ
وأنْ تُصرعوا تحت أسيافه كمَصرع كعبٍ أبى الأشرفِ
غَداة رأى اللهُ طُغيانه وأعرض كالجمَل الأجْنَفِ
فأنْزَلَ جبريلَ فى قَتْله بوَحْيٍ إلى عَبْده مُلطَفِ
فدَسّ الرّسولُ رسولا له بأبيَض ذى هَبّة مُرْهَفِ
فباتَتْ عيونٌ لهُ مُعْوِلاتٍ متى يُنْعَ كعبٌ لها تَذْرِفِ
وقُلن لأحمَد ذَرْنا قليلاً فإنّا مِنَ النّوْحِ لم نَشْتَفِ
فخَلاّهُمُ ثم قالَ اظْعَنُوا دُحوراً على رَغْمِ الآنُفِ
وأجْلَى النّضيرَ إلى غُرْبةٍ وكانوا بدارِ ذوى زُخْرُفِ
إلى أذرِعاتٍ رُدافَى وهُم على كلّ ذى دَبَرٍ أعْجَفِ

فأجابه سَمّاكُ اليهودىّ ، فقال :

إنْ تَفخَرُوا فهوَ فَخرٌ لكم بمَقتلِ كَعبٍ أبى الأشرفِ

غَداةَ غَـدَوْتُم على حَتْفِه ولم يَأتِ غَـدراً ولم يُخْلِفِ
فَعَلَّ اللَّيالى وَصَرْفَ الدُّهُور يُديل مِنَ العـادِلِ المُنْصِفِ
بقَتْلِ النَّضِـير وأخْلافِها وعَقْرِ النَّخِيـل ولم تُقْطَف
فإنْ لا أمُتْ نأتِكُمْ بالقَنَا وكلِّ حُسامٍ مَعاً مُرْهَفِ
بكفِّ كَمِيٍّ به يَحْتمى متى يَلْقَ قِرْناً له يُتْلِفِ
مَعَ القَوْم صَخْرٌ وأشْياعُه إذا غاوَرَ القَوْمَ لم يَضْعُفِ
كَلَيْثٍ بِتَرْجٍ حَمَى غِيلَـه أخِى غابَةٍ هاصِرٍ أجْوَفِ

شعر كعب فى إجلاء بنى النضير وقتل ابن الأشرف

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف:

لقد خَزِيَتْ بغَـدْرَتها الحُبُورُ كذاكَ الدَّهْرُ ذو صَرْفٍ يَدُورُ
وذلك أنَّهم كَفَرُوا بِرَبٍّ عَزِيزٍ أمرُه أمرٌ كَبِير
وقـد أوتُوا مَعاً فَهْماً وَعِلْماً وجاءهُمُ مِنَ اللهِ النَّـذِير
نذيرٌ صادِقٌ أدّى كِتاباً وآياتٍ مُبَيِّنَـةً تُنير
فقالوا: ما أتَيْتَ بأمرِ صِدْقٍ وأنتَ بِمُنْكَر منّا جَدِير
فقال: بَلى لقـد أدَّيْتُ حَقّاً يُصدِّقنى به الفَهِمُ الخَبِير
فمَن يَتْبعه يُهْدَ لكلِّ رُشْدٍ ومن يَكْفر به يُجْزَ الكَفُور
فلما أُشْرِبوا غَـدراً وكُفْراً وحادَ بهمْ عن الحقِّ النُّفور

أرى اللهُ النَّبيَّ برأيٍ صدقٍ　　وكان اللهُ يحكمُ لا يجورُ

فأيّده وسلّطه عليهم　　وكان نصيرُه نِعْمَ النَّصير

فغُودِر منهمُ كَعْبٌ صَرِيعاً　　فذلّت بعد مَصْرعه النَّضير

على الكفّين ثمّ وقد علته　　بأيدينا مُشَهَّرةٌ ذُكُور

بأمر محمّدٍ إذ دسّ ليلاً　　إلى كَعْبٍ أخا كَعْبٍ يسير

فماكره فأنزله بمكرٍ　　ومحمودٌ أخو ثقةٍ جَسُور

فتلكَ بنو النَّضير بدار سَوْءٍ　　أبارَهم بما اجترمُوا المُبِير

غداةَ أتاهُم في الزّحف رَهْواً　　رسولُ الله وَهْوَ بهم بَصير

وغسّانَ الحماة مُوَازِرُوهُ　　على الأعداء وَهْوَ لهم وَزِير

فقال السّلم وَيحكمُ فَصَدُّوا　　وحالفَ أمرَهم كَذِب وزُور

فذاقُوا غِبّ أمْرِهِمُ وَبالاً　　لكلّ ثلاثةٍ منهُمْ بعير

وأُجْلُوا عامِدِينَ لقَيْنُقاع　　وغُودر منهمُ نخلٌ ودُور

شعر سماك فى الرد على كعب

فأجابه سماك اليهوديّ ، فقال :

أرِقتُ وضافني همّ كبيرُ　　بليلٍ غيرُه ليلٌ قصيرُ

أرَى الأحبار تُنْكِره جميعاً　　وكلُّهمُ له عِلْم خبير

وكانوا الدّارسين لكلّ علمٍ　　به التّوراة تَنْطِق والزّبُور

قتلتم سيِّدَ الأحبار كَعْباً　　وقِدْماً كانَ يأمن مَنْ يُجير

تَدَلَّى نحو محمودٍ أخيــه ... ومحمودٌ سريرته الفخـــ

فغادَرَه كأنَّ دَمًا نجيعًا ... يَسيل على مَدارِعه مـ

فقــد وأبيكمُ وأبى جميعًا ... أُصيبتْ إذ أُصيبَ به النضـ

فإنْ نَسْلَمْ لكم نترك رِجالاً ... بكَعْب حولَهم طَيْرٌ عـ

كأنهم عَتائر يومِ عيــدٍ ... تُذَبَّحُ وَهْىَ ليس لهـ

ببيضٍ لا تُلِيقُ لهنّ عَظمًا ... صَوافى الحدِّ أكثرُها ...

كما لاقيتمُ من بأسِ صَخْرٍ ... بأُحْد حيثُ ليس لكم ...

شعر ابن مرداس فى امتداح رجال بنى النضير

وقال عباسُ بن مرداس أخو بنى سليم يمتدح رجال بنى النضير:

لو أنّ أهلَ الدّار لم يتصدّعوا ... رأيتَ خِلالَ الدارِ مَلْهى ومـ

فإنك عَمْرى هل أُريكِ ظَعائنًا ... سَلَكْنَ على رُكن الشَّطاة فتَيْأَما

عليهنّ عِينٌ من ظباء تَبالةٍ ... أوانسُ يُصْبِين الحليمَ المجرّ...

إذا جاء باغى الخيرِ قُلْنَ فُجاءةً ... له بوجوه كالدّنانير مَرْحبا

وأهلاً فلا ممنوع خيرٍ طَلَبْتَه ... ولا أنت تخشى عندنا أن تُؤَثَّما

فلا تحسبنِّى كنت مولى ابن مِشكم ... سَلامِ ولا مَوْلى حُيَىِّ بن أخطبا

شعر خوات فى الرد على ابن مرداس

فأجابه خَوّات بن جُبير، أخو بنى عمرو بن عوف، فقال:

تُبَكِّى على قَتْلَى يهودَ وقد ترى ... مِن الشَّجْوِ لو تَبْكِى أحبَّ وأقربا

فهلاَّ على قتلى ببطن أُرَيْنِقٍ ... بكيْتَ ولم تُعْوِل من الشَّجوِ مُسْهِبا

إذا السِّلْم دارت فى صديقٍ رددتَها ... وفى الدين صَدَّاداً وفى الحرب ثَعْلَبا

عمدتَ إلى قَدْرٍ لقومِك تَبْتغى ... لهم شَبَهاً كَيْما تعزَّ وتَغْلِبا

فإنَّك لمَّا أن كَلِفْتَ تمدُّحاً ... لمن كان عَيْباً مدحُه وتكذُّبا

رحلتَ بأمرٍ كنتَ أهلاً لمثله ... ولم تُلْفِ فيهم قائلاً لك مَرْحَبا

فهلاَّ إلى قومٍ مُلوكٍ مدحتَهم ... تَبَنَّوْا مِن العزِّ المؤثَّل مَنْصِبا

إلى مَعْشَرٍ صاروا مُلوكا وكُرِّمُوا ... ولم يُلْفَ فيهم طالبُ العُرْفِ مُجْدِبا

أولئك أحرى مِن يهودَ بِمِدْحَةٍ ... تراهُم وفيهم عِزَّةُ المَجْدِ تُرَّتُبا

شعر ابن مرداس فى الرد على خوات

فأجابه عبَّاس بن مرداس السلمىّ، فقال:

هجوتَ صريحَ الكاهِنَيْن وفيكمُ ... لهم نِعَمٌ كانت من الدَّهر تُرَّتُبا

أولئك أحرَى لو بكيْتَ عليهمُ ... وقومُك لو أدَّوا من الحقِّ مُوجَبا

من الشُّكر إنَّ الشكر خيرٌ مَغَبَّةً ... وأوفقُ فعلاً للذى كان أصوَبا

فكنتَ كمَن أمسَى يُقطِّع رأسه ... ليَبْلُغ عزًّا كان فيه مُرَكَّبا

فبكِّ بنى هارون واذكُر فعالَهم ... وقتْلَهم للجُوع إذ كنتَ مُجْدِبا

أخوَّاتُ أذْرِ الدَّمعَ بالدَّمع وابكِهم ... وأعْرِض عن المكروه منهم ونَكِّبا

فإنَّك لو لاقيتَهم فى دِيارِهم ... لألْفيتَ عمَّا قد تقول مُنَكِّبا

سِراعٌ إلى العَلْيا كِرامٌ لدى الوَغى ... يُقال لباغِي الخَيْرِ أهلاً ومَرْحبا

شعر لكعب أو ابن رواحة فى الرد على ابن مرداس

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رَواحة ، فيما قال ابن هشام ، فقال :

لعمرى لقد حكَّت رَحى الحرب بعدما ... أطارَتْ لُؤَيًّا قبلُ شَرْقا ومَغْرِبا

بقِيَّةَ آلِ الكاهِنَيْن وعِزَّها ... فعادَ ذليلاً بَعد ما كان أغْلَبا

فطاحَ سَلامٌ وابْنُ سَعْيَة عَنْوةً ... وقِيدَ ذليلاً للمَنايا ابنُ أخْطَبا

وأجْلَبَ يَبْغِي العِزَّ والذلَّ يَبْتغى ... خِلافَ يَدَيْه ماجَنى حين أجْلبا

كتارِكِ سَهْلِ الأرضِ والحزنُ همَّهُ ... وقد كان ذا فى الناس أَكْدَى وأصعبا

وشأسٌ وعَزَّال وقَد صَليا بها ... وما غُيِّبا عن ذاك فيمن تَغَيَّبا

وعَوفُ بن سَلْمى وابن عَوْفٍ كلاهما ... وكَعبٌ رئيسُ القوم حان وخُيِّبا

فبُعْداً وسُحْقاً للنَّضير ومثلها ... إن اعقبَ فتحٌ أو إنِ الله أعْقَبا

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد بنى النَّضِير بَنى المُصْطلق . وسأذكر حديثهم إن شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن إسحاق فيه .

غزوة ذات الرقاع

فى سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة

بنى النَّضير شهرَ ربيع الآخر وبعضَ جُمادَى ، ثم غزا نجداً يُريد بنى مُحارب وبنى ثَعلبة من غَطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغِفَارِىّ ، ويقال : عثمان بن عفّان ، فيما قال ابن هشام .

لِمَ سميت بذات الرقاع ؟

قال ابن إسحاق : حتى نزل نَخلا ، وهى غزوة ذات الرّقاع .

قال ابن هشام: وإنما قيل لها غزوة ذات الرّقاع ، لأنهم رقّعوا فيها راياتهم. ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعاً عظيما من غَطفان ، فتقارب النّاسُ ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضُهم بعضاً حتى صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنّاس صلاة الخوْف ، ثم انصرف بالناس .

صلاة الخوف

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التّنّورىّ – وكان يُكنى: أبا عُبَيدة – قال : حدثنا يونس بن عُبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوْف ، قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ثم سلّم ، وطائفة مُقْبلون على العدوّ . قال : فجاءوا فصلى بهم ركعتين أُخريين ، ثم سلّم .

قال ابن هشام : وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبى الزبير،

عن جابر ، قال : صفّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفّين ، فركع بنا جميعاً ، ثم سجدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصفُّ الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلُونهم بأنفسهم ، ثم تأخّر الصفّ الأوّل ، وتقدّم الصفّ الآخر حتى قاموا مقامَهم ثم ركع النبيّ صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلُونه معه ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم ، فركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ، وسجد كلّ واحد منهما بأنفسهم سَجْدَتين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التَّنُّوري قال : حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلي عدوّهم ، فيركع بهم الإمام ويَسْجد بهم ، ثم يتأخَّرون فيكونون مما يلي العدوّ ، يتقدّم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ، ويسجد بهم ، ثم تصلي كلّ طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلَّوْا بأنفسهم ركعةً ركعة .

همّ غورث بن الحارث بقتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عُبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلا من بني مُحارب ، يقال له : غَوْرَث ، قال لقومه من غَطَفان ومُحارب : ألا أقتُل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجره ، فقال : يا محمد ، أنظُر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم – وكان

مُحَلًّى بفضة ، فيما قال ابن هشام ـ قال : فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزّه ، ويهمّ فيكبته الله، ثم قال : يا محمد ، أما تخافنى ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يدى السّيف ؟ قال : لا ، يمنعنى الله منك . ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردّه عليه . قال : فأنزل الله : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللهَ ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن رُومان : أنها إنما أنزلت فى عَمْرو بن جِحاش ، أخى بنى النَّضير وماهمّ به ، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

قصه جمل جابر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى وهب بن كَيْسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غَزْوة ذات الرّقاع من نخل ، على جَمَل لى ضعيف ، فلما قفَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جعلتِ الرّفاق تمضى ، وجعلت أتخلَّف ، حتى أدركنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالك ياجابر ؟ قال : قلت : يارسول الله ، أبطأ بى جملى هذا ؛ قال : أنِخه ؛ قال : فأنختُه ، وأناخ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك ، أو اقطع لى عصا من شَجرة ؛ قال : ففعلت . قال : فأخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فنخَسه بها نَخَسَاتٍ ، ثم قال : اركب . فركبتُ ، فخرج ، والذى بعثه بالحقّ ، يُواهِقُ ناقته مُواهَقَةً .

قال : وتحدّثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : أتبيعنى جملك هذا ياجابر ؟ قال : قلت : يارسول الله ، بل أَهَبه لك ؛ قال : لا ، ولكن بِعْنيه ، قال : قلت : فسُمْنيه يارسول الله ؛ قال : قد أخذته بدرهم ؛ قال : قلت : لا ، إذن ، تَغبِننى يارسول الله ! قال : فبدرهمين ؛ قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأُوقِيَّة . قال : فقلت : أفقد رضيتَ يارسولَ الله ؟ قال : نعم ؛ قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته . قال : ثم قال : يا جابر ، هل تزوّجتَ بَعْدُ ؟ قال : قلت : نعم يارسول الله ،قال : أثَيِّباً أم بِكْراً ؟ قال : قلت: لا ، بل ثَيِّباً ،قال: أفلا جارِيَةً تُلاعبها وتُلاعِبُك ! قال. قلت: يارسول الله، إن أبى أصيب يوم أُحُدٍ وترك بَنَاتٍ له سَبْعاً ، فنكحتُ امرأةً جامعةً ، تجمع رءوسهن ، وتَقُوم عليهن ؛ قال : أصبْتَ إن شاء الله ، أما إنَّا لو قدجئنا صِرَاراً أمَرْنا بجَزُور فنُحرت ، وأقمنا عليها يومَنا ذاك ، وسمعت بنا ، فنَفَضَتْ نمارقها : قال : قلت : والله يارسول الله مالنا من نمارق ؛ قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قَدِمت فاعمل عملاً كَيِّساً . قال . فلما جئنا صِراراً أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجَزُور فنُحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ؛ فلما أمسَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دخل ودَخَلنا ، قال : فحدثتُ المرأة الحديثَ ، وما قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدُونك ، فسمع وطاعة . قال : فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل ، فأقبلتُ به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : ثم جلستُ فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى الجمل ، فقال : ماهذا ؟ قالوا : يارسول الله ، هذا جمل جاء به

جابر ، قال : فأين جابر؟ قال : فدُعيتُ له ، قال : فقال : يابن أخى خُذ برأس جملك ، فهو لك ، ودَعا بِلالاً ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقيَّة . قال : فذهبت معه ، فأعطانى أوقيَّةً ، وزادنى شيئاً يسيراً . قال: فوالله مازال يَنْمِى عندى ، ويُرَى مكانُه من بيتِنا ، حتى أُصيب أمس فيما أُصيب لنا ، يعنى يوم الحَرّة .

ابن ياسر وابن بشر ، وقيامهما على حراسة جيش الرسول وما أُصيبا به

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمى صَدقة بن يَسار ، عن عَقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرّقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المُشركين ، فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجُها وكان غائباً ، فلما أُخبر الخبر حلَف لاينتهى حتى يُهَرِيق فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دماً ، فخرج يتبع أثَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فقال : من رَجل يكلؤُنا ليلَتنا (هــذه) ؟ قال : فانتدبَ رجلٌ من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يارسول الله ، قال : فكونا بفَم الشِّعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه قد نزلوا إلى شِعب من الوادى ، وهما عمار بن ياسر وعبّاد بن بِشْر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فَم الشِّعب ، قال الأنصاريُّ

للمهاجريّ أيّ الليل تحبّ أن أكفيكه : أوّله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوّله ، قال : فاضطجع المهاجِرِيّ فنام ، وقام الأنصارى يصلى ، قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجلِ عَرَف أنه رَبِيئَةُ القوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائماً ، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهَبَّ صاحِبَه فقال : اجلس فقد أُثبِتُّ ، قال : فوثبَ ، فلما رآهما الرجلُ عرف أن قد نَذِرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجريّ ما بالأنصاريّ من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أهْبَبْتَنِي أوّل مارماك ؟ قال : كنت فى سُورة أقرؤها فلم أُحِبّ أن أقطعها حتى أُنفِذَها ، فلما تابع علىّ الرّمىَ ركعتُ فأذِنتك ، وايم الله ، لولا أن أُضيِّع ثغراً أمرَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ، لقَطع نفسى قبل أن أقطعَها أو أُنفِذَها .

قال ابن هشام : ويقال : أنفذها .

رجوع الرسول

قال ابن إسحاق : ولما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرّقاع ، أقام بها بقية جمادَى الأولى وجمادَى الآخرة ورجباً .

. . . .

غزوة بدر الآخرة

فى شعبان سنة أربع

خروج الرسول

قال ابن إسحاق : ثم خرج فى شعبان إلى بَدْر ، لميعاد أبى سفيان ، حتى نزله .

استعماله ابن أبىّ على المدينة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبدَ الله بن عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول الأنصارىّ .

رجوع أبى سفيان فى رجاله

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانىَ ليال ينتظر أبا سُفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكّة حتى نزل مَجَنّة ، من ناحية الظَّهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسْفان ، ثم بدا له فى الرجوع ، فقال : يامعشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلاَّ عام خَصيب تَرْعون فيه الشَّجر ، وتَشْربون فيه اللبن ، وإنّ عامكم هذا عامُ جدْب ، وإنى راجعٌ ، فارجِعوا فرجع الناس . فسماهم أهل مكة جيش السَّويق ، يقولون : إنما خرجتم تَشْرَبون السَّويق .

الرسول ومخشى الضمرى

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بَدر ينتظر أبا سُفيان لميعاده ،

فأتاه مَخْشِى بن عَمْرو الضَّمْرى ، وهو الذى كان وادَعه على بنى ضَمْرة فى غزوة ودّان ، فقال : يا محمد ، أجئتَ للقاء قُريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، يا أخا بنى ضَمْرة ، وإن شئتَ مع ذلك رَددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك ، قال : لا والله يا محمد ، مالنا بذلك منك من حاجة .

معبد وشعره فى ناقة للرسول هوت

فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سُفيان ، فمرّ به مَعْبَدُ بن أبى مَعْبد الُخزاعى ، فقال ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوى به .

قد نفَرَتْ مِن رُفْقتَىْ مُحَمَّدِ　　　وعَجْوَةٍ مِن يَثْرِب كالعَنْجَدِ
تَهْوى على دِينِ أبيها الأتْلَدِ　　　قد جعَلَتْ ماءَ قُدَيْد مَوْعِدى
وماء ضَجْنان لها ضُحى الغَدِ

شعر لابن رواحة أو كعب فى بدر

وقال عبدُ الله بن رَوَاحةَ فى ذلك ـ قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك :

وَعَـدْنا أبا سُفْيانَ بدراً فلم نَجِدْ　　　لميعاده صِدْقاً وما كان وَافِيا
فأُقْسِم لو وافَيْتَنا فلَقيتنا　　　لأُبْتَ ذَميما وافتقَدْتَ المَوَاليا
تركْنا به أوْصالَ عُتْبة وابنه　　　وعمراً أبا جَهْل تركْناه ثاوِيا

عصَيتم رسولَ الله أُفٍّ لدينكم ... وأمركم السيء الذى كان غاويا

فإنّى وإن عنّفتمونى لقائلٌ ... فِدًى لرسولِ الله أهلى وماليا

أطَعْناه لم نَعْدِلْهُ فينا بغَــيْره ... شِهابًا لنا فى ظُلْمة اللّيل هاديا

شعر حسان فى بدر

وقال حسّان بن ثابت فى ذلك:

دعُوا فَلَجاتِ الشّام قد حال دُونها ... جلادٌ كأفواهِ المَخاضِ الأوَارِكِ

بأيْدى رِجالٍ هاجرُوا نحو ربِّهم ... وأنصارِه حَقًّا وأيْدِى المَلائكِ

إذا سَلَكتْ للغَوْرِ من بَطْنِ عالجٍ ... فقُولا لها ليس الطّريق هُنالكِ

أقَمْنا على الرّسِّ النّزُوع ثمانيا ... بأرْعَنَ جرَّارٍ عَرِيض المَبارِكِ

بكلّ كُمَيْت جَوْزُه نِصْف خَلْقه ... وقُبٍّ طوالٍ مُشْرفات الحَوارِكِ

ترَى العَرْفَجَ العامىَّ تَذْرِى أُصُوله ... مَناسِمُ أخْفاف المَطِى الرَّوَاتِكِ

فإنْ تَلْقَ فى تَطْوَافِنا والتماسنا ... فُراتَ بن حَيَّانٍ يكُنْ رَهنَ هالِكِ

وإنْ تَلْقَ قَيْس بن امرئ القَيْس بعده ... يُزَدْ فى سوادٍ لونُه لونُ حالكِ

فأبْلِغْ أبا سُفْيان عَنّى رسالةً ... فإنّكَ مِنْ غُرّ الرّجال الصّعالكِ

شعر أبى سفيان فى الرد على حسان

فأجابه أبو سفيان بنُ الحارث بن عبد المطلب، فقال:

أحسَّانُ إنَّا يابنَ آكِلةِ الفغا ... وجدِّك نَغتال الُخروق كذلك

خَرَجْنا وما تَنْجو اليعافيرُ بَيْنَنا ... ولو وألَتْ منَّا بشَدٍّ مُدارِك

إذا ما انبعثْنا من مُناخٍ حَسِبْتَهُ ... مُدَمَّن أهل الموْسِم المُتَعارك

أقمتَ على الرسّ النَّزوع تُرِيدنا ... وتتركُنا فى النَّخْل عند المَدارِك

على الزَّرْع تمشى خَيْلُنا ورِكابُنا ... فما وَطِئَتْ ألْصقْنه بالدَّكادِك

أقمنا ثلاثاً بين سَلْع وفارِع ... بجُرْدِ الجيادِ والمَطِىِّ الرَّوَاتِك

حَسِبتُم جِلاد القَوْم عند قِبابِهم ... كمأخَذِكم بالعَيْن أرْطالَ آنُكِ

فلا تبعثِ الخيل الجيادَ، وقُل لها ... على نحْوِ قولِ المُعْصِم المتماسِك

سَعِدتم بها وغيرُكم كان أهلَها ... فوارسُ من أبناء فِهْرِ بنِ مالك

فإنَّك لا فى هجرةٍ إن ذَكَرْتَها ... ولا حُرُماتِ الدِّينِ أنتَ بناسِك

قال ابن هشام: بقيت منها أبيات تركناها، لقُبح اختلاف قوافيها. وأنشدنى أبو زيد الأنصارىّ هذا البيت:

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

والبيت الذى بعده لحسَّان بن ثابت فى قوله:

دعُوا فَلَجات الشأمِ قد حالَ دونَها

وأنشدنى له فيها بيته «فأبلغ أبا سفيان».

. . . .

غزوة بنى النضير وما نزل فيها

ذكر ابن إسحاق هذه الغزوةَ فى هذا الموضع ، وكان ينبغى أن يذكرها بعد بَدْرٍ ، لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزُّهْرى ، قال : كانت غَزْوَةُ بنى النَّضِير بعد بَدْرٍ بستَّةِ أشهر .

قطع اللينة وتأويله :

وذكر نزولَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببنى النَّضِير ، وسَيْره إليهم حين نَقَضُوا العهدَ الذى كان بينهم وبينه ، وهموا بقَتْله ، فلما تحصَّنوا فى حُصُونِهم وحُرِقَ نخلُهم نادَوْه أنْ يا محمدُ ، قد كنتَ تَنْهَى عن الفسادِ وتعيبُه ، وذكر الحديثَ . قال أهلُ التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ما قَطَعْتُمْ من لِينَةٍ ، أو تَرَكْتُمُوهَا قائمةً على أصولها﴾ الآية الحشر : ٥ . واللِّينَةُ ألوانُ التَّمرِ ما عدا العَجْوَةَ والبَرْنىَّ ففى هذه الآية أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يَحْرِقْ من نخلِهمْ إلّا ما ليس بقُوتٍ للناسِ ، وكانوا يقتاتُون العَجْوَةَ ، وفى الحديث : العَجْوَةُ من الجَنَّة[1] ، وثَمَرُها يَغْذُو أحسن غِذَاء ، والبَرْنِىُّ أيضاً كذلك . وقال أبو حنيفة : معناه بالفارسية حِمْلٌ مُبارَكٌ ، لأنَ بَرّ معناه : حِمْلٌ ، ونِىّ معناه جَيِّدٌ ، أو مُبارَكٌ فعرَّبته العربُ ، وأدخلته فى كلامها ، وفى حديث وفد عبد القيس أن

---

(١) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة عن أبى هريرة وأحمد والنسائى وابن ماجة عن أبى سعيد وجابر عنه صلى الله عليه وسلم .

. . . .

رسولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لهم ، وذَكَر البَرْنِيَّ : إنه من خير تَمْرِكُم ، وإنه دواءٌ وليس بداءٍ ، رواه منهم مَزيدَةُ العَصْرِيّ ، ففي قوله تعالى : ﴿ ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ ﴾ ولم يقل : من نَخْلَةٍ على العموم : تنبيهٌ على كراهةِ قطع ما يُقتاتُ ويُغْذُو من شَجَرِ العَدُوِّ إذا رُجِيَ أن يصيرَ إلى المسلمين ، وقد كان الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنه ـ يوصي الجيوشَ ألَّا يَقطعوا شَجَراً مُثمِراً ، وأخذ بذلك [أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو] الأوْزَاعِيُّ ، فإمّا تأوَّلوا حديثَ بني النَّضير ، وإما رأوه خاصًّا للنبي عليه السلام ، ولم يختلفوا أن سورة الحَشْر نزلت في بني النَّضِير ، ولا اختلفوا في أموالِهم ، لأن المسلمين لم يُوجِفُوا عليها بخَيْلٍ ولا رِكَابٍ ، وإنما قَذَفَ الرُّعْبُ في قلوبهم وجَلَوْا عن منازِلهم إلى خَيْبَرَ ، ولم يكن ذلك عن قتالٍ من المسلمين لهم ، فقسمها النبيُّ صلى الله عليه وسلم ـ بين المهاجرين ، ليرفع بذلك مُؤْنتَهُمْ عن الأنصارِ ، إذ كانوا قد ساهَمُوهم في الأموال والدِّيار ، غير أنه أعطى أبا دُجَانَةَ وَسَهْلَ بن حُنَيْفٍ لحاجتهما ، وقال غير ابن إسحاقٍ : وأعطى ثلاثة من الأنصارِ ، وذكر الحارثَ بن الصِّمَّةِ فيهم .

حول أول سورة الحشر :

وقوله سبحانه : ﴿ يُخَرِّبُون بيُوتَهُمْ [بأَيْدِيهِمْ وأَيْدِي المؤمنين] ﴾ الحشر : ٢ أي يُخَرِّبُونها من داخلٍ ، والمؤمنون من خارجٍ ، وقيل معنى بأيديهم : بما كَسبت أيديهم مِنْ نَقْضِ العَهْدِ ، وأيدي المؤمنين ، أي بجهادهم .

وقوله (لأوَّلِ الحَشْرِ) ، روى موسى بن عُقْبَةَ أنهم قالوا له : إلى أين نخرج

. . . .

يا محمد ؟ قال : إلى الحَشْرِ ، يعنى : أرضَ المَحْشَر ، وهى الشّام ، وقيل : إنهم كانوا من بَسْطٍ لم يُصِبْهم جَلَاء قَبلها ، فلذلك قال : لأوّل الحَشْرِ ، والحشرُ : الجَلاء[1] ، وقيل إن الحشرَ الثانى ، هو حشْرُ النار التى تخرج من قَعْر عَدَن ، فتحشُر الناسَ إلى الموقف ، تَبِيت معهم ، حيث باتوا ، وتقيلُ معهم قالُوا ، وتأكل مَنْ تَخَلّف ، والآية مُتَضَمِّنة لهذه الأقوالِ كُلِّها ، ولزائدٍ عليها ، فإن قوله : لأوّل الحَشْرِ يُؤْذِن أن ثَمّ حَشْراً آخَرَ ، فكان هذا الحشرُ والجلاء إلى خَيْبَر ، ثم أجلاهم عُمَر من خَيْبَر إلى تَيْماءَ وأرِيحَا[2] ، وذلك حين بلغه التَّثَبُّتُ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يَبْقَيَن دِينان بأرض العرب .

وقوله : ﴿ فأتاهم اللهُ من حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ الحشر : ٢ ، يقال : نزَلَت فى قَتْلِ كعب بن الأشْرَفِ .

وقوله تعالى : ﴿ ما أفاء اللهُ عَلَى رَسُولِه مِنْ أهلِ القُرى ﴾ الحشر : ٧ . ورُوِى عن مالكٍ أنه قال : هم بنو قُرَيْظَةَ ، وأهلُ التأويل على أنها عامَّة فى جميع القُرى المُفْتَتَحَةِ على المسلمين وإن اختلفوا فى حُكْمِها ، فرأى قومٌ

---

(١) الحشر — كما يقول الراغب : « إخراج الجماعة عن نفرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها » ولذا يقول البيضاوى : أى فى أول حشرهم من جزيرة العرب إذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك ، أو فى أول حشرهم للقتال أو الجلاء إلى الشام وهو قريب من بعض ما ذكر السهيلى .

(٢) تيماء : بليد فى أطراف الشام بينها وبين وادى القرى على طريق حاج دمشق . وأريحا مدينة الجبارين فى الغور بينها وبين بيت المقدس يوم « المراصد » .

. . . .

قَسْمَها كما تُقْسَم الغنائمُ ، ورأى بعضُهم للإمام أن يَقِفَها ، وسيأتى بيانُ هذه المسألة فى غَزْوَةِ خَيْبَر إن شاء الله .

وذكر شِعْر العَبْسِىِّ فى إجلاء اليهود ، فقال :

أحَلَّ اليهودَ بالحَسِىِّ المُزَنَّمِ

يريد : أحَلَّهم بأرض غُرْبَةٍ ، وفى غير عشائِرِهم ، والزَّنِيمُ والمُزَنَّمُ : الرجلُ يكون فى القوم ، وليس منهم ، أى أنزلهم بمنزلة الحَسِىِّ ، أى المُبْعَد الطَّريدُ ، وإنما جُعل الطريدُ الذَّليلُ حَسِيًّا لأنه عُرْضَةُ الأَكْلِ ، والحَسِىُّ والحَسُوُّ مايُحْسَى من الطعام حَسْواً ، أى أنه لا يَمْتَنِع على آكل ، ويجوز أن يريد بالحَسِىِّ معنى الغَذِىِّ من الغَنَم ، وهو الصَّغيرُ الضَّعيفُ الذى لا يستطيع الرَّعْى ، يقال : بُدِّلوا بالمالِ الدَّثْرِ والإبلِ الكوم رُذَالَ المالِ وغِذَاءَ الغَنَم ، والمُزَنَّمَ منه ، فهذا وَجْهٌ يحتمل ، وقد أكثرتُ التَّنْقِيرَ عن الحَسِىِّ فى مَضَانِّه من اللغة فلم أجد نَصًّا شافياً أكثر من قول أبى عَلِىٍّ : الحَسِيَّةُ ، والحَسِىُّ مايُحْسَى من الطعام ، وإذ قد وَجدنا الغَذِىّ واحد غِذاءِ الغَنَم ، فالحَسِىُّ فى معناه غيرُ مُمْتنِع أن يقال ، والله أعلم[1] . والمُزَنَّمُ أيضاً : صِغَارُ الإبلِ ، وسائرُ هذا

---

(١) يقول أبو ذر الخشنى : الحسى والحساء : مياه تغور فى الرمل وتمسكها صلابة الأرض ، فاذا حفر عنها وجدت ، والمزنم على هذا القول هو المقلل اليسير ، ومن رواه بالحشى أراد به حاشية الإبل ، وهى صغارها وضعافها وهو الصواب ، والمزنم على هذا القول يعنى به أولاد الإبل الصغار ، وقد يكون المزنم هنا المعز سميت بذلك للزنمتين اللتين فى أعناقها ، وهما المنيتان اللتان تتعلقان من أعناقها ص ٢٨٨ .

. . . .

الشعرِ مع مابعده من الأشعار ليس فيه عَوِيصٌ من الغريب ، ولا مُسْتَغْلِقٌ من الـكلام .

الـكاهنان :

وما ذكر من أمر الـكاهنين فهما قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ ، وفى الحديث : يخرج فى الـكاهِنَيْن رجل يَدْرُسُ القرآنَ دَرْساً لم يَدْرُسْه أحدٌ قبله ، ولا يَدْرُسُه أحدٌ بعده ، فكانوا يَرَوْنَه أنه مُحَمَّد بن كَعْبٍ القُرَاظِىّ وهو محمد ابن كعب بن عطية[1] ، وسيأتى خبرُ جَدِّه عَطِيَّة فى بنى قُرَيْظَةَ ، والـكاهنُ فى اللغة بمعنى الـكاهِلِ ، وهو الذى يقوم بحاجةِ أهلِه ، إذا خَلَفَ عليهم ، يقال: هو كاهنُ أبيهِ وكاهِلُه ، قاله الهروى ، فيحتمل أن يكون سُمِّى الـكاهِنَان بهذا[2] .

خروج بنى النضير إلى خيبر :

فصل : وذكر ابن إسحاقٍ خروجَ بنى النَّضِير ، إلى خيبر ، وأنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموالِ معهم الدفوفُ والمزامير والقِيَانُ يَعْزِفْنَ

---

(١) محمد بن كعب القرظى المدنى ثم الكوفى أحد العلماء . قال ابن عون : مارأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظى ، وقال ابن سعد : كان ثقة ورعا كثير الحديث ، وقد وثقه أبو زرعة والعجلى مات سنة ١١٩ ، وقيل سنة ١٢٠ وقيل سنة ١٠٨ « خلاصة تذهيب الكمال والإكمال لولى الدين أبى عبد الله محمد بن عبدالله الخطيب» .

(٢) العرب تسمى كل من يتعاطى علما دقيقا : كاهنا .

. . . .

خَلْفَهم ، وإنّ فيهم لأُمَّ عَمْرٍو صاحبة عُرْوَةَ بن الْوَرْدِ التي ابتاعوا منه ، وكانت إحـــدى نساء بنى غِفَار. انتهى كلام ابن إسحاق ، ولم يذكر اسمها فى رواية البكّائى عنه ، وذكره فى غيرها ، وهى سَلْمَى ، قال الأصمعىُّ : اسمها : لَيْلَى بنت شَعْوَاء ، وقال أبو الفرج : هى سَلْمَى أُمُّ وَهْبٍ امرأةٌ من كِنَانَة ، كانت ناكحاً فى مُزَيْنَةَ ، فأغار عليهم عُرْوَةُ بن الْوَرْدِ ، فسباها ، وذكر الحديث ، وقول أبى الفرج إنها من كِنَانَة لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غِفَار ، لأن غِفَارَ من كِنَانَةَ . غِفَارُ بن مُلَيْلِ بن ضَمْرَةَ بن لَيْثِ[1] بن بَكْر بن عَبْدِ مَنَاة ابن كِنَانَةَ . وعُرْوَةُ بن الْوَرْدِ بن زَيْد ، ويقال : ابن عَمْرو بن نَاشِب بن هِدْم ابن عَوْذ بن غالبِ بن قُطَيْعَة بن عَبْس ، فهو عَبْسِىٌّ غطفانِىٌّ قَيْسِىٌّ ، لأن عَبْساً هو ابنُ بَغِيضِ بن رَيْثِ بن غَطَفَانَ قال فيه عبدُ الملك بن مَرْوان : مايسرنى أنّ أحداً من العرب ولدنى إلا عُرْوَةُ بن الْوَرْدِ لقوله :

أَتَهْزَأُ مِنِّى أنْ سَمِنْتَ ، وقد تَرَى ... بِجِسْمِى مَسَّ الحَقِّ والحَقُّ جَاهِدُ
إِنِّى امْرُؤٌ عافِى إنائِىَ شِرْكَةٌ ... وأنت امْرُؤٌ عافى إنائِك وَاحِدُ
أُقَسِّم جِسْمِى فى جُسُومٍ كَثِيرة ... وأَحْسُو قَراحَ الماءِ والماءُ بارِدُ[2]

---

(١) فى جمهرة ابن حزم : مليل بن ضمرة بن بكر بإسقاط ليث بين ضمرة وبكر ص ١٧٥ .

(٢) هى فى الأمالى ص ٢٠٤ ح ٢ وقد نسب القالى بيتا فى أولها إلى عروة :

لا تشتمنى يا بن ورد فإننى ... تعود على مالى الحقوق العوائد
ومن يؤثر الحق النؤوب تكن ... خصاصة جسم وهو طيان ماجد

وقد علق البكرى فى السمط على هذا بقوله : هذا وهم بين وغلط واضح والبيت =

. . . .

وكان يقال : مَنْ قال : إن حاتماً أسمحُ العَرب ، فقد ظلم عُرْوَةَ بن الْوَرْدِ[1] ، قال أبو الفرج : وكان عُرْوَةُ يَتَرَدَّدُ على بنى النَّضِيرَ ، فَيَسْتَقْرِضُهُمْ إذا احتاج ، ويَبيع منهم إذا غنم ، فرأوا عنـــده سَلْمى ، فأعجبتهم ، فسألوه أن يبيعها[2] ، منهم فأبى فَسَقَوْه الخمر ، واحتالوا عليـه ، حتى ابتاعوها منه ، وأشهدوا عليه ، وفى ذاك يقول :

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثم تَكَنَّفُونى عِدَاةَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وزُورِ

وُروى أيضاً أن قومها افْتَدَوْها منـه ، وكان يظن أنها لاتختار عليه أحداً ، ولا تفارقه ، فاختارت قومَها ، فندم ، وكان له منها بَنُونَ فقالت له : والله ما أعلم امرأة من العَرب أرْخَتْ سِتْراً على بعلٍ مثلك أغض طرفاً ،

= الأول لقيس بن زهير يخاطب عروة . . وكان بين قيس وعروة . تنافس وتحاسد ، وكان قيس أكولا مبطانا،وكان عروة يعرض له بذلك فى أشعاره . وقيل فى نسب عروة عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم بن لديم بن سواد الخ،وهو فى الاغانى كذلك . ويعلق الأستاذ الميمنى على هذا بقوله : وخرمه السهيلى فى ح ٢ ص ١٧٩،ص ٨٢٢،٧٢٣ سمط اللالى . وكان يكنى عروة: أبا الصعاليك ، وقيل بل أبا نجدة ، وقيل : كنيته ابو المغاس ، أو : أبو عبلة وفى للسلم : أبو هراشة .وفى الحماسة ثلاثة أبيات من قصيدة عروة هذه ، ورواية البيت الأول هكذا :

أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى بوجهى شحوب الحق والحق جاهد

وفى الاغانى ثلاثة أبيات منها أيضاً ص ٧١ ح ٣

(١) ص ٧١ ح ٣ الاغانى ط لبنان .

(٢) لعلها : يبيعوها منه.

. . . .

ولا أندى كفاً ولا أغنى غناء ، وإنك لرفيعُ العمادِ، كثيرُ الرمادِ ، خفيفٌ على ظهورِ الخيل ، ثقيلٌ على متون الأعداء، راضٍ للأهل والجارِ ، وما كنت لأوثر عنك أهلي ، لولا أنى كنت أسمع بنات عمّك يقلن فعلت أمةُ عروةَ ، وقالت أمةُ عروةَ ، فأجد من ذلك الموتَ ، والله لا يجامع وجهى وجه غطفانيّة أبداً ، فاستوصِ ببنيكَ خيراً ، قال ثم تزوجها بعده رجلٌ من بنى النضير[1] ، فسألها أن تثني عليه فى نادى قومه ، كما أثنت على عروةَ ، فقالت : اعفِنى ، فإنى لا أقول إلا ما علمته ، فأبى أن يعفيها ، فجاءت حتى وقفت على النادى ، وهو فيه ، فقالت : عِمُوا صباحاً ، ثم قالت : إن هذا أمرنى أنْ أثنى عليه بما علمت فيه ، ثم قالت له : والله إن شملتك

---

(١) اقرأ قصتها فى الأغانى ص ٧٢ ، ٧٣ ج ٣ ط لبنان ففى إحدى الروايتين أن قومها هم الذين قالوا لعروة : فادنا بصاحبتنا فانها وسيطة النسب فينا معروفة. فلما فادوه بها خيروها واختارت أهلها ثم أقبلت عليه فقالت : يا عروة أما إنى أقول فيك ، وإن فارقتك الحق : والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك ، وأغض طرفا ، وأقل فحشا ، وأجود يدا ، وأحمى لحقيقة وما مر على يوم منذ كنت عندك إلا والموت أحب إلى من الحياة بين قومك لأنى لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته ، ووالله لا أنظر فى وجه غطفانية أبدا ، فارجع راشدا إلى ولدك وأحسن إليهم ص ٧٣ ج ٣ الأغانى ط لبنان وفى رواية أخرى أنها قالت له: والله إنك ما علمت لضحوك مقبلا كسوب مدبرا ، خفيف على متن الفرس ، ثقيل على العدو ، طويل العماد كثير الرماد ، راضى الأهل والجانب ، فاستوص ببنيك خيرا ، ثم فارقته ، فتزوجها رجل من بنى عمها . والسهيلى جمع بين الروايتين . أو لعله نقل من كتاب آخر .

. . . .

لا الْتِفَافُ[١] ، وإن شُرْبك لاشْتِفَافٌ ، وإن ضَجْعَتَك لاانْجِعَاف ، وإنك لَتَشْبَع ليلة تُضَافُ ، وتنامُ لَيـْلَةَ تخافُ[٢] ، فقال له قومه : قد كنتَ فى غِنًى عن هذا ، وفيها يقول عُرْوةُ بن الْوَرْدِ :

أَرِقْتُ وصُحْبَتِى بِمضيقِ عُمْقٍ لِبَرْقٍ فى تِهامَةَ مُسْتَطِيرِ[٣]

إذا قُلْتُ استهل على قديد يحور ربابه حور الـكسير

سَقَى سَلْمَى ، وأَيْنَ مَحَلُّ سَلْمَى إذا حَلَّتْ مُجاوِرَةَ السَّرِيرِ[٤]

إذا حَلَّتْ بأرضِ بنى عَلِىٍّ وأهلك بين أَمَّرَةٍ وكِيرِ[٥]

ذكرتُ منازِلًا من أُمِّ وَهْبٍ مَحَلَّ الحىِّ أسفل ذى النَّقِيرِ[٦]

وآخرُ[٧] مَعْهَدٍ من أُمِّ وَهْبٍ مُعَرَّسُنَا فُوَيْقَ بنى النَّضِيرِ[٨]

وقالت : ماتشاء ، فقلت : أَلْهُو إلى الإصباح آثِرَ ذِى أَثِيرِ

بآنِسَةِ الحديثِ رُضَابُ فيها بُعَيْدَ النَّوْمِ كالعِنَبِ العَصِيرِ

---

(١) فى الأغانى : لاالتحاف .

(٢) فى الأغانى « وإنك لتنام ليلة تخاض ، وتشبع ليلة تضاف ، وما ترضى الأهل ولا الجانب » ص ٧٥ ج ٣ الأغانى .

(٣) فى الأغانى : من تهامة .

(٤) فى الأغانى: كانت مجاورة ..

(٥) فى الأغانى:وأهلى.

(٦) فى الأغانى:من نقير .

(٧) فى الأغانى : وأحدث .

(٨) فى الأغانى : بدار بنى النضير .

أطَعْتُ الآمِرِينَ بِصَرْمِ سَلْمَى فَطَارُوا فى بلادِ الْيَسْتَعُورِ
سَقَوْنِى الْخَمْرَ ثم تَكَنَّفُونى عِداةُ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ
وقالوا لست بعد فِداء سَلْمٍ بِمُغْنٍ ما لَدَيْكَ ولا فَقِيرِ
ولا وأبيكَ لو كاليوم أمْرِى وَمَنْ لكَ بالتَّدَبُّرِ فى الأمور
إذاً لملكْت عِصْمَةَ أُمِّ وَهْبٍ على ما كان من حَسَكِ الصُّدُورِ
فيا للناس كيف غَلَبْتُ نفسى على شىءٍ وَيَكْرَهُه ضَمِيرِى (١)

قوله : السرير موضعٌ فى ناحية كِنَانة ، وقوله : الْيَسْتَعُور : هو موضعٌ قبل حَرَّةِ المدينة ، فيه عِضَاهُ من سَمُرٍ وَطَلْحٍ، وقال أبو حنيفة: الْيَسْتَعُورُ شجر يُسْتَاكُ به ، يَنْبُتُ بالسَّرَاة ، والْيَسْتَعُور أيضاً من أسماء الدَّواهى ، والياء فى الْيَسْتَعُورِ أَصْلِيَّة ، فهذا شرح ما أومأ إليه ابن إسحاق من حديث أمِّ عَمْرٍو، وإنما هى أُمُّ وَهْبٍ كما تكرر فى شعره .

غزوة ذات الرقاع

وسُمِّيَتْ ذات الرِّقَاع ، لأنهم رَقَعُوا فيها راياتِهم فى قول ابن هشام ، قال: ويقال ذات الرِّقَاع شجرةٌ بذلك الموضع يقال لها ذات الرِّقَاع ، وذكر غيرُه أنها أرضٌ فيها بُقَعٌ سُودٌ ، وبُقَعٌ بِيضٌ ، كأنها مُرَقَّعةٌ بِرِقَاعٍ مختلفة ،

(١) الأبيات : الثانى ثم التاسع والحادى عشر إلى آخر القصيدة ليست فى الأغانى . هذا وقد نسب عداة على الذم فى البيت الأول (عداة الله من كذب وزور) أنظر لهذا ص ٢٢٥ إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه .

. . . .

فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغَزَاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها مارواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى ، قال : « خرجنا مع النبى – صلى الله عليه وسلم – فى غَزَاةٍ ، ونحن سِتَّةُ نَفَر بيننا بعيرٌ نَعْتَقِبُه ، فَنَقِبَتْ أقدامُنا ، وَنقِبَتْ قَدَمَاى ، وسَقَطَتْ أظفارى ، فكنا نَلُفُّ على أرجلِنا الخِرَقَ ، فسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذاتِ الرِّقاع ، لما كنا نَعْصِبُ من الخِرَقِ على أرجلِنا ، فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كَرِه ذلك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أَذْكُرَه ، كأنه كَرِه أن يكونَ شَيْئاً من عمله أفشاه »[1] .

صلاة الخوف :

فصل : وذكر صلاةَ الخوفِ ، وأوردها من طُرُقٍ ثلاثٍ ، وهى مَرْوِيَّة بصُوَرٍ مُخْتلِفَةٍ أكثر مما ذكر . سمعت شيخَنا أبا بكرٍ – رحمه الله – يقول : فيها ستَّ عَشْرَةَ روايةً ، وقد خرج المصنفون أصحَّها ، وخرج أبو داود منها جُمْلَةً ، ثم اختلف الفقهاء فى التَّرْجِيح ، فقال طائفة : يعمل منها بما كان أشبهَ بظاهر

---

(١) هو فى صحيح مسلم أيضاً . ونقبت أقدامنا : رقت أقدامنا . نعتقبه : نركبه عقبة عقبة ، وهو أن يركب هذا قليلا ، ثم ينزل فيركب الآخر بالنوبة حتى يأتى على سائرهم . وقد اختلف فى ميقاتها على أقوال ذكرها الحافظ فى الفتح ، ثم قال : « وهذا التردد لا حاصل له ، بل الذى ينبغى الجزم به أنها بعد غزوة بنى قريظة ، لأنه تقدم أن صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت ، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع ، فدل على تأخرها بعد الخندق » ص ٣٢٥ ح ٦ فتح البارى سنة ١٣٤٨ مطبعة البهية المصرية . وانظر أيضاً زاد المعاد ص ٢٧٤ ح ٢ ط السنة المحمدية .

. . . .

القرآن ، وقالت طائفة : يُجْتَهَدُ فى طَلَبِ الآخر منها ، فإنه الناسخ لما قبله ، وقالت طائفة : يُؤْخَذُ بأصَحِّها نقلا ، وأعلاها رُوَاةً ، وقالت طائفة ـ وهو مذهب شيخنا : يُؤخَذ بجميعها على حَسَبِ اختلافِ أحوالِ الخَوْفِ ، فإذا اشْتَدَّ الخوفُ ، أُخِذَ بأيْسَرِها مؤُنَةً ، فإذا تفاقم الخوفُ صَلَّوا بغير إمامٍ لقبلةٍ أو لغير قبلةٍ ، وقد روى ابنُ سَلَّامٍ عن طائفة من السَّلَفِ أن صَلَاةَ الخوف قد تَئُولُ إلى أن تكونَ أربعَ تكبيراتٍ ، وذلك عند مَعْمَعَةِ القتال ، وسيأتى بقيةُ القول فى صلاة الخوف فى خَبَرِ بنى قُرَيْظَةَ إن شاء الله[1] ، ومما تخالف به صلاةُ الخوفِ حُكْمَ غيرها أنه لا سَهْوَ فيها على إمامٍ ، ولا على مأموم

---

(١) روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن الثلاثة عن صالح بن خوات عن سهل بن أبى حثمة — وفى لفظ عمن صلى مع النبى «ص» يوم ذات الرقاع — أن طائفة صفت مع النبى «ص» وطائفة وجاه العدو — أى تجاهه مراقبة له — فصلى بالتى معه ركعة ، ثم ثبت قائما فأتموا لأنفسهم ، ثم انصرفوا وجاه العدو ، وجاءت الطائفة الأخرى ، فصلى بهم الركعة التى بقيت من صلاته ، فأتموا لأنفسهم ، فسلم بهم » وهذه الكيفية تطابق مفهوم الآية الكريمة ، إذ ليس فى الآية ذكر السجود إلا مرة واحدة . وبهذه الصلاة قال على وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وزيد بن ثابت وأبو هريرة وأبو موسى وسهل بن أبى حثمة ، وعليها مالك والشافعى وأبو ثور وغيرهم . وهناك رواية أخرى عن أحمد والشيخين مثل هذه غير أنها زادت أن كل فرقة قضت ركعة !! ولكن ليس فى الآية هذا . أما حين يكون خوف من شىء أكثر من الفتنة فقد قال سبحانه (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا) جمع راجل وراكب وقد فسرها ابن عمر : قياما على أقدامهم مستقبلى القبلة وغير مستقبليها قال مالك : قال نافع : لا أرى عبد الله بن عمر قال إلا عن الرسول «ص» البخارى ومسلم من قول ابن عمر بنحو ذلك ، ورواه ابن ماجة عنه مرفوعا ، ورواه الشافعى فى الأم .

. . . .

رواه الدارقطني بسند ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا سَهْوَ في صَلَاةِ الخوف.

رفع المنصوب:

فصل: وذكر حديث جابر حين أبطأ به جمله فَنَخَسَه النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - نَخَسَاتٍ، فخرج يُوَاهِقُ نَاقَتَه مُوَاهَقَةً. الْمُوَاهَقَةُ كالْمُسَابَقَةِ، والْمُجَارَاة، وأنشد سيبويه لأوْسِ بن حَجَر:

تُوَاهِقُ رِجْلَاهَا يداها وَرَأْسُهُ   لها قَتَبٌ خَلْفَ الحَقِيبَة رادِفُ

رَفَع يَدَاهَا ورِجْلَاهَا رفْعَ الفاعل، لأن المواهَقَة، لا تكون إلا من اثنين، فكل واحدٍ منهما فاعلٌ في المعنى كما ذكروا في قول الراجز:

قَدْ سَالَمَ الحَيَّاتُ مِنه القَدَمَا   الأُفْعُوَانَ والشُّجَاعَ الشَّجْعَمَا

[وذات قَرْنَيْن ضَمُوزاً ضِرْزِما[1]]

هكذا تأوَّلَه سِيبَوْيِهِ، ولعل هذا الشاعر كان من لغته أن يجعل التثنية بالألف في الرَّفع والنَّصْب والخَفْضِ كما قال:

تَزَوَّدَ مِنَّا بين أُذْنَاهُ طَعْنَةً   دَعَتْه إلى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمِ

(١) الزيادة من الكتاب لسيبويه ص ١٤٥ ط أولى، وقد نسبه سيبويه لشاعر قال عنه هو عبد بني عبس. وقد نسبه في اللسان إلى مساور بن هند العبسي، وفي شرح الشواهد للشنتمري نسبه للعجاج. والشجعم: الطويل، والضموز: الساكنة المطرقة التي لا تصفر لخبثها. والضرزم: المسنة.

. . . .

وكما قال الآخر :

قد بَلَغَا في المجدِ غَايتَاها[1]

وهي لغةُ بني الحارث بن كعب ، قاله أبو عبيد . وقال النحاس في الكتاب المُقْنع : هي أيضاً لغة خَثْعَمَ وطيّءٍ وأبْطُنٍ من كِنَانَةَ ، والبيتُ أعني : تُواهِقُ رِجْلَاهَا يدَاها ، هو لأوسِ بن حَجَرٍ الأَسَدِي ، وليس مِمَّنْ هذه لغته ، فالبيت إذاً على ما قاله سيبويه .

---

(١) أصل الشعر :

واها لليلى ثم واها واها   هي المنى لو أننا نلناها

يا ليت عينيها لنـــا وفاها

وقد نسبه الهروى في التلويح شرح فصيح ثعلب ص٣٩ ط ١٩٤٩ إلى أبي النجم العجلي المتوفى نحو سنة ١٣٠ هـ وفي بعض الروايات سلمى ، وفي بعضها : ريا

وقد زاد القالي في الأمالي: بثمن نرضى به أباها ص ٧٧ ج ١ ط ٢ وبعد هذا:

إن أباها وأبا أباها   قد بلغا في المجد غايتاها

وفي الصحاح زيادة قبل المنى :

فاضت دموع العين من جراها

وقيل أيضاً:

شالوا علينـــا فشالى علاها   واشدد بمثنى حقب حقواها

إن أباهـــا وأبا أباهـا   قد بلغا في المجد غايتاهـا

أنظر سمط اللآلى ص ٢٥٧ وشرح شواهد ابن عقيل للجرجاوى ص ٩ وعلى هامشه شرح الشواهد أيضاً للشيخ قطه العدوى ص ٩ .

. . . .

مساومة جابر فى جمله وما فيه من الفقه :

وذكر مُساوَمة النبى صلى الله عليه وسلم لجابر فى الجمل[1] ، حتى اشتراه منه بأُوقيَّة ، وأنه أعطاه أولاً دِرْهماً ، فقال : لا إذاً تغبُنُنى يارسول الله ، فإن كان أعطاه الدِّرْهَمَ مازحاً ، فقد كان يَمْزَحُ ، ولا يقول إلا حقاً ، فإذا كان حَقًّا ، ففيه من الفِقه إباحَةُ المُكايَسةِ الشَّديدَةِ فى البَيْعِ ،وأن يُعطِى فى السِّلْعَة مالَا يُشْبه أن يكون ثمناً لها بنَصِّ الحَدِيثِ ، وفى دليله أن من اشتَرَى سِلْعَةً بمالا يُشْبِه أن يَكُونَ لها ثمناً ، وهو عاقل بصيرٌ ، ولم يكن فى البيع تدْليسٌ عليه ، فهوَ بيْعٌ ماضٍ لارُجوعَ فيه ، ورُوِى من وَجْهٍ صحيح أنه كان يقول له كُلَّما زاد له دِرْهماً قد أخذته بكذا والله يغفر لك ، فكأنه عليه السلامُ أراد بإعطائه إيَّاه دِرْهَماً دِرْهماً أن يَكْثُر استغفارُه له ، وفى جَمَل جابر هذا أمور من الفِقْه سوى ما ذكرنا ، وذلك أن طائفةً من الفُقَهاءِ احتَجُّوا به فى جواز بيعٍ وشَرْطٍ[2] ، لأن النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ شَرَطَ له ظَهْرَه إلى المدينة ، وقالت طائفــــةٌ :لايجوز بَيْعٌ وشَرْطٌ ، وإن وقع فالشَّرْطُ باطلٌ ، والبيع باطل[3] ، واحتجوا بحديثِ عَمْرو بن شُعَيْبٍ عن أبيهِ شُعَيْبٍ عن جَدِّ أبيه

---

(١) كما رواه ابن إسحاق رواه ابن سعد فى طبقاته ، وفى البخارى فى عشرين موضعا فى بعضها أن ذلك كان فى غزوة تبوك ، وفى مسلم أنه فى غزوة الفتح . . وعن نخسه ذكر فى أحمد ومسلم أنه ضربه برجله ، ودعا له .

(٢) إلى هذا ذهب أحمد والبخارى لكثرة رواة الاشتراط .

(٣) إلى هذا ذهب أبو حنيفة والشافعى مطلقا ، وتوسط مالك ففصل .

. . . .

عبد الله بن عَمْرو بن العاصى أن النبىّ – صلى الله عليه وسلم – نهى عن شَرْطٍ وَبَيْع ، وعَنْ بَيْعٍ وَسَلَفٍ .

شعيب لا يروى عن أبيه وإنما عن جده :

وقد روى أبو داود هذا الحديثَ ، فقال : عن عمرو بن شُعَيْب عن أبيه شُعَيْبٍ عن أبيه مُحَمَّدِ بن عَبْدِ الله بن عَمْرٍو عن أبيه عبد الله بن عَمْرٍو .

وهذه رواية مُسْتَغْرَبَةٌ عند أهلِ الحديث جِدًّا ، لأن المعروفَ عندَهم أن شُعَيْباً إنما يروى عن جَدِّه عبدِ الله ، لا عن أبيه مُحَمَّدٍ لأن أباه محمداً مات قبل جَدِّه عبدِ الله ، فقف على هذه التنبيهة فى هذا الحديث . فَقَلَّ مَنْ تَنَبَّه إليها ، وقالوا : لا حُجَّة فى حديثِ جابرٍ لما فيه من الاضْطرابِ ، فقد روى أنه قال : أَفْقِرْنِى ظَهْرَه إلى المدينةِ ، ورُوِى أنه قال : اسْتَثْنَيْتُ ظَهْرَه إلى المدينة ، وروى أنه قال : شَرَطَ لى ظَهْرَه[1] ، وقال البخارى : الاشتراطُ أكثرُ وأصح ، وكذلك اضطَرَبُوا فى الثمن ، فقالوا : بِعْتُه منه بأُوقِيَةٍ ، وقال بعضهم : بأَرْبَعِ أَوَاقٍ ، وقال بعضهم : بخَمْسِ أواقٍ ، وقال بعضهم بخَمْسَةِ دَنَانِير ، وقال بعضهم : بأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ ، وقال بعضهم : هو فى معنى الأُوقِيَّة ، وكل هذه الروايات قد ذكرها البخارى ، وقال مسلمٌ فى بعض رواياته : دِينَارَيْنِ ودِرْهَمَيْن ، وقالت طائفةٌ بإبطال الشرط ، وَجَوازِ الْبَيْعِ ، واحْتَجُّوا بحديثِ بَرِيرَةَ حين باعها أَهلُها من عائِشةَ ، واشترطوا الْوَلَاءَ فأجاز النبىُّ صلى الله عليه وسلم

---

(١) وفى رواية : وشرطت ظهره إلى المدينة.

. . . .

البيعَ وأبطل الشَّرطَ(١) ، واستَعملَ مالِكٌ هذه الأحاديثَ أجمعَ ، فقال : بإبطالِ البَيْعِ والشرطِ على صورةٍ ، وبجوازهما على صورة أُخْرَى ، وبإبطال الشرطِ وجوازِ البيع على صورةٍ أيضاً ، وذلك بيِّنٌ فى المسائل لمن تدبرها ، وأبين ماتوجد مُحكَمَة الأصولِ مُستَثمَرَة الجَنا والفُصُولِ فى كتاب المقدِّمات لابنِ رُشْدٍ ، فلينظرها هنالك من أرادها(٢) .

الحكمة من مساومة النبي لجابر :

فصل : ومن لطيف العلم فى حديث جابر بعد أن نَعلَمَ قَطْعاً أن النبيَّ — صلى الله عليه وسلم — لم يكن يَفعَلُ شَيْئاً عَبَثاً بل كانت أفعالُه مَقْرُونةً بالحِكْمَة ومُؤَيَّدَةً بالعِصْمَةِ ، فاشتراؤُه الجملَ من جابرٍ ثم أعطاه الثمن ، وزاده عليه زيادةً ، ثم رَدَّ الجمل عليه ، وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك العَطاَء دون مُساوَمَهٍ فى الجمل ، ولا اشتِراءٍ ولا شَرْطٍ ولا تَوْصيلٍ ، فالحِكْمَةُ فى ذلك بَديعَة جداً ، فلتُنظَرَ بعين الاعتبار ، وذلك أنه سأله : هل تزوجتَ ، ثم قال له : هَلَّا بِكْراً ، فذكر له مَقْتَلَ أبيه ، وماخَلَّف من البناتِ ، وقد كان عليه السلامُ قد أخبر جابراً بأنَّ الله ، قد أحيا أباه ، ورَدَّ عليه رُوحَه ، وقال : ماتشتهى فأزيدك ، فأكَّد عليه السَّلامُ هذا الخبَر بمثل ما يُشْبِهُهُ ، فاشترى منه الجملَ ، وهو مَطِيَّته ، كما اشترى اللهُ تعالى من أبيه ، ومن الشُّهَداءِ أنفسهم

---

(١) عن عائشة أنها أرادت أن تشترى بريرة للعتق ، فاشترطوا ولاءها ، فذكرت ذلك لرسول الله «ص» فقال اشتريها واعتقيها ، فإنما الولاء لمن أعتق » متفق عليه . ولم يذكر البخارى لفظة : أعتقيها . وروى بصورة أخرى أطول من هذه .

(٢) أنظر فى ص ١٢٢ ج ٢ من بداية المجتهد لابن رشد ط ١٣٢٢ .

. . . .

بثمن هو الجنّة، ونفسُ الإنسانِ مَطِيتُه، كما قال عُمَرُ بن عَبْدِ العزيز ـ رضى الله عنه ـ إن نفسى مَطِيَّتى، ثم زادهم زِيادَةً فقال: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس: ٢٦، ثم رَدَّ عليهم أنفسَهم التى اشترى منهم فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا فى سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا ﴾ آل عمران ١٦٩ الآية، فأشار عليه السلام باشترائِه الجملَ من جابرٍ وإعطائِه الثمنَ وزيادتِه على الثمن، ثم رَدَّ الجملِ المُشتَرى عليه، أشار بذلك كُلِّه إلى تأكيدِ الخبرَ الذى أَخْبَرَ به عن فعلِ الله تعالى بأبيه، فتشاكل الفعلُ مع الخبر، كما تراه، وحاش لأفعاله أن تخلو من حِكْمَةٍ، بل هى كلها ناظِرة إلى القرآنِ ومُنْتَزَعَةٌ منه صلى الله عليه وسلم.

سياق الحديث عن عمرو بن عبيد:

فصل: وحَدَّث عن عَمْرِو عُبَيْد عن الحَسَن عن جابِرٍ، وذكر حديث غَوْرَثٍ، وقد ذكره البخارى فقال فيه: غَوْرَثُ بن الحارث[1]، وقد ذكره الخَطَّابى، فقال فيه: إنه لما هَمّ بقتل النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ رمى بالزُّلَّخَةِ فنَدَر السيفُ من يَدِه، وسقط إلى الأرضِ. الزُّلَّخَةُ: وجع يأخذ فى الصُّلْبِ، وأما روايته الحديثَ عن عَمْرِو بن عُبَيْدٍ فأعجبُ شىء سِياقَتُه إياه عن عَمْرِو بن عُبَيْد، وقد رواه الأثباتُ عن جابِرٍ، وعَمْرُو بن عُبَيْدٍ مُتَّفَقٌ على وَهَنِ حديثه، وتَرْكِ الرواية عنه، لما اشتهر من بِدْعَتِه، وسوءِ نِحْلَتِه،

---

(١) يقال أيضاً بضم الغين. ووقع عند الخطيب بالكاف بدلا من الثاء، وحكى الخطابى فيه غويرث. وقد ذكر فى غزوة ذى أمر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور.

. . . .

فإنه حُجَّة القَدَرِيَّة ، فيما يُسْنِدون إلى الحَسَنِ — رضى الله عنه — من القول بالقَدَرِ ، وقد بَرَّأه الله منه ، وكان عندَ اللهِ وجيهاً ، وأما عَمْرو بن عُبَيْدِ بن دَأْبٍ ، فقد[1] كان عظيماً فى زمانه عالى الرُّتْبَـةِ فى الوَرَع ، حتى افتتن به ، وبمقالته أُمَّةٌ فصاروا قَدَرِيَّةً ، وقد نُبِزَ بمذهبه قومٌ من أهلِ الحَديث ، فلم يَسْقُط حديثُهم ، لأنهم لم يجادلوا على مَذْهَبِهم ، ولا طَعَنُوا فى مُخَالِفِيهم من أهل السُّنَّةِ ، كما فعل عَمْرو بن عُبَيْدٍ. فَمِمَّن نُبِزَ بالقَدَر ابنُ أبى ذِئْبٍ وقَتَادةُ ودَاود بن الحُصَيْن وعبدُ الحميد بن جَعْفَر ، وطائفةٌ سواهم من الأثْبَاتِ فى عِلْمِ الحديثِ ، وعمْرُو بن عُبَيد يُكَنَّى أبا عُثْمَانَ وأبوه عُبَيْدُ بنُ دَأْبٍ كان صاحبَ شُرْطَةٍ فيما ذكروا وسمع يَوْماً ناساً يقولون فى ابنه هذا خيرُ النَّاسِ ابنُ شَرِّ الناس ، فالتفت إليهم ، وقال : وما يعجبكم من هذا؟ هو كإبراهيمَ وأنا كآزَر ، وكان أبو جعفر المنصور ، يقول بعـــد موت عَمْرو بن عُبَيْدٍ : ما بقى أحدٌ يُسْتَحيا منه[2] بعد عَمْرو ، وكان يقول :

---

(١) توفى عمرو بن عبيد سنة ١٤٤ بحران ورثاه المنصور ، قالوا : ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه .

(٢) قال المنصور قولته لما مات ابن أبى ليلى وعمرو بن عبيد ص ٩٤ ج ٢ البيان للجاحظ . ومن أقوال عمرو الطيبة أن أحدهم قال له : إنى لأرحمك مما يقول الناس فيك ، قال : أسمعتنى أذكر فيهم شيئاً ؟ قال : لا ، قال: إياهم فارحم. وقوله لأبى جعفر : إن الله قد وهب لك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك ببعضها ، فلو أن هذا الأمر الذى صار إليك بقى فى يدى من كان قبلك لم يصل إليك ، وتذكر يوما يتمخض بأهله لا ليلة بعده ص ٦٥ ج ٤ البيان. ومن دعائه : اللهم اغننى بالافتقار إليك ، ولا تفقرنى بالاستغناء عنك ص ٢٧١ ج ٢ البيان . اللهم أعنى على الدنيا بالقناعة . وعلى الدين بالعصمة .

. . . .

كُلُّكُمْ خاتِلٍ صَيْد * كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْد * غَيْرَ عَمْرِو بن عُبَيْد

وقد نُبِز ابن إسحاق بالقَدَرِ أيضاً ، وروايتُه عن عمرو بن عُبَيْدٍ تُؤيِّد قولَ من عزاه إليه ، والله أعلم[1] .

---

(١) وروى صاحب العقد الفريد أن عمراً بعد أن نصح أبا جعفر النصيحة التي سبق ذكرها أتبعه أبو جعفر بصرة فلم يقبلها ، وجعل يقول :

كلكم يمشي رويد　　كلكم خاتل صيد

غير عمرو بن عبيد

وفي رواية : كلكم يطلب صيد

واقرأ نصيحته الرائعة للمنصور في ترجمته في الملل والنحل للشهرستاني . ومن رثاء المنصور له كما ذكر الشهرستاني :

لو أن هذا الأمر أبقى صالحا　　أبقى لنا عمـــراً أبا عثمان

وقيل لما حضرته الوفاة قال لصاحبه : نزل بي الموت ، ولم أتأهب له ، ثم قال : اللهم إنك تعلم أنه لم يسنح لي أمران في أحدهما رضا لك ، وفي الآخر هوى لي إلا اخترت رضاك على هواي فاغفر لي ، ومات عن ٦٤ عاما . والقدرية تقال بالاطلاقين الأولى على الذين ينفون القدر ، والآخرين على الذين يثبتونه مع نفي الشرع . والقدرية كما يعرفهم ابن تيمية — هم الذين خاضوا في قدر الله بالباطل ، وأصل ضلالهم ظنهم أن القدر يناقض الشرع ، فصاروا حزبين حزبا يعظمون الشرع والأمر والنهي والوعد والوعيد ، واتباع ما يحبه الله ويرضاه ، وهجر ما يبغضه وما يسخطه ، وظنوا أن هذا لا يمكن أن يجمع بينه وبين القدر » . .

وقد وصف هذا الحزب بأنه يكذب بالقدر وينفيه ، أو ينفي بعضه ثم قال عن الحزب الثاني « وحزبا يغلب القدر ، فينفي الشرع في الباطن ، أو ينفي حقيقته ، ويقول : لا فرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه في نفس الأمر الجميع سواء ، وكذلك أولياؤه وأعداؤه ، وكذلك ما ذكر أنه يحبه وذكر أنه يبغضه لكنه فرق بين المتماثلين بمحض المشيئة ، يأمر بهذا ، وينهى عن مثله ، فيجحدوا —

. . . .

= الفرق والفصل الذى بين التوحيد والشرك وبين الإيمان والكفر وبين الطاعة والمعصية وبين الحلال والحرام » ثم عاد يسم الحزب الاول وهم نفاة القدر أو بعضه أنهم أنكروا الجمع وأنكروا أن يكون الله على كل شيء قدير ، ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شيء عليما ، وأنكروا أن يكون خالقا لكل شيء » ثم وازن بين الفريقين فقال عن نفاة الشرع الذين يسوون بين الأمر والنهى « هؤلاء نفوا حكمته وعدله ، وأولئك - أى نفاة القدر — نفوا قدرته ومشيئته» وشبه هؤلاء بالمجوس ، وشبه الآخرين بالمشركين ص ١٦٤ وما بعدها ح ١ مجموعة الرسائل الكبرى ، وقد أبدع فيها كعادته رضى الله عنه .

وعمرو بن عبيد هو من نفاة القدر الذين سموا بالمعتزلة . يقول ابن تيمية «وكانت الخوارج قد تكلموا فى تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة ، وقالوا : إنهم كفار مخلدون فى النار ، فخاض الناس فى ذلك ، وخاض فى ذلك القدرية بعد موت الحسن البصرى ، فقال عمرو بن عبيدة وأصحابه: لاهم مسلمون ، ولا كفار، بل لهم منزلة بين المنزلتين ، وهم مخلدون فى النار ، فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون وعلى أنه ليس معهم من الإسلام والإيمان شيء ، ولكن لم يسموهم كفارا ، واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصرى مثل قتادة وأيوب السختيانى وأمثالها ، فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن » ص ٢٧ . المصدر السابق.

وهناك آراء أخرى فى سبب تلقيبهم بالمعتزلة ولكن ابن تيمية فى موازنته العادلة يقول عن المعتزلة « ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة — أى الشيعة الذين رفضوا إمامة زيد — ومن الخوارج، فإن المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان ، وكذلك المعروف عنهم أنهم يتولون عليا، ومنهم من يفضله على أبى بكر وعمر، وكلهم يتولى عثمان ، ويعظمون أبا بكر وعمر ، ويعظمون الذنوب، فهم يتحرون الصدق كالخوارج لا يختلقون الكذب كالرافضة ولا يرون اتخاذ دار غير دار الاسلام كالخوارج، ولهم كتب فى تفسير القرآن ، ونصر الرسول ولهم محاسن كثيرة يترجحون على الخوارج والروافض ، وهم قصدهم إثبات توحيد =

. . . .

وقعة الحرة وموقف الصحابة منها :

فصل : وذكر قول جابر : فوالله مازال يَنْمِي عندنا ، ويُرَى مكانُه من من بيتنا حتى أصيب فيما أصيب منا يَوْمَ الْحَرَّةِ يعنى : وَقْعَة الْحَرَّةِ[1] التى كانت بالمدينة أيامَ يزيد بن مُعَاوِيَةَ على يَدَىْ مُسْلِم بن عُقْبَةَ الْمُرِّى الذى يُسَمِّيه أهلُ المدينة مُسْرِف بن عُقْبَةَ ، وكان سببها أن أهلَ المدينة خَلَعُوا يزيدَ بن مُعَاوِيَةَ وأخرجوا مَرْوَانَ بن الحَكَمِ وبَنِى[2] أُمَيَّةَ ، وأَمَّرُوا عليهم عبدَ اللهِ بن حَنْظَلَةَ الْغَسِيلَ الذى غَسَّلت أباه الملائكةُ يوم أُحُدٍ ، ولم يوافق على هذا الخَلْع أحَدٌ من أكابر الصَّحَابة الذين كانوا فيهم . روى البخارى أن عبدَ الله بن عمر لما أرجف أهلُ المدينة بيزيدَ دعا بنيه ومَوَاليه ، وقال لهم : إنَّا قد بايعنا هذا الرجلَ على بَيْعَةِ الله وبَيْعَة رسوله ، وإنه والله لا يبلغنى عن أحدٍ منكم أنه خَلَع يداً من طاعته إلا كانت الْفَيْصَلَ بينى وبينه ، ثم لَزِم بيته ، ولزم أبو سَعِيد الْخُدْرِىّ بيتَه ، فدخل عليه فى تلك الأيام التى انْتُهِبَتْ المدينةُ فيها ، فقيل له : من أنت أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدرى

= الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته ، وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس ، ولكنهم غلطوا فى بعض ما قالوه فى كل واحد من أصولهم الخمس ، ثم عدد أخطاءهم رضى الله عنهم ص ٧٥ حـ ١ المصدر السابق .

(١) الحرة سنة ٦٣ هـ ص ٢٨٢ حـ ٥ الطبرى .

(٢) وأخرجوا عثمان بن محمد بن أبى سفيان عامل يزيد وقد طلب يزيد من مسلم أن يدعو القوم ثلاثا ، فإن هم أجابوه وإلا قاتلهم . وأمره أن يبحث عن على بن الحسين وأن يكف عنه ، وأن يستوصى به خيرا ، وأن يدنى منه مجلسه . وكان على قد رفض أن يخب فى الفتنة .

. . . .

صاحبُ النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا له : قد سمعنا خبَرَك ، ولَنِعْمَ ما فعلتَ حين كَففْت يدَك ، ولَزِمْتَ بيتَك ، ولكن هاتِ المال ، فقال قد أخذه الذين دَخَلُوا قَبْلَكُم علىَّ ، وما عندى شىء ، فقالوا : كذَبْتَ ونتَفُوا لِحْيَتَه ، وأخذوا ما وجدوا حتى صُوفَ الفرش ، وحتى أخذوا زوجين من حَمَامٍ كان صبيانُه يلعبون بهما . وأما جابرُ بن عبدِ الله الذى كنا بِسِيَاقِ حديثِهِ ، فخرج فى ذلك اليوم يطوف فى أزِقَّةِ المدينة والبيوتُ تُنْتَهَبُ ، وهو أعمى ، وهو يَعْثُرُ فى القتلى ، ويقول تَعِسَ من أخاف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له قائل : ومن أخاف رسولَ الله ؟ فقال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخاف المدينةَ ، فقد أخاف ما بين جَنْبَىَّ ، فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره منهم مَرْوانُ ، وأدخله بيتَه ، وقُتِلَ فى ذلك اليوم من وُجوه المهاجرين والأنصار ألفٌ وسَبْعُمِائة ، وقُتِلَ من أخلاط الناس عَشَرةُ آلاف سوى النساء والصِّبيانِ ، فقد ذكروا أن امرأةً من الأنصار دخل عليها رجلٌ من أهلِ الشام ، وهى تُرْضعُ صَبِيَّها ، وقد أُخذ ما كان عندها ، فقال لها : هات الذَّهَبَ ، وإلا قتلْتُكِ ، وقَتَلْتُ صَبيَّك ، فقالت: ويحك إنه قُتِلَ أبوه أبو كَبْشَةَ صاحبُ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا من النسوة اللاتى بايَعْن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وماخُنْتُ اللهَ فى شىءٍ بايعتُ رسولَه عليه ، فانتَفَضَ الصَّبى من حِجْرِها ، وثَدْيُها فى فيه ، وضَرَبَ به الحائطَ حتى انتَثَر دماغُهُ فى الأرض والمرأةُ تقول : يا بُنَىَّ لو كان عندى شىءٌ أفديك به ، لفديتُك ، فما خرج من البيت حتى اسْوَدَّ نصفُ وَجْهِه ، وصار مُثْلَةً فى الناس .

. . . .

قال المؤلف : وأحسب أن هذه المرأة جَدَّةٌ للصبي ، لا أُمٌّ له ، إذ يبعد في العادةِ أن تبايعَ النبيَّ عليه السلام ، وتكون يوم الحرَّةِ في سِنٍّ من تُرضِع. والحرَّة التي يُعرف بها هذا اليومُ يقال لها حَرَّةُ زُهْرَة ، وفي الحديث أن النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - وقف بها ، وقال : لَيُقْتَلَنَّ بهذا المكانِ رجالٌ هُمْ خِيارُ أُمَّتِي بعد أصحابي ، ويذكر عن عبد الله بن سَلَام ، أنه قال : لقد وَجَدْتُ صِفَتَها في كتاب يَهُودَ بن يَعْقُوبَ الذي لم يدخله تبديلٌ ، وأنه يُقتل فيها، قومٌ صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحُهم على عَوَاتِقِهم ، وذكر الحديث . وعُرِفَتْ حَرَّةُ زُهْرَةَ بقريةٍ كانت لبني زُهْرَةَ قومٍ من اليهودِ ، وكانت كبيرةً في الزَّمَانِ الأوَّل ، ويقال كان فيها ثلاثمائة صائغٍ ، ذكر هذا الزبير في فضائل المدينة له : وكانت هذه الوَقْعَة سَنَةَ ثلاثٍ وستِّين، وقد كان يزيدُ ابن معاوية قد أعذر إليهم فيما ذكروا ، وبذل لهم من العطاء أضعافَ ما يُعْطِى الناسَ واجتهد في استمالتهم إلى الطاعةِ ، وتحذيرهم من الخلافِ ، ولكن أبى اللهُ إلا ما أراد، والله يحكم بين عبادِه فيما كانوا فيه يختلفون : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قد خَلَتْ لها ما كَسَبَتْ ، ولكم ما كَسَبْتُم ولا تُسألون عما كانوا يَعْمَلُون[1] ﴾ البقرة : ١٣٤ ، ١٤١ .

---

(١) أنظر ص ٢٨٢ حـ ٥ الطبري. وقد أحسن السهيلي في ختام كلامه عن هذه الفتنة وإن كان قد نقل مبالغات عن كتاب الحرة للواقدي وما ذكره من أحاديثه فيها شيء لا يعتد به فما أخرج واحداً منها أحد من أصحاب الصحيح ولا أصحاب السنن، فقد نقلها عن كتاب الحرة للواقدي ، وانظر ص ٨٥ حـ ١ من كتاب وفاء الوفا للسمهودي وفي كتابه أيضاً عن حرة واقم : هي حرة المدينة الشرقية . . وتسمى أيضاً حرة بني قريظة لأنهم كانوا بطرفها القبلي وحرة زهرة لمجاورتها لها

. . . .

معنى الربيئة :

فصل : وذكر حديث الأنصاريِّ والْمُهَاجِرِيِّ ، وهما عَبَّادُ بن بِشْرٍ ، وعَمَّارُ بن ياسِرٍ ، وأن رجلا من العدو رمى الأنصارى بسهم ، وهو يصلى لما علم أنه رَبِيئَةُ القَوْمِ . الرَّبيئَةُ هو الطَّلِيعَة ، يقال : رَبَأَ على القوم يَرْبأُ فهو رباء وربيئَةٌ قال الشاعر [الهذلىُّ] :

رَبَّاء شَمَّاء لا يَأْوِى لِقُلَّتِها إلا السَّحَابُ وإلا الأَوْبُ والسَّبَلُ[1]

وَرَبَّاء: فَعَّالٌ من رَبَأَ إذا نَظَر من مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ ، وشَمَّاء ، يريد هَضَبَةً شَمَّاءَ ، وإنما قالوا : رَبِيئَة بهاء التأنيث ، وطليعة ؛ لأنهما فى معنى الْعَيْن ، والْعَيْنُ مؤنثة ، تقول : ثلاث أَعْيُنٍ ، وإن كانوا رِجَالًا ، يعنى الطَّلَائِع ، لأن الطليعةَ والرَّبيئةَ إنما يُرَاد منه عينه الناظرة ، كما تقول فى ثلاثة أعبد : أَعْتَقْتُ ثلاثَ رِقابٍ ، فتؤنث ، لأن الرقبة تَرْجَمَةٌ عن جميع العبد ، كما أن الْعَيْن الذى هو الطَّلِيعَةُ كذلك ، ويجوز أن تكونَ الهاء فى رَبِيئَةٍ وطَلِيعة للمُبالغة ، كما هى فى عَلَّامَةٍ ونسَّابةٍ ، فعلى الوجه الأول تقول : ثَلَاثَ طَلَائِع ، وثلاثَ رباياَ فى جمع رَبِيئَةٍ ، كما تقول : ثلاث أَعْيُنٍ ، لأنه بابٌ واحدٌ من التأنيثِ ، وإذا كانت الهاء للمبالغة قلت : ثَلَاثَةٌ وأربعةٌ ، لأنك تقصد التذكير، لأن هاء المبالغة لا توجب تأنيث الْمُسَمَّى، ولأنها فى الصِّفَةِ ، والصِّفَةُ بعد الموصوف؛ ولذلك تقول : هذا عَلَّامَةٌ ، ولا تقول : هذه عَلَّامَةٌ بخلافِ الرَّقَبةِ والعينِ .

---

(١) سبق الكلام عن البيت فى الجزء الأول وفى المستدركات فى الجزء الثانى .

. . . .

لأنك تقول فى العبد الذكر : هذه رَقَبَةٌ فأعتقها ، وفى العين : هذه طليعة ، وهذه عَيْنٌ ، وأنت تعنى الرجلَ . هذا معنى الفرق بينهما .

فقه الحديث :

وفى هذا الحديثِ من الفقْهِ صَلَاة الْمَجْرُوح وجُرْحُه يَثْعَبُ دَماً ، كما فعل عمرُ بن الخطَّابِ ، وقد ترجم بعضُ المصنفين عليه لموضع هذا الفقهِ ، وفيه مُتَعَلَّقٌ لمن يقول : إن غُسْلَ النَّجاسَةِ ، لا يُعدُّ فى شُروطِ صحَّةِ الصَّلاة ، وفيه من الفِقْهِ أيضاً تعظيمُ حُرْمة الصَّلَاةِ ، وأنَّ لِلْمُصَلِّى أنْ يَتَمادَى عليها ، وإن جرَّ إليه ذلك القتلَ ، وتفويت النفس ، مع أن التعرُّضَ لفَواتِ النفس ، لا يَحِلُّ إلَّا فى حَالِ الْمُحارَبةِ ، ألا ترى إلى قوله : لولا أنْ أُضَيِّع ثَغْراً أَمَرَنِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفظِه لقطع نفسى قبل أن أَقْطَعَها أو أُنْفِذها ، يعنى : السورة التى كان يقرؤها .

حول رجز معبد وشعر حسان وأبى سفيان :

وذكر قول مَعْبدٍ :

وعجوة من يثرب كالعَنْجَد

العَنْجَدُ : حَبُّ الزَّبيب ، وقد يقال للزبيب نفسه أيضاً عنجدٌ ، وأما العنب ، فيقال : لعجمه : الفِرْصِد . والأَتلدُ : الأقدمُ من المال التَّليد .

وأما قول حسان :

. . . .

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّام

جمعُ فَلَجٍ ، وهو للماء الجارى ، سُمِّى فَلَجاً ، لأنه قد خَدَّ فى الأرضِ ، وفرَّق بين جانبيه مأْخُوذٌ من فَلَجِ الأسْنَانِ ، أو من الفَلْجِ وهو القَسْمُ ، والفالِجُ مِكْيَالٌ يُقْسَم به ، والفَلْجُ والفالِجُ بعيرٌ ذُو سَنَامَيْنِ ، وهو من هذا الأصل ، ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال : الفلحة المزرعة[1] .

وذكر شعر أبى سفيان :

أَحَسَّانُ إنَّا يابْنَ آكلة الفغا

الفَغَا:ضرب من التَّمْرِ ، ويقال : هى غَبَرَة تَعْلُو ، البُسْرَ ، والفَغَالَغة فى الفَغَا[2] .

وفيـــه :

كمأْخَذِكُمْ بالعين[3] أرْطَالَ آنُكِ

---

(١) وفى اللسان : الفلجات : المزارع وقد استشهد بالبيت المذكور . وفى مادة فلح يقول : « الفلحة القراح الذى اشتق للزرع عن أبى حنيفة . وأنشد لحسان : دعوا فلحات . . . الخ يعنى المزارع . ومن رواه فلجات فمعناه : ما اشتق من الأرض للديار ، كل ذلك قول أبى حنيفة » .

(٢) الفغا : البسر الفاسد المغبر ، أو هو فساد البسر ، والغفا ما يخرج من الطعام فيرمى به «الردىء» من كل شىء من الناس والمأكول والمشروب والمركوب

(٣) العين هنا : المال الحاضر ، والعين أيضاً الدر وكلاهما يصلح هاهنا . ومن رواه بالعير فالعـــير الرفقة من الإبل ، والآنك : الأسرب وهو القزدير « الخشنى ص ٢٩٨ » وقيل عن الآنك إنه الرصاص القلعى . =

. . . .

ألفيت على هذا البيت فى حاشيةِ أبى بحرٍ ماهذا نصه : ذكر مُحَمَّدُ بن سَلاَّمٍ فى الطبقات له هذا البيت :

حَسِبْتم جِلادَ القَوْم حَوْلَ بُيُوتكم كأَخْذِكُمُ فى العين أرْطَالَ آنُكِ

ووصل به بأن قال : فقال أبو سفيان بن حَرْبٍ لأبى سُفْيَانَ بن الحارثِ : يا ابْنَ أخِى : لم جعلتها آنُك إن كانت لَفِضَّةً بيضاءَ جيِّدَةً .

وقوله :

سَعِدْتُم بها وغَيْرُكم كان أهلَها

وفى حاشية الشيخ : شَقِيتُم بها وغيرُكم أهلُ ذِكْرِها .

وقوله :

خَرَجْنَا وما تَنْجُو اليَعافِيرُ بَيْنَنَا

اليعافير : الظِّبَاءُ العُفْر[1] يريد أنهم لكثرة عددهم لاتنجوا منهم اليعافير .

= وقيل هو الرصاص الأبيض ، وقيل الأسود . وقيل الخالص منه . ويقال : لم يجىء على مثال فاعل بضم العين غيره أو أفعل واحدا غيره ، فأما أشد فمختلف فيه هل هو واحد أو جمع .

(١) جمع أعفر وهو من الظباء مايعلو بياضه حمرة ، أو الذى فى سراته حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض .

غزوة دومة الجندل

فى شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام من مَقْدم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بها أشهراً حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دُومة الجَنْدل .

قال ابن هشام : فى شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سِباع بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِىّ .

قال ابن إسحاق : ثم رَجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها، ولم يَلْق كيداً ، فأقام بالمدينة بقيَّة سنته .

غزوة الخندق

فى شوال سنة خمس

تاريخها

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم كانت غزوة الخندق فى شوّال سنة خمس .

اليهود تحرّض قريشاً

فحدثني يزيد بن رُومان مَوْلى آل الزُّبير بن عُروة بن الزبير ، ومَن لا أتّهم ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، ومحمد بن كَعْب القُرظيّ ، والزُّهْرِيّ ، وعاصم بن عمر بن قَتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدّث مالا يحدّث به بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلاّم ابن أبي الحُقَيْق النَّضري ، وحُيَيّ بن أخْطَبَ النَّضري ، وكِنانة بن أبي الحُقَيْق النَّضري ، وهَوْذَةُ بن قيس الوائلي ، وأبو عَمّار الوائلي ، في نفر من بني النَّضير ، ونفَر من بني وائل ، وهم الذين حزَّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قَدِموا على قُريش مكةَ ، فدعوهم إلى حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نَسْتأصِلَهُ ـ فقالت لهم قُريش : يامَعْشَرَ يَهُودَ ، إنكم أهلُ الكتاب الأوّل والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفَدِينُنا خيرٌ أم دِينُه ؟ قالوا : بل دِينُكم خيرٌ من دينه ، وأنتم أولى بالحق (منه) فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ والطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ : أي النبوّة : ﴿ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الكِتابَ والحِكْمَةَ وآتَيْناهُمْ

. . . .

مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾ .

اليهود تحرّض غطفان

قال : فلما قالوا ذلك لقُريش ، سرّهم ونَشطوا لما دَعَوْهم إليه ، من حَرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتّعدوا له . ثم خرج أولئك النَّفر من يَهودَ ، حتى جاءوا غَطَفَان ، من قيس عَيْلَانَ ، فدَعَوهم إلى حرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأخْبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب من المشركين

قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدُها أبو سُفيان بن حَرْب ؛ وخرجت غَطَفَان ، وقائدها عُيَيْنَةُ بن حِصْنِ بن حُذَيفَةَ بن بَدْرٍ ، في بني فَزَارَة ؛ والحارث بن عَوْف بن أبي حارثة المُرّى ، في بني مُرَّة ؛ ومِسْعر بن رُخَيلة ابن نُوَيرة بن طَريف بن سُحْمَة بن عبد الله بن هِلال بن خُلاَوَة بن أشْجع بن رَيْثِ بن غَطَفان ، فيمن تابعه من قومه من أشْجع .

حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخَنْدَق على المدينة ، فعمل فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تَرْغيباً للمسلمين

فى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا . وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُوَرّون بالضّعيف من العمل ويتسلّلون إلى أهليهم بغير عِلْم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن ، وجعل الرجلُ من المسلمين إذا نابته النائبة ، من الحاجة التى لابدّ له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه فى اللحوق بحاجته فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبةً فى الخير ، واحتساباً له .

ما نزل فى حق العاملين فى الخندق

فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . فنزلت هــــذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسْبة والرغبة فى الخير ، والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبىّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ، قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

. . . .

تفسير بعض الغريب

قال ابن هشام : اللواذ : الاستتار بالشيء عند الهرب ، قال حسان بن ثابت :

وقُرَيْش تَفِرُّ مِنَّا لِواذاً أن يُقيموا وخَفَّ منها الحُلومُ

وهذا البيت فى قصيدة له قد ذكرتها فى أشعار يوم أُحُد .

﴿ألا إنَّ لِلهِ ما فِى السَّمَاوَاتِ والأرْضِ قَدْ يَعْلَمُ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إلَيْه فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

المسلمون يرتجزون فى الحفر

قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعَيْل ، سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عمراً ، فقالوا :

سَمّاه مِنْ بَعْدِ جُعَيْل عَمْرا وكانَ للبائس يوماً ظَهْرا

فإذا مرّوا « بعمرو » قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عمراً ، وإذا مرّوا « بظَهْر » قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ظهراً .

الآيات التي ظهرت في حفر الخندق

قال ابن إسحاق : وكان في حفر الخندق أحاديثُ بلغتني ، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوّته ، عاين ذلك المسلمون .

فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدّث : أنه اشتدّت عليهم في بعض الخندق كُدْية ، فشكوها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعا بإناء من ماء ، فتَفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يَدْعوَ به ، ثم نَضَح ذلك الماء على تلك الكُدْية ، فيقول من حَضرها : فوالذى بَعثه بالحق نبياً ، لانهالت حتى عادت كالكثيب ، لاتردّ فأساً ولا مِسْحاة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سَعيد بن مِينا أنه حُدّث : أن ابنةً لبَشير بن سعد ، أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتنى أُمّى عَمْرة بنتُ رَوَاحة ، فأعطَتنى حَفنة من تمر فى ثَوْبى ، ثم قالت : أى بُنَيَّة ، اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رَوَاحــة بغدائهما ، قالت : فأخذتُها ، فانطلقتُ بها ، فمررتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى ؛ فقال : تعالى يا بُنيَّة ، ماهذا معك ؟ قالت : فقلت : يارسول الله ، هذا تمر ، بعثتنى به أمى إلى أبى بَشير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رَوَاحة يتغدّيانه ؛ قال : هاتيه ؛ قالت : فصَبَبْته فى كَفَّىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبُسط له ، ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدّد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده :

فصرخ فى أهل الخندق : أن هَلُمّ إلى الغداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعلَ يزيد ، حتى صَدر أهل الخَنْدق عنه ، وإنه ليسقُط من أطراف الثوب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سَعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق ، فكانت عندى شُوَيهة ، غير جِدّ سَمِينة . قال : فقلت : والله لو صَنَعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ قال : فأمرتُ امرأتى ، فطحنت لنا شيئاً من شَعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذَبحت تلك الشاة ، فشَوَيناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما أمْسَينا وأراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ــ قال : وكنا نعمل فيه نهارَنا ، فإذا أمْسينا رَجعنا إلى أهالينا ــ قال : قلت : يارسول الله ، إنى قد صنعت لك شُوَيهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشَّعير ، فأحبّ أن تَنصرف معى إلى منزلى ، وإنما أُريد أن يَنْصَرف معى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحدَه . قال : فلما أن قلت له ذلك قال : نعم ، ثم أمر صارخاً فصرَخ : أن انصرفوا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ؛ قال : فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمّى (الله) ، ثم أكل ، وتوارَدها الناس ، كلما فرغ قومٌ قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهلُ الخندق عنها .

قال ابن إسحاق : وحُدّثت عن سَلْمان الفارسىّ ، أنه قال : ضربتُ

في ناحية من الخندق ، فغَلُظت علىّ صخرةٌ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ؛ فلما رآني أضرب ورأى شدّة المكان علىّ ، نزل فأخذ المِعْول من من يدى ، فضرب به ضربةً لَمَعَت تحت المِعْول برقةٌ ، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلَمعت تحته برقة أخرى ؛ قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلَمعت تحته برقة أخرى . قال : قلت : بأبى أنت وأمى يارسول الله ! ماهــذا الذى رأيت لمَع تحت المِعول وأنت تضرب ؟ قال : أوَقد رأيت ذلك ياسَلْمان ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : أما الأول فإنّ اللهَ فَتحَ علىّ بها اليمن ؛ وأما الثانية فإنّ الله فتَح علىّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح علىّ بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتّهم عن أبى هُريرة أنه كان يقول ، حين فُتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان ومابعده : افتتحوا مابدا لــكم ، فوالذى نفسُ أبى هُريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تَفتَتِحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى اللهُ سبحانهُ محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحَها قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : ولمّا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة ، بين الجُرُف وزَغَابَة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومَنْ تَبِعهم من بَنى كِنانة وأهــلِ تِهامة ، وأقبلَت غَطَفان ومَن تَبِعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذَنب نَقَمى ، إلى جانب أُحد . وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمُسلمون ، حتى جعلوا

ظُهورهم إلى سَلْع ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عَسْكَره ، والخَنْدق بينه وبين القوم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذَّرارى والنساء فجُعلوا فى الآطام .

تحريض حيي بن أخطب لكعب بن أسد

وخرج عدوّ الله حُيَيّ بن أخطب النَّضرىّ ، حتى أتى كَعْب بن أسد القُرَظى ، صاحب عَقْد بنى قُريظة وعَهْدهم ، وكان قد وادَع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كَعْب بحُيَيّ بن أَخْطَب أغلق دونه باب حِصْنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يَفْتَح له ، فناداه حُيَيّ : وَيْحَكَ يا كَعْبُ ! افتح لى ، قال : ويحك يا حُيَىُّ : إنك امرؤ مَشْئُومٌ ، وإنى قد عاهدتُ محمداً ، فلستُ بناقضٍ ما بينى وبينه ولم أرَ منه إلا وفاء وصِدْقاً ؛ قال : وَيْحَكَ افتح لى أُكَلِّمْكَ ؛ قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دونى إلا تخوفت على جَشِيشَتِك أن آكُلَ معك منها ، فأَحْفَظَ الرَّجلَ ، ففتح له ، فقال : وَيْحَكَ يا كَعْب ، جئتك بعزِّ الدهر وببَحْرٍ طَامٍ ، جئتك بقُريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتُهم بمُجْتمع الأسيال من رُومة ، وبغَطَفَان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقَمَى إلى جانب أُحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يَبْرَحُوا حتى نستأصِلَ محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب جئتنى والله بذُلّ الدهر ، وبجَهَامٍ قد هَرَاق مَاءَه ، فهو يُرعد ويُبرِق ، ليس فيه شىء ، ويحك يا حُيَيّ ! فدَعْنى وما أنا عليه ، فإنى لم أرَ من محمد إلا صِدْقاً ووفاء . فلم يزل حُيَيّ

بكعب يفتله فى الذِّرْوَةِ والغارِبِ ، حتى سَمح له ، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً : لئن رجعتْ قريش وغطفان ، ولم يُصيبوا محمداً أن أدخلَ معك فى حصنك حتى يُصيبنى ما أصابك . فنقض كعبُ بن أسد عَهْده ، وبَرِىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

التحرى عن نقض كعب للعهد

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ وإلى المسلمين ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سعدَ بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيِّد الأوس ، وسعدَ بن عُبادة بن دُلَيم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيِّد الخزرج ومعهما عبدُ الله بن رَواحة ، أخو بنى الحارث بن الخزرج ، وخَوَّات بن جُبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فان كان حقًّا فالْحَنوا لى لَحْناً أعرفه ، ولا تَفُتُّوا فى أعْضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجْهَرُوا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : مَن رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعدُ بن مُعَاذٍ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حِدَّة ، فقال له سعدُ بن عُبادَةَ : دع عنك مُشاتَمَتَهم ، فما بيننا وبينهم أَرْبَى من المشاتمة . ثم أقبل سَعْدٌ وسعدٌ ومن معهما ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلَّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلٌ والقَارَةُ ، أى كغدر عَضَل والقارة

. . . .

بأصحاب الرجيع، خُبَيب وأصحابه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، أبشروا يامعشر المسلمين.

ظهور نفاق المنافقين واشتداد خوف المسلمين

وعظم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوّهم من فَوقهم ومن أسفلَ منهم، حتى ظنّ المؤمنون كلّ ظَنّ، ونَجَم النِّفاق من بعض المنافقين، حتى قال مُعَتِّب بن قُشير، أخو بنى عمرو بن عوف: كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحَدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

أكان معتب منافقاً؟

قال ابن هشام: وأخبرنى من أثق به من أهل العلم: أن مُعتِّب بن قُشير لم يكن من المنافقين، واحتجّ بأنه كان من أهل بدر.

قال ابن إسحاق: وحتى قال أَوسُ بن قَيْظِيّ، أحد بنى حارثة بن الحارث: يارسول الله، إن بيوتنا عَوْرة من العدوّ، وذلك عن ملأ من رجال قومه، فأْذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة. فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شَهْر، لم تكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيا بالنبل والحِصار.

قال ابن هشام: ويقال الرَّمْيا.

. . . .

الهمّ بعقد الصلح مع غطفان

فلما اشتدّ على الناس البلاء ، بعث رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مُسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ـ إلى عُيَيْنَةَ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بَدْرِ ، وإلى الحارث ابن عوف بن أبى حارثة المُرِّى ، وهما قائدا غَطَفان ، فأعطاهما ثُلثَ ثمار المدينة على أن يَرْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كَتبوا الكِتاب ، ولم تقع الشهادةُ ولا عزيمة الصُّلح ، إلا المُرَاوضَة فى ذلك . فلما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سَعْدِ بن مُعاذِ وسَعْدِ بن عُبَادَة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يارسول الله ، أمراً نُحبه فنَصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به ، لابدّ لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شىء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العَرب قد رَمتْكم عن قَوْس واحدة ، وكالبوكم من كلّ جانب ، فأردت أن أكسِر عنكم من شَوْكتهم إلى أمرٍ ما ؛ فقال له سَعْد بن مُعاذ : يارسول الله ، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعِبادة الأوثان ، لانعبد الله ولا نعرفه . وهم لا يَطْمَعُون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرًى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدَانا له وأعزّنا بك وبه ، نُعطيهم أموالنا ! (والله) مالنا بهذا مِن حاجة ، والله لا نُعطيهم إلا السَّيف حتى يَحْكم الله بيننا وبينهم ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . فتناول سعدُ بن مُعاذ الصَّحيفة ، فمحا مافيها من الكِتاب ، ثم قال : ليَجْهدوا علينا .

عبور نفر من المشركين الخندق

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وعدوّهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قِتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عَبْد وُدّ بن أبي قَيس ، أخو بني عامر بن لؤيّ .

ـ قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عَبد بن أبي قَيس ـ

قال ابن إسحاق : وعِكْرمة بن أبي جهل ، وهُبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضِرار بن الخطّاب الشاعر ابن مرداس، أخو بني محارب بن فِهر ، تلبّسوا للقتال ، ثم خرجوا على خَيْلهم ، حتى مرّوا بمنازل بني كِنانة ، فقالوا : تهيّئوا يابني كنانة للحرب ، فستعلمون مَنِ الفُرسان اليوم ، ثم أقبلوا تُعْنِق بهم خيلُهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمَكيدة ما كانت العربُ تَكيدها.

سلمان وإشارته بحفر الخندق

قال ابن هشام : يقال : إن سَلمان الفارسي أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدثني بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سَلمان منّا ؛ وقالت الأنصار : سلمان منّا ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهلَ البَيْت .

مبارزة على لعمرو بن عبد ود

قال ابن إسحاق : ثم تيمّموا مكاناً ضيِّقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم فى السَّبْخَةِ بين الخَنْدَقِ وَسَلْع ، وخرج علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثَّغرة التى أقحَمُوا منها خَيْلَهم وأقبلت الفُرسان تُعْنِق نحوَهم ، وكان عمرو بن عَبْدِ وُدّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يَشْهد يوم أُحد ؛ فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِماً ليُرَى مكانُه . فلما وقف هو وخَيْلُهُ ، قال : مَنْ يُبارز ؟ فبرز له علىّ بن أبى طالب فقال له : ياعمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قُريش إلى إحدى خَلَّتين إلا أخذتَها منه ، قال له : أجل ؛ قال له علىّ : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك ، قال : فإنى أدعوك إلى النِّزال ، فقال له : لِمَ يابن أخى ؟ فوالله ماأحبّ أن أقتلك ، قال له علىّ : لكنى والله أحبّ أن أقتلك ، فَحَمِى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضَرب وجهه ، ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علىّ رضى الله عنه . وخرجت خيلهم مُنهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربةً .

قال ابن إسحاق : وقال علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك :

نَصَرَ الحِجارةَ مِن سَفاهةِ رأيِهِ ... ونَصَرْتُ ربَّ محمَّدٍ بصَوابى

فصَدَدت حين تَرَكْتُه متجدّلا ... كالجِذْع بين دَكادِكٍ ورَوابى

وعَففت عن أثوابه ولو انّنِي كنتُ المُقطَّرَ بزَّنِي أثوابى

لا تَحْسِبَنَّ اللهَ خاذلَ دِينِه ونبيِّه يا مَعْشَر الأحزابِ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلىّ بن أبى طالب.

شعر حسان فى عكرمة

قال ابن إسحاق: وألقى عِكْرِمة بن أبى جهل رُمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسّان بن ثابت فى ذلك:

فرّ وألقى لنا رُمحه لعلّك عِكْرِمَ لم تفعلِ

ووَلّيْتَ تعدو كعدْو الظّليم ما إن تجور عن المَعْدِلِ

ولم تلق ظَهرك مُستأنِساً كأن قفاك قفا فُرْعُلِ

قال ابن هشام: الفُرْعُل: صغير الضباع، وهذه الأبيات فى أبيات له.

شعار المسلمين يوم الخندق

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبنى قريظة: حم، لا يُنصرون.

حديث سعد بن معاذ

قال ابن إسحاق: وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن ابن سهل الأنصارى، أخو بنى حارثة: أن عائشة أمّ المؤمنين كانت فى حصن

بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد ابن مُعاذ معها فى الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب ؛ فمرّ سعد وعليه درع له مُقلّصة ، قد خرجت منها ذراعه كلُّها ، وفى يده حربته يَرْقُل بها ويقول :

لَبِّثْ قليلا يَشْهَدِ الهَيْجا جَمَل لا بأس بالمَوت إذا حان الأجَل

قال فقالت له أمه : الحق : أى بنى ، فقد والله أخَّرت ؛ قالت عائشة : فقلت لها : يا أمّ سعد ، والله لوددْت أن دِرْع سعد كانت أسْبَغ مما هى ، قالت : وخِفْتِ عليه حيث أصاب السّهمُ منه ، فرُمِى سعدُ بنُ معاذ بسهم ، فقطع منه الأكْحَلُ ، رماه كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، حِبَّان بن قَيْس بن العَرِقة ، أحد بنى عامر بن لُؤَىّ ، فلما أصابه ، قال : خُذْها منى وأنا ابن العَرِقَةِ ، فقال له سعد : عرّق الله وجهك فى النار ؛ اللهمّ إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، فإنه لاقوم أحبّ إلىّ أن أجاهدهم من قومٍ آذَوْا رسولك وكذّبوه وأخرجوه ، اللهمّ وإن كنت قد وضعت الحربَ بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تُمِتْنى حتى تُقرّ عينى من بنى قُريظة .

من قاتل سعد ؟

قال ابن إسحاق : وحدثنى مَنْ لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجُشَمى ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعراً لعِكرِمة بن أبى جهل :

أعِكْرِمَ هلاَّ لُمْتنى إذْ تقول لى فداكَ بآطام المَدينَة خالدُ

ألستُ الذى ألزمتُ سَعداً مُرِشَّةً لها بين أثناء المَرَافِق عانِد

قَضى نَحْبه منها سُعَيد فأعْوَلت عليه مع الشُّمْط العَذَارَى النَّواهُد

وأنتَ الذى دافعْتَ عنه وقد دَعا عُبيدةُ جمعاً منهُم إذ يُكابِد

على حين ماهُم جائر عن طَرِيقه وآخر مَرْعُوبٍ عن القَصْد قاصد

(والله أعلم أىّ ذلك كان) .

قال ابن هشام : ويقال : إن الذى رَمى سعداً خَفاجة بن عاصم بن حِبَّان .

الحديث عن جبن حسان

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفيَّة بنت عبد المطَّلب فى فارِع ، حِصْن حسَّان بن ثابت ؛ قالت : وكان حسَّان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصِّبيان ، قالت صفيَّة : فمرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطِيفُ بالحِصْن ، وقد حاربتْ بنو قُريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يَدْفع عنا ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوّهم ، لا يَستطيعون أن يَنصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ . قالت : فقلت : ياحسَّان ، إن هذا اليهودىّ كما ترى يُطِيفُ بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يَدُلّ على عَوْرتنا

مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغِل عنَّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ؛ قال : يَغْفِر الله لكِ يابنة عبد المطَّلب ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، احتجزت ثم أخذت عَموداً ، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه ، فضربتُه بالعَمود حتى قتلته . قالت : فلما فرغت منه ، رجعتُ إلى الحِصْن ، فقلت : ياحسَّان ، انزل إليه فاسلبه ، فانه لم يَمْنعنى من سلبِهِ إلا أنه رَجل ؛ قال : مالى بسَلْبه من حاجة يابنة عبد المطلب .

نعيم يخذّل المشركين

قال ابن إسحاق : وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدّة ، لتظاهر عدوّهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فَوْقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نُعيم بن مَسْعود بن عامر بن أُنَيف بن ثعلبة بن قُنْفد بن هِلال ابن خَلاوة بن أشْجع بن رَيْث بن غَطفان ، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنى قد أسلمتُ ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمُرْنى بما شئْت ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ ، فخذّل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة . فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بنى قُريظة ، وكان لهم نديماً فى الجاهليَّة ، فقال : يابنى قُريظة ، قد عَرفتم ودّى إياكم ، وخاصّة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتَّهم ، فقال

لهم : إنّ قريشاً وغَطَفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لاتقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإنّ قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمّد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فان رأوا نُهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقُوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خَلا بكم ، فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تُناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج حتى أتى قُريشاً ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عَرفتم ودّى لكم وفِراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت علىّ حقّاً أن أبلغكموه ، نُصْحاً لكم ، فاكتموا عَنى ، فقالوا : نفعل ، قال : تعلّموا أن معشر يهود قد نَدِموا على ما صَنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد نَدِمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين ، من قُريش وغطفان رجالا مِن أشْرافهم فنُعطيكهم ، فتضربَ أعناقهم ثم نكون معك على من بَقِى منهم حتّى نَسْتأصلَهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُناً من رجالكم فلا تَدْفعوا إليهم مِنكم رجلا واحداً .

ثم خرج حتى أتى غَطفان ، فقال : يامعشرغَطفان ، إنكم أصْلِى وعَشيرتى ، وأحبّ النـاس إلىّ ، ولا أراكم تتّهمونى ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا

بينهم ، قال فاكتموا عنى ، قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ ثم قال لهم مثلَ ما قال لقريش وحذّرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السَّبت من شوّال سنة خمس ، وكان من صُنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حَرْب ورءوس غَطفان إلى بنى قُريظة عِكْرِمة بن أبى جهل ، فى نَفر من قُريش وغَطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هَلك الخفّ والحافر ، فاغدُوا للقِتال حتى نُناجز محمداً ، ونَفرغ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو (يوم) لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدَث فيه بعضُنا حدَثاً ، فأصابه مالم يخفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نُقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رُهُناً من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى إن ضَرّستكم الحرب ، واشتدّ عليكم القتال أن تَنْشمروا إلى بلادكم وتَتركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسُل بما قالت بنو قريظة ، قالتْ قريش وغَطفان : والله إن الذى حدّثكم نُعيم بن مسعود لحقّ ، فأرسِلوا بنى قُريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تُريدون القتال فاخرُجوا فَقاتلوا ، فقالت بنو قُريظة ، حين انتهت الرسلُ إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم نُعيم بن مَسْعود لَحقّ ، مايريد القوم إلا أن يُقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غيرَ ذلك انشمروا إلى بلادهم . وخلّوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسِلوا إلى قريش وغَطفان : إنا والله لا نُقاتل معكم محمداً حتى تُعْطونا رُهُناً ، فأبَوْا عليهم وخذّل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الرّيح

في ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح أبنيتهم .

تعرف ما حل بالمشركين

(قال) : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم ، وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حُذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال : نعم ، يابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد ، قال : فقال : والله لو أدركناه ماتركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يابن أخي ، والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — يشرط له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرجعة — أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة ؟ فما قام رجُل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال : ياحُذيفة ، اذهب فادخُل في القوم ، فانظُر ماذا يصنعون ، ولا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت في القوم ، والريح وجُنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقرّ لهم قِدْراً ولا ناراً

ولا بناء . فقام أبو سفيان ، فقال : يامعشر قريش : لينظر امرؤ مَنْ جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : من أنت ؟ قال: فلان بن فلان .

أبو سفيان ينادى بالرحيل

ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هلك الكُراع والخفّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدّة الريح ما تَرَوْن ، ماتطمئنّ لنا قِدْر ، ولاتقوم لنا نار ، ولا يَسْتمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو مَعْقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ماأُطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عَهْد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلىّ « أن لاتحدث شيئاً حتى تأتينى » ثم شئت ، لقتلته بسهم .

قال حُذيفة : فرجعتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرْط لبعض نسائه ، مراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشى اليمن .

فلما رآنى أدخلنى إلى رِجليه ، وطَرح علىّ طَرَف المرْط ، ثم ركع وسجد ، وإنى لفيه ، فلما سلّم أخبرته الخبر ، وسمعتْ غطفان بما فعلت قُريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

. . . .

الإنصراف عن الخندق

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بنى قريظة

فى سنة خمس

الأمر الإلهى بحرب بنى قريظة

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى الزُّهرى ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، على بَغْلة عليها رِحالة ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوَقَدْ وضعتَ السلاح يارسول الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القَوم ، إن الله عزّ وجلّ يأمرك يامحمد بالمَسيرِ إلى بنى قُريظة ، فإنى عامدٌ إليهم فمزلزل بهم .

فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مؤذِّناً ، فأذّن فى الناس ، من كان سامعاً مُطيعاً ، فلا يصلّينّ العصرَ إلا ببنى قُريظة .

واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

علىٌّ يبلغ الرسول ماسمعه من بنى قريظة

قال ابن إسحاق : وقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب

برايته إلى بنى قُريظة ، وابتدرها الناسُ . فسار علىّ بن أبى طالب ، حتى إذا دنا من الحُصون سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لَقِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يارسول الله ، لاعليك أن لاتدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : لِمَ ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يارسول الله ، قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حُصونهم . قال : يا إخوان القِرَدة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا .

جبريل فى صورة دحية

ومرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنَفَر من أصحابه بالصَّوْرَيْن قبل أن يصل إلى بنى قُريظة ، فقال : هل مَرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يارسول الله ، قد مَرَّ بنا دِحْية بن خَليفة الكلبى ، على بَغْلة بيضاء عليها رِحالة ، عليها قَطيفة ديباج . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جِبْريل ، بُعث إلى بنى قُريظة يُزَلزل بهم حُصونهم ، ويقذف الرعبَ فى قلوبهم .

ولما أتى رسولُ الله صلى الله عليه ووسلم بنى قريظة : نزل على بئر من آبارها من ناحِية أموالهم ، يقال لها بئر أنا .

قال ابن هشام : بئر آنّى .

تلاحق الناس بالرسول

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء

الآخرة ، ولم يصلّوا العَصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلّينّ أحدٌ العصرَ إلا ببنى قُريظة ، فشغَلهم مالم يكن منه بدّ فى حَرْبِهم . وأبَوْا أن يصلُّوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بنى قريظة . فصلَّوْا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنَّفهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . حدثنى بهذا الحديث أبى إسحاقُ بن يسار ، عن مَعبد بن كَعْب بن مالك الأنصارى .

الحصار

(قال) : وحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة حتى جَهدهم الحصار ، وقذفَ اللهُ فى قُلوبهم الرعبَ .

وقد كان حُيَىّ بن أخْطب دخل مع بنى قريظة فى حصْنهم ، حين رجعت عنهم قُريش وغَطفان ، وفاء لكَعْب بن أسد بما كان عاهده عليه .

نصيحة كعب بن أسد لقومه

فلما أيقنوا بأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غير مُنْصرف عنهم حتى يُناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يامعشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثاً ، خُذوا أيها شئتم ، قالوا : وماهى ؟ قال : نُتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبيَّن لكم أنه لنبىٌّ مُرْسَل ، وأنه للذى تجِدونه فى كتابكم ، فتأْمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارقُ حكمَ التّوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيتم علىَّ هذه ،

فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصْلتين السيوفَ ، لم نترك وراءنا ثقلا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نَهلِكْ نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمرى لنجدنّ النساء والأبناء ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم علىّ هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلّنا نُصيب من محمد وأصحابه غِرّة ، قالوا : نُفسد سَبْتنا علينا ، ونُحدث فيه ما لم يحدث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ! قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

قصة أبى لبابة

ثم إنهم بعثوا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لُبابة ابن عبدِ المُنْذر ، أخا بنى عمرو بن عوف ، وكانوا حُلفاء الأوس ، لنستشيره فى أمرنا ، فأرسله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجَهَشَ إليه النساء والصبيان يَبْكون فى وجهه ، فرقّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لُبابة ! أترى أن ننزل على حُكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حَلقه ، إنه الذبح . قال أبو لُبابة : فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفتُ أنى قد خنتُ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد إلى عَمُود من عُمُده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوبَ الله علىّ مما

صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بني قريظة أبداً ، ولا أُرى في بلد خُنْتُ الله ورسوله فيه أبداً .

توبة الله على أبي لبابة

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لُبابة ، فيما قال سُفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونوا اللهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنتُمْ تعْلَمُونَ ﴾ . الأنفال : ٢٧

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خبرُه ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذي أطلقُه من مكانه حتى يَتُوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط : أنّ توبة أبي لُبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر ، وهو في بيتِ أُمّ سَلَمة . (فقالت أُمّ سَلَمة) : فسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو يضحك . قالت : فقلت : ممّ تضحك يارسول الله ؟ أضحك اللهُ سنَّك ؟ قال : تِيب على أبي لُبابة ، قالت : قلت : أفلا أُبَشِّره يارسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئتِ . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب ، فقالت : يا أبا لُبابة ، أبْشِر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا والله حتى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يُطلقني بيده ، فلما مرّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

قال ابن هشام : أقام أبو لُبابة مُرتبطاً بالجذع ستّ ليال ، تأتيه امرأته في كلّ وَقْت صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرْتبط بالجِذْع ، فيما حدثني بعض أهل العلم والآية التي نزلت في توْبته قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

إسلام بعض بني هدل

قال ابن إسحاق : ثم إن ثَعْلَبَةَ بنَ سَعْيَةَ ، وأَسِيْد بن سَعْيَة ، وأَسَد بن عُبَيْد . وهم نفر من بني هَدْلٍ ، ليسوا من بني قُريظة ولا النَّضير ، نَسَبُهُم فوق ذلك هم بنو عمّ القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قُريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه سلم .

عمرو بن سُعدى

وخرج في تلك اللّيلة عَمْرو بن سُعْدَى القُرَظي ، فمرّ بحَرَس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مَسْلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُعْدَى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قُريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مَسْلمة حين عرفه : اللهمّ لا تحرِمني إقالة عَثَرات الكِرام ، ثم خلَّى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْر أين توجه من الأرض إلى يومه هـــذا ، فذُكر

رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : ذاك رجل نجّاه الله بوَفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثِق بِرُمَّةٍ فيمن أُوثِقَ من بنى قُريظة ، حين نزلوا على حُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رُمَّتُه مُلقاة ، ولا يُدرى أين ذهب . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أىّ ذلك كان .

تحكيم سعد فى أمر بنى قريظة ورضاء الرسول به

(قال) فلما أصبحوا نزلوا على حُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتَواثبتِ الأوْس ، فقالوا : يارسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلتَ فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت ــ وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قُريظة قد حاصَر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حُلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلُولَ ، فوَهبهم له . فلما كلَّمته الأوس قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ألا تَرْضَوْن يامَعْشَرَ الأوْسِ أن يَحْكم فيهم رجلٌ منكم ؟ قالوا : بلى ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن مُعاذ . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد ابنَ مُعَاذٍ فى خَيْمة لامرأة من أسلَم ، يُقال لها رُفَيدة ، فى مسجده ، كانت تُداوى الجَرْحَى ، وتحتسب بنفسها على خِدْمة مَنْ كانت به ضَيْعة من المُسلمين ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خَيْمة رُفَيدة حتى أعُوده من قريب . فلما حكَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قُريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار

قد وطَّئوا له بوسادة من أدَم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحْسنْ فى مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنَّمَا ولّاك ذلك لتُحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أنَى لِسعد أن لاتأخذه فى الله لَوْمةُ لائم . فرجع بعضُ من كان معه من قَوْمه إلى دار بنى عبد الأشْهل ، فنَعى لهم رجال بنى قُريظة ، قبل أن يَصل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منــــه . فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: قوموا إلى سيِّـــــدكم - فأما المُهاجرون من قُريش ، فيقولون : إنما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وأما الأنصار ، فيقولون : قد عمّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد وَلّاك أمرَ مواليك لتَحْـكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه ، أنّ الحـكم فيهم لَمَا حـكَمتُ ؟ قالوا : نعم ، وعلى مَنْ هاهنا ، فى الناحية التى فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مُعرِض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل الرجالُ ، وتُقسم الأموال ، وتُسْبَى الذرارى والنساء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْد بن مُعاذ ، عن عَلْقمة بن وقّاص اللَّيْثى ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمتَ فيهم بحُـكم الله من فوق سبعة أرْقِعَةٍ :

قال ابنُ هشام : حدثنى بعضُ من أثقُ به من أهل العلم : أن علىَّ بنَ أبى طالب صاح وهم مُحاصرو بنى قُريظة : يا كَتيبة الإيمان ، وتقدّم هو والزُّبير بن العوّام ، وقال : والله لأذوقنّ ماذاق حَمْزة أو لأَفْتَحَنّ حِصْنَهم ، فقالوا : يامحمد ، ننزل على حُكم سَعد بنِ مُعاذ .

تنفيذ الحكم فى بنى قريظة

قال ابن إسحاق : ثم استَنْزَلوا ، فحبسهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى دار بنت الحارث ، امرأة من بنى النَّجّار ، ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ، التى هى سوقها اليوم ، فخَنْدق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضَرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، يُخرَج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدوّ الله حُيَىّ بن أخْطب ، وكَعْب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستّ مائة أو سبع مائة ، والمُكثِّر لهم يقول : كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة . وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كَعْب ، ماتراه يُصنع بنا ؟ قال : أفى كلّ موطن لا تَعقِلون ؟ ألا ترون الداعى لا يَنزِع ، وأنه من ذُهب به منكم لا يَرْجِع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

مقتل حيى بن أخطب

وأُتِىَ بحُيَىّ بن أخْطَبَ عدوّ الله ، وعليه حُلّة له فُقّاحيّة — قال ابن هشام :

فُقَّاحِيَّة : ضرب من الوشى ـ قد شقَّها عليه من كل ناحية قدر أُنْمُلَة لئلا يُسْلَبها ، مجموعةً يداه إلى عُنُقه بحبل . فلما نَظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما لمت نفسى فى عَدَاوتك ، ولكنه من يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بَأْس بأمر الله ، كِتابٌ وقَدرٌ ومَلْحَمَة كتَبها اللهُ على بنى إسرائيل ، ثم جَلس فضُرِبتْ عنقه .

فقال جَبل بن جَوّال الثّعلبي :

لعَمْرُك مالامَ ابنُ أخْطَبَ نَفْسه ولكنّه مَنْ يَخْذُل اللهَ يُخْذَلِ

لجاهَد حتى أبْلغ النّفس عُذْرَها وقَلْقَل يَبْغى العزّ كلَّ مُقَلْقَل

المرأة القتيل من بنى قريظة

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة بن الزُّبير ، عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت : والله إنها لعندى تحدّث معى ، وتَضحك ظَهْراً وبَطْناً ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السُّوق ، إذ هَتف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله، قالت : قلت لها : ويلك، مالك ؟ قالت : أُقْتَل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدَثٍ أحدثته، قالت : فانطلق بها، فضُربت عنقها، فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عَجَباً منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضَحكها ، وقد عرفتْ أنها تُقتل .

قال ابن هشام : وهى التى طرحت الرَّحا على خلّاد بن سُويد ، فقتلته .

شأن الزبير بن باطا

قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس ، كما ذكر لى ابنُ شهاب الزُّهْرِى ، أتى الزَّبِير بن بَاطَا القُرظىّ ، وكان يُكَنَّى أباعبدالرحمن وكا الزبير قد مَنَّ على ثابت بن قَيس بن شمَّاس فى الجاهلية . ذكر لى بعضُ ولد الزَّبير أنه كان منَّ عليه يوم بُعاث ، أخذه فجزَّ ناصيتَه ، ثم خلَّى سبيله — فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبدالرحمن ، هل تعرفنى ؟ قال : وهل يَجْهل مثلى مثلَك ، قال : إنى قد أردت أن أجْزيك بيدك عِندى ، قال : إن الكريم يَجزى الكريم ، ثم أتى ثابتُ بن قيس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله إنه قد كانت للزَّبير علىَّ منَّة ، وقد أحببت أن أجْزيه بها ، فهبْ لى دَمه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ، فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمَك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، هَبْ لى امرأته وولَده ، قال : هُمْ لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَك وولدك ، فهم لك ، قال : أهلُ بيتٍ بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، مالَه ، قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالَك ، فهو لك ، قال : أىْ ثابت ، مافعل الذى كأن وجْهه مرآة صِينيَّة يتراءى فيها عَذَارى الحىّ ، كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيِّد الحاضر

والبادى حُيَىّ بن أخْطَب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مُقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فَررنا ، عَزّال بن سَمَوأل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجالسان ؟ يعنى بنى كعب بن قُريظة وبنى عَمْرو بن قريظة؟ قال : ذهبوا قُتلوا . قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا أَلْحَقْتَنِى بالقوم ، فوالله مافى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فَتْلَة دَلْوٍ نا ضِحٍ حتى ألقى الأحبَّة . فقدّمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصدّيق قوله « ألقى الأحبَّة » . قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً مخلّداً .

قال ابن هشام : قَبْلَةَ دلو ناضح . وقال زهير بن أبى سُلمى فى « قَبْلَةِ » :

وقابِلٍ يَتَغَنّى كُلَّما قَدَرَتْ   على العَرَاقى يَداه قائماً دَفَقا

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : ويُروى : وقابِلٍ يَتَلَقّى ، يعنى قابل الدلو يتناول .

عطية القرظى ورفاعة

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقَتْل كلّ من أَنْبَتَ منهم .

قال ابن إسحاق : وحدَّثنى شُعبة بن الحجّاج ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن عطية القرظى ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يُقتل

من بنى قُريظة كلّ من أنبت منهم ، وكنت غلاماً ، فوجدنى لم أُنبت ، فخلّوا سبيلى .

قال : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصعة أخو بنى عدىّ بن النَّجار : أن سَلْمى بنت قيس ، أم المُنذر ، أختَ سليط بن أخت سليط بن قيس – وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد صلَّت معه القبلتين ، وبايعته بيعةَ النِّساء – سألته رفاعةَ بن سمَوأل القُرظى ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذَ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا نبىّ الله ، بأبى أنت وأمى ، هبْ لى رِفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ، قال : فوهبه لها فاستَحْيته .

الرسول صلي الله عليه وسلم يقسم فىء بنى قريظة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قسّم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءَهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سُهْمان الخيل وسُهْمان الرجال ، وأخرج منها الُخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سَهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ، من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بنى قُريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أوّل فَىْءٍ وقعت فيه السُّهمان ، وأُخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضَى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنَّة فى المغازى .

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَعدَ بن زيد الأنصارى أخا

. . . .

بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قُريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحاً .

شأن ريحانة

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو بن خُنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قُريظة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُوُفِّىَ عنها وهى فى مِلْكه ، وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَرَض عليها أن يتزوّجها، ويَضْرب عليها الحجاب ، فقالت يارسول الله ، بل تتركنى فى مِلْكك ، فهو أخفّ علىّ وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصّت بالإسلام ، وأبت إلا اليهوديَّة ، فعزلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ووَجد فى نفسه لذلك من أمرها . فبينا هو مع أصحابه ، إذ سمع وقْع نعلين خَلْفه ، فقال : إن هذا لثعلبة بن سَعْية يبشرنى بإسلام رَيْحانة ، فجاءه فقال يارسول الله ، قد أسْلمت ريحانة ، فسرّه ذلك من أمرها .

ما نزل من القرآن فى الخندق وبنى قريظة

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى أمر الخَنْدق ، وأمر بنى قُريظة من القرآن ، القِصَّةَ فى سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونِعْمته عليهم ، وكِفايته إياهم حينَ فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة مَن قال من أهل النفاق : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ

جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ . والجنود قريش وغطفان وبنو قُريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة . يقول الله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾ . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قُريظة ، والذين جاءوهم من أسفلَ منهم قُريش وغطفان . يقول الله (تبارك و) تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِىَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ لقول مُعَتِّب ابن قُشير إذ يقول ما قال . ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ، إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾ لقول أوس بن قيظى ومَنْ كان على رأيه من قومه ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾ : أى المدينة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ، وواحدها : قطر ، وهى الأقتار ، وواحدها : قتر .

قال الفرزدق :

كم من غِنًى فَتح الإلهُ لهم به   والخيلُ مُقْعية على الأقطارِ

ويُروى : « على الأقتار » . وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ ثم سئلوا الفتنة ﴾ : أى الرجوع إلى الشرك ﴿ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً ﴾ فهم بنو حارثة ، وهم الذين همّوا أن يَفشلوا يوم أُحُد مع بنى سَلمة حين همّتا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ : أى أهل النفاق ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ : أى إلا دفعاً وتعذيراً ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ : أى للضغن الذى فى أنفسهم ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ، تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ : أى إعظاماً له وَفَرَقاً منه. ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ : أى فى القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حِسْبَة ، فهم يهابون الموت هَيْبَةَ من لا يرجو ما بعده .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وآذَوْكم . تقول العرب : خطيب سَلاّق ، وخطيب مِسْلَق ومِسْلاق . قال أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة :

فيهم المجــدُ والسَّماحةُ والنجْــدة فيهم والخاطب السلاّقُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ قُرَيش وغَطفان ﴿ وإنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أنهم بادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ ولَوْ كانُوا فِيكُمْ ماقا تلُوا إلاَّ قَلِيلاً ﴾ .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : ﴿ لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ ﴾ : أى لئلا يَرْغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكانٍ هُو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وَعدهُم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : ﴿ ولمَّا رأى المُؤْمنُونَ الأَحْزَابَ قالُوا هَذَا ماوَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَمازَادَهُمْ إلاَّ إيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴾ : أى صبراً على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقاً للحقّ ، لما كان الله تعالى وَعدهم ورسوله صلى الله عليه وسلم. ثم قال : ﴿ مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ماعَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾ : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بَدْر ويوم أُحُد .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : قضى نَحْبه : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرنى أبو عبيدة ، وجمعه : نحوب . قال ذو الرمَّة :

. . . .

عَشِيَّةَ فَرَّ الحارِثِيُّونَ بَعْدَ ما قَضَى نَحْبَه فى مُلْتَقَى الخيل هَوْبَرُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وهَوْبَر : من بنى الحارث بن كَعْب ، أراد : يَزيدَ بن هَوْبَر . والنحب (أيضاً) : النذر . قال جَرير بن الخَطَفَى :

بِطِخْفَةَ جالَدْنا المُلوكَ وخَيْلُنا عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يقول : على نَذْر كانت نَذَرت أن تَقْتله فقَتلتْه ، وهذا البيت فى قصيدة له. وبسطام : بسطام بن قَيس بن مسعود الشَّيبانى ، وهو ابن ذى الجَدّين : حدثنى أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة بن نزار . وطِخْفَة : موضع بطريق البصرة .

والنحب (أيضاً) : الخطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وإذ نَحَبَتْ كَلْبٌ على النَّاس أيُّنا على النَّحْب أعطَى للجَزيل وأفضلُ

والنَّحب (أيضاً) : البكاء . ومنه قولهم ينتحب . والنحب (أيضاً) : الحاجة والهِمَّة ، تقول: مالى عندهم نَحْب . قال مالك بن نُوَيرة اليَرْبوعى :

ومالِىَ نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غيرَ أنَّنِى تَلَمَّستُ ما تَبغى من الشُّدُن الشُّجْر

وقال نَهار بن تَوْسِعة ، أحد بنى تيم اللات بن ثَعْلبة بن عُكابة بن صعب ابن علىّ بن بكر بن وائل .

قال ابن هشام : هؤلاء موال بنى حنيفة :

ونَجَّى يوسفَ الثقفىَّ رَكْضٌ دِراكٌ بعد ما وَقَع اللِّواء

ولو أدْرَكْنه لَقَضَيْنَ نَحْباً به ولِكلّ مُخْطأَةٍ وقاء

والنَّحب (أيضاً) : السير الخفيف المرّ .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾ : أى ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : ﴿ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلا ﴾ : أى ما شكوا وما تردّدوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . ﴿ لِيَجْزِىَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ ﴾ : أى قريشاً وغطفان ﴿ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا ، وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ ، وَكانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ ﴾ : أى بنى قُريظة ﴿ مِنْ صَياصِيهِمْ ﴾ ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن هشام : قال سُحَيم عَبْد بنى الحسحاس ، وبنو الحسحاس من بنى أسد بن خُزَيمة :

وأصْبحت الثِّيران صَرْعى وأصْبحت نساء تَميم يَبْتَدِرْنَ الصَّياصيا

وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى (أيضاً) : القرون . قال النابغة الجعدى :

وسادَةَ رَهْطِى حتى بَقِيتُ فرْداً كصِيصَية الأعْضَبِ

يقول : أصاب الموت سادَة رهطى . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو دواد الإيادىّ :

فَذَعَرْنا سُحْم الصَّياصى بأيدِيهِنّ نَضْحٌ من الكُحَيْل وقار

وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى أيضاً : الشوك الذى للنَّساجين ، فيما أخبرنى أبو عُبيدة . وأنشدنى لدُريد بن الصِّمَّة الُجشَمى ، جُشَم بن معاوية ابن بكر بن هوازن :

نَظَرْتُ إليه والرِّماح تَنُوشُه كوَقْعِ الصَّياصى فى النَّسيج الممَدَّدِ

وهذا البيت فى قصيدة له . والصَّياصى (أيضاً) : التى تكون فى أرْجل الدِّيكة ناتئة كأنها القرون الصِّغار ، والصياصى (أيضاً) : الأصول . أخبرنى أبو عُبيدة أن العَرب تقول : جَذَّ الله صيصيته : أى أصله .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقاً ﴾ : أى قتل الرجال، وسبى الذَّرارى والنساء ، ﴿ وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ وأَرْضاً لَمْ تَطَئُوها ﴾ : يعنى خَيْبر ﴿ وكانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً .

إكرام سعد فى موته

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قُريظة انفجَر بسعد بن مُعاذ جُرحه، فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثنى مُعاذ بن رفاعة الزُّرَقى ، قال : حدثنى مَنْ شئت من رجال قومى : أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين قُبِض سعد بن مُعاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد،

من هذا المَيِّت الذى فُتحت له أبوابُ السماء ، واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريعاً يجرّ ثَوبه إلى سَعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعها أُسيد بن حُضير ، فلقيه موتُ امرأة له ، فحَزِن عليها بعضَ الحُزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أُصِبْت بابن عمك ، وقد اهتزّ له العرش !

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البَصْرى ، قال : كان سعد رجلا بادِناً ، فلما حمله الناس وجَدوا له خفَّة ، فقال رجالٌ من المنافقين : والله إن كان لبادناً ، وما حملنا من جنازة أخفَّ منه ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنّ له حَمَلةً غيركم ، والذى نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتزّ له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مُعاذ بن رِفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الجموح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبَّح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فسبَّح الناس معه ، ثم كبر فكبّر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، مِمّ سبّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرَّجه الله عنه .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قولُ عائشة : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : إن للقبر لَضَمَّةً لو كان أحد منها ناجياً لكان سعدُ بن مُعاذ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمِعْنا به إلا لسَعْدِ أبى عَمْرو

وقالت أمُّ سعد ، حين احتُمل نعشه وهى تبكيه ـ قال ابن هشام ـ وهى كُبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر ، وهو خُدْرة بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج :

وَيْل أمِّ سَعدٍ سعداً صَرَامةً وحَدّاً
وسُودَداً ومجداً وفارساً مُعَدّاً
سُدّ به مَسَدّا يَقُدُّ هاماً قَدّا

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلّ نائحة تَكْذب ، إلا نائحةَ سعدِ بن مُعَاذٍ .

شهداء الغزوة

قال ابن إسحاق : ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر .

ومن بنى عبد الأشهل : سعدُ بن مُعاذ ، وأنس بن أوس بن عَتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلمة : الطُّفيل بن النعمان ، وثَعلبة ابن غَنمة . رجلان .

ومن بنى النّجار ، ثم من بنى دينار : كعبُ بن زيد ، أصابه سهم غَرْب ، فقتله .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سَهْمُ غَرْبٍ وسَهْمٌ غَرْبٌ ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذى لا يُعرف من أين جاء ولا من رَمى به .

قتلى المشركين

وقُتل من المشركين ثلاثة نفر .

من بنى عبد الدّار بن قُصَىّ : مُنبِّه بن عثمان بن عُبَيد بن السبّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أُميّة بن منبّه بن عُبيد بن السبّاق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى مَخزوم بن يَقَظة : نوْفل بن عبد الله بن المُغيرة ، سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يَبيعهم جَسَده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورَّط فيه ، فقُتل ، فغَلب المُسلمون على جَسَده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاحاجة لنا فى جَسده ولا بثَمنه ، فخلَّى بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم ، فيما بلغنى عن الزُّهرى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لُؤَىّ ، ثم من بنى مالك بن حِسْل :

عمرو بن عَبْد وُد ، قتله علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة أنه حدّث عن ابن شهاب الزهرىّ أنه قال : قتل علىٌّ بن أبى طالب يومئذ عَمْرو بن عبد ودّ وابنَه حِسْل بن عمرو .

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد وُدّ ، ويقال : عمرو بن عَبْد .

شهداء المسلمين يوم بنى قريظة

قال ابن إسحاق : واستشهد يوم بنى قُريظة من المسلمين ، ثم من بنى الحارث بن الخزرج : خلّاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رحًى ، فشَدَخَتْه شَدْخاً شديداً ، فزعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجرَ شهيدين .

ومات أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرْثان ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم محاصر بنى قُريظة ، فدُفن فى مَقْبرة بنى قُريظة التى يَدْفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم فى الإسلام .

البشارة بغزو قريش

ولما انصرف أهلُ الخَنْدَق عن الخندق ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : لن تَغْزوكم قريش بعد عامِكم هذا ، ولكنكم تَغزونهم . فلم تغزهم قُريش بعد ذلك ، وكان هو الذى يَغْزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

. . . .

غزوة دُومَةَ الْجَنْدَل

قال أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيُّ: سميت دُومَةَ الْجَنْدَلِ بدُومى بن إسماعيل، كان نزلها[1]

غزوة الخندق

وحَفْرُ الْخَنْدَقِ لم يَكُن من عَادةِ الْعَرَب، ولكنه من مَكَايِدِ الْفُرْسِ وحُروبها، ولذلك أشار به سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ، وأولُ مَنْ خَنْدَقَ الخنادق من مُلُوك الفُرس فيما ذكر الطبرى «مِنُوشِهْر بن أيرج[2] بن أفْرِيدُون[3] وقد قيل فى أفريدون: إنه ابن إسحاق عليه السلام، وأكثرهم يقول فيه: هو ابن أثفيان، وهو أول من اتخذ آلة» الرَّمْي، وإلى رأس ستين سنةً من مُلْكِهِ بُعِث.

---

(١) يصفها البكرى بأنها على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة، وثمان من دمشق، واثنتى عشرة من مصر، وسميت بدومان بن إسماعيل عليه السلام كان ينزلها.

(٢) هو فى الطبرى: إيرج وكذلك فى الزرقانى وهو ينقل عن الروض ويقول عن الطبرى ص ٣٧٩ ح ١ ط المعارف «وهو أول من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب».

(٣) ذكره حبيب بن أوس الطائى فى شعره إذ قال:

ما نال ما قد نال فرعون ولا هامان فى الدنيا، ولا قارون
بل كان كالضحاك فى سطواته بالعالمين وأنت أفريدون

والعجم يزعمون أن أفريدون وثب بالضحاك، وأوثقه وصيره بجبال دنباوند وأنه إلى اليوم موثق فى الحديد يعذب!! ص ١٩٧ ح ١ تاريخ الطبرى.

. . . .

موسى عليه السلام ، وقد تقدم ذكر الكمائن فى الحروب ، وأن أول من فعلها بُخْتَنَصَّر فى قول الطَّبرى .

وذكر تحزيب بنى قُرَيْظَةَ الأحزابَ ، ونَسَبَ طائفةً من بنى النَّضِير ، فقال فيهم النَّضَرِىّ ، وهكذا تقيد فى النسخة العتيقة ، وقياسه : النَّضِيرِىٌّ إلا أنْ يكون من باب قولهم ثَقَفِىٌّ وقُرَشِىٌّ(١) ، وهو خارجٌ عن القياس ، وإنما يقال : فَعَلِىٌّ فى النَّسب إلى فَعِيلة .

عيينة بن حصن :

وذكر قائد غَطَفَان يوم الأحزاب ، وهو عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ ، واسمه حُذَيْفَةُ ، وسُمِّى : عُيَيْنَةُ لِشَتَرٍكان بِعَيْنِه ، وهو الذى قال فيه عليه السلام

---

(١) هذا شاذ فى فعيل بفتح الفاء وفعيل بضم الفاء . فالقياس فيها إبقاء الياء . ولكن يقول السيرافى عن النسب إلى فعيل بضم الفاء ، أما ما ذكره سيبويه من أن النسبة إلى هذيل هذلى فهذا الباب عندى لكثرته كالخارج عن الشذوذ وذلك خاصة فى العرب الذين بتهامة وما يقرب منها ، لأنهم قالوا : قرشى وملحى وهذلى وفقمى ، وكذا قالوا فى سليم وخثيم وقريم وحريق وهم من هذيل - وكلها بضم الأول - سلمى وخثمى وقرمى وحرقى . وهؤلاء كلهم متجاورون بتهامة وما يدانيها ، والعلة اجتماع ثلاث ياءات مع كسر فى الوسط ، ص ٢٩ حـ ٢ شرح الشافيه للرضى . ويرى المبرد أن ما كان على فعيل وفعيل بالفتح فى الاولى والضم فى الاخرى فانك مخير فى النسب إليهما بين حذف الياء وبقائها قياسا مطردا فتقول فى النسب إلى شريف وجميل شريفى وجميلى أو شرفى وجملى . أما مذهب السيرافى فيبدو أنه يشير إلى أن ما كان على فعيل بفتح الفاء فليس فيه إلا إبقاء الياء .

. . . .

الأحْمَقُ الْمُطَاعُ ، لأنه كان من الجرّارينَ تَتْبعُه عَشْرةُ آلافِ قَناةٍ ، وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم: إن شرَّ الناس من وَدَعَه الناسُ اتِّقاء شرِّه ، وفى رواية أخرى: أنه قال: إنى أداريه ، لأنى أخشى أن يُفسِدَ عَلَّى خَلْقاً كثيراً ، وفى هذا بيان معنى الشرِّ الذى اتَّقِىَ منه، وكان دخل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير إذنٍ ، فلما قال له : أين الإذْنُ ؟ قال : ما استأذنت على مُضَرِىٍّ قبلك ، وقال : ماهذه الْحُمَيْراء معك يا محمد ؟ فقال : هى عائشة بنت أبى بكر ، فقال : طَلِّقْها ، وأنْزِلُ لك عن أمِّ البنين ، فى أمور كثيرة تذكر من جفائه ، أَسْلَمَ، ثم ارْتَدَّ ، وآمن بطُلَيْحَة حينَ تَنبَّأ وأُخِذ أسيراً ، فأتى به أبو بكر رضى الله عنه أسيراً ، فَمَنَّ عليه ، ولم يزل مُظْهراً للإسلام على جَفْوَتِهِ وعُنْجُهِيَّته ولُوثَة أعْرابِيتَّهِ حتى مات . قال الشاعر :

وإنِّى على ما كان من عُنْجُهِيَّتى ولُوثَةِ أعْرابِيَّتِى لأَدِيبُ[1]

وذكر حفْرَهُ الْخَنْدَقَ ، وأنه عَرَضَتْ له صَخْرَةٌ ، ووقع فى غير السِّيرَة

---

(١) البيت فى اللسان . وفيه عيدهيتى بدلا من عنجهيتى ، وأريب بدلا من أديب والعيدهية: الكبر . والعنجهية والعيدهية أيضاً والعندهية وعجرفية ، وشمخرة إذا كان فيه جفاء. هذا وقد وصف بالأحمق المطاع فى حديث رواه سعيد بن منصور مرسلا ! ! وقد قيل عنه ذلك بعد أن سألت عائشة عنه بعد أن قال ما قال . وقد أخرجه الطبرانى موصلالا من وجه آخر عن جرير بن عيينة بن حصن دخل على النبى « ص » فقال وعنده عائشة — من هذه الجالسة إلى جانبك ؟ قال : عائشة . قال : أفلا أنزل لك عن خير منها ؟ يعنى امرأته ، فقال له النبى : أخرج فاستأذن ، فقال : إنها يمين على ألا أستأذن على مضرى ، فقالت عائشة : من هذا ؟ فذكره .

. . . .

عَبْلَةٌ وهى الصخرة الصَّمّاء ، وجمعها عَبلات ويقال لها العَبْلَاء والأَعْبَل أيضاً ، وهى صخرة بيضاء .

البرقات التى لمعت :

وذكر أنه لَمَعَتْ له من تلك الصَّخْرةِ برقة بعد برقة ، وخرَّجه النَّسَوِىُّ من طريق البَرَاءِ بن عازِبٍ بأتَمَّ مما وقع فى السيرةِ ، قال : لما أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — أنْ نَحْفِر الخَنْدَق عَرَضَ لنا حَجرٌ لا يأخُذُ فيه المِعْوَلُ ، فأخذ المِعْوَلَ وقال : بسم الله ، فَضَرَبَ ضَرْبةً فكَسَر ثُلُثَ الصَّخْرَةِ ، وقال الله أكبر أُعْطِيتُ مفاتيحَ الشام ، والله إنى لأُبْصِر قصورَها الحُمْرَ من مكانى هذا ، قال : ثم ضَربَ أُخْرى ، وقال : بسم الله ، وكسر ثُلثاً آخر ، قال الله أكبر أعْطِيتُ مفاتيحَ فارِس ، والله إنى لأُبْصِر قَصرَ المَدائِنِ الأبيض الآن ، ثم ضرب ثالثة وقال : بسم الله ، فقطع الحجرَ ، وقال : الله أكبر . أُعْطِيتُ مَفاتيح اليَمَنِ ، والله إنى لأُبْصِرُ بابَ صَنْعاءَ [من مكانِىَ هذا الساعة][1] . وقوله : فأساً ولا مِسْحَاةً . المِسْحَاةُ : مِفْعَلَةٌ من سَحَوْتَ الطينَ ، إذا قَشَرْته ، ويقال لحدِّ الفأسِ والمِسْحَاة : الغُراب ، ولنصلَيهما : الفِعال بكسر الفاء ، قاله أبو عُبَيْدٍ فى حديث سُلَيْمان التَّيْمِىِّ عن أبى عُثْمان النَّهْدِىِّ أنه عليه السلامُ حين ضرب فى الخندقِ قال :

---

(١) أخرجه أحمد والنسائى والزيادة من روايتهما . والطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو نحوه ، وأخرجه البيهقى من طريق كثير بن عبد الرحمن ابن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده وثمت خلاف بين روايتهما ورواية السيرة فوازن بين الروايتين .

. . . .

بِسْمِ الله وبه بَدِينَا * ولو عَبَدْنا غيره شَقِينا * حَبَّذا رَبًّا وحَبَّذا دِينا[1]

(١) هو عند الحارث بن أبي أسامة من طريق سليمان بن طرخان التيمى عن أبي عثمان النهدى . وبدينا بكسر الدال يقال : بديت بالشيء بكسر الدال ، أى : بدأت به ، فلما خفف الهمز كسر الدال ، فانقلبت الهمزة ياء ، وليست الياء فيه أصلية . وقوله حبذا دينا يجعل الرجز غير موزون إلا بإسكان باء حبذا . والذى فى الفتح والحلبية : حبذا ربا وحب دينا . انظر ص ٣٣٢ ح ٢ وفتح البارى فى غزوة الخندق .

وفى البخارى : كان النبى « ص » ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو أغبر بطنه يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وفى رواية أخرى عن البراء « فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ثم ذكر الرجز السابق» . وقوله : إن الألى قد بغوا ليس بموزون ، وتحريره إن الذين قد بغوا علينا . وفى رواية مسلم : أبوا بدلا من بغوا أنظر ص ٣٢١ ح ٧ فتح البارى شرح صحيح البخارى . وفى البخارى أيضاً أنه خرج « ص » فرأى المهاجرين والأنصار يحفرون فى غداة باردة ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال :

اللهم إن العيش عيش الآخره فاغفر الأنصار والمهاجره

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد مابقينا أبدا

وهذا قول ابن رواحة . وقد قال الداودى : إنه قاله : لاهم ، فأورده بعض الرواة على المعنى ، وقيل ليس كذلك بل يكون دخله الخرم ومن صوره زيادة شيء من حروف المعانى فى أول الجزء ، والجزء الثانى أيضاً غير موزون . وفى رواية : فبارك بدل : فاغفر

تحقيق اسم زغابة :

وقوله : حتى نزلوا بين الجُرُفِ وزَغَابَةَ . زَغَابَةُ اسْمُ موضع بالغين المَنْقُوطَةِ والزّاى المفتوحة ، وذكره البَكْرِى بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زُعَابَة بضم الزاى والعين المهملة ، وحكى عن الطَّبَرِىِّ أنه قال فى هذا الحديثِ بين الجُرُفِ والغَابَةِ ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زَغَابَةَ لا تُعْرَفُ. قال المؤلف: والأعرَفُ عندى فى هذهِ الروايةِ روايةُ مَنْ قال : زَغَابَةَ بالغَيْنِ المنقوطة ، لأن فى الحديث المسنَد أنه عليه السلام . قال فى ناقةٍ أهداها إليه أعرابى ، فكافأه بستِّ بَكَراتٍ ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تعجبون لهذا الأعرابى ! أهْدَى إلىَّ ناقةً أعرفها بعينها، كما أعرف بعض أهلى ذهبت منى يوم زَغَابَةَ[1]، وقد كافأته بستٍّ فَسَخِط . الحديث ، وقال : ذَنَبِ نُقْمٍ و نَقَمَى معا .

يفتل فى الذروة والغارب :

وذكر حُيَىَّ بن أخْطَب ، وماقال لكعب ، وأنه لم يزَلْ يَفْتِل فى الذِّرْوَةِ والغَارِبِ . هذا مَثَلٌ ، وأصله فى البعير ، يَسْتَصْعِبُ عليك فتأخذُ القُرَادَ من ذرْوَته وغارِبِ سِنَامِه ، وتَفْتِل هُناك ، فيَجد البعيرُ لَذَّةً فيأنَسُ عند ذلك[2]، فضُرِب هذا الكلامُ مَثَلاً فى المُرَاوَضَةِ والمُخاتَلَةِ ، وكذلك جاء فى حديثِ

---

(١) ولكن يقول الخشنى : « كذا وقع هنا بالزاء مفتوحة ، ورغابة بالراء المفتوحة هو الجيد وكذلك رواه الوقشى » ص ٣٠١ .

(٢) فسره الخشنى بقوله : أراد بذلك أنه لم يزل يخدعه كما يخدع البعير إذا كان نافراً فيمسح باليد على ظهره حتى يستأنس ، فيجعل الخطام على رأسه . ص ٣٠١ .

. . . .

ابن الزُّبَيْرِ حين أراد عائشةَ على الخروج إلى البَصْرةِ [1] ، فأبت عليه ، فجعل يَفْتِل فى الذِّرْوَة والغَارِب حتى أجابته . وقال الحطيئة :

لَعَمْرُكَ ماقُرَادُ بنى بَغِيضٍ إذا نُزِع القُرادُ بِمُسْتَطَاعِ [2]

يريد : أنهم لا يُخْدَعُون ولا يُسْتَذَلُّون .

اللحن :

وذكر قول النبى – صلى الله عليه وسلم – الْحَنُوا لى لَحْناً أَعْرِفُه ، ولا تفتُّوا فى أعْضَادِ الناس .

اللَّحْنُ : العُدول بالكلام على الوَجْهِ المعْرُوفِ عند الناس إلى وَجْهٍ لا يعرفه إلا صاحبُه ، كما أن اللَّحْن الذى هو الخطأ عُدُولٌ عن الصَّواب المعروف .

قال السيرافى : ما عَرَفتُ حقيقة معنى النَّحْوِ إلاَّ من معنى اللَّحْنَ الذى هو ضِدُّه ، فإن اللَّحْنَ عُدولٌ عن طريقِ الصوابِ ، والنَّحْو قَصْدٌ إلى الصَّوابِ ، وأمَّا اللَّحَنُ بفتح الحاء ، فأصله من هذا إلا أنه إذا لحنَ لك لِتَفْهَم عنه ، ففهمت سُمِّى ذلك الْفَهْم لَحَناً ، ثم قيل لكل من فَهِمَ قد لَحِنَ بكسر

---

(١) يقول ابن قتيبة فى ضبطها « مسكنة الصاد ، وكسرها خطأ ، فاذا حذفوا الهاء قالوا : البصر ، فكسروا الباء ، وإنما أجازوا فى النسب بصرى لذلك » ص ٢٠٤ أدب الكاتب ، وانظر معجم البكرى . وفى القاموس البصرة بلد وموضع ويكسر ويحرك وبكسر الصاد ، أو هو معرب بس راه ، أى كثير الطرق .

(٢) البيت فى اللسان وفيه كليب بدلا من : بغيض ، وقد نسبه الأزهرى للأخطل .

. . . .

الحاء ، وأصله ماذكرناه من الفَهم عن اللاحن[١] قال الجاحظ فى قول مالك ابن أسماء [بن خارجة الفزارى] :

مَنطِقٌ صائِبٌ وتَلحَنُ أحْيَا　　نًا وخيرُ الحديثِ ما كان لَحْنَا[٢]

أراد أنَّ اللَّحْنَ الذى هو الخطأ فيه يُسْتَمْلَحُ ، ويُسْتَطَابُ من الجارية الحديثة السِّنِّ ، وخُطِّىء الجاحظُ فى هذا التأويلِ[٣] ، وأُخْبِرَ بما قاله الحجاجُ بن

---

(١) فى اللسان : اللحن واللحن — بالسكون فى الحاء الأولى والفتح فى الثانية واللحانة واللحاين ترك الصواب فى القراءة والنشيد . وفيه أيضاً : اللحن — بفتح الحاء — الفطنة .

(٢) يريد : أنها تتكلم بشىء وهى تريد غيره ، وتعرض فى حديثها ، تزيله عن جهته من فطنتها . وفسر القالى قوله : وتلحن أحيانا : تصيب ، وذكر أن اللحن بفتح الحاء هو الفطنة . قال : وربما أسكنوا الحاء فى الفطنة ، وقال : لحن الرجل يلحن بفتح الحاء لحناً فهو لاحن إذا أخطأ ، ولحن يلحن بكسر الحاء فى الماضى وفتحها فى المضارع — فهو لحن بفتح فكسر إذا أصاب وفطن . واستشهد بالبيت وبيت قبله .

(٣) قال الجاحظ : وقد قال مالك بن أسماء فى استملاح اللحن من بعض نسائه :

أمغطى منى على بصرى للحب　　أم أنت أكمل الناس حسنا

وحديث ألذه هو مما　　تشتهيه النفوس يوزن وزنا

ثم ذكر البيت الذى فى الروض

وقال فى موضع آخر : وقال مالك بن أسماء فى بعض نسائه ، وكانت لاتصيب الكلام كثيرا وربما لحنت ثم ذكر ثلاثة الأبيات ص ١٤٧ ، ٢٢٥ ح ١ البيان والتبيين بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، وانظر ص ٥٩٩ من أمالى ثعلب بتحقيق الأستاذ الفاضل وقد أنشد ابن الأنبارى فى كتاب الأضداد البيت وبيتا قبله ، وقال : أى أبو العباس : أراد بلاحن : تصيب وتفطن ، وأراد بقوله : ما كان لحنا : ما كان صوابا . ونقل قول ابن قتيبة ، وهذا =

. . . .

يُوسُفَ لامرأته : هِنْد بنتِ أسماء بن خارجة ، حين لَحَنَتْ ، فأنكر عليها ، اللحنَ فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء :

وخَيْرُ الحديثِ ما كان لحنا

فقال لها الحجاجُ : لم يُرِدْ أخوك هذا ، إنما أراد اللَّحْنَ الذى هو التَّوْرِيَةُ والألْغازُ ، فسكتت ، فلما حُدِّث الجاحظُ بهذا الحديث ، قال : لوكان بلغنى هذا قبل أن أؤلف كتابَ البيان ما قلت فى ذلك ماقلت ، فقيل له : أفلا تُغَيِّره؟ فقال : كيف وقد سارت به البِغال الشُّهْبُ وأَنْجَدَ فى البلادَ وغَار.

وكما قال الجاحظ فى معنى تَلْحَن أحيانا قال ابن قتيبة مثله أو قريبا منه[1]

= الشاعر استملح من هذه المرأة مايقع فى كلامها من الخطأ، ثم رد قول ابن قتيبة بقوله: وقوله عندنا محال ، لأن العرب لم تزل تستقبح اللحن من النساء كما تستقبحه من الرجال الخ ص ٢١٠ ط الحسينية . وقد ذكر ابن قتيبة بعد البيت أربعة أبيات أخرى . كما نقل ثلاثة الأبيات فى ص ن من مقدمته لكتابه عيون الأخبار، ونقلها أيضاً فى ص ١٦١ ، ١٦٢ حـ ٢ ونقل تعليق ابن دريد على الأبيات ، وهو قوله : استثقل منها الإعراب .

(١) يقول الأستاذ عبد السلام هارون فى تعليقه على أمالى ثعلب « وقد نبه الجاحظ إلى خطئه فاعترف به ، وقصته واعترافه فى تاريخ بغداد « ١٢ : ٢١٤ » ومعجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث ص ٥٩٩ أمالى ثعلب . هذا وقد قال الحجاج لهند لما لحنت : أتلحنين وأنت شريفة ، وفى بيت قيس ، فاستشهدت بقول أخيها كما ذكر السهيلى ، فقال لها : إنما عنى أخوك اللحن فى القول إذا كنى المحدث عما يريد ، ولم يعن اللحن فى العربية ، فأصلحى لسانك . وانظر ص ١١ ، ١٢ من أمالى المرتضى ، ففيها بيان خطأ الجاحظ واعترافه بهذا الخطأ ، ونص المرتضى على خطأ ابن قتيبة حين ذكر فى كتابه عيون الأخبار أبيات الفزارى يعتذر بها عن لحن أصيب فى كتابه — كما يقول المرتضى ط ١ .

. . . .

وقوله : يَفُتُّ في أعْضَادِ الناسِ ، أي يكسِر من قُوَّتِهم ويُوهِنُهم، وضرب الْعَضُدَ مثلا ، والفَتُّ: الكَسْر ، وقال : فى أعضادهم ولم يقل : يفُتُّ أعضادَهم ، لأنه كنايةٌ عن الرُّعْب الداخل في القلب ، ولم يُرِدْ كَسْراً حَقِيقِيًّا ، ولا العُضُدَ الذى هو العُضْوُ ، وإنما هو عبارة عما يَدْخُل فى القلب مِن الْوَهَنِ ، وهو من أفصح الكلام .

وذَكر أَوْسَ بن قَيْظِىّ ، وهو القائل : ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ وابنه : عَرَابَةُ بن أَوْسٍ كان سَيِّداً ، ولا صُحبَةَ له ، وقد قيل : له صحبة ، وقد ذكرناه فيمن اسْتُصْغِر يوم أُحُدٍ ، وهو الذى يقول فيه الشَّمَّاخُ :

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ　　تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليَمِينِ[1]

ولِعَرَابَةِ أخٌ اسمه : كَبَاثَةُ مذكور فى الصحابة أيضاً .

مصالحة الأحزاب :

فصل : وذكر ماهَمَّ به النبىُّ صلى الله عليه وسلم مِن مُصالَحَةِ الأحزاب على ثُلُثِ ثَمَرِ المَدِينَةِ ، وفيه من الفقه جوازُ إعطاء المالِ للعَدُوِّ ، إذا كان فيه نَظَرٌ للمسلمين وحِيَاطَةٌ لهم ، وقد ذكر أبو عبيد هذا الخبر ، وأنه أَمْرٌ

---

(١) معناها كما يقول البكرى فى السمط : القوة أو الحق . ومن القصيدة :

إذا بلغتنى وحملت رحلى　　عرابة فاشرقى بدم الوتين

فنعم المرتجى رحلت إليه　　رحى حيزومها كرحى الطحين

ص ٦٠٧ — ٦١٩ السمط .

. . . .

مَعْمُولٌ به ، وذكر أن مُعَاوِيَةَ صالحَ ملِكَ الرُّومِ على الكَفِّ عن ثُغور الشام بمالٍ دفعه إليه ، قيل : كان مائة ألفِ دينارٍ ، وأخذ من الروم رُهُنًا ، فغدرت الرومُ ، ونقضت الصلحَ ، فلم يرَ معاوية قَتْل الرَّهَائِن ، وأطلقهم ، وقال : وفاء بغدرٍ خيرٌ من غدْرٍ بغدْرٍ ، قال : وهو مَذْهَبُ الأَوْزَاعِيِّ وأهلِ الشام ألاَّ تُقْتَل الرَّهَائِنُ ، وإن غَدَرَ العَدُوُّ .

سلمان منا :

وذكر قوله عليه السلام : سَلْمَانُ مِنّاً أهلَ البيت بالنصب على الاختصاص ، أو على إضمار أعنى ، وأما الخفض على البدَل ، فلم يره سيبويه جائزاً من ضمير المتكلم ، ولا من ضمير المخاطب ، لأنه فى غاية البيان ، وأجازه الأخفش .

حول مبارزة ابن أد لعلى :

فصل : وذكر خبر عمرو بن أدٍّ العامرِيِّ ، ومبارزَته لعليٍّ إلى آخر القصة ، ووقع فى مغازى ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام عن البَكَّائى فيها زيادة حسَنَةٌ ، رأيت أن أوردها هُنا تَتْمِيماً للخبر .

قال ابن إسحاق : إن عَمْرو بن أدٍّ[1] خرج فنادى : هل من مُبَارِزٍ ؟ فقام علىٌّ ـ رضى الله عنه ـ وهو مُقَنَّعٌ بالحديد ، فقال : أنا له يا نَبِىَّ الله ، فقال : إنه عَمْرو اجلس ، ونادى عَمْرٌو ألا رَجُلٌ يؤنِّبهم ، ويقول : أين جَنَّتُكُمُ التى تزعمون أنه مَنْ قُتِلَ منكم دَخَلَها ، أفلا تُبْرِزون لى رجلا ، فقام علىٌّ ،

---

(١) فى السيرة : ود . وكان سنه كما ذكر ابن سعد تسعين عاما .

. . . . : . . .

فقال : أنا يارسول الله ، فقال : اجلس إنه عمرو ، ثم نادى الثالثة وقال :

ولقــــد بَحَحْتُ من النِّدا ء بجمعكمْ هَلْ مِنْ مُبارِزْ ؟
وَوَقَفْتُ إذ جَبُنَ الْمُشَجِّعُ مَوْقِفَ الْقِرْنِ الْمُنَاجِزْ
وكذاك إنى لم أزَلْ مُتَسَرِّعاً قبل الْهَزَاهِزْ[1]
إن الشَّجَاعَةَ فى الفَتَى والجودَ مِنْ خَيْرِ الْغَرائِزْ

فقام علىٌّ ، فقال يارسول الله ، أنا لَه فقال : إنه عَمْرو ، فقال: وإن كان عَمْراً ، فأذِن له النبىُّ — صلى الله عليه وسلم — فمشى إليه علىٌّ ، حتى أتاه وهو يقول

لا تَعْجَلَنَّ فقـــد أتا كَ مُجِيبُ صَوْتِكَ غيرَ عاجِزْ
ذُو نيَّـــةٍ وبَصِيرَةٍ والصِّدْقُ مُنْجِى كُلَّ فائِزْ
إنى لأرْجو أن أقِـيمَ عليكَ نائِحَةَ الْجَنَائِزْ
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلَاءَ يَبْقَى ذِكْرُها عند الْهَزَاهِزْ

فقال له عمرو: من أنت؟قال: أنا على ، قال : ابن عَبْدِ مناف ؟ فقال: أنا على ابنِ أبى طالبٍ ، فقال : غَيْرك يابن أخِى مِنْ أعْمامِك مَنْ هو أسَنُّ مِنْك ، فإنى أكره أنْ أهْرِيقَ دَمَك ، فقال له على رضى الله عنه : ولكنى والله لا أكره أنْ أهْرِيقَ دَمَك ، فغضِب ونَزَل فسلَّ سَيْفَه ، كأنه شُعْلة نارٍ ، ثم أقبل نحو عَلِىٍّ مُغْضَباً ، وذكر أنه كان على فَرَسِه ، فقال له علىٌّ : كيف أقاتلك ،

(١) الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس .

. . . .

وأنت على فَرَسِك ، ولكن انْزِلْ معى ، فنزل عن فَرَسِه ، ثم أقبل نحو علىٍّ .
واستقبله علىٌّ ـ رضى الله عنه ـ بَدَرقته(1) ، فضربه عَمْرو فيها فَقَدَّها وأثبت
فيها السيفَ ، وأصاب رأسَه فشَجَّه ، وضربه علىٌّ على حَبْل العاتِق ، فسقط ،
وثار العَجَاجُ ، وسمع النبىُّ صلى الله عليه وسلم التكبير ، فعَرَف أن علياً
ـ رضى الله عنه ـ قد قتله، فثَمَّ يقول علىٌّ رضى الله عنه :

أَعَلَىَّ تَقْتَحِمُ الفوارسُ هٰكَذا   عنى وعنــــه أَخِّروُا أصحابى
فاليوم تَمْنَعُنى الفِرَارَ حَفِيظتى   ومُصَمِّمٌ فى الرأسِ ليس بنَابى
أدى عُمَيْرٌ حين أَخْلِص صَقْلَه   صَافى الحديدة يستفيض ثوابى
فَغَدَوْتُ أَلْتَمِسُ القِراعَ بمُرْهَفٍ   عَضْبٍ مع البَتْراء فى أقْرَابِ
قال ابنُ عَبْدٍ حين شَدَّ أَلِيَّةً   وحَلَفْتُ فاسْتمعوا من الكَذَّابِ
أَلَّا يفِرَّ ولا يُهَلِّلَ فالتقى   رَجُلان يَلْتَقِيَان كُلَّ ضِرَابِ

وبعده : نصر الحجارة إلى آخر الأبيات ، إلا أنه روى : عَبَدَ الحِجَارَةَ ،
وعَبَدْتُ رَبَّ مُحَمَّد ، وروى فى موضع : ولقد بَحَثْتُ : ولقد عَجِبْتُ ،
ويروى : فالتقى أسدان يَضْطَرِبَانِ كُلَّ ضِرَابِ ، وفيه إنصاف من علىٍّ
ـ رضى الله عنه ـ لقوله : أسدان ،ونسبه إلى الشَّجاعَة والنَّجْدَةِ . وقوله : أدى
عمير إلى قوله ثوابى ، أى أدى إلىَّ ثوابى ، وأحْسَن جزائى حين أخلص صقله،

---

(1) الدرقة : الترس من جلد ليس خشب ولاعقب ، والعقب هو القصبة
الذى تعمل منه الأوتار .

. . . .

ثم أقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مُتَهَلِّلٌ ، فقال له عمر بن الخطاب، رضى الله عنه : هَلَّا سَلَبْتَهُ دِرْعَه ، فإنه ليس فى العرب دِرْعٌ خير منها ، فقال : إنى حين ضربته استقبلنى بَسَوْأَتِه ، فاسْتَحْيَيْتُ ابن عمى أن أَسْتَلِبَه ، وخرجت خيلُهم مُنْهَزِمَةً حتى اقتحمت الخندقَ هاربةً ، فمن هنا لم يَأْخُذْ عَلِىٌّ سَلَبَه ، وقيل تنزه عن أخذها ، وقيل : إنهم كانوا فى الجاهِليَّة إذا قتلوا القتيل لا يسلبونه ثيابه .

وقول عَمْرو لعلىٍّ : والله ما أحب أن أَقْتُلَكَ ، زاد فيه غيره : فإن أباك كان لى صديقاً ، قال الزبير : كان أبو طالب يُنادِمُ مُسَافِرَ بن أبى عَمْرٍو ، فلما هلك اتخذ عَمْرو بن وَدٍّ نديماً ، فلذلك قال لعلى حين بارزه ما قال .

الفرعل :

وقول حسان فى عِكْرِمَةَ :

كأن قَفَاكَ قَفا فُرْعُل

الفُرْعُلُ : وَلَد الضَّبُع .

وذكر قول سعد :

لَبِّثْ قليلا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ

هو بيت تمثَّل به عُنِى به حَمَلَ بن سَعْدَانة بن حارِثة بن مَعْقِل بن كَعْبِ ابن عُلَيْم بن جَنَابِ الكَلْبِيِّ . وقوله يَرْقُدُ(١) بالحربة أى : يُسرع بها ، يقال : ارْقَدَّ وارْمَدَّ بمعنى واحد . قال ذو الرُّمَّة :

---

(١) فى السيرة : يوفل .

. . . .

يَرْقَدُ فى أثر عَرَّاضٍ وتَذْبُبُه ... صَهْبَاءُ شَامِيَّةٌ عُثْنُونُهَا حَصِبُ (١)

يعنى الريح .

ابن العرقة وأم سعد :

وابن العَرِقَةِ الذى رَمَى سَعْداً هو حِبَّانُ بن قَيْسِ بن العَرِقَةِ ، والعَرِقَةُ هى قِلَابَةُ بنت سُعَيْد بن سَعْدِ بن سَهْم [بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ابن لؤى] تُكَنَّى أُمَّ فاطمة ، سُمِّيَتْ العَرِقَةُ لطيب رِيحها ، وهى جَدَّةُ خديجة أمُّ أمِّها هالَةَ ، وحِبَّانُ هو ابنُ عبدِ مَنَافِ بن مُنْقِذِ بن عَمْرو بن مَعِيص بن عامر ابن لُؤَىّ (٢) .

---

(١) البيت فى اللسان وفيه عراص وحفيف نافجة بدلا من عراض وصهباء شامية ، وعراض خطأ وقد روى الشطرة الثانية فى مادة حصب كما رواها هنا . وروى البيت كله فى مادة عرص وشطرته الاولى هكذا

يرقد فى ظل عراص ويطرده ... الخ

وقبل البيت :

حتى إذا الهيق أمسى شام أفرخه ... وهن لا مؤيس نأياً ولا كثب

والبيت فى وصف ظليم .

انظر ص ٧٩٨ سمط اللآلى ص ١٨٠ ح ٢ ط ٢ .

(٢) فى نسب قريش : عبد مناف بن الحارث بن منقذ الخ ص ٢٢ ، ٤١٢ ويقول عنه إنه أخو هالة لأبيها وأمها . وعند الحافظ فى الفتح عنه فيما شرح به لفظ البخارى « وهو حبان بن قيس » . ويقال : ابن أبى قيس بن علقمة ابن عبد مناف

. . . .

وأمُّ سَعْد اسمها : كَبْشَةُ بنتُ رافع [بن عبيد][1]

حول اهتزاز العرش

وحديث اهتزاز العرش ثابت من وُجُوه[2] ، وفي بعض ألفاظِه أن جبريلَ

---

(١) هي من الأنصار من بني خدرة ، وقد ذكر ابن سعد أنها أول من بايع النبي « ص » من نساء الأنصار .

(٢) رواه الشيخان من حديث جابر ، وثبت — كما قيل — عن عشرة من الصحابة أو أكثر . وقال الحاكم : الأحاديث التي تصرح باهتزاز عرش الرحمن مخرجة في الصحيحين ، وليس لمعارضها في الصحيح ذكر . وسيأتي حديث السهيلي عن هذا .

وقد أنكر مالك هذا الحديث ، وكره التحدث به . فقد سئل — كما روى صاحب العتبية — عن هذا الحديث ، فقال : أنهاك أن تقوله وما يدعو المرء أن يتكلم بهذا ، ومايدري مافيه المغرور . ويقول اليعمري عن إنكار مالك : إن العلماء اختلفوا في هذا الخبر ، فمنهم من يحمله على ظاهره ، ومنهم من يؤوله ، وما هذا سبيله من الأخبار المشكلة ، فمن الناس من يكره روايته إذا لم يتعلق به حكم شرعي ، فلعل الكراهة المروية عن مالك من هذا النمط . ويقول أبو الوليد بن رشد في شرح العتبية : إنما نهى مالك لئلا يسبق إلى وهم الجاهل أن العرش إذا تحرك يتحرك الله بحركته ، كما يقع للجالس منا على كرسيه ، وليس العرش بموضع استقرار الله تبارك الله وتنزه عن مشابهة خلقه . ولكن مالكا من رواة حديث النزول وهو أصرح في إثبات الحركة . فقيل : لعل حديث سعد لم يثبت عنده كما ثبت حديث النزول . لكن لو كان الأمر كذلك لقال مالك : ليس بثابت ، أو لا أعرفه أو ماسمعته أو نحو ذلك . وكان ابن عمر يقول : إن العرش لايهتز لأحد . ولكن قيل إنه رجع عن هذا لما بلغته الروايات . أخرج ذلك ابن حبان من طريق مجاهد عنه .

المراد باهتزاز العرش : قيل المراد استبشاره وسروره بقدوم روحه ، كما يقال =

. . . .

عليه السلامُ نَزَلَ حين مات سَعْدٌ مُعْتَجِراً بِعِمَامَةٍ من إِسْتَبْرَقٍ ، فقال : يامحمد

= لكل من فرح بقدوم أحد عليه : اهتز له ، ومنه : اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت . ومنه قول العرب : فلان يهتز للمكارم يريدون : ارتياحه إليها ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ : اهتز العرش فرحاً به لكنه تأوله ، فقال : اهتز العرش فرحا بلقاء الله سعداً حتى تفسخت أعواده على عواتقنا . قال ابن عمر : يعنى عرش سعد الذى حمل عليه . وقيل : المراد باهتزاز العرش : اهتزاز حملة العرش ويؤيده حديث إن جبريل قال : من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واستبشر به أهلها ؟ ، أخرجه الحاكم ، وقيل : هى علامة نصبها الله لموت من يموت من أوليائه ، ليشعر ملائكته بفضله . وقال الحربى : هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته من النبى ، والعرب إذا عظموا الأمر نسبوه إلى عظيم ، كما يقولون : قامت لموت فلان القيامة ، وأظلمت الدنيا بموته ونحو ذلك .

وقال النووى فى شرح مسلم ما معناه : إن طائفة حملت الاهتزاز على ظاهره ، وقالوا إن اهتزاز العرش تحركه حقيقة فرحا بقدوم روح سعد ، وجعل الله فى العرش تمييزاً حصل به هذا التحرك ، ولا مانع منه كما قال تعالى عن الحجارة ، (وإن منها لما يهبط من خشية الله) وهذا القول هو ظاهر الحديث ، وهو المختار . ويقول المازرى عن حركة العرش : وهذا لا ينكر من جهة العقل ، لأن العرش جسم مخلوق يقبل الحركة والسكون .

وأقول : دين السلف : إذا ثبت النص ثبوتا لا اختلاف عليه ، فإنه لا يجوز تأويله تأويلا يفسد معناه ، أو يجرده من حقيقته ، وإنما يجب حمله كما ورد دون تشبيه لما نسب إلى الله من صفة أو اسم أو فعل بما ينسب إلى الخلق من ذلك . وقد نبهت إلى ذلك مراراً فى الكتاب . فلله مثلا يدان حقيقيتان ليستا هما النعمة أو القدرة أو غير ذلك مما يهرف به المعطلة ، لكنهما ليستا كيد الخلق ، وإذا كانت أيدى البشر لا تتشابه ، فكيف نشبه يد الخالق بيد الخلق ، فنقع فى وصف الله بأنه عدم حين نجرد صفاته من معانيها ، أو بأنه صنم حين ننسب إليه عين ما ننسبه إلى الخلق ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً . وما نقلت ما نقلت إلا لتعرف فحسب

. . . .

من هذا المَيِّتُ الذى فُتِحَتْ له أبوابُ السماء ، واهتز له العرشُ ؟ وفى حديث آخر : قال عليه السلام : لقد نزل لموت سَعْدِ بن مُعاذٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ ما وطِئوا الأرض قبلها ، ويذكر أن قبرهَ وُجد منه رائحةُ المسك ، وقال عليه السلام: لو نجا أحد من ضَغْطَةِ القبر لنجا منها سعد[1] ، وفى كتاب الدّلائل أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس على قبر سعد حين وضع فيه ، فقال : سبحان الله لهذا العبد الصالح ضُمّ فى قبره ضَمّة ، ثم فرج عنه ، وأما ضَغطةُ القبر التى ذكر فى الحديث، فقد روى عن عائشة ــ رضى الله عنها أنها قالت : يارسول الله، ما انتفعتُ بشىء مُنْذُ سمعتك تذكر ضَغطَة القبر، وضَمّته [وصوتَ مُنكَرٍ ونكير] فقال : ياعائشة ، إن ضَغْطَة القبْر على المؤمن أو قال ضَمّة القبر على المؤمن كضَمّةِ الأمّ الشَّفيقة يَديها على رأسِ ابنها ، يشكو إليها الصُّدَاعَ ، وصوت مُنْكر ونكير كالكُحْل فى العَيْن ، ولكن ياعائشةُ وَيْلٌ للشاكّين [فى الله] أولئك الذين يُضْغَطُون فى قبورهم ضَغْط البَيْضِ على الصَّخر. ذكره أبو سعيد ابن الأعرابى فى كتاب المعجم[2] .

وذكر ابن إسحاق فى رواية [يونس] الشَّيْبانى عنه ، قال: حدثنى أُمَيّةُ ابن عبدِ الله ، قال : قلت لبعض أهل سعد بن مُعاذٍ : ما بلغكم فى هذا ، يعنى الضَّمّةَ التى انضَمّها القبرُ عليه ؟ قال : كان يُقَصِّر فى بعضِ الطُّهُور من البَوْل

---

(١) أخرجه ابن سعد وأبو نعيم

(٢) ورواه أيضاً : البيهقى وابن مندة .

. . . .

بعض التَّقْصِير(١).

أكان حسان جبانا ؟ :

فصل : وذكر حديث حسان حين جُعِل فى الآطام مع النساء والصِّبيان ، وما قالت له صِفيَّةُ فى أمر اليهودى حين قتلته ، وما قال لها ، وحَمَلَ هذا الحديث عند الناس على أن حسَّانًا كان جبانًا شديدَ الجبن ، وقد دَفَعَ هذا بعضُ العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث مُنْقَطِعُ الإسنادِ ، وقال : لو صح هذا لَهُجِى به حسَّانُ ، فإنه كان يهاجى الشعراءَ كَضِرارٍ وابن الزِّبَعْرى ، وغيرهما ، وكانوا يناقِضُونه ويَرُدُّون عليه ، فما عَيَّره أحدٌ منهم بجُبْنٍ ، ولا وَسَمَه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعل حسَّانَ أن يكون معتلا فى ذلك اليوم بِعِلّةٍ منعته من شُهود القتال ، وهذا أولى ما تأول عليه ، وممن أنكر أن يكون هذا صحيحًا أبو عُمَرَ رحمه الله فى كتاب الدُّرر له .

الحديث عن الصورين ودحية :

فصل : وذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى بنى قُرَيْظَة حين مر بالصَّوْرَيْن ، والصَّوْرُ القِطعة من النخل(٢) ، فسألهم ، فقالوا مَرَّ بنا دَحْيَةُ

---

(١) قيل : إن تقصيره لم يكن على وجه يؤدى إلى فساد عبادته . وأقول : إن الرجل الذى قيل عنه ما قيل لا نصدق أنه يقع فى مثل هذا الذى نسب إليه . هذا واقرأ حديث سعد الذى قال فيه : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا الخ المذكور فى السيرة فى البخارى وغيره .

(٢) الصورين : موضع قرب المدينة .

. . . .

ابن خَلِيفَةَ الْكَلْبِيُّ . هو : دَحْيَةُ بفتح الدال ، ويقال : دِحْيَةُ بكسر الدال أيضاً ، والدَّحْيَةُ بلسان اليمن : الرَّئِيسُ ، وجمعه دِحاء ، وفي مقطوع الأحاديث أن النبي — صلى الله عليه وسلم — رأى البيتَ المعمورَ يدخله كُلَّ يوم سَبْعُون ألفَ دِحْيَةٍ ، تحت يد كُلِّ دِحْيَةٍ سبعون ألف مَلَكٍ، ذكره القُتَبِيُّ ، ورواه ابن سُنْجُرٍ في تفسيره مُسْنَداً إلى عبدِ الله بن الْهُذَيْل ، رواه عنه أبو التَّيَّاح ، وذكر أن حَمَّاد بن سَلَمَةَ قال لأبي التَّيَّاح حين حدثه بهذا الحديث ما الدَّحْيَةُ ؟ قال : الرئيس ، وأما نَسَبُ دِحْيَةَ فهو ابن خَلِيفَةَ بن فَرْوَةَ بن فَضَالَةَ بن زَيْد بن امْرِئِ القَيْس بن الخزرج ، والخَزْرَجُ العَظِيمُ البَطْن ابن زَيْد مَنَاةَ ابن عامر بن بَكْر بن عامر الأكْبَرِ بن عَوْف بن عُذْرَةَ بن زَيْد اللَّاتِ ابن رُقَيْدَةَ بن ثَوْرِ بن كَلْبٍ[1] يُذْكَر من جَمَالِه أنه كان إذا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لم تَبْقَ مُعْصِرٌ ، وهي الْمُرَاهِقَةُ لِلْحَيْضِ إلا خَرَجَت تنظر إليه .

فقه لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة :

وذكر قوله عليه السلام : لا يُصَلِّيَنَّ أحدُكم العصرَ إلا في بني قُرَيْظَةَ ، فغربت عليهم الشمس قبلها ، فصَلَّوا العصرَ بها بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عنَّفهم به رسولُه صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا من الفقه أنه لا يُعَابُ على من أخذ بظاهرِ حديثٍ أو آيةٍ ، فقد صَلَّت منهم طائفة

---

(١) لم يذكر ابن حزم في نسبه زيد مناة ص ٤٢٨ الجمهرة . وذكر ابن دريد في الاشتقاق أن الخزرج هو الريح العاصف .

. . . .

قبل أن تغربَ الشمسُ ، وقالوا : لم يُرِدِ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - إخراج الصلاة عن وقتها ، وإنما أراد الحثَّ والإعجال ، فما عُنِّف أحدٌ من الفريقين ، وفى هذا دليل على أن كل مُختلفين فى الفروع من المجتهدين مصيب ، وفى حكم داود وسليمان فى الحرث أصلٌ لهذا الأصل أيضاً ، فإنه قال سبحانه : ﴿ففهّمناها سُليمانَ ، وكُلًّا آتينا حُكماً وعِلماً﴾ الأنبياء : ٧٩ ، ولا يستحيل أن يكون الشىء صَوَاباً فى حقِّ إنسانٍ وخَطَأً فى حَقِّ غيره ، فيكون من اجْتَهَدَ فى مَسْألة فأداه اجتهادُه إلى التحليل مصيباً فى استحلاله ، وآخر اجتهد فأدَّاه اجتهادُه ونظره إلى تحريمها ، مُصيباً فى تحريمها ، وإنما المُحَالُ أن يُحْكم فى النازلة بحُكْمين مُتضادَّيْن فى حَقِّ شَخْص واحد ، وإنما عسر فهمُ هذا الأصل على طائفتين : الظاهِريَّة والمُعْتزلة ، أما الظاهِرِيَّةُ فإنهم عَلَّقوا الأحكام بالنُّصوصِ ، فاستحال عندهم أن يكون النصُّ يأتى بحظرٍ ، وإباحَةٍ مَعاً إلا على وَجْه النَّسْخ ، وأما المعتزلة ، فإنهم عَلَّقوا الأحكامَ بتقبيح العقلِ وتحسينه ، فصار حُسْنُ الفعل عندهم أو قُبْحُه صِفَةَ عَيْن ، فاستحال عندهم أن يَتَّصِفَ فعلٌ بالحُسْنِ فى حَقِّ زَيْدٍ والقبح فى حَقِّ عَمْرو ، كما يستحيل ذلك فى الألوان ، والأكْوان وغيرها من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ماعَدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحَظْرُ والإباحة عندهم بصفاتِ أعيانٍ ، وإنما هى صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يَحْكُمُ بالحظر فى النازلة على من أداه نظرُه واجتهادُه إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والنَّدبُ والإيجابُ والكَرَاهَةُ ، كلُّها صفاتُ أحكامٍ ، فكُلُّ مجتهد وافق اجتهادُه وَجْهاً من التأويل ، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفَّع به عن حَضِيضِ

. . . .

التقليد إلى هَضَبَةِ النَّظرِ ، فهو مُصِيبٌ فى اجتهاده مُصِيبُ للحكم الذى تَعَبَّدبه ، وإن تعبد غيرُه فى تلك النازلة بعينها بخلافِ ماتَعبَّد هو به ، فلا يُعَدُّ فى ذلك إلا على من لايعرف الحقائق أو عَدَل به الهوى عن أوْضَح الطَّرائق(١) .

---

(١) يقول الحافظ فى الفتح تعليقا على هذا ، وهو أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق : ليس بواضح ، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسـعه واجتهد ، فيستفاد منه عدم تأثيمه . . هذا ومن المشهور الذى عليه الجمهور أن المصيب فى القطعيات واحد. وخالف هذا الجاحظ والعنبرى. ومالاقطع فيه فالجمهور يرى أيضاً أنه واحد . ويقول الأشعرى : كل مجتهد مصيب ، وأن حكم الله تابع لظن المجتهد ويرى بعض الحنفية والشافعية أن من لم يصب ما فى نفس الأمر فهو مخطىء .

وأقول : الحق واحد لايتعدد ، والله لا يجعل الشيء مباحاً ومحظوراً من جهة واحدة : وإذا كان الأمر كذلك ، فإن من اجتهد — كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم — وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد استحقه باجتهاده. ويقال لمن أصاب الحق محق . ولمن لم يصبه : غير محق فى رأيه، لكن قد يكون الشيء واجبا فعله ومحظوراً فعله لا من جهة واحدة، وإنما من جهات متعددة، أو من جهتين مختلفتين ، كالصوم فى بعض أحواله المعروفة. هذا وقد وقع فى جميع نسخ البخارى أن الصلاة هى العصر ، واتفق على هذا جميع أهل المغازى ، ولكن وقع فى جميع نسخ مسلم أنها الظهر مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد باسناد واحد . ووافق مسلما ابن سعد وابن حبان كلاهما من طريق مالك بن اسماعيل . وانظر التوفيق بين هذا فى شرح المواهب اللدنية ص ١٣٠ جـ ٢ وفى فتح البارى فى الغزوة . ومن بين التوفيق أن البخارى كتبه من حفظه ، ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه فى تجويز ذلك بخلاف مسلم فانه يحافظ كثيرا على اللفظ .

. . . .

حول قصة أبي لبابة ::

فصل : وذكر أبا لُبَابَةَ واسمه رِفَاعَةُ بن عَبْدِ الْمُنْذِرِ بن زنبر[١] وقيل : اسمه مُبَشِّر[٢] ، وتَوْبَتَه ورَبْطَه نَفْسَه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألّا يَحُلَّهُ إلا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وروى حَمَّاد بن سَلَمَةَ عن على ابن زيد عن عَلِيِّ بن الحسين أن فاطمة أرادت حَلَّهُ حين نزلت توبتُه ، فقال : قد أَقْسَمْتُ أَلَّا يَحُلَّنِى إلاَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن فاطمةَ مُضْغَةٌ منى ، فصلَّى الله عليه ، وعلى فاطمةَ ، فهذا حديثٌ يَدُلُّ على أن من سَبَّها فقد كَفَر ، وأن من صَلَّى عليها ، فقد صَلَّى على أبيها — صلى الله عليه وسلم — وفيه : أَنْزَلَ الله تعالى : ﴿وآخَرُون اعْتَرَفُوا بذنوبهم خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً﴾ التوبة : ١٠٢ الآية ، غير أنَّ المفسرين اختلفوا فى ذنبه ما كان ، فقال ابن إسحاق ماذكره فى السِّيرة من إشارته على بنى قُرَيْظَة ، وقال آخرون : كان من الْمُخَلَّفِين : الذين تَخَلَّفُوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غَزْوة تَبُوكَ ، فنزلت توبةُ الله عليه فى هذه الآية .

لعل وعسى وليت ::

فإن قيل : ليس فى الآية نصٌّ على تَوْبَته وتوبة الله عليه أكثر من قوله تعالى : ﴿عسى الله أن يتوبَ عليهم﴾ .

فالجواب : أن عسى من الله واجبةٌ وخبرٌ صِدْقٍ . فإن قيل : وهو سؤاله

---

(١) فى جمهرة ابن حزم ص ٣١٤ وفى الإصابة : زبر .

(٢) مختلف فى اسمه فهو بشير ، وهو مروان . أنظر الإصابة والاشتقاق لابن دريد ص ٤٣٨ .

. . . .

يجب الاعتناء به : إن القرآن نزل بلسان العرب ، وليست عسى فى كلام العرب بخبرٍ ، ولا تقتضى وجوباً ، فكيف تكون عسى واجبةً فى القرآن ، وليس بخارج عن كلام العرب ؟

وأيضاً : فإن لعل تعطى معنى التَّرَجِّى ، وليست من الله واجبة ، فقد قال : (لعلهم يشكرون) فلم يشكروا، وقال (لعله يتذكر أو يَخْشَى) فلم يتذكر ولم يَخْش ، فما الفرق بين لعل وعسى حتى صارت عسى واجبة ؟

قلنا : لعل تعطى التَّرَجِّى ، وذلك الترجى مصروف إلى الخلق ، وعسى مثلها فى الترجى ، وتزيد عليها بالْمُقَارَبة ، ولذلك قال : ﴿ عسى أن يَبْعَثَك رَبُّك مقاماً مَحْمُوداً ﴾ الإسراء : ٧٩ ومعناه الترجى مع الخبر بالقرب ، كأنه قال قرُبَ أن يبعثك ، فالتَّرَجِّى مَصْروفٌ إلى العبد ، كما فى لعل ، والخبر عن القرب والْمُقَارَبة مصروفُ إلى الله تعالى ، وخَبَرُهُ حَقٌّ وَوَعْدُهُ حَتْمٌ ، فما تضمنته من الخبر فهو الواجب دون التَّرَجِّى الذى هو محال على الله تعالى ، ومصروف إلى العبد ، وليس فى لعل مِنْ تَضَمُّن الخبرِ مثلُ مافى عسى ، فمن ثَمَّ كانت عسى واجبةً إذا تكلم الله بها ، ولم تكن كذلك لعل .

فإن قيل : فهل يجوز فى ليت ما كان فى لعل من ورودها فى كلام البارى سبحانه، على أن يَكُون التمنى مَصْرُوفاً إلى العبد ، كما كان الترجى فى لعل كذلك ؟

. . . .

قلنا : هذا غير جائز ، وإنما جاز ذلك فى لعل على شرط وصورة ، نحو أن يكون قبلها فِعْلٌ ، وبعدها فِعْلٌ ، والأوّل سَبَبٌ للثانى نحو قوله : ﴿ يعظكم لعلكم تذكّرون ﴾ النحل : ٩٠، فقال بعض الناس: لعل هاهنا بمعنى كَيْ ، أى كى تذكّروه ، وأنا أقول : لم يذهب منها معنى التّرجّى ، لأن الموعظة ، مما يُرْجى أن تكون سبباً للتذكُّر ، فعلى هذه الصورة وردت فى القرآن ، ونحو قوله أيضاً : ﴿ فَلَعَلَّكَ تاركٌ بعضَ مايُوحَى إليك وضائقٌ به صَدْرُكَ ﴾ هود : ١٢ هى هاهنا تَوَقُّعٌ وتخَوُّفٌ ، أى : ما أصابك من التكذيب مما يُتخَوَّف ويُتَوَقَّعُ منه ضِيقُ الصدر ، فهذا هو الجائز فى لَعَلّ ، وأما أنْ تَرِد فى القرآن داخلةً على الابتداء والخبر مثل أن تقول ، مُبْتَدِئاً : لعل زيداً يؤمن ، فهذا غير جائز ، لأن الربَّ سبحانه لايَتَرَجَّى ، وإن صُرِف الترجى إلى حَقِّ المخلوق ، وموضوعُها فى كلام العرب أن يكون المتكلمُ بها لايستقيم أيضاً إلا على الصورة التى قدمنا من كونها بمعنى : كى، ووقوعها بين السَّبَب والمُسَبَّب ، وإذا ثبت هذا فلا إشكال فى ليت أنها لاتكون فى كلام البارى سبحانه ، لأن التمنى مُحَالٌ عليه ، والتَّرجِّى والتَّوَقُّعُ والتَّخوُّف كذلك ، حتى تزيلها عن الموضع الذى يكون معناها فيه للمتكلم بها .

من أسماء السماء :

فصل : وذكر حكم سعد فى بنى قُرَيْظَةَ ، وقول النبى عليه السلام له : لقد حكمت فيهم بحُكم الله من فوق سَبْعَةِ أَرْقِعةٍ ، هكذا فى السِّيرة : أَرْقِعَة ،

. . . .

وفى الصحيح : من فوق سَبْع سَماواتٍ[1] ، والمعنى واحد ، لأن الرَّقيع من أسماء السماء ، لأنها رُقِعت بالنُّجُوم ، ومن أسمائها : الجَرْباء ويَرْقِـع ، وفى غير رواية البَكائىِّ أنه عليه السلام قال فى حكم سعد : بذلك : طَرَقَنى المَلَكُ سَحَراً .

فوقية الله سبحانه :

وفيه من الفقه تعليمُ حسنِ اللفظ إذا تكلمت بالفَوْق مُخْبِراً عن الله سبحانه ألا تراه كيف قال : بحكم الله من فَوْقِ سَبْع سماواتٍ ، ولم يقل فوق على الظرف ، فـدل على أن الحـكم نازلٌ من فَوْق ، وهو حكم الله تعالى ، وهذا نحو من قوله تعالى : ﴿ يَخافُونَ رَبَّهم من فَوْقِهم ﴾ النحل : ٥٠ ، أى يخافون عقاباً ينزل من فوقهم ، وهو عقابُ رَبِّهم .

فإن قيل : أو ليس بجائز أن يخبر عنه سبحانه أنه فوق سَبْع سماواتٍ ؟ قلنا : ليس فى هذه الآية ، ولا فى هذا الحديث دليل على إطلاق ذلك ، فإن جاز فبدليلٍ آخر ، وكذلك قول زينب : زَوَّجَنِي الله من نَبِيِّه من فوق سَبْع

---

(١) رواه النسائى . هذا وما حكم به سعد قريب جداً مما فى سفر التثنية ، ففى الإصحاح المتمم للعشرين منه جاء ما يلى : « إن لم تسالمك بل عملت معك حربا ، فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما فى المدينة كل غنيمتها ؛ فتغنمها لنفسك . وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك » من فقرة ١٠ إلى ١٥ . وازن بين هذا وبين حكم سعد « تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم » ثم قول الرسول « ص » له: قضيت بحكم الله،أفيباح لنا أن نقول إن الحديث يشير إلى هذا الحـكم الذى ورد فى سفر التثنية ؟ !

. . . .

سماواتٍ ، وإنما معناه : أن تزويجه إياها نزل من فوق سَبْع سماواتٍ[١] ولا يبعد في الشرع وصفُه سبحانه بالفوق على المعنى الذى يليق بجلالِه ، لاعلى معنى [illegible] يَسْبِق للوَهْم من التَّحْدِيدِ ، ولـكن لا يُتَلَقَّى إطلاقُ ذلك الوصْف [illegible] من الآية والحديثين لارتباط حرف الجر بالفعل ، حتى صار وَصْفاً له لا وصفاً [illegible] سبحانه ، وقد أملينا فى حديث الأمَةِ التى قال لها : أين الله ؟ قالت : فى السماء مسألةً بديعةً نافعةً شافية رافعة لـكل لَبْسٍ ، والحمد لله[٢] .

---

(١) حقيقة الفوقية هى علو ذات الشىء على غيره ، والجهميون يزعمون أن فوقية الله فوقية رتبة وقهر كقولنا : الذهب فوق الفضة . وأهل السنة وسلفنا الصالح يقولون إن العهد والفطر والعقول والشرائع وجيع كتب الله المنزلة على خلاف مايزعم الجهميون ، وأنه سبحانه فوق العالم بذاته ، فالخطاب بفوقيته ينصرف إلى ما استقر فى الفطر والعقول والـكتب السماوية . والمجاز فى الفوقية وإن احتمل فى قوله : (وإنا فوقهم قاهرون) فذلك لأنه قد علم أنهم جميعاً مستقرون على الأرض فهى فوقية قهر وغلبة ولـكن هذا المجاز لا يحتمل فى قوله سبحانه : (وهو القاهر فوق عباده) إذ قد علم بالضرورة أنه وعباده ليسوا مستوين فى مكان واحد حتى تـكون فوقية قهر وغلبة . واقرأ كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ولا سيما من أول ص ٢٠٥ فقد أقام الأدلة القاطعة من القرآن والسنة والعقل على فوقية الله سبحانه بذاته من سبعة عشر وجهاً ، واقرأ لابن رشد الفيلسوف فى إثبات جهة العلو لله سبحانه فى كتابه مناهج الأدلة .

وكانت زينب رضى الله عنها تفخر على أزواج النبى تقول : زوجكن أهاليـكن ، وزجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات . رواه البخارى فى الصحيح .

(٢) وحديث الأمة التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الله ؟ قالت : الله فى السماء ، قال من أنا ؟ فقالت : أنت رسول الله ، قال إنها مؤمنة فاعتقها وكان الذئب قد أصاب شاة من غنم كانت ترعاها لسيدها ، فصكها صكة ، ثم =

. . . .

كيسة :

فصل : وذكر حَبْس بنى قُرَيْظَة فى دار بنتِ الحَدَثِ ، كذا وقع فى هذا الكتاب ، والصحيح عندهم بنت الحارثِ ، واسمها : كَيِّسَةُ بنت الحارثِ بن كُرَيْز بن حَبِيبِ(١) بن عَبْدِ شَمس ، وكانت تحت مُسَيْلِمَةَ الكذَّاب ، ثم خلف عليها عبدُ الله بن عامر بن كُرَيْزٍ ، وكَيِّسة أُخْرَى مذكورة فى النساء ، وهى بنت عبد الحميد بن عامر بن كُرَيْز ، وكَيِّسَةُ بنت أبى بَكْرَةَ روت عن أبيها عن النبى – صلى الله عليه وسلم أنه كان يَنْهى عن الحِجَامَة يوم الثلاثاء أشدَّ النَّهْىِ ، ويقول : فيه ساعةٌ لا يَرْقأُ فيها الدَّمُ(٢) : وأما كَيْسَة بسكون الياء ، فهى بنت أبى كَثِير تَرْوِى عن أُمِّها عن عائشة فى الخمر : لا طَيَّبَ الله مَنْ

= انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل مع الجارية وأراد عتقها تكفيراً عن ذنبه ، فطلب منه الرسول « ص » أن يأتيه بها . ففعل فسألها عما قدمت ذكره . والحديث فى صحيح مسلم . وقد ورد فى حديث رواه البخارى ومسلم « ألا تأمنونى ، وأنا أمين من السماء ، يأتينى خبر السماء صباحا ومساء » وفوق ذلك كله قول الله سبحانه : (أأمنتم من فى السماء) .

(١) فى الاشتقاق لابن دريد : كريز بن ربيعة بن حبيب ص ١٦٥ وكذلك هو فى نسب قريش : كريز بن ربيعة بن حبيب فلعله سقط . فالسهيلى يأخذ بقول الزبيريين فى الأنساب . وكذلك ذكر نسبه فى كتاب حذف من نسب قريش للسدوسى : كريز بن ربيعة بن حبيب . وفى الإصابة أن المرأة هى رملة بنت الحارث ابن ثعلبة بن الحارث بن زيد . وهى زوج معاذ بن الحارث بن رفاعة . وعند أبى الأسود أنهم حبسوا فى دار أسامة بن زيد

(٢) قول لا يعتد به ، وإلا توقفت الجراحات كلها يوم الثلاثاء .

. . . .

تَطَيَّبَ بها ، ولاشُفِيَ من اسْتَشْفَى بها ، ذكره البخارى فى الأشْرِبة فى بعض روايات الكتاب ، ووقع اسمُها فى السيرة من غير رواية ابن هشام : زَيْنَب بنت الحارث النَّجَّارِيَّة،فالله أعلم . وأما كَيِّسَةُ بنت الحارث ، فهى التى أُنْزِل فى دارهاوفدُ بنى حَنِيفة ، وسيأتى ذكرها .

رفيدة :

وذكر رُفَيْدَةَ ، وهى امرأة من أَسْلم الذى كان سَعْدٌ يُمَرَّضُ فى خيمتها لم يذكرها أبو عُمَرَ ، وزادها أبو على الغسانى فى كتاب أبى عُمَرَ،حدثنى بتلك الزوائد أبو بكر بن طاهر عنه ، وحدثنى عنه أيضاً عن أبى عمر أنه قال لأبى على : أمَانة اللهِ فى عُنُقِك،متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة ، لم أذكره إلا ألحقته فى كتابى الذى فى الصحابة[(١)].

غزوة الخندق :

فصل : وذكر فى غَزْوَة الْخَنْدَقِ ثَعْلَبة بن سَعْيَةَ ، وأَسَدَ بن سَعْيَة[(٢)]، وأَسِيد بن سَعْيَةَ وهم من بنى هدل ، وقد تكلمنا فى الجزء الثانى من هذا

---

(١) وقيل هى أنصارية ، وفى الإصابة الأنصارية أو الأسلمية ، وقد روى البخارى فى الأدب المفرد حديثها ، وذكر أن الرسول «ص» كان إذا مر بعد عندها يقول : كيف أمسيت ، وإذا أصبح يقول : كيف أصبحت. وفى الإصابة فى حرف الكاف : كعيبة بنت سعيد الأسلمية وقد قال عنها ابن سعد هى التى كانت لها خيمة فى المسجد . وعند البخارى : «فضرب النبى «ص» خيمة فى المسجد» ليعوده من قريب » أى ليعود سعد .

(٢) المذكور فى السيرة : أسد بن عبيد

. . . .

الكتاب على سَعْيَة وسُعْنَة بالنون، وذكرنا الاختلاف فى أسيد وأُسَيْد، وذكرنا خبراً عجيباً لزَيْد بن سَعْيَة بالياء، ومن قال من النسابين هَدْل بسكون الدال فى بنى هَدْل، فأغنى ذلك عن إعادته .

قتل المرتدة :

وأما حديث المرأة المقتولة من بنى قُرَيْظَة، ففيها دليل لمن قال بقتل المُرْتَدَّةِ من النساء، أخذاً بعموم قوله عليه السلام : مَنْ بَدَّل دينه، فاضْرِبُوا عُنُقَهُ[1] . وفى هذا الحديث مع العُمُوم قوة أخرى، وهو تعليق الحكم بالعلّة، وهو التبديل والرِّدَّة، ولا حُجَّةَ مع هذا لِمَنْ زعم من أهل العراق بأن لا تُقْتَل المرأةُ لنَهيِه عليه السلام عن قَتْلِ النساء والوِلْدَان، وللاحْتِجَاج للفريقين، وما نزل به كلٌّ واحد منهم موطنٌ غير هذا .

الزبير بن باطا :

فصل : وذكر حديثَ ثابت بن قيس مع الزَّبِيْر بن باطا، وهو الزَّبِيْر

---

(١) فى حديث رواه الجماعة إلا مسلما : من بدل دينه فاقتلوه . وقد علق صاحب الفتح عليه بقوله : واستدل به على قتل المرتدة كالمرتد . وخصه الحنفية بالذكر متمسكين بحديث النهى عن قتل النساء، ولكن الجمهور يحمل النهى على الكافرة الأصلية إذا لم تباشر القتال، لقوله فى بعض طرق الحديث النهى عن قتل النساء لما رأى امرأة مقتولة : ما كانت هذه لتقاتل، ثم نهى عن قتل النساء . واحتجوا بأن من الشرطية لا تعم المؤنث، وتعقب بأن راوى الخبر هو ابن عباس، وقد قال بقتل المرتدة وقد قتل الصديق امرأة ارتدت فى خلافته، ولم ينكر عليه صحابى . أنظر ص ١٩٠ ج ٧ نيل الأوطار للشوكانى .

. . . .

بفتح الزاى وكَسرِ الباء جَدُّ الزُّبَيْر بن عبد الرحمن المذكور فى المُوَطَّأ فى كتاب النكاح ، واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل : الزَّبِيرُ بفتح الزاى وكسر الباء كاسم جده، وقيل الزُّبَيْر ، وهو قول البُخَارِى فى التاريخ .

وذكر فيه قول الزَّبير :

فما أنا بصابر لله فَتْلَةَ دلْوٍ ناضِح

وقال ابن هشام : إنما هو قَبْلَةَ دَلْوٍ بالقاف والباء ، وقابلُ الدَّلْوِ هو الذى يأخذها من المُسْتَقِى (١) .

وذكر أبو عُبَيْدٍ الحديثَ فى الأقوال على غير ما قالاه جميعاً ، فقال : قال الزَّبِيرُ : يا ثابتُ أَلْحِقْنِى بهم ، فلست صابراً عنهم إفراغَةَ دَلْوٍ .

الإنبات اصل فى معرفة البلوغ :

وذكر حديث عَطِية القُرَظِىّ ، وهو جدُّ مُحمد بن كَعْب القرظى ، وذكر أنه لم يكن أنْبَتَ فَتُرِكَ ، ففى هذا أن الإنبَاتَ أَصْلٌ فى معرفة البُلوغ إذا جُهِلَ الاحْتِلامُ ، ولم تُعْرَفْ سنُوُّهُ .

---

(١) يقول الخشنى : الناضح : الحبل الذى يستخرج عليه الماء من البئر بالسانية ، وأراد بقوله له : فتلة دلو ناضح : مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا أخرجت فيصبها فى الحوض يفتلها أو يردها إلى موضعها ،ومن رواه قبلة بالقاف والباء فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها فى الحوض ، ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة ص ٣٠٧ .

. . . .

حلة هي :

وذكر حُيَيَّ بن أخْطَبَ حين قُدِّم إلى القتل ، وعليه حُلَّةٌ فُقَّاحِيَّة . الحلة : إزارٌ ورِداء ، وأصل تسميتها بهذا إذا كان الثوبان جديدين ، كما حُلَّ طيُّهما ، فقيل له : حُلَّة لهذا ، ثم استمر عليه الاسمُ ، قاله الخطابى .

وقوله : فُقَّاحِيَّة نُسِبت إلى الفُقَّاحِ ، وهو الزَّهْرُ إذا انشَقَّت أكِمَّتُهُ ، وانفرَجَتْ بَرَاعِيمُه ، وتفتَّقَتْ أخْفِيَتُه ، فيقال له حينئذ فَقَّح وهو فُقَّاحٌ . والقنابِعُ أيضاً فى معنى البَرَاعِيم ، واحدها : قُنْبُعَةٌ ، وأما الفِقَاعُ بالعين[1] فهو الفُطُرُ ، ويقال له أيضاً : آذانُ الكَمْأة من كتاب النبات .

ويروى أيضاً : حُلَّة شُقَحِيَّةٌ وهو سنح[2] البُسْرِ إذا تلون . قاله الخطابى .

ولكنه مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ

بنصب الهاء من اسم الله ، ويُصَحِّح هذه الرواية أن فى الخبر قول النبى صلى الله عليه وسلم : ألم يُمَكِّن الله منك ؟ فقال : بَلَى ، ولقد قَلْقَلْتُ كُلَّ مُقَلْقَل ، ولكن من يَخْذُلْكَ يُخْذَل ، فقوله : يَخْذُلْك كقول الآخر فى البيت :

ولكنه من يَخْذُل اللهَ يُخْذَلِ

---

(١) فى اللسان : الفقع بكسر الفاء وفتحها وسكون القاف الأبيض الرخو من الكمأة وهو أردؤها وجمعها على وزن فعلة بكسر الفاء وفتح العين مثل قردة .

(٢) فى التعبير خلل ، وهو يعنى أن شقحية نسبة إلى شقحة التى جمعها شقح . والشقحة : هى البسرة المتغيرة الحمرة . وسنح فى الأصل : صوابها شقح .

. . . .

لأنه إنما نَظَم فى البيت كلام حُيَيّ .

سلمى بنت أيوب :

وذكر حديثه عن أُيُّوبِ بن عبدِ الرَّحْمن عن عبد الله بن أبى صَعْصَعَة .
وألفيتُ فى حاشية الشيخ ، قال : وقع فى تاريخ البُخَارى أن أيوبَ نفسه هو
الخبر أن سَلْمَى بنت قَيْس هى : سَلْمَى بنت أيُّوبِ بن عبد الرحمن بن عبد الله
وهو الصحيح والله أعلم .

سلمى بنت قيس :

وقوله عن سَلْمَى بنتِ قيس ، هى سلمى بنتُ قيسِ بن عَمْرو بن عُبَيْدِ بن
مالك بن عَمْرو بن عَدِىٍّ بن عامر بن غَنْم بن عَدِىٍّ بن النَّجَّارِ .

تفسير آيات قرآنية :

وقوله تعالى : ﴿ وبلغت القلوبُ الحناجر ﴾ والقلبُ لا يَنْتَقِل من موضعه ،
ولو انتقل إلى الحَنْجَرَة لمات صاحبُه ، والله سبحانه لا يقول إلا الحقَّ ، ففى هذا
دليل على أن التكلّمَ بالمجاز على جهة المبالغة ، فهو حَقٌّ إذا فَهِم المخاطَبُ عنك ،
وهذا كقوله تعالى : ﴿ يريد أن يَنْقَضَّ فأقامه ﴾ الكهف : ٧٧ ، أى مثله كمثل
مَنْ يريد أن يَفْعَلَ الفعلَ ، ويهم به ، فهو من مجازِ التَّشْبِيهِ ، وكذلك هؤلاء
مَثَلُهم فيما بلغهم من الخَوْفِ والوَهَلِ وضيقِ الصَّدْر كمثل المُنْخَلِع قلبُه من
مَوْضعه ، وقيل : هو على حذف المضاف ، تقديره : بلغ وَجِيفُ القلوبِ الحناجرَ
وأما قوله : ﴿ إذ القلوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ ﴾ غافر : ١٨ فلا معنى لحمله على المجاز .

. . . .

لأنه فى صفة هول القيامة، والأمر فيه أشدّ مما تقدَّم ، لاسيَّما وقد قال فى أخرى : ﴿ لا يَرْتَدُّ إليهم طَرْفُهُمْ وأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء ﴾ إبراهيم : ٤٣، أى قد فارق القلبُ الفؤادَ ، وبقى فارغاً هَوَاء ، وفى هذا دليلٌ على أنَّ القلب غيرُ الفؤاد ، كأن الفؤادَ هو غلافُ القلب ، ويؤيده قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل اليمن : أَلْيَنُ قلوباً وأَرَقُّ أفئدةً[1] مع قوله تعالى : ﴿ فوَيْـلٌ للقاسية قُلوبُهم ﴾ الزمر: ٢٢ ولم يقل للقاسية أفئدتُهم ، والقَسْوةُ ضِدُّ اللين ، فتأمله .

وقوله تعالى: ﴿ قد يعلم[2] اللهُ المُعَوِّقين منكم ﴾ الأحزاب: ١٨ أى المُخَذِّلين لإخوانهم : فيُعَوِّقُونَهُمْ بالتَّخذيلِ عن الطاعة، لقولهم : هَلُمَّ إلينا. تقول : عاقنى الأمرُ عن كذا ، وعَوَّقنى فلانٌ عن كذا ، أى صرفنى عنه .

وذكر الصَّياصى وأنها الحُصُون ، واستشهد بقول سُحَيْم يصف سَيْلا :

وأصبحت الثِّيرانُ صَرْعى، وأصبحت   نساء تَمِيم يَبْتَدِرْنَ الصَّيَاصِيَا

وألفيت فى حاشية الشيخ أبى بحر رحمه الله على هذا البيت : الصياصى : قرونُ الثيران المذكورة فيه ، لا ما توهم ابنُ هشام أنها الحُصُون والآطامُ ، يقول : لما أهلك هذا السيلُ الثيرانَ وغرَّقها أصبحت نساء تميم يَبْتَدِرْنَ أخذَ قرونها ، لِيَنْسِجْنَ بها البُجُدَ ، وهى الأكْسِيَةُ ، قال هذا يعقوب عن الأصْمَعِىِّ. ويصحح هذا أنه لا حُصُونَ فى بادية الأعراب. قال المؤلف : ويصحح

(١) جاء فى حديث متفق عليه : « هم أرق أفئدة وألين قلوبا »

(٢) دخلت قد هنا لتوكيد العلم ، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد ، ولأن الله لا تخفى عليه خافية فى الأرض ، ولا فى السماء .

. . . .

هذا التفسير أيضاً رواية أحمدُ بن داوُد له ، فإنه أنشده فى كتاب النَّبات له ، فقال فيه يَلْتَقِطْنَ الصَّياصِيا[1] ولم يقل : بيتدرن ، وأنشد :

فَذَعَرْنَا سُحْمَ الصَّيَاصِى بأَيْدِيهِـــنَّ نَضْحٌ من الـكُحَيْلِ وقَارُ

الـكُحَيْلِ : القَطِرَانُ ، والقارُ : الزِّفتُ ، شَبَّه السوادَ الذى فى أيديهن بنَضْح من ذلك الـكُحَيْلِ والقارِ ، يصف بَقَر وَحْشٍ ، وأنشد لِدُرَيدبن الصِّمَّة :

كَوَقْعِ الصَّيَاصِى فى النَّسِيج المُمَدَّدِ

وحمله الأَصْمَعِىُّ على ماتقدم فى البيت قبل هذا من أنها القرون التى يُنْسَج بها ، لا أنها شَوْكٌ كما قال ابن هشام .

اهتزاز العرش :

وذكر اهتزازَ العرش ، وقد تكلم الناس فى معناه ، وظَنُّوا أنه مُشْكِلٌ ، وقال بعضهم : الاهتزازُ هاهُنا بمعنى الاسْتِبْشَارِ بقدوم رُوحِه ، وقال بعضهم : يريد حَمَلة العَرْشِ ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم ، لأن يَهْتَزَّ العرشُ على الحقيقة ، ولا بُعْدَ فيه ، لأنه مَخْلُوقٌ وتجوز عليه الحركة ، والهِزَّةُ ، ولا يُعْدَلُ عن ظاهر اللفظ ، ما وُجد إليه سبيل ، وحديثُ اهتزازِ العَرْشِ لموتِ سَعْدٍ صحيحٌ . قال أبو عُمَر : هو ثابت من طُرُقٍ متواترةٍ ، وما رُوِى من قول البَرَاء بن عازب فى معناه : أنه سَرِيرُ سَعْدٍ اهْتَزَّ لم يلتفت إليه العُلَمَاء[2] ، وقالوا : كانت بين هذين الحَيَّيْنِ من الأنصار ضغائنُ[3] . وفى لفظ

(١) كذا أنشده ابن برى فى اللسان . وقال : يلتقطن القرون لينسجن بها .
(٢) قال الحافظ : إلا أن يراد اهتزاز حملة سريره فرحا بقدومه ، فيتجه
(٣) فى الصحيح قال رجل لجابر : « فان البراء يقول اهتز السرير ، فقال : =

ماقيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة

شعر ضرار

وقال ضِرار بن الخطَّاب بن مِرْداس، أخو بنى مُحارب بن فِهْر، فى يوم الخندق:

ومُشْفِقةٍ تَظُنّ بِنا الظنونا وقد قُدْنا عَرَنْدَسة طَحُونا

كأنّ زُهاءها أُحُد إذا ما بَدَتْ أرْكانُه للناظرينا

الحديث: اهتز عرش الرحمن، رواه أبو الزُّبَيْر عن جابر يرفعه، ورواه البخارى من طريق الأعْمَشِ عن أبى صالح وأبى سفيان كلاهما عن جابر، ورواه من الصحابة جماعةٌ غيرُ جابر، منهم أبو سعيد الخُدْرِىّ، وأُسَيْد بن حُضَيْر، ورُمَيْثَةُ بنت عمرو، ذكر ذلك التِّرْمِذِىُّ. والعجبُ لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث، وكراهيته للتحدُّث به مع صحة نقله، وكثرة الرواة له، ولعل هذه الرواية لم تصح عن مالك والله أعلم[1].

= إنه كان بين هذين الحيين ضغائن. سمعت النبى «ص» يقول اهتز عرش الرحمن لموت سعد. والحيان: الأوس والخزرج، فقال ذلك جابر إظهارا للحق واعترافا بالفضل لأهله فكأنه تعجب من البراء كيف قال ذلك مع أنه أوسى، ثم قال: أنا وإن كنت خزرجيا، وكان بين الحيين ما كان لا أمتنع من قول الحق، وعذر البراء أنه فهم ذلك لا أنه قصد الغض من حكاية سعد وقد ظن جابر أن البراء قصد الغض من سعد فانتصر له. فتح البارى، والمواهب ج ٢ ص ١٤٠.

(١) سبق الكلام عن هذا.

تَرَى الأبدانَ فيها مُسْبِغاتٍ على الأبطال واليَلَبَ الحصِينا
وجُرْداً كالقِداح مُسَوَّماتٍ نَؤُمّ بها الغُواةَ الخاطِئينا
كأنهمُ إذا صالُوا وصُلْنا بباب الخَنْـدَقَيْن مُصافِحُونا
أُناسٌ لانَرَى فيهم رَشِيـداً وقد قالوا أَلَسْنا راشدينا
فأحْجَرْناهمُ شَهْراً كَرِيتًا وكنَّا فوقَهم كالقاهـرينا
نُراوحُهم ونَغْدُو كلَّ يوم عليهم في السلاح مُدَجَّجينا
بأيْدينا صَـوارِمُ مُرْهَفاتٌ نَقُدّ بها المَفارِقَ والشُّئُونا
كأنّ وَميضَهنّ مُعَرَّياتٍ إذا لاحت بأيْدِي مصلتينا
وَميضُ عقيقةٍ لمعَتْ بلَيلٍ ترى فيها العَقائقَ مستَبِينا
فلَوْلا خَنْـدَقٌ كانوا لَدَيه لَدَمَّرْنا عليهـم أجمعينا
ولكن حالَ دونَهمُ وكانُوا به من خَوْفِنا مُتَعَوِّذينا
فإنْ نرحل فإنّاً قد تركْنا لَدَى أبياتِـكم سَعْداً رَهِينا
إذا جنّ الظلامُ سمعتَ نَوْحَى على سَعْدٍ يُرَجِّعْن الحَنِينا
وسوفَ نَزُورُكم عمّا قريب كما زُرْناكُمُ مُتَوازِرِينـا
بجَمْعٍ من كِنانة غيرِ عُزْلٍ كأُسْدِ الغابِ قد حَمَتِ العَرِينا

كعب يرد على ضرار

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سلمة، فقال :

وسائلةٍ تُسائلُ ما لَقِينـا ولو شَهِدتْ رَأَتْنا صابِرِينا

صَبَرْنا لانَرَى لله عَــدْلاً على ما نابَنا مُتَوَكِّلِينا

وكانَ لنا النبيّ وزيرَ صِدْقٍ به نَعْــلو البَرِيَّةَ أجمعينا

نُقاتل مَعْشراً ظَلَموا وعَقُّوا وكانُوا بالعــداوة مُرْصِدينا

نُعاجِلهم إذا نَهضوا إلينا بضَرْبٍ يُعْجِل المُتَسرِّعينا

تَرانا فى فَضَافِضَ سابغاتٍ كغُدْران المَــلا مُتَسَرْبلينا

وفى أيماننا بِيضٌ خِفافٌ بهــا نَشْفِى مِرَاح الشَّاغِبِينا

بباب الخَنْــدَقين كأنّ أُسْداً شَوَابِكُهُنّ يَحْمِينَ العرينــا

فوارِسنا إذا بَكَرُوا وراحُوا على الأعْـدَاءِ شُوساً مُعلِمِينا

لننْصر أحمــداً والله حتى نكونَ عِبادَ صِدْقٍ مُخْلِصينا

ويَعْلم أهلُ مكّة حين سارُوا وأحْزَابٌ أتَوْا مُتَحزِّبِينا

بأنّ الله ليسَ له شَريكٌ وأنّ اللهَ مَوْلَى المُؤمِنِينا

فإمَّا تَقْتُلوا سَعْــداً سفاهاً فإنّ اللهَ خَــيْرُ القادرِينا

سيُدْخِــله جِناناً طَيِّباتٍ تكونُ مقامةً للصَّالحينا

كما قد رَدَّكُمْ فَــلاًّ شَرِيداً بغَيْظِــكُمُ خَــزَايا خائبينا

خَزَايا لَمْ تنالُوا ثَمَّ خَــيْراً وكِدْتُم أن تكُونوا دامِرِينا

برِيحٍ عاصِفٍ هَبّتْ عليكُمْ فكُنْتُمْ تحتها مُتَكَمِّهِينا

شعر ابن الزبعرى

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهمى ، فى يوم الخندق :

حتى الديارَ محا معارفَ رَسْمِها | طُولُ البِلى وتَراوحُ الأحقابِ
فكأنما كَتَبَ اليهودُ رُسومَها | إلاّ الكَنيف ومَعْقِد الأطْنابِ
قَفْراً كأنك لم تَكُنْ تَلْهو بها | في نِعْمَةٍ بأوانسٍ أتْرابِ
فاتْرك تذكُّر ما مَضَى من عيشةٍ | ومَحِلّةٍ خَلَقِ المَقامِ يَبابِ
واذْكُرْ بلاءَ معاشرٍ واشْكُرْهمُ | ساروا بأجمعهم من الأنْصابِ
أنصاب مكّةَ عامدين ليثْرِبٍ | في ذي غَياطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجابِ
يَدَعِ الحُزُونَ مناهِجاً معلومةً | في كُلِّ نَشْزٍ ظاهرٍ وشِعابِ
فيها الجيادُ شَوازِبٌ مجنوبةٌ | قُبُّ البطون لَواحقُ الأقْرابِ
مِن كُلِّ سَلْهبةٍ وأجْرَدَ سَلْهَبٍ | كالسِّيدِ بادَرَ غَفْلَةَ الرُّقّابِ
جَيْشٌ عُيَيْنَةُ قاصدٌ بلوائه | فيه وصَخْرٌ قائدُ الأحزابِ
قَرْمان كالبَدْرَيْن أصبح فيهما | غَيْثُ الفقير ومَعْقِل الهُرّابِ
حتى إذا وَردوا المدينة وارْتَدَوْا | للمَوْتِ كُلَّ مُجَرَّبٍ قَضّابِ
شهراً وعشراً قاهرين محمّداً | وصِحابُه في الحرب خيرُ صِحابِ
نادوا برحلتهم صَبيحةَ قُلْتُمُ | كِدْنا نكون بها مع الخُيّابِ
لولا الخنادقُ غادروا من جَمْعهم | قَتْلى لطَيْرٍ سُغَّبٍ وذِئابِ

حسان يرد على ابن الزبعرى

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاري، فقال:

هل رَسْمُ دارسةِ المَقامِ يَبابِ | مُتَكَلِّمٌ لمحاورٍ بجَوابِ

قَفْر عَفَا رِهَمُ السَّحاب رُسومه ... وهُبُوبُ كلّ مُطِلّةٍ مِرْبابِ

ولقد رأيت بها الحلول يزينهم ... بيضُ الوُجوه ثواقب الأحساب

فَدع الدّيار وذِكْر كلَّ خَرِيدة ... بَيضاء آنسةِ الحديث كَعاب

واشكُ الهُموم إلى الإله وما ترى ... من معشر ظَلَموا الرّسول غضاب

ساروا بأجمعهم إليه وألّبُوا ... أهلَ القُرَى وبَوَادِىَ الأعْراب

جَيْش عُيَينة وابنُ حَرْب فيهمُ ... مُتَخَمِّطُون بحلبة الأحزاب

حتى إذا وردُوا المَدينة وارتَجَوْا ... قَتْلَ الرسول ومَغْنَم الأسلاب

وغَدَوْا علَيْنا قادرين بأيْدِهم ... رُدُّوا بغَيْظِهِمُ على الأعْقاب

بهُبُوب مُعْصِفةٍ تُفَرّق جَمْعهم ... وجُنُودِ رَبِّكَ سيّدِ الأرْباب

فكَفى الإلهُ المُؤمِنينَ قِتالَهُمْ ... وأثابَهُم فى الأجْرِ خيرَ ثَواب

مِن بعد ما قنطوا ففرّق جمعهم ... تَنْزِيلُ نَصر مليكنا الوهّاب

وأقرَّ عَيْن محمّدٍ وصِحابه ... وأذَلّ كُلَّ مُكَذّبٍ مُرْتاب

عاتِى الفُؤادِ مُوَقّعٍ ذى رِيبةٍ ... فى الكُفْر ليس بطاهرِ الأثواب

عَلِق الشّقاء بقَلْبه، فَفُؤادُه ... فى الكُفْر آخرُ هذه الأحقابِ

كعب يرد على ابن الزبعرى

وأجابه كعْب بن مالك أيضاً، فقال:

أبقَى لنا حَدَثُ الحُرُوب بقيةً ... من خَيْر نحْلة رَبّنا الوَهّابِ

بَيضَاء مُشْرِفة الذُّرى ومَعاطناً ... حُمَّ الجُذوع غزيرَةَ الأحْلاب

كاللوب يُبْذَل جمُّها وحفيلُها ... للجار وابن العمِّ والمُنتاب
ونزائعاً مثل السراح نَمَى بها ... عَلَفُ الشعير وجِزَّة المِقضاب
عَرِيَ الشَّوَى منها وأَرْدَفَ نحضَها ... جُرْدُ المُتون وسائرُ الآراب
قُوداً تَراح إلى الصِّياح إذ غدت ... فعل الضِّراء تَراحُ للكُلّاب
وتحوط سائمة الديار وتارةً ... تُرْدِى العِدا وتَئُوبُ بالأسلاب
حُوشُ الوحوش مطارة عند الوغى ... عُبْس اللِّقاء مُبِينة الإنجاب
عُلِفت على دَعَةٍ فصارتْ بُدَّناً ... دُخْسَ البَضِيع خفيفة الأقصابِ
يَغْدُون بالزَّغفِ المُضاعفِ شَكُّهُ ... وبمُترَصات فى الثِّقاف صِياب
وصوارمٍ نَزَعَ الصَّياقلُ غَلْبَها ... وبكلِّ أروع ماجدِ الأنساب
يصِل اليمين بمارنٍ مُتقاربٍ ... وُكِلَت وقيعتُه إلى خبَّاب
وأغرَّ أزرق فى القناة كأنَّه ... فى طُخيةِ الظَّلماء ضوء شِهاب
وكتيبةٍ يَنْفِى القِرانَ قتيرُها ... وتَرُدُّ حَدَّ قَواحذ النُّشَّاب
جأْوى مُلَمْلَمة كأنَّ رماحها ... فى كلِّ مَجْمَعة ضَرِيمةُ غاب
يأوى إلى ظِلِّ اللِّواء كأنَّهُ ... فى صَعْدةِ الخطِّىِّ فَىْءُ عُقاب
أعْيَت أبا كَرِبٍ وأعيَتْ تُبَّعاً ... وأبَتْ بَسالتُها على الأعراب
ومواعظ مِن ربِّنا نُهْدَى بها ... بلسان أزهَرَ طيِّب الأثواب
عُرِضتْ علينا فاشتَهَينا ذِكْرَها ... من بعد ما عُرِضتْ على الأحزاب
حِكَماً يراها المُجْرِمون بزَعْمِهم ... حَرَجاً ويفهمها ذوو الألباب

* * * * * * * * * * * * *

جاءت سَخينةُ كى تُغالِبَ ربَّها ... فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاَّب

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به ، قال : حدثنى عبد الملك بن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزّبير ، قال : لما قال كَعْب بن مالك :

جاءت سَخينةُ كىْ تُغالِب ربَّها ... فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاَّب

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كَعْب على قولك هذا .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

مَن سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بعضُه ... بعضاً كمَعْمَعَة الأباء المُحْرَقِ

فَلْيأتِ مَأْسَدَةً تُسَنّ سُيوفها ... بين المذاد وبين جزْع الخَنْدق

دَرِبوا بضَرْبِ المُعْلِمين وأسْلَموا ... مُهُجات أنفُسِهِمْ لِرَبّ المَشْرِق

فى عُصْبَة نَصرَ الإلهُ نَبيَّه ... بِهِمُ وكانَ بعَبْدِهِ ذا مَرْفق

فى كلّ سابِغَةٍ تَخُطُّ فضولُهَا ... كالنِّهْى هَبَّتْ ريحُهُ المُتَرَقْرِق

بَيْضاء مُحْكَمة كأنّ قَتيرها ... حَدَق الجنادِب ذات شَكّ مُوثَق

جَدْلاء يَحْفِزها نِجادُ مُهَنَّد ... صافِى الحَديدة صارم ذى رَوْنق

تِلْكم مع التّقْوى تكون لِباسَنا ... يوم الهِياج وكلّ ساعةِ مَصْدَق

نَصِلُ السُّيوف إذا قَصرن بخَطْونا ... قُدُماً ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَق

فترى الجماجِم ضاحِياً هاماتُها ... بَلْهَ الأكُفّ كأنّها لم تُخْلَق

نَنْفِى العدوّ بفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ ... تَنْفِى الجموعَ كفَصْدِ رأسِ المَشْرِقِ

ونُعِدّ للأعداء كلّ مُقَلَّص ... وَرْدٍ ومَحْجول القوائم أبْلَقِ

تَرْدِى بفُرْسانٍ كأنّ كماتَهم ... عند الهياج أُسُود طَلٍّ مُلْثِقِ

صُدُقٍ يُعاطون الكُماةَ حُتُوفَهم ... تحت العَمايَة بالوَشِيج المُزْهِقِ

أمر الإلهُ بربْطها لعَدُوّه ... فى الحرب إنّ الله خيرُ مُوَفِّقِ

لتَكُونَ غَيْظاً للعَدُوّ وحُيَّطاً ... للدّار إنْ دَلَفَتْ خُيُول النُّزَّقِ

ويُعِينُنا اللهُ العزيزُ بقُوّة ... منه وصِدْق الصَّبْر ساعةَ نَلْتَقِى

ونُطِيعُ أمرَ نَبِيِّنا ونُجِيبه ... وإذا دَعا لكَرِيهةٍ لم نُسْبَقِ

ومتى يُنادِ إلى الشّدائِد نَأْتِها ... ومتى نَرَ الحَوْماتِ فيها نُعْنِقِ

مَنْ يَتّبع قولَ النّبىّ فإنّه ... فينا مُطاعُ الأمر حقّ مُصَدَّقِ

فبذاك يَنْصرنا ويُظْهر عِزّنا ... ويُصِيبنا من نَيْل ذاك بمِرْفَقِ

إنّ الذين يُكَذّبون محمّداً ... كَفَروا وضَلّوا عن سبيل المُتَّقِى

قال ابن هشام أنشدنى بيته :

تِلكم مع التَّقْوَى تكون لباسَنا

وبيته :

من يتَّبع قولَ النبىّ

أبو زيد . وأنشدنى :

تَنفِى الجموعَ كرأس قُدْسٍ المشرق

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

لَقَدْ عَلِمَ الأَحْزابُ حِينَ تَأَلَّبوا ... عَلَيْنا ورَامُوا دِينَنا ما نُوادِعُ

أضاميمُ من قَيْس بن عَيْلانَ أصْفقت ... وخِنْدف لم يَدْرُوا بما هو وَاقِع

يَذُودوننا عن ديننا ونَذُودهم ... عَنِ الكُفْر والرَّحمن راء وسامع

إذا غايَظونا فى مقامٍ أعانَنا ... على غَيْظِهم نَصْرٌ من الله واسعُ

وذلك حِفْظ الله فِينا وفَضْله ... عَلَيْنا ومن لم يَحْفَظِ اللهُ ضائع

هَدَانا لدين الحَقِّ واختاره لَنا ... ولله فوقَ الصَّانِعِين صَنائع

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

ألا أبْلغ قُرَيْشاً أنَّ سَلْعاً ... ومابين العُرَيض إلى الصِّمادِ

نَواضحُ فى الحُروبِ مُدَرَّباتٌ ... وخُوصٍ ثُقِّبت مِن عَهْدِ عاد

رَوَاكد يَزْخَرُ المُرَّار فيها ... فَلَيْستْ بالجِمامِ ولا الثِّماد

كأنَّ الغابَ والبَرْدِيَّ فيها ... أجَشَّ إذا تبَقَّع للحَصاد

ولم نَجعل تجارَتَنا اشْتراء الْحَمِـــير لأرْض دَوْسٍ أو مُراد

بلادٌ لم تُثَر إلا لكيما ... نُجالد إنْ نَشِطتم للجِـــلاد

أثَرْنا سِكَّة الأنْباطِ فيها ... فلم تَرَ مِثْلَها جَلَهاتِ وَاد

قصَرْنا كُلَّ ذى حُضْر وطُول ... على الغايات مُقْتَـــدر جواد

أجيبُونا إلى ما نَجْتَدِيكم ... من القول المُبَيَّن والسَّداد

وإلا فاصبرُوا لجِــلاد يَوْمٍ ... لكم منَّا إلى شَطْر المَذاد

نُصَبِّحكم بكلّ أخي حُروب ... وكلّ مُطَهَّم سَلِس القِيَاد

وكلّ طِمِرَّة خَفِق حَشاها ... تَدِفّ دفيفَ صَفْراء الجَراد

وكلّ مُقلّص الآراب نَهْد ... تَمِيم الخَلْق من أُخَرٍ وهادى

خُيول لا تُضاعُ إذا أُضِيعتْ ... خيولُ النَّاس فى السَّنة الجَماد

يُنازِعْن الأعِنَّــة مُصْغِيات ... إذا نادَى إلى الفَزَع المُنادى

إذا قالَت لنا النُّذُر استعدُّوا ... تَوَكَّلْنا على رَبّ العِباد

وقُلْنا لَنْ يُفَرّج ما لَقِينا ... سوى ضَرْب القَوانِس والجِهاد

فلم تَرَ عُصبةً فيمن لَقِينا ... مِنَ الأقْوام مِنْ قارٍ وبادِى

أشَــدَّ بسالةً منَّا إذا ما ... أرَدناه وألْــيَنَ فى الوِداد

إذا ما نَحْنُ أشْرَجْنا عليها ... جِيادَ الجُدْل فى الأُرُب الشِّداد

قَذَفْنا فى السَّوابِــغ كلَّ صَقْرٍ ... كريمٍ غَــير مُعْتَلِث الزِّناد

أشَمّ كأنه أســدٌ عَبُوس ... غَــداةَ بدا ببطْنِ الجزع غادى

يُغَشّى هامَةَ البَطل المُذَكَّى ... صَبِيَّ السَّيْف مُسْتَرْخى النِّجاد

لنُظْهِرَ دينَــك اللَّهمّ إنَّا ... بكَفِّكَ فاهْــدِنا سُبُل الرَّشاد

قال ابن هشام بيته :

قَصَرْنا كلّ ذى حُضْر وطَوْل

والبيت الذى يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أشَمّ كأنّه أســـــــد عَبوس

والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارىّ .

مسافع يبكى عمراً فى شعره

قال ابن إسحاق : وقال مُسافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح يبكى عمرو بن عَبْدوُدّ ، ويذكر قَتْل علىّ بن أبى طالب إياه :

عمرُو بن عَبْـدٍ كان أوّل فارس ... جزع المَذاد وكان فارسَ يَلْيل

سَمْحُ الخلائِق ماجِد ذو مِرّةٍ ... يَبْغى القتال بِشِكّةٍ لم يَنْـكُل

ولقد عَلمتم حين وَلّوْا عَنْـكمُ ... أن ابنَ عبـدٍ فيهمُ لم يَعْجَل

حتى تَـكَنَّفه الـكُماةُ وكُلُّهم ... يَبْغى مَقاتله وليس بمُؤْتلى

ولقد تَـكَنّفت الأسنّة فارساً ... بجنوب سَلْع غيرَ نـكْس أمْيل

تَسَلَ النِّزالَ علىّ فارس غالبٍ ... بجنوبِ سَلْع ، لَيته لم ينزل

فاذهبْ علىّ فما ظَفِرْت بمثْله ... فَخْراً ولا لاقيتَ مثلَ المُعْضِل

نَفْسى الفداء لفارسٍ من غالبٍ ... لاقى حِمام الموْت لم يَتَحَلْحَل

أعنى الذى جَزَع المَـذاد بمُهْرِه ... طَلَباً لثأْرِ معاشر لم يَخْذُل

مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو

وقال مُسافع أيضاً يُؤَنِّب فُرسان عَمْرو الذين كانوا معه ، فأجْلَوْا عنه وتركوه :

عمرو بن عبْـد والجيادُ يقودُها — خَيْلٌ تُقاد له وخيلٌ تُنْعَل
أجْلَت فوارسُه وغادر رهْطُه — رُكْناً عَظِيما كان فيها أوَّل
عَجَباً وإن أعْجَبْ فقد أبْصَرته — مَهْما تسومُ عليّ عَمْراً يَنْزِل
لا تَبْعَدَنَّ فقـد أُصِبْتُ بقتْـله — ولَقيتُ قبل الموت أمراً يَثْقُل
وهُبيرة المَسْلوب ولّى مُدْبِراً — عنـد القِتال مخافةً أن يُقتَلُوا
وضرار كأن البأسُ منه مُحْضَراً — ولّى كما ولّى اللَّئيمُ الأعْزَل

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له . وقوله : « عمراً ينزل » عن غير ابن إسحاق .

هبيرة يبكي عمراً ويعتذر من فراره

قال ابن إسحاق : وقال هُبيرة بن أبي وَهْب يعتذر من فراره ، ويبكي عمراً ، ويذكر قتل عليّ إياه :

لَعَمْرِي ما وَلَّيْتُ ظَهْرِي محمداً — وأصحابه جُبْناً ولا خِيفةَ القتْلِ
ولكنَّنِي قلَّبت أمْرِي فلم أجد — لسَيْفِي غَناءً إن ضربتُ ولا نَبْلِي
وقفْت فلمَّا لم أجِـدْ لي مقدَّماً — صَددتُ كضِرغامٍ هِزَبْرٍ أبي شِبْل

ثنى عِطْفَه عن قِرْنه حين لم يَجِد مَكَرًّا وقِدْماً كان ذلك من فِعْلى

فلا تَبْعدن يا عمرو حَيًّا وهالِكاً وحُقّ لِحُسْن المَدْح مثلُك من مثلى

ولا تَبْعَدَن يا عَمْرو حَيًّا وهالِكاً فقد بِنْتَ محمود الثَّنا ماجِد الأصْل

فمَنْ لِطِرَاد الخَيْل تُقْدَع بالقَنا وللفَخْر يوماً عند قَرْقَرة البُزْل

هُنالك لو كان ابنُ عبدٍ لَزَارَها وفَرَّجها حَقًّا فَتى غيرُ ما وَغل

فعَنْك علىّ لا أرى مثلَ موقِفٍ وَقَفْت على نَجْدِ المُقدَّمِ كالفَحْل

فما ظَفِرتْ كفاك فخراً بمثله أمِنْت به ما عِشْت من زلّة النَّعْل

هبيرة يبكى عمراً فى شعره

قال هُبيرة بن أبى وَهْب يبكى عمرو بن عَبْد ودّ ، ويذكر قَتْلَ علىّ إياه :

لقد عَلِمَت عُلْيا لُؤَىّ بن غالب لفارسُها عَمْرو إذا ناب نائِبُ

لفارسها عَمْرو إذا ما يَسومُه علىّ وإنّ اللَّيث لابدّ طالِب

عَشيَّة يَدْعوه علىّ وإنّه لفارسُها إذ خام عنه الكتائب

فيا لَهْف نفسى إنّ عمراً تركتُه بيَثْرِب لا زالت هُناك المصائب

حسان يفتخر بقتل عمرو

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عَبْد وُدّ :

بَقِيّتكم عَمْرو أبَحْناه بالقَنا بيَثْرِبَ نَحْمِى والحُماة قَليل

ونحن قَتَلْناكم بكلّ مُهنَّد ونحنُ وُلاة الحَرْب حين نَصُول

ونحن قتلناكم ببدر فأصبحت معاشركم فى الهالكين تجول

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسّان .

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضاً فى شأن عمرو بن عبد ودّ :

أمسى الفتى عمرو بن عبدٍ يبتغى بجنوب يثرب ثأره لم ينظرِ
فلقد وجدتَ سيوفنا مشهورةً ولقد وجدتَ جيادنا لم تقصرِ
ولقد لقيتَ غداةَ بدرٍ عصبةً ضربوكَ ضرباً غيرَ ضربِ الحُسَّرِ
أصبحتَ لا تُدعَى ليومِ عظيمةٍ يا عمرو أو لجسيمِ أمرٍ منكَرِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسّان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا أبلغ أبا هدم رسولاً مغلغلةً تخبُّ بها المطىّ
أكنتُ وليّكم فى كلّ كُرْهٍ وغيرى فى الرّخاء هو الولىّ
ومنكم شاهدٌ ولقد رآنى رُفعتُ له كما احتُمِل الصّبىّ

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الدّيلى ، ويروى فيها آخرها :

كببتَ الخزرجىَّ على يديه وكان شفاءَ نفسى الخزرجىّ

وتُروى أيضاً لأبى أسامة الجشمىّ .

شعر حسان فى يوم بنى قريظة وبكاء ابن معاذ

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت فى يوم بنى قُريظة يَبْكى سعد ابن مُعاذ ويذكر حُكمه فيهم:

لقد سَجَمت من دَمع عَيْنِى عَبرةٌ وحُقّ لعَيْنِى أن تفيض على سَعْد
قَتِيل ثَوَى فى معركٍ فُجِعتْ بِهِ عُيُونٌ ذوارِى الدّمعِ دائمةُ الوَجْد
على مِلّةِ الرّحمن وارثَ جَنّةٍ مع الشُّهداء وَفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودّعتنا وتركتنا وأمسَيْت فى غَبراء مُظلمة اللّحد
فأنت الذى ياسعد أُبْت بمَشهد كَرِيم وأثواب المكارم والحَمْد
بحُكمك فى حَيّى قُرَيظة بالّذى قَضَى الله فيهم ماقَضَيْت على عَمْد
فوافَق حُكمَ الله حُكمُك فيهمُ ولم تعفُ إذذُكِرْتَ ما كان من عهد
فإن كان رَيْبُ الدهر أمضاك فى الأُلى شَرَوْا هذه الدنيا بجنّاتها الخُلْد
فنِعْم مَصير الصّادقين إذا دُعوا إلى الله يوماً للوَجاهة والقَصْد

شعر حسان فى بكاء ابن معاذ وغيره

وقال حسّان بن ثابت أيضاً، يبكى سعد بن مُعاذ، ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

ألا يالِقومى هَلْ لِما حُمّ دافِع وهل مامَضَى من صالح العيش راجعُ

تذكّرت عصراً قد مضى فتهافتتْ ... بناتُ الحَشى وانهلّ منى المدامع

صَبابة وَجْدٍ ذَكَّرتْنِي أحِبَّةً ... وقَتلى مضى فيها طُفَيل ورَافع

وسَعْدٌ فأضحوا فى الجِنان وأوْحَشَت ... منازلهم فالأرض منهم بلاقع

وَفَوْا يومَ بَدْرٍ للرَّسُولِ وفَوْقَهم ... ظِلالُ المَنايا والسُّيوف اللوامع

دَعا فأجابوه بحقّ وكلُّهم ... مُطيع له فى كلّ أمْرٍ وسامِع

فما نَكَلُوا حتى تَوَلَّوْا جماعةً ... ولا يَقْطَع الآجال إلا المَصارع

لأنهم يرجون منه شفاعةً ... إذا لم يكُنْ إلا النَّبيُّون شافِع

فذلك ياخَيْرَ العِباد بَلاؤُنا ... إجابتُنا لله والموْت ناقِع

لَنا القَدم الأولى إليك وخَلْفُنا ... لأوّلنا فى مِلّةِ اللهِ تابِعُ

ونعْلم أنّ المُلْك لله وَحْدَه ... وأنّ قضاء الله لابدّ واقِع

شعر آخر لحسان فى يوم بنى قريظة

وقال حسّان بن ثابت أيضاً فى يوم بنى قُريظة :

لقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظة ماسَآها ... وما وَجدتْ لِذُلّ مِنْ نَصِير

أصابَهُم بَلاء كان فيه ... سِوى ماقد أصاب بنى النَّضير

غَداةَ أتاهُمُ يَهْوِى إليهم ... رسولُ اللهِ كالقَمَر المُنير

له خَيْلٌ مُجَنَّبة تَعَادَى ... بفرْسان عَلَيها كالصُّقُور

تركْناهم وما ظَفِرُوا بِشَىْءٍ ... دِماؤُهُمُ عليهمْ كالغَدير

فهم صَرْعى تَحُوم الطيرُ فيهم ... كذاك يُدان ذو العَنَد الفَجور

. . . .

فأَنْذِرْ مثلَها نُصْحاً قُرَيْشاً ... مِنَ الرحمن إن قَبِلَت نَذيرى

وقال حسان بن ثابت فى بنى قُريظة :

لقــد لَقِيَتْ قُرَيظةُ ماسَآها ... وحَلّ بِحِصْنِها ذُلٌّ ذَلِيـل

وسَعْد كان أنذرَهم بنُصْح ... بأنّ إلهكم ربٌّ جَليـل

فما بَرِحُوا بنَقْضِ العَهْد حتى ... فَلاهم فى بلادهمُ الرّسول

أحاطَ بحِصْنهم مِنّا صُفُوف ... له من حَرّ وَقْعتهم صَليل

وقال حسان بن ثابت أيضاً فى يوم بنى قُريظة :

تَفاقد مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشاً ... وليس لهم ببَلْدتهم نَصير

هُم أُوتوا الكِتاب فَضَيَّعوه ... وهم عُمْى مِن التَّوْراة بُور

كَفَرتم بالقُران وقد أُتيتُم ... بتَصْديق الذى قال النَّذير

فهان على سَراة بَنى لُؤَىّ ... حَرِيقٌ بالبُوَيرة مُسْتَطير

شعر أبى سفيان فى الرد على حسان

فأجابه أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أدام الله ذلك مِنْ صَنِيع ... وحَرّق فى طَرائقها السَّعير

ستَعْلم أيُّنا منها بِنُزْهٍ ... وتعلم أىُّ أرضَيْنا تَضِير

فلو كان النَّخيل بها رِكاباً ... لقالوا لا مُقام لكم فسيروا

شعر ابن جوال فى الرد على حسان

وأجابه جَبل بن جوّال الثعلبي أيضاً، وبكى النَّضير وقُريظة، فقال:

ألا ياسَعْدُ سَعْدَ بنى مُعاذ ... لما لقِيَتْ قُريظة والنَّضيرُ
لعَمْرك إنّ سَعْد بنى مُعاذ ... غَداة تحمَّلوا لهو الصَّبُور
فأما الخزْرَجىّ أبُو حُباب ... فقـالَ لقَيْنُقاع لاتَسِيرُا
وبُدّلت الموَالى مِنْ حُضَير ... أسَيْداً والدّوائرُ قَدْ تدُور
وأقفَرتِ البُوَيْرة من سَلام ... وسَعْية وابن أخْطب فهى بُور
وقد كانوا ببَـلْدتهم ثِقالا ... كما ثقُلت بمَيْطان الصُّخور
فإنْ يَهْلك أبو حَكَم سَلام ... فلا رَثُّ السِّلاح ولا دَثُور
وكلّ الـكاهنَيْن وكان فيهم ... مع اللِّين الخضارمة الصُّقُور
وجَدْنا المَجْد قد ثبتُوا عليه ... بمَجْـد لا تُغَيِّبه البُدور
أقيموا ياسراةَ الأوْس فيها ... كأنّكم من المَخْزاة عُور
ترَكتم قِدْركم لاشىء فيها ... وقدْر القَوْم حامية تَفُور

مقتل سلام بن أبى الحقيق

الخزرج يستأذنون فى قتل ابن أبى الحقيق

قال ابن إسحاق: ولمّا انقضى شأن الخندق، وأمْر بنى قُريظة، وكان سلاّم بن أبى الُحقيق، وهو أبو رافع فيمن حَزّب الأحزابَ على رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوسُ قبل أُحُد قد قَتلت كعبَ بن الأشرف ، في عَداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرَجُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في قَتْل سلام بن أبي الحُقَيْقِ ، وهو بخَيْبَر ، فأذِن لهم .

التنافس بين الأوس والخزرج في عمل الخير

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مُسلم بن شهاب الزهري ، عن عبد الله ابن كَعْب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الأنصار والأوس، والخزرج، كانا يَتصاوَلان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصاوُلَ الفَحْلين ، لاتصنع الأوسُ شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَناء إلا قالت الخزرج : والله لاتذهبون بهذه فَضْلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ؛ وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوسُ كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرجُ : والله لاتذهبون بها فَضْلا علينا أبداً ؛ قال : فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العَداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحُقيق ، وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم .

قصة الذين خرجوا لقتل ابن أبى الحقيق

فخرج إليه من الخزرج من بنى سَلِمة خمسةُ نَفَرٍ : عبد الله بن عَتِيك ، ومسعود بن سِنان ، وعبد الله بن أُنَيْس ، وأبو قَتادَة الحارث بن رِبْعِى ، وخُزَاعى بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمَّر عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن عَتِيك ، ونهاهم عن أن يَقْتُلوا وليداً أو امْرَأَةً ، فخرجوا حتى إذا قَدِموا خَيْبر ، أتَوْا دارَ ابن أبى الحُقَيْقِ ليلا ، فلم يَدَعوا بيتاً فى الدار إلا أغْلَقوه على أهْله . قال : وكان فى عِلِّيَّةٍ له إليها عَجَلَةٌ قال : فأسْنَدُوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجتْ إليهم امرأتُه ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناسٌ من العرب نلتمس المِيرَة . قالت : ذاكم صاحبُكم ، فادْخلوا عليه ، قال : فلما دَخَلْنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرةَ ، تخوّفاً أن تكون دونه مُجاوَلَةٌ تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فنوّهت بنا وابتَدَرْناه ، وهو على فراشه بأسْيافنا ، فوالله ما يدلنا عليه فى سَواد الليل إلا بياضُه كأنه قُبْطِيَّة مُلْقَاةٌ . قال : ولما صاحت بنا امرأتُه ، جعل الرجل منا يرفع عليها سَيْفَه ، ثم يذكر نَهْىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكفّ يدَه ، ولولا ذلك لفرغنا منها بلَيْل . قال : فلما ضربناه بأسْيافنا تحامَل عليه عبدُ الله ابن أُنَيْسٍ بسَيْفه فى بَطْنه حتى أنفَذَه ، وهو يقول : قَطْنِى قَطْنِى : أى حَسْبى حَسْبى . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عَتِيك رجلا سيىء البصر ، قال : فوقع من الدَّرجة فوثِئَتْ يده وَثْئاً شديداً — ويقال : رِجله ، فيما قال ابن هشام — وحملناه حتى نأتى به مَنْهَراً من عيونهم ، فندخل فيه . قال :

فأوقدوا النيران ، واشتدّوا فى كلّ وجه يَطلبوننا ، قال : حتى إذا يئسوا رَجعوا إلى صاحبهم ، فاكتنفوه وهو يَقضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأنّ عدوّ الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطَلق حتى دَخل فى الناس . قال : فوجدتُ امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المِصْباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعتُ صوتَ ابن عَتيك ، ثم أكذبتُ نفسى وقلت : أنّى ابن عَتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت : فاظ وإلهِ يهود، فما سمعتُ من كلمة كانت ألذّ إلى نفسى منها . قال: ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلّنا يدّعيه . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هاتُوا أسيافكم ، قال : فجئناه بها ، فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قَتله ، أرى فيه أثر الطعام .

شعر حسان فى قتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قَتْل كَعْب بن الأشرف ، وقتل سلاّم بن أبى الُحقَيق :

لِلهِ دَرُّ عِصابَةٍ لاقيتَهم يابنَ الُحقَيق وأنت يابن الأشرف
يَسْرون بالبيض الخِفاف إليكمُ مَرَحًا كأسْدٍ فى عَرِينٍ مُغْرِفِ
حتى أتَوْكم فى محلّ بلادِكم فسَقَوْكمُ حَتفًا ببيض ذُفّفِ
مُسْتَبْصرين لنَصْر دِينِ نَبيِّهم مُسْتَصغرين لكُلّ أمْرٍ مُجْحِف

قال ابن هشام : قوله : « ذُفّف » ، عن غير ابن إسحاق .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

عمرو وصحبه عند النجاشي

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيدُ بن أبي حَبيب ، عن راشد مَوْلى حبيب بن أبي أوْسٍ الثقفي ، عن حَبيب بن أبي أوْس الثّقفي ، قال : حدثني عمرو بن العاص مِنْ فِيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخَنْدق جمعتُ رجالا من قُريش ، كانوا يَرون رأيي ، ويَسْمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمرَ محمد يعلو الأمور عُلُوًّا مُنْكَراً ، وإني قد رأيت أمراً ، فما تَرَوْن فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نَلْحق بالنَّجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدَيْ محمد ؛ وإن ظهر قومُنا فنحن مَن قد عَرَفوا ، فلن يَأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأيُ . قلت : فاجمعوا لنا ما نُهْديه له ، وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدَمُ . فجمعنا له أدَماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قَدِمْنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عَمْرو بن أُميَّة الضَّمْرى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جَعْفَر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أُميَّة الضَّمْري ، لو قد دخلتُ على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت

ذلك رأت قُريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسولَ محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقى ، أهديتَ إلىّ من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ؛ قال : ثم قرّبته إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إنى قد رأيتُ رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصابَ من أشرافنا وخيارنا ؛ قال : فغضب ، ثم مدّ يده فضرب بها أنفَه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقَّت لى الأرضُ لدخلت فيها فَرَقاً منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ؛ قال : أتسألنى أن أعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه النّاموسُ الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطِعنى واتَّبعه ، فإنه والله لعَلى الحقّ ، وليَظْهَرَنَّ على مَنْ خالَفَهُ ، كما ظهر موسى على فِرْعونَ وجُنوده ؛ قال : قلت : أفتُبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبَسط يَده ، فبايعتُه : على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابى إسلامى .

اجتماع عمرو مع خالد فى الطريق

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُسلم ، فلقيتُ خالدَ ابن الوليد ، وذلك قُبيل الفتح ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سُليمان؟ قال : والله لقد استقام المِيسَمُ ، وإن الرجل لنبىّ ، أذهبُ والله فأسلم ، فحتى

متى ؛ قال : قلت : والله ماجئتُ إلا لأسلم . قال : فقدِمنا المدينـــة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوتُ، فقلت : يارسول الله ، إنى أبايعك على أن يُغفَر لى ما تقدّم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ياعمرو ، بايعْ ، فإن الإسلام يَجُبُّ ما كان قَبله ، وإن الهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها ؛ قال: فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلام يَحُتُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تَحُتُّ ما كان قبلها .

إسلام ابن طلحة

قال ابن إسحاق ، وحدثنى من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبى طَلْحة كان معهما ، حين أسْلما .

شعر ابن الزبعرى فى إسلام ابن طلحة وخالد

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزِّبَعْرَى السَّهْمى :

أَنْشُدُ عُثمان بن طَلْحَة حِلْفَنا ... ومُلْقَى نِعال القَوْم عند المُقبَّلِ

وما عَقَد الآباء مِنْ كُلّ حِلْفه ... وما خالدٌ مِنْ مِثْلها بمُحَلَّلِ

أمِفتاحَ بيتٍ غيرِ بيتِك تَبْتَغِى ... وما يُبْتَغَى من مَجْدِ بيتٍ مُؤَثَّلِ

فَلا تأمَنَنَّ خالِداً بعْد هـــذه ... وعثمانُ جاء بالدُّهَيم المُعَضِّلِ

وكان فَتح بنى قُريظة فى ذى القَعدة وصَدْر ذى الحجَّة ، وولى تلك الحجَّة المُشركون .

غزوة بنى لحيان

« بسم الله الرحمن الرحيم » قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجّة والمحرّم وصفراً وشهرَىْ ربيع ، وخرج فى جُمادى الأولى على رأس ستّة أشهر من فَتح قُريظة . إلى بنى لِحْيانَ يَطلب بأصحاب الرَّجيع : خُبيب بن عدىّ وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشامَ ، ليُصيب من القوْم غِرّة .

فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم ، واستَعْمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم ، فيما قال ابنُ هشام .

قال ابن إسحاق : فسلك على غُراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على مَحيص ، ثم على البَتْراء ، ثم صَفّق ذاتَ اليَسار ، فخرج على بِيْن ، ثم على صُخَيْرات اليَمام ، ثم استقام به الطريقُ على المحجَّة من طريق مكةَ ، فأغذ السير سريعاً ، حتى نزل على غُرَان ، وهى منازل بنى لِحْيانِ ، وغُرَان وادٍ بين أَمَج وعُسْفان ، إلى بلد يقال له : ساية ، فوجدهم قد حَذِروا وتمنّعوا فى رءوس الجبال . فلما نزلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غِرّتهم ما أراد ، قال : لو أنا هَبَطنا عُسفان لرأى أهلُ مكّة أنّا قد جئنا مكة ، فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان ، ثم بعث فارسَيْن من أصحابه حتى بلغا كُراع الغَميم ، ثم كرّ وراح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعاً : آيبون تائبون إن شاء الله لربِّنا حامدون ، أعوذ بالله من وَعْثاء السَّفر ، وكآبة المُنْقَلب ، وسوء المَنْظر فى الأهل والمال .

والحديث فى غَزْوة بنى لِحْيان ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك فى غَزْوة بنى لِحْيان .

لو أنَّ بنى لِحْيانَ كانُوا تَناظَرُوا ... لَقُوا عُصَباً فى دارِهم ذاتَ مَصْدَقِ

لَقُوا سَرَعاناً يَمْلأ السَّرْبَ رَوْعُه ... أمامَ طَحُونٍ كالمَجَرَّةِ فَيْلَقِ

ولكنَّهم كانُوا وِباراً تَتَبَّعَتْ ... شِعابَ حِجازٍ غير ذى مُتَنَفَّقِ

فصل فى أشعار يوم الخندق

شعر ضرار

ذكر فيها شِعْرَ ضِرَارِ بن الخَطَّابِ :

على الأبطالِ والْيَلَبِ الحَصِينا

الْيَلَبُ : التِّرَسَةُ ، وقيل : الدَّرَقُ ، وقيل : بَيْضَاتٌ ودُرُوعٌ[1] كانت تُتَّخَذُ من جُلود الإبلِ ، ويشهد لهذا قولُ حَبيب :

---

(١) ترسة جمع ترس وكل ماسبق من أدوات الحرب من أول الترسة .

. . . .

هذه الأَسِنَّةُ والماذِيُّ[1] قد كَثرُا فلا الصَّيَاصِى لها قَدْرٌ ولا الْيَلَبُ

أى لا حاجة بعد وُجُود الدُّرُوعِ الماذِيَّة إلى اليَلَبِ ، وبعد الأسِنَّة إلى الصياصى ، وهى القُرُونُ ، وكانت أسِنَّتُهم منها فى الجاهلية[2]. قال الشاعر :

يُهَزْهِزُ صَعْدَةً جَرْدَاءَ فيها نَقِيعُ السُّمِّ أو قَرْنٌ مَحِيقُ

شعر كعب :

وذكر فى شعر كعب :

فَكُنْتُم تحتها مُتَكَمِّهينا

متفعلين من الكَمَهِ وهو العَمَى ، والأظهر فى الأكْمَهِ أنه الذى يولد أعمى ، وقد قيل فيه : إنه الذى لا يُبْصِر بالليل شيئاً ، ذكر هذا القول البخارى فى التفسير .

من شعر حسان حول أسماء الله :

وفيه قوله :

وجُنُودِ رَبِّك سَيِّدِ الأرْبابِ

فيه شاهد لمن زَعَم أن السَّيِّدَ من أسماء الله ، وقد كره أكثر

---

(١) السلاح كله من الحديد .

(٢) فى اللسان : وربما كانت تركب فى الرماح مكان الأسنة .

. . . .

العلماء أن يقال فى الدعاء : ياسيِّدى ، وأجازه بعضهم ، واحتج بحديث ليس إسْنَادُه بالقَوِىِّ أن النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له رجل : ياسَيِّد ، فقال : السَّيِّد الله .

وأما مذهبُ القاضى فى مثل هذا من الأسْماء التى يُرَاد بها المدحُ والتعظيمُ فذِكرُ الله به جائزٌ مالم يَرِدْ نَهْىٌ عنه ، أو تُجْمِعُ الأُمَّةُ على تَرْك الدعاء به ، كما أجمعوا ألَّا يُسَمَّى بفقيهٍ ، ولا عاقل ولا سَخِىٍّ ، وإن كان فى ذلك مدح .

قال المؤلف : والذى أقول فى السيد : إنه اسمٌ يُعْتَبَر بالإضافة، لأنه فى أصل الوضع بعضُ ما أضيف إليه. تقول : فلان سَيِّدُ قيسٍ ، إذا كان واحداً منهم، ولا يقال : فى قَيْسٍ هو سَيِّدُ تميم، لأنه ليس واحداً منهم ، فكذلك لا يقال فى الله تعالى هو سَيِّد الناس ، ولا سَيِّد الملائكة ، وإنما يقال : رَبُّهم فإذا قلت : سَيِّد الأرباب ، وسَيِّد الكُرَماء ، جاز، لأن معناه أكرمُ الكرماء ، وأعظم الأرباب ، ثم يُشْتَقُّ له من اسم الرَّبِّ فيوصفُ بالرُّبُوبِيَّة ولا يُوصَف بالسُّودَدِ ، لأنه ليس باسم له على الإطلاق ، وقد جاء فى شِعْرِ حَسَّانَ الذى يَرْثِى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

ياذا الجلالِ وذَا العلا والسُّودَدِ

يصف الربَّ ، ولكن لاتقوم الحجةُ فى إطلاق هذه الأسماء إلا أنْ يَسْمَعها الرسولُ عليه السلام فلا يُنْكِرها ، كما سَمِع شِعْرَ كعب، فلم يُنْكِره ، وإنما

. . . .

بوصف على الوجه الذى قدمناه، وعلى المعنى الذى بيناه(١).

من شعر كعب:

وقول كعب:

بَيْضَاء مُشْرِفَةُ الذُّرَى ومَعَاطِنَا

(١) هذا كلام له وزنه العظيم. وممن أبدع وأجاد فى هذا الإمام ابن القيم فى بدائع الفوائد فا قرأ ما كتبه فى ص ١٦٤ ح ١ بدائع الفوائد. ومما قاله: اختلف النظار فى الأسماء التى تطلق على الله وعلى العباد. كالحى والسميع والبصير والعليم والقدير والملك ونحوها. فقالت طائفة من المتكلمين: هى حقيقة فى العبد مجاز فى الرب. وهذا قول غلاة الجهمية وهو أخبث الأقوال، وأشدها فسادا.

والثانى مقابله: وهو أنها حقيقة فى الرب مجاز فى العبد، وهو قول أبى العباس الناشىء.

والثالث: أنها حقيقة فيهما، وهذا قول أهل السنة وهو الصواب، واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما، والرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به، ص ١٦٤. ثم يقول: «له من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص، فله من صفة الإدراكات: العليم الخبير دون العاقل الفقيه، والسميع والبصير دون السامع والباصر والناظر، ومن صفات الإحسان: البر الرحيم الودود دون الرفيق والشفوق ونحوهما، وكذلك العلى العظيم دون الرفيع الشريف، وكذلك الكريم دون السخى. والخالق البارىء المصور دون الفاعل الصانع المشكل. والغفور العفو دون الصفوح الساتر. وكذلك سائر أسمائه تعالى يجرى على نفسه منها أكملها وأحسنها. وما لا يقوم غيره مقامه. فتأمل ذلك. فأسماؤه أحسن الأسماء. كما أن صفاته أكمل الصفات. فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره. كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه. ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون» أنظر صفحتى ١٦٤، ١٦٨ من المصدر المذكور.

. . . .

يعنى : الآطامَ ، وقوله : مَعَاطِنا يعنى : منابِتَ النَّخلِ عند الماء شَبَّهها بمعاطن الإبل، وهى مبارِكُها عند الماء .

وقوله: حُمَّ الجُذُوع ، وصَفَها بالحُمَّةِ ، وهى السَّواد ، لأنها تضرب إلى السَّوادِ ، من الخُضرة والنَّعْمـــة ، وشَبَّه ما يُجْتَنَى منها بالخَبِ ، فقال : غَزِيرةُ الأحْلَاب .

وقوله : كاللُّوبِ، اللُّوبُ: جَمْع لُوبةٍ، واللَّابُ جَمْع لَابَةٍ وهى الحَرَّة ، يقال مابين لابَتَيْها مثل فلان ، ولا يقال ذلك فى كُلِّ بلد ، فقد قال شَبِيبُ بن شَيْبَة لرجل نسبه إلى التصحيف فى حديث السَّقْطِ . إنه يَظَلُّ مُحْبَنْطِئاً على باب الجنة ، فقال له : شَبيب : بالظَّاء منقوطة ، فقال الرجل : أخطأت ، إنما هو بالطاء. قال الراجز:

إنى إذا[1] اسْتَنشدت لا أَحْبَنْطِى ولا أُحِبُّ كَثْرَةَ التَّمَطِّى

فقال له شبيب : أَتَلْحَنِّنى وما بين لابَتَيْها أفصحُ منى ، فقال له الرجل : وهذه لَحْنة أُخرى،أوَ للبَصْرَة لابَتان ؟ ! إنما اللابتَان للمدينة والكُوفة .

---

(١) فى اللسان غير منسوب : أنشدت ومحبنطىء بالهمز وتركه : المتغضب المستبطىء للشىء .وقيل: هو الممتنع امتناع طلبة لا امتناع إباء . النهاية لابن الأثير . وفى اللسان أن الحرة أعظم من اللوبة . ويرى سيبويه أن اللوب جمع لابة مثل قارة وقور . ومثلها ساح وسوح .

. . . .

وقوله : يُبْسَلُ جمّها وحَفِيلُها ، أى : الكثير منها ، والمُنْتابُ : الزائر مُفتَعِلٌ من نَابَ يَنُوبُ إذا ألَمّ .

وقوله : ونَزائعاً مثل السَّراج ، يعنى : الخيل العربية ، التى نُزِعَتْ من الأعداء .

وقوله : مثل السَّراج بالجيم ، كذا وقع فى الأصل ، أى كل واحد منها كالسرج ، ووقع فى الحاشية بالحاء ، وفسره فقال : جمع سِرْحَان ، وهو الذِّئْبُ ، وهذا الجمع إنما جاز على تقدير حذف الزائدتين من الاسم وهى الألف والنون ، ولو جمعه على لفظه ، لقال : سَرَاحين .

وقوله : وَجِزّة المِقْضَابِ المِقْضابُ : مَزْرَعَة ، وجِزّتُها ما يُجَزّ منها للخيل .

وقوله عرى الشَّوَى منها ، يعنى القوائم . والنَّحْضُ : اللحم . والآراب : المَفاصِلُ ، واحدها إرْبٌ ، وفى الحديث أُمِرْتُ أن أسْجُدَ على سَبْعَةِ آراب .

وقوله : قوداً ، أى طوالَ الأعْناقِ ، والضِّراء : الكلاب الضَّارِيَة ، وفى الحديث : إن قَيْساً ضِرَاء الله فى الأرض ، أى أُسْدُه الضَّارِيَةُ . والكَلّاب : جمع كالب ، وهو صاحِبُ الكلاب ، الذى يصيد بها .

وقوله : عُبْسُ اللقاء : جمع عَبُوس .

وقوله : دُخْسَ البَضِيعِ . البَضِيعُ : اللَّحْمُ المستطيل ، والدَّخِيسُ من اللحم : الكثير .

وقوله : خفيفة الأقصاب ، يعنى : جمع قُصْبٍ وهو المِعَى .

. . . .

الجزّار قصّاباً ، وقوله يَعْدُون بالزَّغْف ، أى : بالدروع .

وقوله: شَكُّه: حِلَقه ونَسْجُه ،وقوله :

وبمُتْرَصَاتٍ فى الثِّقافِ صِيابِ

المُتْرصَاتُ: المُحْكَمةُ ، يعنى الرماحَ المُثقَّفةَ .

وقوله : نَزَعَ الصَّياقِلُ عَلْبها ، أى : جُسْأتَها وخُشُونَةَ دَرْنها ، يقال عَلِب اللحْم إذا لم يكن رَخْصاً ، وعَلَبَ[1] النّبات إذا جَسَأ .

وقوله : بمارنٍ مُتقارِبٍ . المارِنُ : اللّيِّنُ ، ووقيعتُه : صَقْلُه ، وخَبابُ : اسم صَيْقلٍ .

وقوله : وأغرَّ أزْرَقَ ، يعنى الرمحَ ، وطُخْية الظلماء ، أى : شدتها ، وطَخَاء القَلْب : ظُلْمَتُه ، ومنه قوله عليه السلام فى السَّفَرْجَلِ : إنه يذهب بطَخَاء القَلْب .

وقول كعب :

جاءت سَخِينَةُ كى تُغالِبَ ربَّها

كان هذا الاسمُ مما سُمِّيَتْ به قُرَيْشٌ قديماً ، ذكروا أن قُصَيًّا كان إذا

---

(١) هى فى نسخ أخرى بالغين وقد فسرها أبو ذر بقوله : علبها : خشونتها وما علا عليها من الصدأ . وليس فى اللسان ما قال . وإنما فيه مادة علب ومعناها كما قال السهيلى .

. . . .

ذُبِحت ذبيحةٌ أو نُحِرَت نَحِيرةٌ بمكة أتى بعَجُزِها، فصنع منه خَزِيرَةً، وهو لحم يُطْبَخُ بِبُرٍّ فيُطْعِمه الناسَ، فسميت قُرَيْشٌ بها سَخِينَة. وقيل: إن العربَ كانوا إذا أَسْنَتُوا أكلوا العِلْهِزَ، وهو الوَبَر والدَّم، وتأكل قريشٌ الخَزِيرَة والفَتَّة[1] فنَفِسَتْ عليهم ذلك فَلَقَّبُوهم: سَخِينَةً، ولم تكن قريش تَكْرَه هذا اللقبَ، ولو كرهته ما استجاز كعبٌ أن يذكره، ورسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — منهم، ولتركه أدباً مع النبي عليه السلامُ، إذ كان قُرَشِيًّا، ولقد استنشد عبدُ الملك بن مَرْوَان ما قاله الهوازِنيُّ في قريش:

يا شَدَّةً ما شَدَدْنَا غَيْرَ كاذبةٍ   على سَخِينةَ لولا الليلُ والحَرَمُ[2]

فقال: مازاد هذا على أن استثنى، ولم يكره سماعَ التلقيب بِسَخِينَةٍ، فدل هذا على أن هذا اللقبَ لم يكن مكروهاً عندهم، ولا كان فيه تعبيرٌ لهم بشيء يكره.

شعر آخر لكعب:

وفي شعر كعب أيضاً: مَنْ سرَّه ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بعضُه. المَعْمَعَةُ: صَوْتُ النار فيما عَظُم وكَثُفَ من الشَّعْراء والقَصْباء ونحوها، والكَاحِبَةُ صوتُها

(١) الفتة. الكتلة من التمر.

(٢) قاله خداش بن زهير العامرى بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة العامرى، شهد حنينا مع المشركين، وله فى ذلك شعر منه هذا البيت و الإصابة رقم ٢٣٢٣، وقيل: قالها فى حرب الفجار كما فى الأغانى أنظر ص ١٨ و ١٩ ح ٣ البيان والتبيين للجاحظ.

. . . .

فيما دَقَّ كالسِّراج ونحوه ، والقَطْمَطَةُ : صوتُ الغَليان ، وكذلك الغَرْغَرةُ والجَعْجَعَةُ صوت الرحى ، والدَّرْدَبةُ صوت الطبل .

وقوله : الأَباء ، هو القَصَب واحدتها أباءة ، والهمزة الآخرة فيها بدل من ياء، قاله ابن جنى ، لأنه عنده من الأباية ، كأن القصب يأبى على من أراده بِمَضْغٍ أو نحوه ، ويشهد لما قاله ابنُ جنى قولُ الشاعر [بشر بن أبى خازم] :

يراه الناسُ أَخْضَرَ من بعيد وتمنعه المرارةُ والإباءُ[1]

وقوله : فليأت مَأْسَدَةً ، هى الأرض الكثيرة الأسد ، وكذلك المَسْبَعة الأرض الكثيرة السِّباع ، ويجوز أن يكون مأسدة جمع أسد كما قالوا مَشْيَخَة ومَفْلَجَة، حكى سيبويه مَشْيَخة ومَشْيُوخاء ، ومَفْلَجة ومَفْلُوجاء ، وألفيت أيضاً فى النبات مَسْلُوماء[2] لجماعة السَّلَم ومَشْيُوحاء[3] للشِّيح بالحاء ، المهملة، الكثير .

---

(١) البيت لبشر بن أبى خازم ، وقد زدت الاسم فى الأصل من اللسان والأمالى وسمط اللآلى . وقبل البيت :

فياعجبـا عجبت لآل لأم فليس لهم إذا عقدوا وفاء
سأقذف نحـوهم بمشنعات لها من بعد هلكهم بقاء
فانكم ومدحكم بجيرا أبا لجأ كما امتدح الألاء
يراه الناس أخضر من بعيد وتمنعه المرارة والإباء

والألاء شجر حسن المنظر مر المطعم . انظر ص ٢٢ ج ٢ الأمالى ط ٢ ، ص ٦٦٥ سمط اللآلى .

(٢) فى الأصل مسلوقاء . وفى اللسان : أرض مسلوماء كثيرة السلم .

(٣) فى اللسان : المشيوحاء : الأرض التى تنبت الشيح يقصر ويمد ، وقال أبو حنيفة : إذا كثر نباته بمكان قيل : هذه مشيوحاء .

. . . .

وقوله تَسُنُّ سُيوفَها ، بنصب الفاء ، وهو الأصح عند القاضى أبى الوليد ، ووقع فى الأصلِ عند أبى بحر : تَسَنُّ سيوفُها بالرفع ، ومعنى الرواية الأولى : تَسُن أى : تَصْقِل ، ومعنى الرواية الثانية أى : تُسَنُّ للأبطال ، ولمن بعدها من من الرجال سنَّةَ الجُرْأَةِ والإقدام .

وقوله فى وصف الدِّرْع :

جَدْلاء يَحفزُها نِجادُ مُهَنَّدِ

جَدْلاء من الجَدْلِ ، وهو قُوَّةُ الفَتْلِ ، ومنه الأجْدَلُ للصَّقْرِ ، وفى هذا البيت دليلٌ على قوة امتناع الصرف فى أَجْدَل ، وأنه من باب أفعلَ الذى مُؤَنَّثه فَعْلاء ، ومَنْ صَرَفه شَبَّهه بأَرْنب وأَفْكَل ، وهو أضعف الوجهين ، وإن كانوا قد قالوا فى جمعه : أجادل مثل أَرَانِب فقد قالوا أيضاً الأجارِع والأباطح فى جمع أَجْرَع وأَبْطَح ، ولكنهم لا يَصرِفُونهما من حيث قالوا فى المؤنث بَطْحاء وجَرْعاء ، وكذلك القول فى أَبْرق وبَرْقاء .

وقوله : يَحفِزُها نِجادُ مُهَنَّدِ ، كقول [أبى قيس] ابن الأَسْلَتِ فى وصف الدِّرع :

أَحْفِزُها عَنِّى بذِى رَوْنَقٍ أبيضَ مثلِ المِلحِ قَطَّاعِ

وذلك أن الدِّرْعَ إذا طالت فُضُولُها حَفَزُوها ، أى شَمَّرُوها فَرَبُطوها بنِجاد السَّيْفِ .

وقوله : تلكم مع التقوى تكون لباسنا

من أجود الكلام : وأملح الالتفاتات ، لأنه قول انتزعه من قول الله

. . . .

تعالى : ﴿ ولِباسُ التقوى ذلك خير ﴾ الأعراف : ٢٦ . وقال الشاعر :

إنِّى كأنى أرى مَنْ لا وَفَاءَ له ولا أمانة وَسْطَ القوم عُرْيَانَا

وموضع الإجادة والإحسان من قول كعب أنه جعل لباسَ الدِّرعِ تَبَعاً للباس التَّقْوَى ، لأن حرف مَعَ تعطى فى الكلام أن ما بعده هو المتبوع ، وليس بتابع ، وقد احتجَّ الصِّدِّيقُ على الأنصار يوم السَّقيفة بأن قال لهم أنتم الذين آمنوا ، ونحن الصادقون ، وإنما أمركم اللهُ أن تكونوا معنا فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتَّقُوا الله ، وكونوا مع الصادقين ﴾ التوبة : ١١٩ . والصادقون هم المهاجرون . قال الله تعالى : ﴿ للفُقَراء المُهَاجِرين ﴾ إلى قوله ﴿ أولئك هُمُ الصَّادِقُون ﴾ الحشر : ٨ .

حكم بله وما بعدها :

وقوله بَلْهَ الأكُفِّ ، بخفض الأكُفِّ هو الوجه ، وقد رُوِى بالنصب ، لأنه مفعول ، أى : دع الأكُفَّ ، فهذا كما تقول : رُوَيْد زَيْدٍ ، ورويد زَيْدَ . بلا تنوين مع النصب ، وبَلْه كلمةٌ بمعنى دَعْ ، وهى من المصادر المضافة إلى ما بعدها وهى عندى من لفظ البله والتَّباله ، وهو من الغَفْلة ، لأن من غَفَل عن الشىء تركه ، ولم يَسْأَل عنه ، وكذلك قوله : بَلْه الأكُفِّ ، أى لا تَسْأَل عن الأكُفِّ إذا كانت الجماجمُ ضاحية مُقَطَّعَةً ، وفى الحديث : يقول الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أُذُنٌ سمعت ، بَلْه ما أَطْلَعْتُهم عليه .

وقوله : بفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ ، أى : كَتِيبَةٍ مجموعة . وقوله : كَقَصْدِ رأسٍ

المَشرِق ، الصحيح فيه : ما رواه ابن هشام عن أبي زيد : كرأس قُدْسِ المَشْرِق ، لأن قُـدْس جَبَلٌ معروفٌ من ناحية المشرق .

وقوله :

عند الهياج أسُود طلٍّ مُلْثِق

الطلّ معروف ، والمُلْثِق ما يكون عن الطّلّ من زَلَقٍ وطِين ، والأسد أجْوَع ما تكون وأجرأ في ذلك الحين .

قصيدة كعب العينية :

وقوله في العَيْنِيَّةِ :

أضاميمُ من قَيسِ بن عَيْلان أصْفَقَتْ

واحد الأضاميم : إضمامة ، وهو كل شيء مجتمع يُقَال : إضمامَةٌ من الناس وإضمامَة من كُتُبٍ .

قيس عيلان وقيس كبة :

وقوله : من قَيْسِ بن عَيْلان ، هو المشهور عند أهل النسب ، وبعضهم يقول : إن قَيْساً هو عَيْلَانُ لا ابنه ، قال : وعُرِف قَيْسُ بن عَيْلَان بفَرَسٍ ، كان له يسمى : عَيْلَاناً ، كما عُرِف قَيْسُ كُبَّةَ من بَجِيلَةَ بفَرَسٍ اسمه : كُبَّة ، وكان هو وقيسُ عَيْلانُ مُتَجَاوِرَيْنِ ، فكان إذا ذُكر أحدهم وقيل أي القيسين هو ، قيل قيس عيلان أو قيس كُبَّة ، وقيل : إن عَيْلَانَ

. . . .

اسمُ كلبٍ ، كان له ، وقيل : عَيْلان اسمُ جَبَلٍ وُلِدَ عنده ، وقيل اسمُ غلام لمُضَر كان حَضَنَه ، وقيل كان جواداً أتْلَفَ مالَه فأدركته عَيْلَة فسُمّى عَيْلَان ، ومما يُحْتَجُّ به للقولِ الآخرِ قولُ رُؤْبة :

وقَيْسَ عَيْلَانَ ومن تَقَيَّسا[1]

شعر كعب فى الخنزر :

وقوله فى الدالية : وما بَيْنَ العُرَيْضِ إلى الصِّمَادِ . العُرَيْضُ : موضع ، والصِّمادُ : جمع صَمْدٍ ، وهو ماغلظ من الأرض .

وقوله : نَواضِحُ فى الُحروبِ . يعنى : حدائق نَخْلٍ تُسْقَى بالنَّضْح . وأراد

---

(١) قال ابن برى : الرجز للعجاج ، وليس لرؤبة ، وصواب إنشائه : وقيس بالنصب ، لأن قبله : وإن دعوت من تميم أرؤسا . وجواب إن فى البيت الثالث : تقاعس العزبنا فاقعنسسا .

أقول : ولم أجد الرجز فى ديوان رؤبة . ولم ينسبه ابن قتيبة إلى أحد فى أدب الكاتب . وقال عن صيغة تفعلت إنها تأتى بمعنى إدخالك نفسك فى أمر حتى تضاف إليه ، أو تصير من أهله مثل تقيست . ومعناه ـ كما يقول الجواليقى فى شرح أدب الكاتب : تقيس : أدخل نفسه فى القيسيين ، وانتسب إليهم . وقد سبق الكلام عن قيس ، واسمه الناس بن مضر ، وكان الناس متلافا ، وكان إذا نفد ما عنده أتى أخاه الياس ، فيناصفه ماله أحيانا ، ويواسيه أحيانا . فلما طال ذلك عليه ، وأتاه كما كان يأتيه ، قال له الياس : غلبت عليك العيلة ، فأنت عيلان . فسمى لذلك عيلان . ويقول الجواليقى : وليس فى الأسماء عيلان بعين غير معجمة غيره .

. . . .

بالخُوصِ آباراً ، وإنما جعل البئر خَوْصاً لأن العَيْنَ الخَوْصاء هى الغائرة ، وجمعها خُوصٌ ، فعيونُ الماء فى الآبار كذلك غائرة .

وأنشد أبو عُبَيْد فى وصف الإبل :

مُخَيِّسةً بُزْلاً كأن عُيونَها عيونُ الرَّكايا أنكَزَتْها المَوَاتِح[(١)]

وقوله : يَزْخَر المُرَّارُ فيها . المُرَّارُ : اسم نهر .

وقوله :

كأن الغابَ والبَرْدِىَّ فيها أجَشُّ إذا تَبَقَّع للحَصادِ

يريد : صوتَ حَفيفِ الريح ، كصوت الأجَشِّ ، وهو الأبَحُّ ، وقد يوصف النباتُ أيضاً بالغُنَّةِ من أجل حَفيفِ الريح فيه ، فيقال : رَوْضَةٌ غَنَّاء ، وقد قيل إنما ذلك من أجل صوت الذُّبابِ الذى يكون فيه ، قاله أبو حنيفة .

وقوله : تَبَقَّع للحصاد ، أى : صارت فيه بُقَعٌ بِيضٌ من اليُبْسِ ، يقال للزرع إذا صار كذلك : ارْقاطَّ ، واسْحامَّ واسْحارَّ[(٢)] ، وإذا أخذ السُّنبلُ الحَبَّ قيل : ألحم وأسْفَى من السَّفَى ، وأشَعَّ من الشَّعاع بفتح الشين وكسرها ، وهو السَّفى ، ويقال أسْبَل الزَّرعُ من السَّبَل ، كما يقال : بَعيرٌ حَظِلٌ وأحظلَ المكانُ من الحَنْظَل ، وهى لغة أهلِ الحجازِ ، وبنو تميم يقولون : سَبَل ، وأما هَمْدانُ

---

(١) سبق البيت ، وفى الأصل : أنكرتها . والصواب ما أثبته . والرواية :
على حميريات كأن عيونها عيون الركايا أنكزتها المواتح

(٢) اسحام واسحار ليستا فى اللسان والقاموس .

. . . .

فيسمون السُّنْبُلَ سُبُولاً ، والواحدة سَبُولَة[1] فقياس لغتهم أن يقال أسبلت ،
وإنما فَخَرت الأنصارُ فى هذا الشعر والذى قبله بنَخْلِها وآطامِها ، إشارةً إلى
عِزِّها ومَنَعَتِها ، وأنها لم تُغْلَب على بلادها على قديم الدهر ، كما أُجْلِيَتْ أكثرُ
الأعاريبِ عن محالها ، وأزعجها الخوفُ عن مواطنها ، وهذا المعنى أراد حسان
فى قوله :

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حول قبر أبيهم   قبر ابن مارِيَةَ الكريم المُفْضِلِ

لأن إقامتهم حول قبور آبائهم وأجدادهم دليلٌ على مَنَعَتِهِمْ ، وألاّ
مُغالِبَ لهم على ما تخيروه من بقاع الأرضِ ، وآثروه عند ارتيادهم .

وقوله :

أَثَرْنَا سِكَّةَ الأنباطِ فيها

السِّكة : النخل المُصطفُّ ، أى حَرَثْنَاهَا وغَرَسْنَاها ، كما تفعل الأَنْبَاطُ
فى أمصارها لا تخاف عليها كَيْدَ كائدٍ ، وإياها أراد النبيُّ صلى الله عليه وسلم
بقوله : خير المال سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ . والسِّكَّة أيضاً : السِّنَّةُ ، وهى الحديدة التى
يَشُقُّ بها الفَدَّانُ[2] الأرضَ ، ويقال لها أيضاً : المَانُ ، وهو تفسير الأصمعىِّ ،
وفسره أبو عُبَيْدٍ على المعنى الآخر ، وأنها النَّخْلُ ، ويقال أيضاً أُبِيثَتْ الأرضُ
فى معنى أُثِيرت ، قاله أبو حنيفة ، ويروى فى الحماسة :

---

(١) أنظر مادة سبل فى اللسان ففيها تفصيل .

(٢) الفدان : الثور أو الثوران يقرن للحرث بينهما ، ولا يقال للواحد
فدان ، أو هو الثورين .

. . . .

هَلُمَّ إليها قد أُبِيثَتْ زروعُها

أى أُثِيرَتْ . وفى الغريب المصنف :

يَحِقُّ بنى شِغَارَةَ أنْ يقولوا لِصَخْرِ الغَيِّ ماذا تَسْتَبِيثُ[1]

وغلط أبو عُبَيْد [القاسم بن سلاّم] فجعل تَسْتَبِيثُ من نَبِيثَة[2] البئر ، وهو ترابها ؛ ولو كان كذلك لقال تَسْتَنْبِيثُ بنون قبل الباء .

وقوله : جَلْهَاتِ وادٍ

الجَلْهَاتُ من الوادى ما كشفت عنه السُّيولُ الشَّعراء فأبرزته ، وهو من الجَلَهِ وهو انحِسَارُ الشَّعرِ عن مُقدَّم الرأس .

وقوله : صَفْرَاء الجَرَادِ ، وهى الخَيْفَانَةُ منها ، وهى التى ألقَتْ سُرُأَها ، أى بيضها ، وهى أخفُّ طَيَرَاناً ، والكُتفان[3] من الجراد أكبرُ من الخَيْفَانِ ،

---

(١) البيت فى اللسان : لحق وشمارة وهو منسوب إلى أبى المثلم الهذلى ، وقد عزاه أبو عبيدة سهواً إلى صخر الغى . وقد علق ابن سيدة فى خطبة كتابه بما قصد به الوضع من أبى عبيد القاسم بن سلام فى استشهاده بقول الهذلى المذكور على النبيثة التى هى كناسة البئر ، فقال : هيهات الأروى من النعام الأربد ، وأين سهيل من الفرقد . لأن النبيثة من نبث أما تستبيث فن بوث أو بيث . انظر مادة بوث وبيث ونبث فى اللسان .

(٢) فى الأصل بالتاء المفتوحة وهو خطأ .

(٣) فى الأصل كثفان وهى كتفان بالتاء لابالثاء وهو الجراد بعد الغوغاء ، وقيل هو كتفان إذا بدا حجم أجنحته ورأيت موضعه شاخصاً وإن مسسته وجدت حجمه ، واحدته : كتفانة ، وقيل واحده : كاتف ، والأنثى كاتفة . =

. . . .

وأول أمر الجراد دُودٌ ويقال له : الغمص[1] يلقيه بحرُ اليمَن ، وله علامَةٌ قبل خروجه ، وهو برْق يلمع من ذلك البحر سَبْعَ عشْرَةَ مرَّةً ، فيعلمون بخروج الجَرادِ ، قاله أبو حَنيفة .

وقوله : غير مُعْتَلِثِ الزِّنادِ

الزناد المُعْتَلِثُ : هو الذى لايدرى من أى عُودٍ هو ، وأصل الاعتلاثِ الاختِلاطُ : يقال عَلَثْتُ الطعامَ إذا خلطت حِنطَةً بشعيرٍ ، والعُلاثَة : الزَّنْدُ الذى لايُورِى ناراً .

مقتل ابن أبى الحقيق

ذكر فيه النفر الخمسة الذين قتلوه ، وسماهم ، وذكر فيهم ابن عُقْبَةَ أسعد ابن حَرَام ، ولا يُعْرَفُ أحدٌ ذكره غيره .

قطنى وقد ونحوه الوقاية :

وذكر فى الحديث : قَطْنِي قَطْنِي ، قال معناه : حَسْبِي حَسْبِي .

= وقال أبو منصور : سماعى من العرب فى الكتفان من الجراد التى ظهرت أجنحتها ولما تطر بعد . والخيفانة : الجرادة إذا صارت فيها خطوط مختلفة بياض وصفرة والجمع : خيفان ، وقال اللحيانى : الخيفان : جراد اختلفت فيه الألوان والجراد حينئذ أطير مايكون ، وقيل الجراد قبل أن تستوى أجنحته .

(١) لم أجده لافى اللسان ولا فى القاموس ، ولا فى معجم ابن فارس . وفى الإفصاح — وهو مختصر المخصص لابن سيدة — السروة : الجراد أول ما يكون ، والدبا : أكبر من السروة وذلك إذا تحرك قبل أن تنبت أجنحته الواحدة : دباة . السلقة : الجرادة التى ألقت بيضها الخ .

. . . .

قال المؤلف : وهذه الكلمة أصلها من القطّ ، وهو القطع ، ثم خُفِّفَتْ وأُجْرِيَتْ مَجْرى الحرف ، وكذلك قَدْ بمعنى قَطْ هي أيضاً من القدِّ ، وهو القطع طُولا ، والقطُّ بالطاء هو القطع عَرْضاً ، يقال : إن علياً — رحمه الله — كان إذا استعلى الفارسَ قَدَّه ، وإذا استعرضه قَطَّه ، ولما كان الشيء الكافي الذي لايحتاج معه إلى غيره يدعو إلى قطع الطّلَبِ ، وترك المزيد جعلوا قَدْ وقَطْ تُشْعِر بهذا المعنى ، فإذا ذكرت نفسك قلت : قَدِي وقَطِي ، كما تقول : حَسْبِي ، وإن شئت ألحقتَ نوناً ، فقلت : قَدْنِي ، وذلك من أجل سكون آخرها فكرِهُوا تحريكه من أجل الياء ، كما كرهوا تحريك آخر الفعل ، فقالوا ضَرَبَنِي ، وكذلك كرهوا تحريك آخر ليت فقالوا لَيْتَنِي ، وقد يقولون : لَيْتِي وهو قليل ، وقالوا لَعَلِّي ولَعَلِّي ، وقالوا من : لَدُنِّي فأدخلوها على الياء المخفوضة بالظرف كما أدخلوها على الياء المخفوضة بِمِنْ وعَنْ ، فعلوا هذا وِقَايَةً لأواخر هذه الكلم من الخفض وخصُّوا النون بهذا ؛ لأنها إذا كانت تنويناً في آخر الاسم ، آذنت بامتناع الإضافة ، وكذلك في هذه المواطن التي سَمَّيْنَا تُشْعِر بامتناعها من الخفض ، وتُشْعِر في الفعل والحروف بامتناعها من الإضافة أيضاً ؛ لأنَّ الحرفَ لا يُضَافُ ، وكذلك الفعلُ مع أنَّ النونَ من علاماتِ الإضمارِ في فعلنا ، وفعلنا في ضميرِ المفعولِ ، فأما قَدْ وقَطْ فاسمان ، وكذلك لَدُنْ ، ولكن كرهوا تحريك أواخرها لشبهها بالحروف . فإن قيل : فما مَوْضِعُ نِي من قوله قَطْنِي ؟ قلنا : موضعُها خفضٌ بالإضافة ، كما هي في لَدُنِّي . فإن قلت : كيف تكون ضمير المفعول والمنصوبِ في ضَرَبَنِي وليتَنِي ، ثم تقول إنها في موضع خفض ؟ قلنا : الضميرُ في الحقيقة هي الياء وحدها في الخفض والنصب ،

. . . .

كما أن الكافَ والهاء كذلك ، وقد قالوا : منِّي وعنِّي ، وهو ضمير خَفْضٍ ، وفيه النونُ ، وقالوا ليتي ولعلِّي ، وهو ضميرُ نَصْبٍ وليس فيه نونٌ فإن. قيل : فما موضع الاسم من الإعراب إذا قلت : قَطِي وقَدِي ؟ قلنا : إعرابهما كإعراب حَسْبِي مُبْتَدأ وخبرُه محذوفٌ ، وإنما لزم حذفُ خبره لما دخله من معنى الأمر ، ومن هذا الباب قول جَهنَّمَ أعاذنا اللهُ منها : قَطِي وعِزَّتِكَ قَطِي . ويروى : قَطْنِي ، وذلك بعد قولها : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، فإذا وضعت فيها القدمُ ، وزُوِي بعضُها إلى بَعْضٍ ، قالت : قَطْنِي[1] . وقد جمع الشاعر بين اللغتين ، فقال :

قَدْنِيَ من نَصرِ الخُبَيْبَين قَدِي[2]

---

(١) في حديث صحيح : « لاتزال جهنم يلقى فيها . وتقول هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض ، فتقول : قط ، قط بعزتك وكرمك ، ولايزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقا ، فيسكنهم فضل الجنة » متفق عليه بين البخاري ومسلم . وفي حديث آخر متفق عليه بينهما . « فأما النار ، فلا تمتلىء حتى يضع الله رجله تقول : قط قط قط » وثبوت صحة النص يفوض علينا الإيمان بمقتضاه ، الإيمان الذي يقتبس نور الهدى من قوله سبحانه : (ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير) فلله جل شأنه ما يخبر به عن نفسه ، وما يخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم دون تمثيل أو تشبيه أو تأويل أو تعطيل .

(٢) الرجز من شواهد سيبويه في الكتاب ، وقد أنشده ص ٣٨٧ جـ ١ تحت : « باب علامة إضمار المنصوب المتكلم والمجرور المتكلم » البيت عنده :

قدني من نصر الخبيبين قدى ليس الإمام بالشحيح الملحد =

. . . .

فهذا ما في قطّ التي هي بمعنى حَسْبِي ، فأما قَطُّ المبنيةُ على الضم ، فهي ظَرْفٌ لِمَا مضى ، وهي تقال بالتخفيف والتثقيل ، وهي من القَطِّ أيضاً الذي بمعنى القطع ، وفي مقابلتها في المستقبل : عَوْض مافعلته قَطُّ ، ولا أفعله عَوْضُ[1] مثل قَبْلُ وبَعْدُ .

= وأراد بالخبيبين : عبد الله بن الزبير وكنيته أبو خبيب ، ومصعباً أخاه وغلبه عليه لشهرته ، ويروى الخبيبين على الجمع يريد أبا خبيب وشيعته .

والرجز لم ينسبه سيبويه ، وهو لحميد بن مالك بن ربعى الارقط يعرض بابن الزبير ويمدح الحجاج . وقد الثانية تأكيد لقدنى مبنى على الكسر في محل رفع مرفوع بضمة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم ، وهى مضاف إليه . وقد روى أبو على القالى رجزه هكذا :

ليس الامير بالشحيح الملحد ولا بوبر بالحجاز مقرد

إن ير يوماً بالفضاء يصطبر أو ينحجر فالحجر شر محكد

ويروى البكرى فى السمط قبلهما :

قلت لعنسى ، وهى عجلى تعتدى لا نوم حتى تحسرى وتلهدى

أو تردى حوض أبى محمد ليس الأمير . . . الخ

وقد أورد اللسان الشطرة الأولى فى مادة قد غير منسوبة وفى مادة لحد إلى حميد وقال ابن ثور . أنظر ص ١٧ جـ ٢ ط ٢ الأمالى للقالى وسمط اللآلى للبكرى ص ٩٤٩ ، ص ٤٧٤ ، ص ٢١ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوى وشرح الشواهد أيضاً للشيخ قطة العدوى ص ١٠١ جـ ١ شرح ابن عقيل بشرح الشيخ محي الدين .

(١) يقول ابن هشام فى مغنى اللبيب ، عوض ظرف لاستغراق المستقبل مثل أبدا ، إلا أنه مختص بالنفى ، وهو معرب إن أضيف كقولهم : لا أفعله عوض العائضين ، مبنى إن لم يضف ، وبناؤه إما على الضم كقبل ، أو على الكسر كأمس ، أو على الفتح كأين ، وسمى الزمان عوضاً ، لأنه كلما مضى جزء منه =

. . . .

إسلام عمرو بن العاصى وخالد بن الوليد رحمة الله عليهما(١)

روينا من طريق أبى بكر الخطيب بإسنادٍ يرفعه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يقدم عليكم الليلةَ رجلٌ حكيم ، فقدِم عَمرو بن العاصِ مُهَاجِراً ، ذكر فيه اجتماعَه مع خالد فى الطريق وقول خالد له : والله لقد استقام الْمِيسَمُ . من رواه الْمِيسَمُ بالياء ، فهى العَلامة ، أى قد تَبَيّن الأمرُ واستقامت الدلَالَة ، ومن رواه المَنْسَمُ بفتح الميمُ وبالنون ، فمعناه : استقام الطريقُ ووجَبَت الهجرة ، والمَنْسِمُ مُقدّم خُفِّ البعير ، وكُنّى به عن الطريق للتوجه به فيه .

وذكر الزُّبَيْرُ خبرَ عمْرٍو هذا ، وزاد فيه:أن عثمانَ بن طَلْحَةَ بن أبى طَلْحَةَ صَحِبَهُما فى تلك الطريق ، فلما قَدِموا على النبى صلى الله عليه وسلم ، قال عمرو: وكنت أسَنّ منهما،فأردت أن أكيدَهما،فَقَدّمْتُهما قَبْلِى للبيعة،فبايعا ، واشترطا أن يُغْفَرَ مِنْ ذَنبِهما ما تقدّم ، فأضمرْت فى نفسى أن أُبايِعَ على أن يغفرَ اللهُ من ذنبى ماتقدّم وما تأخر ، فلما بايعتُ ذكرتُ ماتقدّم من ذنبى وأُنْسِيتُ أن أقول وما تأخر .

= عوضه جزء آخر ، تقول : عوض لا أفارقك ، كما تقول : قط ما فارقتك . ولا تقول : عوض ما فارقتك ولا : قط لا أفارقك .

(١) يقول ابن كثير : كان إسلامهم بعد الحديبية . وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ فى خيل المشركين ص ١٤٢ ح ٤ البداية والنهاية .

. . . .

ما قاله الضمرى للنجاشى :

وذكر فيه قدوم عَمْرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِى على النَّجَاشِىّ بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فى الكتاب ما تكلم به عَمْرو بن أُميَّة ، فإنه لما قدم عليه قال له : يا أَصْحَمَةُ إن علىَّ القولَ وعليك الاستماع إنك كأنَّك فى الرِّقَّة علينا مِنّا ، وكأنّا بالثِّقَةِ بك منك لأنا لم نَظُن بك خَيْراً قطُّ إلاَّ نِلْناه ، ولم نخَفْكَ على شَىْء قَطُّ إلا أَمِنّاهُ ، وقد أخذنا الحجة عليك مِنْ فيك ألا يحُيل بَيْننا وبَيْنَكَ شاهدٌ لايُرَدُّ ، وَقاضٍ لايجُور ، وفى ذلك وَقْعُ الحَزِّ وإصابةُ المَفْصِل ، وإلاَّ فأنت فى هذا النبىِّ الأُمِّىِّ كاليهودِ فى عيسى ابن مَرْيم ، وقد فرق النبى عليه السلام رسله إلى الناس فَرجاكَ لما لم يَرْجُهُمْ له ، وأَمِنَكَ على ماخافهم عليه لخيرٍ سالفٍ وأجْرٍ يُنْتَظَر ، فقال النجاشى : أشهد بالله أنه النبىُّ الأُمِّىُّ الذى ينتظره أهلُ الكتابِ ، وأن بِشارَةَ موسى براكبِ الحِمارِ كبِشارَة عيسى براكب الجَمَل ، وإن العِيانَ له ليس بأشْفَى من الخبر عنه ، ولكن أعوانى من الحَبَشِ قليلٌ فأَنظِرْنى حتى أُكَثِّر الأعوانَ وأُلَيِّن القلوبَ ، وسنذكر فيما بعد — إن شاء الله — ما قالته أَرْسالُ النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى الملوك ، وما رَدَّت عليها .

الرسل إلى الملوك :

فإن دِحْية كان رسولَه إلى قَيْصرَ ، وخارجةَ بن حُذافَة كان رسولَه إلى كِسْرَى ، وشُجاعَ بن وَهْبٍ إلى جَبَلَة بن الأَيْهَم الغَسَّانى ، وسَلِيطَ بن عَمْرو إلى هَوْذَةَ بن عَلِىٍّ الحنفى صاحبِ اليمامة ، والعَلاءَ بن الحَضْرَمِىِّ إلى المنذر

. . . .

ابن ساوى [مَلِكِ البَحْرَيْن] والمُهَاجِرَ بن أبى أُمَيَّةَ إلى الحارث بن عَبْد كُلَالٍ ، وعَمْرو بن العاصِى إلى الْجُلُنْدِى[1] صاحب عُمَانَ ، وحاطِبَ بن أبى بَلْتَعَةَ إلى الْمُقَوْقِسِ صاحب مِصْرَ ، وعَمْرو بن أُمَيَّةَ إلى النجاشى كما تقدم ، ولكل واحد منهم كلام قاله ، وشعر نظَمه سنذكره بعد إن شاء الله .

السمهرية :

فصل : وما وقع فى أشعار السِّيرَةِ من ذكر السَّمْهَرِيَّة من الرماح ، فمنسوبة إلى سَمْهَرٍ وكان صِنْعاً فيما زعموا يصنع الرِّمَاح ، وكانت امرأته رُدَيْنَةَ تبيعها ، فقيل للرماح : الرُّدَيْنِيَّة لذلك ، وأما الماسِخِيُّ من القِسِىِّ فمَنْسُوبَة إلى ماسِخَة ، واسمه نُبَيْشَةُ بن الحارث أحد بنى نَصْر بن الأَزْدِ ، وقال الجَعْدِىُّ :

بِعِيسٍ تَعَطَّفُ أَعْنَاقَها كما عَطَّفَ الْمَاسِخِيُّ القِيانَا

وقد تنسب القسى أيضاً إلى زارة وهى امرأة ماسخة . قال صخر الغَىِّ :

سَمْحَةٍ من قِسِىِّ زَارَةَ حَمْـــرَاءَ هَتُوفٍ عِدادُها غَرِدُ[2]

من كتاب النبات للدِّينَوَرِى ، والْيَزَنِيَّةُ منسوبة إلى عُبَيْدِ الطَّعَّان ، وهو المعروف بَيَزَنَ[3] بن هَمَاذِى ، والْمَاذِيَّةُ منسوبة إلى مَاذِى بن يافثَ

---

(١) فى القاموس : جلنداء بضم أوله . وفتح ثانيه ممدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان ، ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه .

(٢) فى الأصل زرارة وهو خطأ ، والعداد : صوت القوس .

(٣) قال ابن جنى : ذويزن غير مصروف ، أصله و . . يزأن بدليل قولهم : =

. . . .

ابن نُوحٍ ، قاله الطبرى ، وزعم أن أول من عمل السيوف جم وهو رابع ملوك الأرضِ .

غزوة بنى لحيان

ليس فيها ما يُشْكِل ، وفيها من شعر حسان[1] .

لَقُوا سَرَعَانًا يملأ السَّرْبَ رَوْعُه

سَرَعَانُ الناس: سُبَّاقُهم ، والسَّرْبُ : المال الرَّاعى ، كأنه جَمْعُ سَارِبٍ ، ويقال : هو آمن فى سَرْبه إذا لم يُذْعَر ، ولا خاف على ماله من الغارة ، ومن قال فى سِرْبه بكسر السين ، فهو مَثَلٌ ، لأن السِّرْبَ هو القطيع من الوَحْشِ والطير ، فمعنى : آمن فى سِرْبه ، أى لم يُذعر هو نفسُه ولا ذُعِر أهلُه ، ولهذا المعنى أشار من قال من أهل اللغة : معنى فى سربه أى: فى نفسه لم يُرِدْ أنَّ النفسَ يقال لها : سِرْبٌ وإنما أراد أنه لم يُذعَر هو ولا مَنْ مَعَهُ . لا كالآخر الذى تقدم ذكره ، وقيل فيه آمن فى سَرْبه بفتح السين ، فكان الواحد آمن فى ماله ؛ والآخرُ آمنُ فى نفسه ، ويقال : فى سَرْبه ، أى : فى طريقه أيضاً[2] .

وقوله :

أمامَ طَحُونٍ كالمَجَرَّةِ فَيْلَقِ

=رمح يزأنى وأزأنى ، وقالوا أيضاً : أيزنى ووزنه عيفلى ، وقالوا آزنى ووزنه عافلى . وسميت يزينة لأن أول من عملت له ذويزن .

(١) هو سهو من السهيلى فالشعر لكعب بن مالك .

(٢) أنظر مادة سرب فى اللسان .

. . . .

يعنى : كتيبةً ، جعلها كالمَجَرَّة لِلمَعانِ السُّيوفِ والأَسِنَّة فيها كالنُّجوم حَوْلَ المجرة ، لأن النجوم ـ وأكثر ما تكون ـ حولها ، وقد قيل : إن المَجَرَّةَ نفسها نجومٌ صِغارٌ متلاصقة ، فبياضُ المجرةِ من بياضِ تلك النجوم ، وقد رُوى فى حديث منقطع : أن المجرة التى فى السماء هى من لُعابِ حَيَّةٍ تحتَ العَرْشِ[1] ، وفى حديثِ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ أن النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين بعثه إلى اليمن قال له : إنك ستَقْدم على قوم يَسْأَلُونَكَ عن المَجَرَّةِ ، فقل لهم : هى من عَرَق الأفعى التى تحت العرش ، لكن إسناد هذا الحديث ضعيف عند أهل النقل لا يُعرَّج عليه ، ذكره العقيلى ، وعن علىٍّ أنها شَرَجُ السماء الذى تنشق منه ، وأما قول المُنجِّمين غير الإسلاميين فى معنى المجرة ، فذكر لهم القاضى فى النقض الكبير نحواً من عَشَرةِ أقوال وأكثر ، منها ما يُجوِّزه العقل ، ومنها ماهو شِبْهُ الهَذَيانِ ، والله أعلم .

ويجوز أن يكون قوله كالمجرة ، أى أثر هذه الكتيبةِ الطَّحُون كأثر المجرة تَقْشِر ما مرَّت عليه ، وتَكْنُسه . والفَيْلَقُ : فَيْعَلٌ من الفِلْقِ وهى الداهية ، كأنها تَفْلِق القلوبَ ، وهى الفِلْقَة[2] أيضاً . قال ابن أحمر :

---

(١) هذا الحديث ومثله يبين لنا مدى احتدام شهوة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفوس الوضاعين ومدى الجهالة التى تردى فيها الكثير من المسلمين إذ يعيش بينهم مثل هذا الافتراء حتى يكتب فى كتب !!

(٢) الذى فى اللسان الفلق والفليق والفليقة والمفلقة والفيلق والفلق كله : الداهية والأمر العجب .

غزوة ذى قَرَد

ثم قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يُقِم بها إلا ليالى قلائلَ ، حتى أغار عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بدر الفَزَارِى ، فى خَيْل من غَطَفَان على لِقاح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجلٌ من بنى غِفار وامرأة له ، فقتلوا الرجلَ ، واحتملوا المرأة فى اللِّقاح .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومَنْ لا أتَّهِم ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، كلٌّ قد حدَّث فى غزوة ذى قَرَد بعض الحديث : أنه كان أوَّل من نَذِر بهم سَلَمة بن عمرو بن الأكْوع الأسْلمىّ ، غدا يريد الغابة متوشِّحاً قَوْسه ونَبْله ، ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبيدالله معه فَرَس له يقوده ، حتى إذا علا ثَنِيَّة الوَداع نظرَ إلى بعض خُيُولهم ، فأشرف فى ناحية سَلْع ، ثم صرخ : واصباحاه ، ثم خرج يَشْتَدّ فى آثار القوم ،

قد طَرَّقَتْ بِبِكْرِها أمُّ طَبَقْ   فذبروه خَبَراً ضَخْم العُنُقْ

فقيل : وما ذاك ؟ قال :

مَوْتُ الإمام فِلْقَةٌ من الفِلَقْ(١)

---

(١) قاله لما نعى إليه المنصور ، ورواية الشطرة الثانية فى اللسان هكذا : فذمروها وهمة . ويقال للدواهى بنات طبق ، ويروى أن أصلها الحية أى أنها استدارت حتى صارت مثل الطبق .

وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردّهم بالنبل ، ويقول إذا رمى :
خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضَّع ، فإذا وُجِّهت الخيلُ نحوه انطلق
هاربًا ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرَّمْى رمى ، ثم قال : خُذْها وأنا ابن الأكوع ،
اليوم يوم الرُّضّع ، قال . فيقول قائلهم : أوَيْكِعُنا هو أوّل النهار .

تسابق الفرسان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

قال : وبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صِياحُ ابن الأكوع ، فصرخ
بالمدينة : الفَزَع الفَزَع ، فترامت الخيولُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أوّل من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان :
المِقْداد بن عمرو ، وهو الذى يُقال له : المِقْداد بن الأسود ، حليف بنى زُهرة ؛
ثم كان أوّلَ فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المِقْداد من الأنصار ،
عبّاد بن بشر بن وقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء ، أحد بنى عَبْدِ الأشهل ، وسَعْد
ابن زيد ، أحد بنى كَعْب بن عبد الأشهل ، وأُسَيْد بن ظُهَيْر ، أخو بنى حارثة
ابن الحارث ، يُشكّ فيه ، وعُكّاشة بن مِحْصَن ، أخو بنى أسَد بن خزيمة ؛
ومُحْرِز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، وأبو قَتادة الحارث بن رِبْعِيّ ،
أخو بنى سَلِمة ؛ وأبو عَيّاش ، وهو عُبيد بن زيد بن الصّامت ، أخو بنى
زُرَيق . فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّرَ عليهم سعدَ بن
زَيْد فيما بَلَغنى ، ثم قال : اخرُج فى طَلَب القوم ، حتى ألحقك فى الناس .

نصيحة الرسول لأبى عياش

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى عن رجال من بنى

زُريق ، لأبى عيَّاش : يا أبا عياش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلا ، هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عيَّاش : فقلت : يارسول الله ، أنا أفرس الناس ، ثم ضربتُ الفرس ، فوالله ماجرَى بى خمسين ذراعاً حتى طَرحنى ، فعجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أعطيته أفرس منك ، وأنا أقول : أنا أفرس الناس ، فزعم رجالٌ من بنى زُريق أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطَى فرس أبى عيَّاش مُعاذ بن ماعص ، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدة ، وكان ثامناً ، وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أُسيدَ ابن ظُهير ، أخا بنى حارثة ، والله أعلم أىّ ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ فارساً ، وقد كان أوّل من لحق بالقوم على رِجْليه . فخرج الفرسانُ فى طلب القوم حتى تلاحقوا .

مقتل محرز بن نضلة

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنّ أوّل فارس لحق بالقوم مُحرِزُ بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خُزَيمة — وكان يُقال لمحرز : الأخرَم ؛ ويقال له قُمَير — وأن الفزع لما كان جال فرسٌ لمحمود بن مَسْلمة فى الحائط ، حين سَمِع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صَنِيعاً جامّاً ، فقال نساء من نِساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرسَ يجول فى الحائط بجِذْع نخل هو مَرْبوط فيه : ياقُمَير ، هل لك فى أن تركب هذا الفَرسَ ؟ فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعْطَينَه إياه . فخرج عليه ، فلم يلبث أنَ بذّ الخيل بجمَامِه ، حتى أدرك القومَ ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال :

قِفُوا يامعشر بنى اللَّـكِيعة حتى يلحق بكم مَنْ وَرَاءكم من أدْبارِكم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجلٌ منهم فقتله ، وجال الفرس ، فلم يَقْدر عليه حتى وقف على آرِيِّهِ من بنى عَبْد الأشهل ، فلم يُقتل من المسلمين غيره .

قال ابن هشام : وقُتل يومئذ من المسلمين مع مُحرز ، وَقَّاص بن مُجزِّز المُدْلجىّ ، فيما ذَكر غير واحد من أهل العلم .

أسماء أفراس المسلمين

قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللِّمَّة .

قال ابن هشام : وكان اسم فرس سَعْد بن زيد : لاحِق ، واسم فرس المِقْداد بَعْزَجَة ، ويقال : سَبْحَة ، واسم فرس عُكَّاشة بن مِحْصن : ذو اللِّمَّة ، واسم فرس أبى قَتادة : حَزْوة ، وفرس عَبَّاد بن بِشْر : لَمَّاع ، وفرس أُسَيد بن ظُهير : مَسْنُون ، وفرس أبى عَيَّاش : جُلْوة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ من لا أتهم عن عبد الله بن كَعْب بن مالك : أنّ مُجَزّزاً إنما كان على فَرس لعُكاشة بن مِحْصن ، يقال له : الجَناح ، فقُتل مُجَزّز واستُلبت الجَناح .

قتلى المشركين

ولما تلاحقت الخيل قَتل أبو قتادة الحارث بن رِبْعى ، أخو بنى سَلِمة ، حبيبَ بن عُيينة بن حِصْن ، وغشّاه بُرْده ، ثم لحق بالناس .

وأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابنُ هِشَامٍ : واستعمل على المدينة ابن أُمّ مَكْتوم .

قال ابن إسحاق : فإذا حَبيب مُسَجًّى ببُرْدِ أبي قَتَادَةَ ، فاسترْجع الناسُ وقالوا : قُتِل أبو قَتادة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قَتادة ، ولكنه قَتيل لأبي قَتادة ، وضَع عليه بُرْدَه ، لتَعْرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عُكَّاشة بنُ مِحْصن أوْباراً وابنه عَمْرو بن أوْبار ، وهما على بَعير واحد ، فانتَظَمهما بالرُّمْح ، فقَتلهما جميعاً ، واستَنْقذوا بعضَ اللِّقاح ، وسار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نَزل بالجبل من ذي قَرَد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوماً وليلة ؛ وقال له سلمة ابن الأَكْوع : يارسول الله ، لو سرّحْتنى في مائة رجل لاستنقذتُ بقيَّة السَّرح ، وأخذت بأعْناق القوم ؟ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : إنهم الآن ليُغْبَقُون في غَطَفان .

تقسيم الفيء بين المسلمين

فقَسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل جَزُوراً ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قَدِم المدينة .

امرأة الغفاري وما نذرت مع الرسول

وأقبلت امرأةالغِفاريّ على ناقة من إبل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبرَ ، فلما فرغت ، قالت : يارسول الله ، إني قد نَذَرت لله أن أنحرها إنْ نجَّانى الله عليها ؛ قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بئس ما جَزَيْتِها أن حملك اللهُ عليها ونجّاك بها ثم تنحرينها ! إنّه لانَذْر فى مَعْصية الله ولا فيما لا تَمْلِكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، فارجعى إلى أهلك على بركة الله .

والحديث عن امرأة الغفاريّ وماقالت ، وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبى الزبير المكّيّ ، عن الحسن بن أبى الحسن البَصْريّ .

شعر حسان فى ذى قرد

وكان مما قيل من الشِّعر فى يوم ذى قَرَد قولُ حسّان بن ثابت :

لولا الذى لاقتْ ومَسّ نُسُورَها ... بجَنوب سايَةَ أمسِ فى التَّقْوادِ

لَلَقِينكم يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ... حامِى الحَقيقة ماجِدِ الأجْداد

ولَسَرّ أوْلادَ اللَّقيطَةِ أنّنا ... سِلْمٌ غَداةَ فَوارسِ المِقْداد

كُنّا ثَمانِيةً وكانُوا جَحْفَلاً ... لَجِباً فشُكُّوا بالرِّماح بَدَاد

كُنّا مِن القَوْمِ الذين يَلُونَهم ... ويُقَدِّمون عِنانَ كُلّ جَواد

كلا وربّ الرّاقصات إلى مِنًى ... يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأطْوَاد

حتى نُبيل الخيل فى عَرَصاتكم ونؤوب بالملكات والأولاد

رَهْواً بكلّ مُقلّص وطِمرّة فى كلّ مُعترك عَطَفن رَوادِى

أفنَى دوابرَها ولاحَ مُتونَها يومٌ تُقاد به ويومُ طِرَاد

فكذاك إنّ جيادَنا مَلْبُونةٌ والحربُ مُشْعَلة بريح غَواد

وسُيوفنا بيضُ الحدائد تَجتلى جُنَنَ الحديد وهامَةَ المُرْتاد

أخَذَ الإلهُ عليهمُ لحرامه ولعزّة الرحمن بالأسْداد

كانوا بدارِ ناعمين فبُدّلوا أيّامَ ذى قَرَد وُجُوهَ عِباد

غضب سعد على حسان ومحاولة حسان استرضاءه

قال ابن هشام : فلمّا قالها حسّان غَضِب عليه سعدُ بن زيد ، وحَلف أن لا يكلّمه أبداً ، قال : انطلَق إلى خَيْلى وفوارسى فجعلها للمقداد ! فاعتذر إليه حسّان وقال : والله ماذاك أردتُ ، ولكن الرويّ وافق اسمَ المِقْداد ، وقال أبياتاً يُرضى بها سعداً :

إذا أردْتُم الأشَدّ الجَلْدا أو ذا غَناء فعليكم سَعْدا

سَعْد بن زَيْد لا يُهَدّ هَدّا

فلم يقبل منه سعد ولم يُغْن شيئاً .

شعر آخر لحسان فى يوم ذى قرد

وقال حسّان بن ثابت فى يوم ذى قَرَد :

أظَنَّ عُيَيْنَـــةُ إذْ زَارها بأن سوفَ يَهْـدِم فيها قُصورا

فأكْذبْتَ ما كنتَ صَدَّقته وقُلتم سَنَغْنَم أمْراً كَبيراً

فَعِفْتَ المَدِينَـــةَ إذْ زُرتَها وآنَسْتَ للاسْد فيها زَئيرا

فوَلَّوْا سِرَاعاً كشَدِّ النَّعام ولم يكشفوا عن مُلِطٍّ حَصيرا

أميرٌ علينــا رسُولُ المَليك أحْبِب بذاكَ إلينا أميرا

رسُولٌ نُصَـــدِّقُ ما جاءه ويَتْلو كتاباً مضيئاً مُنيراً

شعر كعب في يوم ذي قرد

وقال كعب بن مالك في يوم ذِي قَرَد للفوارس :

أيحسَبُ أولادُ اللَّقِيطةِ أنَّنا على الخَيْل لسنا مِثلهم في الفوارِسِ

وإنَّا أُناسٌ لانرى القَتل سُبَّة ولا نَنْثني عند الرِّماح المَداعِسِ

وإنَّا لنَقْرِى الضَّيف من قَمَع الذُّرا ونَضرب رأسَ الأبْلخ المَتشاوِسِ

نَرُدُّ كُماة المُعْلَمِين إذا انتخَوْا بضرْب يُسَلِّي نَخْوة المُتقاعِسِ

بكلِّ فتًى حامى الحقيقة ماجِـدٍ كريمٍ كسِرْحان الغَضاة مُخالِسِ

يَذُودون عن أحْسابهم وتِلادِهم ببِيضٍ تَقُدُّ الهامَ تحت القَوانِسِ

فسائِلْ بَنِي بَدْر إذا ما لَقِيتَهم بِمَا فَعَل الإخوانُ يَوْمَ التَّمارُسِ

إذا ماخَرَجتم فاصدُقوا مَن لَقيتُمُ ولا تَكْتُموا أخبارَكم في المَجالِسِ

وقُولُوا زَلِلْنا عن مَخالب خادر به وَحَرٌ في الصَّدْر مالم يُمارِسِ

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « وإنّا لنَقْرِى الضَّيف » أبو زيد .

. . . .

شعر شداد لعيينة

قال ابن إسحاق : وقال شدّاد بن عارض الجُشَمى ، فى يوم ذى قَرَد ، لعُيينة بن حِصْن ، وكان عُيينة بن حِصْن يُكنى بأبى مالك :

فهلّا كَرَرْتَ أبا مالك ... وخَيْلُك مُدْبِرة تُقْتَلُ
ذكرتَ الإيابَ إلى عَسْجَر ... وهَيْهات قد بَعُد المُقْفَلُ
وطَمَّنتَ نَفْسَك ذا مَيْعة ... مِسَحّ الفَضاء إذا يُرْسَلُ
إذا قَبَضَتْه إليك الشّما ... لُ جاشَ كما اضطرمَ المِرْجَلُ
فلمّا عَرَفْتم عِبادَ الإلـ ... ـه لم يَنْظُر الآخِرَ الأوّلُ
عَرفتم فَوارِسَ قد عُوّدوا ... طِرَادَ الكُماة إذا أسْهَلوا
إذا طَرَدُوا الخيلَ تَشْقَى بهم ... فضاحاً وإن يُطْرَدوا يَنْزلوا
فيَعْتَصِموا فى سَوَاء المُقا ... م بالبِيض أخْلَصها الصَّيْقَلُ

غزوة بنى المصطلق

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعضَ جمادى الآخرة ورجبًا ثم غزا بنى المُصْطَلِق من خُزاعة ، فى شَعْبان سنة ست .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذَرٍّ الغِفارىّ ؛ ويقال : نُمَيْلة ابن عبد الله الليثى .

سبب الغزوة

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة وعبدُ الله بن أبي بكر ، ومحمد بن يَحيى بن حَبّان ، كلٌّ قد حدثني بعض حديث بني المُصطلق ، قالوا : بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ بني المُصْطَلِق يَجْمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جُوَيْرِية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بهم خَرج إليهم ، حتى لَقيهم على ماء لهم يقال له : المُرَيْسِيع ، من ناحية قُدَيد إلى الساحل ، فتزاحف الناسُ واقتتلوا ، فهزَم اللهُ بَني المُصطلق ، وقُتل من قُتل منهم ، ونَفَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

مقتل ابن صبابة خطأً

وقد أُصيب رجلٌ من المسلمين من بني كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له : هشام بن صُبابة ، أصابه رجل من الأنصار من رَهْط عُبادةَ ابن الصامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأً .

فتنة

فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطّاب أجيرٌ له من بني غِفارٍ ، يقال له . جَهْجاه بن مَسْعود يقود فرسَه ، فازدحم جَهْجاه وسِنانُ بن وَبَر الجهني ، حليف بني عَوْف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يامعشر الأنصار ، وصرخ جَهْجاه :

يامعشر المهاجرين ؛ فغضب عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلُول ، وعنده رَهْط من قومه فيهم : زيد بن أرْقم ، غلام حَدث ، فقال : أوَقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأوّل : سَمِّن كَلْبك يأكُلْك ، أما والله لئن رَجَعْنا إلى المدينة ليُخْرِجنّ الأعزُّ منها الأذلّ . ثم أقبل على مَنْ حَضَره من قومه ، فقال لهم : هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحلَلْتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمْسكتم عنهم مابأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوّه ، فأخبره الخبرَ ، وعنده عمرُ بن الخطَّاب ، فقال : مُرْ به عَبّادَ بن بِشْرٍ فليقتله ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فكيفَ ياعُمَرُ إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذّن بالرَّحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ،فارتحل الناسُ .

حول فتنة ابن أُبىّ ونفاقه

وقد مشى عبد الله بن أُبىّ بن سَلول إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه أن زيدَ بن أرْقَم قد بلّغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ماقلت ما قال ، ولا تكلمت به . — وكان فى قومه شريفاً عظيماً — فقال مَنْ حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يارسول الله ، عسى أن يكونَ الغلامُ قدأوْهم فى حديثه ،ولم يحفظ ما قال الرجل ، حَدَباً على ابن أُبىٍّ بن سَلُولَ، ودَفْعاً عنه .

قال ابن إسحاق : فلما استقلّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أُسَيد بن حُضَير فحيّاه بتحيَّة النبوّة وسلَّم عليه ، ثم قال : يانبيّ الله ، والله لقد رُحتَ في ساعه مُنكَرة ، ما كنتَ تروح في مثلها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلَغَك ما قال صاحبُكم ؟ قال : وأيّ صاحب يارسول الله ؟ قال : عبد الله بن أُبَيّ ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخرِجَنّ الأعزُّ منها الأذلّ ، قال : فأنت يارسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليلُ وأنت العزيز ؛ ثم قال : يارسول الله ، ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنّ قومه لَيَنظمون له الخرز ليتوّجوه ، فإنه لَيرى أنك قد استلبته مُلكا .

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومَهم ذلك حتى أمسى ، وليلتَهم حتى أصبح، وصَدْر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمسُ ، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وَجَدوا مسّ الأرض فوقعوا نِياماً ، وإنما فعل ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليَشغل النّاس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أُبَيّ .

ثم راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنّاس ، وسلَك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النَّقيع ؛ يقال له : بقعاء . فلما راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هبَّت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوّفوها ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لاتخافوها ، فإنما هبَّت لموت عَظيم من عُظماء الكُفّار . فلمّا قدموا المدينة وجدوا رِفاعة بن زَيد بن التّابوت ، أحد بنى قَينقاع ، وكان

عظيما من عُظماء يهود ، وكَهْفاً للمُنافقين ، مات فى ذلك اليوم .

ما نزل فى ابن أُبىّ من القرآن

ونزلت السورة التى ذَكَر الله فيها المنافقين فى ابن أُبَىّ ومَنْ كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأذن زَيْد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذى أوْفى الله بأُذنه . وبلغ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبىّ الذى كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله من أبيه

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة : أن عبد الله أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتلَ عبد الله بن أُبىّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابدّ فاعلا فمُرنى به ، فأنا أحمِل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعُنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَىّ يمشى فى الناس ، فأقتلَه فأقتلَ (رجلا) مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نَترفّق به ، ونُحْسن صُحبته مابقى معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدثَ كان قومه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويُعنِّفُونه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعُمر بن الخطّاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى ياعمر ؛ أما والله لو قتلته يوم قلتَ لى اقْتُله ،

لأرْعِدت له آنُفٌ ، لو أمرتها اليوم بقَتْله لقتلته ؛ قال : قال عمر : قد والله علمتُ لَأمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

قدوم مقيس مسلماً وشعره

قال ابن إسحاق : وقَدِم مِقْيَس بن صُبَابة من مكَّة مسلماً ، فيما يُظْهِر ، فقال : يارسول الله ، جئتك مسلماً ، وجئتك أطُلب دِيَة أخى ، قُتل خطأ . فأمر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هِشام بن صُبابة ؛ فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غَير كثير ، ثم عَدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ؛ فقال فى شعر يقوله :

شَفَى النفسَ أن قدمات بالقاع مُسْنَداً ... تُضَرِّجُ ثَوْبَيْه دماء الأخادِع

وكانت هُمومُ النَّفسِ من قبل قَتْله ... تُلِمّ فَتَحْمِينى وِطَاءَ المَضَاجِع

حَلَلْتُ به وِتْرى وأدركتُ ثُؤْرَتى ... وكنتُ إلى الأوْثان أوّل راجع

ثَأرتُ به فِهْراً وحَمَّلْتُ عَقْلَه ... سَرَاةَ بنى النَّجّار أرباب فارِع

وقال مِقْيَس بن صُبابة أيضاً :

جلَّلته ضَرْبةً باءت لها وشَلٌ ... من ناقِع الجَوْف يَعلوه ويَنْصَرِمُ

فقُلْتُ والمَوْتُ تَغْشاه أسِرّته ... لاتأمَنَنّ بَنى بَكْرٍ إذا ظُلِموا

شعار المسلمين

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بنى المُصْطَلق : يامنصور ، أمِتْ أمِتْ .

قتلى بنى المصطلق

قال ابن إسحاق : وأُصيب من بنى المُصْطَلق يومئذ ناسٌ ، وقَتل علىُّ ابن أبى طالب منهم رجلَين ، مالكاً وابنه ، وقَتل عبدُ الرحمن بن عوف رجلاً من فُرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أُحَيمر .

أمر جويرية بنت الحارث

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سَبْياً كثيراً ، فَشا قَسْمُه فى المسلمين ؛ وكان فيمن أُصيب يومئذ من السَّبايا جُوَيْرية بنت الحارث ابن أبى ضِرار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما قسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المُصْطلِق ، وقعتْ جُويرية بنت الحارث فى السّهم لثابت بن قَيْس بن الشَّماس ، أو لابن عمّ له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حُلْوَةً مُلاَّحه ، لا يراها أحد إلا أخذت بنَفْسه ، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تَستعينه فى كِتابتها . قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجْرَتى فكَرِهتها ، وعرَفت

أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيتُ، فدخلَتْ عليه، فقالت: يارسول الله، أنا جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث بن أبي ضِرارٍ، سيدِ قومه، وقد أصابني من البَلاء، ما لم يَخْفَ عليك، فوقعتُ في السّهم لثابت بن قَيس بن الشّماس، أو لابن عمّ له، فكاتبتُه على نفسي فجئتك أستعينك على كِتابتي، قال: فهل لكِ في خير من ذلك؟ قالت: وماهو يارسول الله؟ قال: أقضي عنكِ كتابتكِ وأتزوّجك؛ قالت: نعم يارسول الله، قال: قد فعلت.

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد تزوّج جُويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أُعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المُصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظمَ على قومها بركة منها.

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المُصطلِق ومعه جُويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعةً، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها، فغيّبهما في شِعب من شِعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يامحمد، أصبتم ابنتي، وهذا فِداؤها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق، في شِعبِ كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله،

فأسلم الحارثُ ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبلَ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ودُفِعَت إليه ابنته جُوَيْرِيَةُ ، فأسلمت ، وحسُن إسلامها ، فخطبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوّجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

ما نزل من القرآن فى حق الوليد بن عقبة

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليدَ بن عقبة بن أبى مُعيط ، فلما سمعوا به رَكبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ؛ فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد همّوا بقتله ، ومنعوه ما قِبَلهم من صَدقتهم ، فأكثر المسلمون فى ذكر غزْوهم ، حتى همّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبينا هم على ذلك قَدِم وفدُهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالوا : يارسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنُكرمه ، ونُؤدّى إليه ما قِبَلنا من الصدقة ، فانشَمَر راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنّا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ماجئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا عَلَى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ وَاعْلَمُوا أنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ . . . إلى آخر الآيات . (الحجرات ٦ ــ ٨) .

وقد أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثنى من

لا أتهم عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

سنة ست

قال ابن إسحاق : حدّثنا الزهرى ، عن عَلْقَمَة بن وقّاص ، وعن سعيد ابن جُبير ، وعن عُرْوَةَ بن الزّبير ، وعن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، قال : كلٌّ قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعضُ القوم كان أوْعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدّثنى القوم .

الهدى فى السفر مع الزوجات

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبدُ الله بن أبى بكر ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكلٌّ قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدّث بعضهم مالم يحدّث صاحبه ، وكلٌّ كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيّتهن خَرج سهمُها خرج بها معه ، فلما كانت [غزو]ة بنى المُصْطلِق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سَهْمِى عليهنّ معه ، [ف]خرج بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

حديث الإفك

قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَق لم يهجهن اللحم فيثقلن وكنت إذا رُحِّل لى بعيرى جلستُ فى هودجى، ثم يأتى القومُ الذين يُرَحِّلون لى ويحملوننى، فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه، فيضعونه على ظهر البعير، فيشدّونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك، وجّه قافلا حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلا، فبات به بعضَ الليل، ثم أذّن فى الناس بالرحيل، فارتحل الناسُ، وخرجتُ لبعض حاجتى، وفى عُنقى عِقْد لى، فيه جَزْع ظَفار، فلما فرغت انسلّ من عُنقى ولا أدرى، فلما رجعتُ إلى الرَّحل ذهبتُ ألتمسه فى عُنقى، فلم أجده، وقد أخذ الناسُ فى الرَّحيل، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدْته، وجاء القوم خلافى، الذين كانوا يُرَحِّلون لى البعير، وقد فَرَغوا من راحلته، فأخذوا الهودَج، وهم يظنّون أنى فيه، كما كنت أصنع، فاحتملوه، فشدّوه على البعير، ولم يشكّوا أنى فيه، ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به، فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مُجيب، قد انطلق الناس.

قالت: فتلفّفْت بجلبابى، ثم اضطجعْتُ فى مكانى، وعرفت أن لو قد افتُقِدْتُ لرُجِع إلىّ. قالت: فوالله إنى لمضطجعة إذ مرّ بى صَفْوانُ بن المُعَطَّل السُّلَمى، وقد كان تخلّف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبتْ مع

الناس ، فرأى سَوَادِي ، فأقبل حتى وقف عليّ ، وقد كان يرانى قبل أن يُضرَب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنَّا لله وإنَّا إليهِ رَاجعُون ، ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متلففة فى ثيابى ، قال : ما خلَّفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلَّمته ، ثم قرّب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عنّى . قالت : فركبتُ ، وأخذَ برأس البعير ، فانطلق سريعاً ، يطلب الناسَ ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقِدْت حتى أصبحتُ ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقود بى ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، فارْتَعَجَ العسكرُ ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك .

ثم قَدِمْنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيتُ شكوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديثُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أَبوَىّ لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيراً ، إلا أنى قد أنكرتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لُطْفه بى ، كنت إذا اشتكيتُ رَحِمنى ، ولَطَفَ بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكْواى تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىّ وعندى أمى تُمَرِّضُنى — قال ابن هشام : وهى أم رُومَانَ ، واسمها زَيْنَب بنت عبد دُهْمَان ، أحد بنى فِرَاسِ بن غَنْم بن مالك بن كِنانة — قال : كيف تِيكُمْ ، لا يزيد على ذلك .

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وَجدتُ فى نفسى ، فقلت : يارسول الله ، حين رأيتُ ما رأيت من جفائه لى : لو أذنتَ لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرّضتنى ؟ قال : لا عليكِ . قالت : فانتقلتُ إلى أمى ، ولا علْم لى بشىء مما كان ، حتى

نَقِهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماً عرباً ، لانتخذ فى بيوتنا هذه الكُنُف التى تتَّخذها الأعاجم ، نَعافها ونكرهها ، إنما كنّا نذهب فى فُسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كلّ ليلة فى حوائجهنّ ، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتى ومعى أمّ مِسْطح بنت أبى رُهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سَعد بن تيم ، خالة أبى بكر الصدّيق رضى عنه ؛ قالت : فو الله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مِرْطها ، فقالت : تَعس مِسْطح ! ومِسْطَح لَقَبٌ واسمه : عَوْف ؛ قالت : قلت : بئس لَعَمْرُ الله ماقلتِ لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً ، قالت : أو مابلغك الخبر يابنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أوْ قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ماقدرت على أن أقضى حاجتى ، ورجعت ، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيَصدع كَبدى ؛ قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لكِ ، تحدّث الناسُ بما تحدّثوا به ، ولاتذكرين لى من ذلك شيئاً ! قالت : أى بُنَيَّة ، خفِّضى عليك الشأن ، فوالله لقلَّما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلاّ كَثَّرْن وكثَّر الناس عليها .

قالت : وقد : قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يَخطبهم ولا أعلَمُ بذلك ، فَحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بَالُ رجال يُؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غيرَ الحقّ ، والله ماعلمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه إلا خيراً ، ومايدْخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى .

قالت: وكان كُبْر ذلك عند عبد الله بن أبيّ بن سَلُول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مِسْطح وحَمْنَة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصِينى فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حَمْنة بنت جَحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادُّنى لأختها ، فشَقِيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أُسَيد بن حُضير : يارسول الله ، إن يكونوا من الأوس نَكْفِكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمُرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ، قالت : فقام سَعْد بن عُبادة ، وكان قبل ذلكَ يُرَى رجلا صالحاً ، فقال : كذبتَ لَعَمْر الله، لا تضرب أعناقَهم ، أما والله ماقلتَ هذه المقالة إلا أنَّك قد عَرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ماقلتَ هذا ، فقال أُسَيد : كذبت لَعَمر الله ، ولكنَّك مُنافق تُجادل عن المُنافقين ، قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيَّين من الأوس والخزرج شرٌّ . ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل علىّ .

(قالت) فدعا علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد فاستَشارهما ، فأمَّا أسامة فأثنى علىَّ خيراً وقاله ، ثم قال : يارسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأما علىّ فإنه قال يارسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسَل الجارية ، فإنها

ستصدقك . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَرِيرَة ليَسألها ، قالت : فقام إليها عليّ بن أبي طالب ، فضرَبها ضرباً شديداً ، ويقول : اصْدُقِي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعِيب على عائشة شيئاً ، إلا أني كنت أعجِن عجيني ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله .

القرآن وبراءة عائشة

قالت : ثم دخل عليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وعندي أبواي ، وعندي امرأةٌ من الأنصار ، وأنا أبكي ، وهي تبكي معي ، فجلس ، فحمِدالله وأثنى عليه ، ثم قال ياعائشة ، إنه قد كان ماقد بَلغك من قول الناس ، فاتقي الله ، وإن كنتِ قد قارفتِ سُوءاً ، مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقْبل التوبةَ عن عباده ، قالت : فوالله ماهو إلا أن قال لي ذلك ، فَقَلَصَ دمعي ، حتى ما أحسّ منه شيئاً ، وانتظرتُ أبوَيّ أن يُجيبا عني رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلّما. قالت : وايم اللهِ لأنا كنت أحقرُ في نفسي ، وأصغر شأناً من أن يُنزِل الله فيّ قرآناً يُقرأ به في المساجد ، ويُصَلّى به ، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في نومه شيئاً يكذّب به اللهُ عني ، لما يعلم مني براءتي ، أو يُخبر خبراً ، فأمّا قرآن يَنزل فيّ ، فو الله لَنفسي كانت أحقر عندي من ذلك . قالت : فلما لم أر أبويّ يتكلّمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فقالا: والله ما ندري بماذا نُجيبه ، قالت : ووالله ما أعلم أهلَ بيت دخل عليهم مادخل على آل أبي بكر

في تلك الأيام ، قالت : فلما أن استعجما عليّ ، استعبرتُ فبكيتُ ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً . والله إني لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس ، والله يعلم أني منه بريئة ، لأقولَنَّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت مايقولون لاتُصَدِّقونني . قالت : ثم التمستُ اسمَ يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللهُ المُسْتَعانُ عَلَى ماتَصِفُونَ ﴾ . قالت : فوالله مابَرِح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه ، فسُجِّي بثوبه ووُضعت له وِسادَةٌ من أدَم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت ، فوالله ما فَزِعْتُ ولا باليْتُ ، قد عَرَفت أني بَريئة ، وأن الله عزّ وجلّ غيرُ ظالمي ، وأمَّا أبَواي ، فوالذي نفسُ عائشةَ بيده ، ماسُرِّيَ عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم حتى ظننتُ لتخرُجَنَّ أنفسُهما ، فَرَقاً من أن يأتيَ من الله تحقيقُ ماقال الناس ، قالت : ثم سُرِّيَ عن رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجلس ، وإنه ليَتحَدَّرُ منه مثل الجُمَان في يوم شاتٍ ، فجعل يَمْسَح العَرقَ عن جبينه ، ويقولُ : أبْشري ياعائشة ، فقد أنزل الله بَراءتك ، قالت : قلت : بحمد الله ، ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمِسْطَح بن أثاثَةَ ، وحسَّان بن ثابت ، وحَمْنة بنت جحش ، وكانو ممن أفصح بالفاحشة ، فضُربوا حدَّهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاقُ بن يَسار عن بعض رجال بني النَّجَّار : أن أبا أيُّوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أمّ أيُّوب : يا أبا أيُّوب ،

ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت يا أمّ أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنتُ لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خيرٌ منك .

قالت : فلما نزل القرآن بذكر مَنْ قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك،فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جاءوا بالإِفْكِ عُصْبَةٌ منكم ، لاتَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ، والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا .

قال ابن هشام : ويقال : وذلك عبد الله بن أُبيّ وأصحابه .

قال ابن هشام : والذى تولى كِبْرَه عبد الله بن أُبيّ ، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا . ثم قال تعالى : ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ والمُؤْمِناتُ بأَنْفُسِهِمْ خَيْراً ﴾ : أى فقالوا كما قال أبو أيّوب وصاحبته ، ثم قال : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بأَلْسِنَتِكُمْ ، وتَقُولُونَ بأَفْوَاهِكُمْ مالَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾ .

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته وحاجته : والله لا أُنفق على مِسْطَح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ، قالت : فأنزل الله فى ذلك ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى القُرْبَى

والمَسَاكِينَ والمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَلْيَعْفُوا،وَلْيَصْفَحُوا ، ألا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يقال : كِبْره وكُبْره فى الرواية ، وأما فى القرآن فكِبْره بالكسر .

قال ابن هشام : (ولا يأتل أولو الفضل منكم) ولا يألُ أولو الفضل منكم . قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدى :

ألا رُبَّ خَصْم فيك ألْوَى رَدَدْتُه نصيح على تَعْذاله غيرُ مؤتَلِ

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : (وَلا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ) : ولا يحلف أولو الفضل ، وهو قول الحسن بن أبى الحسن البصرى ، فيما بلغنا عنه .

وفى كتاب الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ﴾ وهو من الألية ، والألية : اليمين . قال حسّان بن ثابت :

آليتُ مافى جميع الناس مُجتهداً مِنّى ألِيَّةَ بِرٍّ غير إفناد

وهذا البيت فى أبيات له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها . فمعنى : أن يؤتوا فى هذا المذهب : أن لا يؤتوا ، وفى كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ يريد : أن لا تضلوا ، ﴿ وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ ﴾ يريد أن لا تقع على الأرض ، وقال ابن مُفرِّغ الحِمْيَرىّ :

لا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فى وَضَحِ الصُّبْـــحِ مُغِيراً ولا دُعِيتُ يَزِيدا

يومَ أُعْطِى مَخَافَةَ المَوْتِ ضَيْماً والمَنايا يَرْصُدْنَنِى أن أَحِيدا

يريد : أن لا أحيد ، وهذان البيتان فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إنى لأحبّ أن يغفر الله لى ، فرَجَعَ إلى مِسْطح نَفَقَتَه التى كان يُنفِق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

ابن المعطل يهمّ بقتل حسان

قال ابن إسحاق : ثم إن صَفوان بن المُعَطَّل اعترض حسَّان بن ثابت بالسَّيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسّان قال شعراً مع ذلك يعرّض بابن المعطل فيه وبمن أسلم من العرب من مُضر ، فقال :

أَمْسَى الجَلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُرُوا وابنُ الفُرَيْعة أَمْسَى بَيْضةَ البَلَدِ

قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَنْ كُنْتَ صاحِبَه أو كان مُنْتَشِباً فى بُرْثُنِ الأَسَدِ

ما لِقَتِيلِى الذى أَغْدُو فآخُذُه مِنْ دِيَةٍ فيه يُعطاها ولا قَوَدِ

ما البحرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شاميةً فيَغْطَئِلُّ ويَرْمى العِبْرَ بالزَّبَدِ

يوماً بأغلبَ منى حين تُبْصِرُنى مِلْغَيْظِ أَفْرِى كَفَرْىِ العارِضِ البَرِدِ

أمّا قُرَيْشٌ فإنى لن أُسالِمَهم حتى يُنِيبوا من الغَيَّاتِ للرَّشَدِ

ويتركوا اللاتَ والعُزَّى بمَعْزِلَةٍ ويَسْجُدوا كلُّهم للواحد الصَّمَدِ

. . . .

وَيَشْهَدُوا أنَّ ماقالَ الرَّسولُ لهم حَقٌّ ويُوفُوا بِعَهْدِ اللهِ والوُكُدِ

فاعترضه صَفْوان بن المُعَطَّل ، فضَربه بالسَّيف ، ثم قال : كما حدثنى يعقوب بن عتبة :

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيف عنى فإننى غُلام إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن ثابت ابن قَيْس بن الشَّماس وَثَب على صَفْوان بن المُعطَّل ، حين ضَرب حَسَّان ، فجمع يَدَيه إلى عُنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبدالله بن رَوَاحَةَ ، فقال : ماهذا ؟ قال : أما أعجبك ضرب حَسَّانَ بالسَّيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ، قال له عبد الله بن رَواحة : هل علِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت ، أطلق الرجل ، فأطلقه ، ثم أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسَّان وصفوان بن المُعطَّل ، فقال ابنُ المعطَّل : يارسول الله : آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب ، فضربته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسَّان : أحسن ياحسان ، أتَشَوَّهْتَ على قومى أن هداهم الله للإسلام ، ثم قال : أحْسِنْ ياحسَّان فى الذى أصابك ، قال : هى لك يارسول الله .

قال ابن هشام : ويقال : أبعد أن هداكم الله للإسلام .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضاً منها بِيرَحاءِ ، وهى قصر بنى حُدَيلة اليوم بالمدينة ، وكانت

مالاً لأبى طلحة بن سهل تصدّق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حسّان فى ضربته ، وأعطاه سيرين ، أمة قبطيّة ، فولدت له عبدَ الرحمن بن حسّان ، قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سُئل عن ابن المعطل ، فوجدوه رجلا حصوراً ، ما يأتى النساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً .

قال حسّان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ ... وتُصْبح غَرْثَى من لُحوم الغَوافلِ

عَقيلةُ حَىٍّ من لُؤَىّ بن غالبٍ ... كِرَام المَساعى مَجْدُهم غيرُ زائلِ

مُهَذَّبةٌ قد طيَّبَ اللهُ خِيمَها ... وطَهَّرَها مِنْ كُلّ سُوءٍ وباطِلِ

فإن كُنْتُ قد قلتُ الذى قد زَعَمْتُمُ ... فَلا رفعتْ سَوْطِى إلىّ أنامِلى

وكيفَ وَوُدّى ما حَييتُ ونُصْرَتى ... لآل رسولِ اللهِ زَيْنِ المَحافِلِ

له رَتَبٌ عالٍ على النَّاس كُلِّهمْ ... تَقاصَرُ عنه سَوْرَةُ المُتَطاوِلِ

فإنّ الذى قد قيلَ لَيْس بلائطٍ ... ولكنَّه قَوْلُ امْرِىءٍ بِىَ ماحِلِ

قال ابن هشام : بيته : « عقيلة حى » والذى بعده ، وبيته : « له رتب عال » عن أبى زَيد الأنصارى .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة : أن امرأة مدحت بنتَ حسّان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بِرِيبة   وتُصْبِح غَرْثى من لُحوم الغَوافِل

فقالت عائشة : لكن أبوها .

شعر فى هجاء حسان ومسطح

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسّان وأصحابه فى فِرْيتهم على عائشة ـ قال ابن هشام : فى ضرب حسّان وصاحبيه :

لَقدْ ذَاقَ حَسَّانُ الذى كانَ أهْلَه   وحَمْنةُ إذْ قالُوا هَجِيراً ومِسْطَحُ

تعاطَوْا برَجْمِ الغَيْبِ زوجَ نَبيِّهم   وسَخْطةَ ذى العَرْش الكَريم فأتْرحوا

وآذَوْا رسولَ الله فيها فُجِلِّلوا   مَخازِى تَبْقَى عُمِّمُوها وفُضِّحوا

وصُبَّت عليهم مُحْصَدات كأنّها   شآبيبُ قَطْر من ذُرَا المُزْنِ تَسْفَح

غزوة ذى قرد

ويقال فيه : قُرُدٌ بضمتين هكذا ألفيته مُقَيَّداً عن أبى على ، والقَرَدُ فى اللغة الصوفُ الرَّدِىء ، يقال فى مثل : عَثَرْتُ على الغَزْل بأخَرَةٍ فلم تَدَعْ بنَجْدٍ قَرَدَةً[1].

أسماء أفراس المسلمين :

وذكر ابنُ إسحاق فى هذه الغَزْوَةِ أسماء خَيْل جماعةٍ ممَّنْ حَضرها ،

---

(١) مثل لمن ترك الحاجة ممكنة ، وطلبها فائتة ، وأصله أن تترك المرأة الغزل ، وهى تجد ما تغزله ، حتى إذا فاتها تتبعت القرد فى القمامات .

. . . .

فذكر بَعْزَجَةَ فرسَ المِقْدادِ ، والبَعْزَجَةُ : شِدَّةُ جَرْيٍ فى مُغالَبةٍ كأنه مَنحُوتٌ من بَعَجَ إذا شق ، وعزَّ ، أى : غَلَبَ . وأما سَبْحَة فمن سَبَح إذا علا عُلُوًّا فى اتساع ، ومنـــه : سُبْحَانَ الله ، وسُبُحَاتُ اللهِ : عَظمتُه وعُلُوُّه ، لأن الناظر المفـكر فى [الله] سبحانه يَسْبَح فى بَحْرٍ لاساحِلَ له ، وقد ذكرنا فى معنى هذه الـكلمةِ حقائقَ ودقائقَ أسرارٍ فى شَرْحِ : سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِه . وأما حَزْوَةُ ، فمن حَزَوْتُ الطير إذا زَجَرْتَها ، أو من حَزَوْتُ الشىء إذا أظهرتَه .
قال الشاعر :

تَرَى الأَمْعَزَ المَحْزُوَّ فيه كأنه … من الحَرِّ واستقبالِه الشَّمسَ مِسْطَحُ(١)

وجُلْوةُ من جَلَوْتُ السَّيفَ ، وجَلَوْتُ العرُوسَ ، كأنها تجْلُو الغَمَّ عن قلب صاحِبها . ومَسْنُون من سَنَنْتُ الحديدةَ إذا صَقَلْتَها .

سلمة بن الأكوع :

وذكر سَلَمَةَ بن الأكْوَع ، واسم الأكْوَع : سِنَانُ ، وخـــبر سَلَمَةَ فى ذلك اليوم أطولُ مما ذكره ابنُ إسحاق ، وأعجب ، فإنه استلب وحده فى ذلك اليوم من العَدُوِّ وهو راجِلٌ قبل أن تلحق به الخيلُ ثلاثين بُرْدَةً وثلاثين دَرَقَةً ، وقتل منهم بالنَّبْلِ كثيراً ، فـكلما هربوا أدركهم ، وكلما

---

(١) المسطح : حصير يسف من خوص الدوم ، والبيت لتميم بن مقبل وروايته فى اللسان هكذا :

إذا الأمعز المحزو آض كأنه … من الحر فى حد الظهيرة مسطح

والأمعز : أرض صلبة .

. . . .

رامُوه أفلت منهم ، وشُهْرَةُ حديثِه تُغني عن سَرْدِه ، فإنه فى كتب الحديث المشهورة[1] ، وقيل إن سَلَمَةَ هذا هو الذى كَلَّمه الذئبُ ، وقيل : إن الذى كلمه الذئبُ هو أُهْبَانُ بن صَيْفِيّ[2] وهو حديث مشهور .

شرح اليوم يوم الرضع :

وقوله : اليوم يوُم الرُّضَّع ، يريد يوم اللئام ، أى يوم جُبْنِهم ، وفى قولهم : لئيم راضع أقوال ، ذكرها ابن الأَنْبَارِيّ . قيل : الراضع هو الذى رَضَع اللُّؤْمَ فى ثَدْيَىْ أُمِّه أى : غُذِيَ به ، وقيل هو الذى يَرْضَع مابين أسنانه يَسْتَكْثِر من الجَشَع بذلك . وشاهدُ هـذا القول قولُ امرأةٍ من العرب تَذُمُّ رَجُلاً : إنه لأُكَلَةٌ ثُـكَلَةٌ يأكل من جَشَعِه خِلَلَه ، أى : مايَتَخَلَّلُ بين أسنانِه . قال ابن قتيبة : ولم أسمع فى الجَشَعِ ، والحرصِ أبلغ من هذا ، ومن قولهم : هو يُثير الـكلابَ من مَرَابِضِها ، أى يلتمس تحتها عَظْماً يَتَعَرَّقُه ، وقيل فى اللئيم الراضع غير ماذَكَرْناهُ مما هو معروفٌ عند الناس ومَذْكُور فى كُتُبِهم .

---

(١) ورد فى حديث رواه البخارى ومسلم « فجملت أرميهم بنبلى ، وكنت رامياً . وأقول : أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم ، واستلبت ثلاثين بردة » و للقاح الإبل الحوامل ذات الألبان ، وقد رواه الإمام أحمد مطولا وفيه : ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ، وسلمة هو ابن عمرو بن الأكوع وهو ممن بايع الرسول تحت الشجرة على الموت . مات وسنه أربع وسبعون سنة .

(٢) وقيل اسمه : أهبان ، أو . وهبان . ولقد علم سليمان النبى منطق الطير ، فهل علم احد غيره منطق السبع والوحش ؟

. . . .

وقوله : اليومُ يَوْمُ الرُّضَّع بالرفع فيهما ، وبنصب الأول ، ورفع الثانى ، حكى سيبَوَيْه : اليومَ يومُك ، على أن تجعل اليومَ ظرفاً فى موضع خبر للثانى ، لأن ظروف الزمان يخبر بها عن زمانٍ مثلها إذا كان الظرفُ يتّسع ، ولا يضيق على الثانى ، مثل أن تقول : الساعة يومُك ، وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ فذلك يَوْمَئِذٍ يومٌ عَسِيرٌ ﴾ المدثر ٩٠ أن يَوْمَئِذٍ ظرفٌ ليوم عسيرٍ ، وذلك أن ظروف الزمانِ أحداثٌ ، وليست بجُثَثٍ فلا يَمْتَنِعُ فيها مثلُ هذا ، كما لا يمتنع فى سائر الأحداثِ .

وقوله عليه السلام للغِفَارِيَّةِ ، واسمها ليلى ، ويقال هى امرأة أبى ذر حين أخبرته أنها نَذَرَتْ إن الله نجّاها ، عليها أن تَنْحَرَهُ ، قال : فتبسّم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — ثم قال : بئس ما جزَيْتِها أنْ حَمَلَكِ الله عليها ونجّاكِ بها ، ثم تَنْحَرِينَها إنه لا نَذْرَ فى مَعْصِيَةِ الله ، ولا فى ما لا تملكين ، وبه حجّة للشافعى ، ومن قال بقوله : إن ما أحرزه العدوُّ من مال إنه لهم لا من قبل القَسْمِ وبعدَه ، لأنه لا يُخرجه من مِلْكِهِ حَوْزُ العدوِّ له ، وقال مالك : هو أولى به قبل القَسْمِ وصاحبُه بعد القسم أولى به بالثمن ، وفيه قولان آخران لأهل العِراق .

حول النذر والطلاق والعتق :

وقوله عليه السلام : إنه لا نذْر فى مَعْصِيَةِ الله ، ولا فيما لا تملكان . وقوله عليه السلام : لا نَذْر لأحدٍ فيما لا يملك ، ولا طَلَاقَ لأحد فيما لا يملك ولا عتق

. . . .

لأحد فيما لا يملك، حديثٌ مَرْوِيٌّ من طريق عبدِ الله بن عَمْرو، ومن طريق أبي هُرَيْرَة ولكنه لم يخرج في الصحيحين لِعلَلٍ في أسانيده، وقد قال بهذا الحديث أن لا طَلَاقَ قبل المِلْكِ جماعةٌ من الصحابة وفقهاء التابعين وفقهاء الأمصار، وسواء عندهم عَيَّنَ امْرَأَة، أو لم يُعَيِّن، وإليه مال البخاري رحمه الله، ورواه ابن كِنانة عن مالك، وابن وَهْبٍ، واحتج ابنُ عَبَّاسٍ في هذه المسألة بقوله تعالى ﴿ إذا نكحتم المُؤْمِنَاتِ ثم طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾ الأحزاب : ٤٩ قال : فإذاً لا طَلَاق إلّا بعد نكاح، وقال شُرَيْحٌ القاضي : النكاحُ عَقْدٌ والطلاقُ حَلٌّ، فلا يكون الحَلُّ إلا بعد العَقْد.

من شرح شعر حسان أعضاء الخيل :

وذكر شعر حسان :

لولا الذي لاقت ومَسَّ نُسُورَها

يعني: الخيلَ، والنَّسْر كالنَّواة في باطن الحافِرِ، وفي الفَرَسِ عشرون عضواً كُلُّ عضو منها يُسَمَّى باسم طائر، فمنها النَّسْرُ والنَّعامَةُ والهامَةُ والسَّمامَةُ والسَّعْدانةُ وهي الحمَامَةُ والقَطَاةُ الذُّبَابُ والعُصْفُور والغُراب والصُّرَد والصَّقْرُ والخَرَبُ والنَّاهِضُ، وهو فَرْخ[1] العُقاب والخُطَّاب، ذكرها بقيتها الأَصْمَعِي[2]، وروى فيها شِعْراً لأبي حَزْرَة جرير، وهو :

---

(١) في الأصل : فرج .

(٢) أنظر ص١٩٣ من ذيل الأمالي والنوادر للقالي ط ٢ فثم أكثر مما ذكر =

. . . .

وَأَقَبَّ كالسِّرْحانِ تمَّ له ... ما بَيْنَ هامَتِه إلى النَّسْرِ
رَحُبَتْ نعامته وَوُفِّرَ فَرْخُه ... وتمكّن الصُّرَدانِ في النَّحْرِ
وأنافَ بالعُصْفورِ في سَعَفٍ ... هامٍ أشَمَّ مُوثَّقِ الجِذْرِ
وازْدانَ بالدِّيكَيْنِ صَلْصَلُه ... ونَبَتْ دَجاجَتُه عن الصَّدْرِ
والنّاهِضانِ أُمِرَّ جَلْزُهُما ... فكأنّما عُثِما على كَسْرِ
مُسْحَنْفِرَ الجُنْبَيْنِ مُلْتَئِم ... ما بين شِيمَته إلى الغُرِّ
وصَفَتْ سُمانَاهُ وحافِرُه ... وأديمُهُ ومنابتُ الشَّعْرِ(١)
وسَما الغُرابُ لِمَوقِعَيْه مَعاً ... فأُبِينَ بينهما على قَدْرِ
واكْتَنَّ دون قَبِيحه خُطّافُه ... ونأتْ سَمامتُه(٢) على الصَّقْرِ
وتَقَدَّمت عنه القَطاةُ له ... فَنَأَتْ بموقعها عن الحُرِّ(٣)
وسَما على نِقْوَيْه دون حِدائه ... خَرِبانِ بينهما مَدَى الشِّبْرِ
يَدَعُ الرَّضِيمَ إذا جَرَى فِلَقاً ... بتوائمٍ كمَواسِمٍ سُمْرِ

= السهيلي. ويذكرون أن الرشيد قال للأصمعي : قيل إن في الفرس عشرين اسماً من أسماء الطير ، فقال : نعم ، وأنشده شعراً جامعاً لها من قول جرير ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

(١) في الأصل . وأديمة والشعر

(٢) في الأصل : سمانته

(٣) في الأصل : فبانت

. . . .

رُكِّبْنَ فى مَحْضِ الشَّوَى سَبِطٍ   كَفْتِ الوُثُوبِ مُشَدَّدِ الأَسْرِ[1]

بداد وفجار :

وقوله : فشَكُّوا بالرِّمَاح بَدَادِ . بَدَادِ من التَّبَدُّدِ ، وهو التفرُّقُ ، وهو فى موضع نصب غير أنه مَبْنِيٌّ ونصبُه كانتصابِ المصدر ، إذا قلت : مَشَيْتُ القَهْقَرَى ، وقَعَدْتَ القُرْفُصَاءَ ، وكأنه قال : طَعَنُوا الطَّعْنَةَ التى يُقال لها بَدَادِ ، وبَدَادِ مثل فَجَارِ من قوله : احْتَمَلْتَ فَجَارِ[2] جعلوه اسماً عَلَماً للمصدرِ ، كما قالوا : فَحَمَلْتُ بَرَّةَ ، فجعل بَرَّةَ عَلَماً للبِرِّ ، وسِرُّ هذه العَلَمِيَّةِ فى هذا الموطنِ أنَّهم أرادوا الفعل الأَتَمَّ الذى يُسَمَّى باسم ذلك الفعلِ حقيقةً ، فقد يقول الإنسان بَرَّ فلانٌ وفَجَرَ أى قَارَبَ أن يَفْعَلَ ذلك ، أو فعلَ منه بعضَه ، فإذا قالَ : فَعَلْتُ بَرَّةَ ، فإنما يريد البِرَّ الذى يُسَمَّى بِرًّا على الحقيقةِ ، فجاء بالاسم العلَمِ الذى هو عبارة عن مُسَمَّاه حقيقةً ، إذ لا يتصور هذا الضربُ من المجاز فى الأعلام ، وكذلك إذا أراد الفجورَ على الحقيقةِ ، وأراد رَفْعَ المجازِ سمَّاه ، فجز تحقيقاً للمعنى ، أى : مثل هذه الفعلة ينبغى أن تُسَمَّى باسم الفجورِ حقيقةً ، وكذلك قالوا فى النداء : يا فَسَاقِ ويا فُسَقُ فجاءوا بالصِّيغة المعروفة العَلَمِيَّة المعروفة مع النِّداءِ خاصَّة ، أى : إن هذا الاسمَ ينبغى أن يكون

---

(١) انظر القصيدة وشرحها وقصة الأصمعى مع الرشيد فى نهاية الأرب ص ٢٣ سمر العاشر وانظر أيضا العقد الفريد لابن عبدربه ج ١ ص ٦١ ط بولاق وص ٩١ ج ٢ سمط اللآلى للبكرى .

(٢) يعنى قول النابغة :

إنا اقتسمنا خطتينا بيننـــا   فحملت برة ، واحتملت فجار

. . . .

اسمه الذى يُدْعَى به، إذ الاسْمُ العَلَمُ أَلْزَمُ لِمُسَمَّاه من اسم مُشْتَقٍّ من فِعْل فَعله ، لأن الفعلَ لا يَثْبُتُ ، والاسم العلَم يَثْبُتُ ، فهذا هو مَغْزَاه فى هذه الأسماء التى هى على صِيَغ الأَعْلَام فى هذه المواطنِ ، فتأملها ، وقد بسطنا هذا الغرض بَسْطًا شافِيًا فى أسرار ما يَنْصَرِفُ ، وما لا ينصرف ، فَلْتُنْظَر هنالك ، فَثَمَّ ترى سِرَّ بنائها على الكسر مع ما يتصل بمعانيها إن شاء الله ، وألفيْتُ فى حاشية الشيخ رحمه الله على قوله : فشُكُّوا بالرِّماح وَشُلُّوا[1] باللام الرواية الصحيحة ، وحقيقة المعنى ، ووقع فى الأصلين : فشُكُّوا بالكاف كما فى هذا الأصل . إلى هاهنا انتهى كلام الشيخ ، والشَّلُّ باللام : الطَّرْدُ، والشَّكُّ بالكاف : الطَّعْنُ كما قال :

شَكَّ الفَرِيصَةَ بالمِدْرَى فأنفذها[2] [شَكَّ المُبَيْطِرِ إذ يَشْفِى من العَضَد]

عود إلى شرح شعر حسان :

وقوله : رَهْواً أى : مَشْياً بسكون ، ويقال لمُسْتَنْقَع الماء أيضاً رَهْوٌ والرَّهْوُ أسماء الكُرْكِىِّ ، والرَّهْوُ المِرآةُ الواسعة .

---

(١) أنظر مادة بدد وفجر وفسق فى اللسان . وشلوا هى رواية اللسان. وضبط لجبا بضم اللام والجيم.

(٢) البيت للنابغة وتمامه : شك المبيطر إذ شفى من العضد . والمدرى والمدراة شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط . والفريصة : لحمة عن نغض الكتف فى وسط الجنب عند منبض القلب .

. . . .

وقوله : روادى ، أى تَرْدِى بفُرْسانِها ، أى: تسرع[١] .

قصيدة أخرى لحسان :

وقول حسان فى خيل عُيَيْنَة :

فَوَلَّوْا سِرَاعاً كَشَدِّ النَّعا م لم يَكْشِفُوا عن مُلِطٍّ حَصِيرِ

أى:لم يَغنَمُوا بعيراً ، ولا كَشَفوا عنه حَصِيراً ، يعنى : بالحصير ما يُكَنَّفُ به حَوْل الإبل من عِيدَان الحَظِيرَةِ ، والمُلِطُّ من قولهم : لَطَّت الناقة ، وأَلَطَّتْ بذَنبِها إذا أدخلته بين رِجلَيها[٢] .

غزوة بنى المصطلق

وهم بَنُو جَذِيمَةَ بن كَعْبٍ من خُزَاعَةَ ، فَجَذِيمَةُ هو المُصْطَلِقُ وهو مُفْتَعِلٌ من الصَّلْقِ ، وهو رَفْعُ الصَّوْت[٣] .

وذكر المُرَيْسِيعَ ، وهو ماء لخُزَاعَةَ ، وهو من قولهم : رَسَعَتْ عينُ الرجل : إذا دَمَعت من فَسَادٍ .

---

(١) يقول الخشنى : ومن رواه بكسر الراء . فهو من المشى الرويد ، وهو الذى فيه فتور ص ٣٣١

(٢) يقول أبو ذر : الملط بالطاء المهملة اللاصق بالأرض هنا . والحصير : وجه الأرض هنا ص ٣٣٢

(٣) يقول ابن دريد فى الاشتقاق ، سمى المصطلق لحسن صوته كأنه مفتعل من الصلق ، والصلق شدة الصوت وحدته ، ص ٤٧٦ وقد ضبط الزرقانى جذيمة بضم الجيم وفتح الذال . والقاموس يضبطها بالضبطين .

. . . .

وذكر سِنَانَ بن وَبَرَةَ[1] وقال غيره : هو سِنَانُ بن تَيمٍ من جُهَيْنَةَ بن سَوْد بن أَسْلَم حليف الأنصار .

تحريم دعوى الجاهلية :

وذكر أنه نادى : يا لَلأَنْصَارِ ، ونادى جَهْجَاه الغِفَارِيُّ يا لَلْمُهاجِرين ، ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعهما ، وفي الصحيح[2] أنه عليه السلام حين سمعهما منهما ، قال : دعوها فإنها مُنْتِنَةٌ ، يعني : إنها كَلِمَةٌ خبيثة ؛ لأنها من دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ ، وجعل الله المؤمنين إِخْوَةً وحِزْبًا واحدًا ، فإنما ينبغي أن تكون الدعوةُ يا لَلْمُسْلِمِين ،فمن دعا في الإسلام بدَعْوى الجاهلِيَّةِ فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثةُ أقوال : أحدها : أن يُجْلَدَ من استجابَ لها بالسلاح خمسين سَوْطًا اقتداء بأبي موسى الأشعَرِيِّ في جَلْدِه النابغةَ الجَعْدِيَّ خمسين سوطًا ، حين سَمِع : يا لَعَامِرٍ ، فأقبل يَشْتَدُّ بِعُصْبَةٍ له . والقول الثاني : إن فيها الجلد دون العَشَرة لنهيه عليه السلام أن يُجْلَد أحدٌ فوق العشرة إلا في حَدٍّ ، والقول الثالثُ : اجتهادُ الإمام في ذلك على حَسَبِ ما يراه مِنْ سَدِّ الذَّرِيعَةِ وإغلاق باب الشر ، إمَّا بالوَعيد ، وإما بالسّجن ، وإما بالجلد .

فإن قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُعاقِب الرجلين حين دَعَوَا بها قلنا : قد قال : دَعُوها فإنها منتنة ، فقد أكد النهي ، فمن عاد إليها بعد هذا النهي ، وبعد وصف النبي صلى الله عليه وسلم لها بالإنْتانِ وَجَبَ أن يُؤَدَّب ،

---

(١) في السيرة : وبر

(٢) هو في صحيح البخاري .

. . . .

حتى يشم نتنها ، كما فعل أبو موسى رحمه الله بالجعدي ، فلا معنى لنتنها إلا سوء العاقبة فيها والعقوبة عليها .

جهجاه :

وأما جهجاه فهو ابن مسعود[1] بن سعد بن حرام ، وهو الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : المؤمن يأكل فى معًى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وهو كان صاحب هذه القصة فيما روى ابن أبى شيبة والبزار ، وقد قيل أيضاً : إن الرجل الذى قال فيه عليه السلام هذه المقالة ، هو ثمامة بن أثال الحنفى ، ذكره ابن إسحاق ، وقيل : بل هو أبو بصرة [جميل بن بصرة] الغفارى ، قاله أبو عبيد ، ومات جهجاه هذا بعد قتل عثمان رحمه الله ، أخذته الأكلة فى ركبته فمات منها ، وكان قد كسر بركبته عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم — التى كان يخطب بها ، وذلك أنه انتزعها من عثمان حين أخرج من المسجد ، ومنع من الصلاة فيه ، فكان هو أحد المعينين عليه ، حتى كسر العصا على ركبته ، فيما ذكروا ، فابتلى بما ابتلى به من الأكلة ، نعوذ بالله من عقوبته ، ونستجير به من الأهواء المضلة[2] .

موقف عبد الله الصحابى من أبيه المنافق ودلالته :

وذكر مقالة عبد الله بن أبى ، وأن ابنه عبد الله بن عبد الله استأذن

---

(١) فى الإصابة : ابن سعيد ، وقيل : ابن قيس .

(٢) أنظر ترجمته فى الإصابة .

. . . .

النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه من أجْلِ تلك المقالة ، وفى هذا العلم العظيم والبُرْهَان النَّيِّر من أعلام النُّبوَّة ، فإن العرب كانت أشدَّ خلق الله حَمِيَّةً وتعصُّباً ، فبلغ الإيمان منهم ونورُ اليقين من قلوبهم إلى أن يَرْغبَ الرجلُ منهم فى قتل أبيه وولدِه ، تَقرُّباً إلى الله ، وتَزَلُّفاً إلى رسوله ، مع أن الرسولَ — عليه السلام — أبعدُ الناسِ نَسَباً منهم ، وما تأخر إسلام قومِه وبنى عَمِّه وسَبَق إلى الإيمان به الأباعدُ إلّا لحكمة عظيمة ، إذ لو بادر أهلُه وأقْرَبُوه إلى الإيمان به ، لقيل : قوم أرادوا الفخرَ برجل منهم ، وتعصّبوا له ، فلما بادر إليه الأباعدُ ، وقاتلوا على حُبِّه مَنْ كان منهم أو من غيرهم ، عُلِمَ أن ذلك عَنْ بَصِيرَةٍ صادقة ويقين قد تَغَلْغَلَ فى قلوبهم ، ورَهْبَةً من الله أزالت صفة ، قد كانت سَدِكَتْ[1] فى نُفُوسِهم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع إزالتها إلا الذى فَطَرَ الفِطْرَةَ الأولى ، وهو القادر على ما يشاء ، وأما عَبْدُ الله بن عَبْدِ الله ، فكان من كُتّاب النبى — صلى الله عليه وسلم — وكان اسمُه حُبَاب ، وبه كان يُكَنَّى أبوه ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، مات شهيداً باليمامة رضى الله عنه ، وروى الدَّارَقُطْنى مُسْنَداً أن النبيَّ — صلى الله عليه وسلم — مرّ على جماعةٍ فيهم عبدُ الله بن أُبيّ فسلَّم عليهم ، ثم ولّى ، فقال عبد الله : لقد عَتا ابنُ أبى كَبْشَةَ فى هذه البلادِ ، فسمعها ابنُه عبدُ الله ، فاستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى أن يأتيه برأس أبيه ، فقال : لا ، ولكن بَرَّ أباك .

وذكر ابنُ إسحاق فى هذا الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم حين بلغته مقالةُ

---

(١) لزمت .

. . . .

عبد الله بن أبى : مَتَنَ الناسُ يومَهم ذلك ، ويروى مَشَى ، فأما مَتَن ، فقال صاحب العَيْن : يقال : ساروا سَيْراً مُماتِناً ، أى : بعيداً .

حول حديث جويرية « ملاحة ومليح » :

فصل : وذَكَرَ جُوَيْرِيَة بنتَ الحارثِ ، ووقوعَها فى السَّهم لثابتِ بن قَيْسٍ ، أو لابنِ عمٍّ له ، ثم جاءت تستعين فى كتابتها ، قالت عائشة : وكانت امرأةً حُلْوَةً مُلاَّحَةً . المُلَّاحُ أبلغ من المليح فى كلام العرب ، وكذلك الوُضَّاءُ أبلغُ من الوَضِىء ، والكُبَّارُ كذلك أبلغ من الكبير ، غير أنه لا يوصف البارى سُبْحانه بهذا اللفظِ ، فيقال فيه كُبَّار بمعنى كبير ، لأنه على بِنْيَةِ الجَمْعِ ، نحو ضُرَّاب وشهَّاد ، فكان لفظُ الكبير ونحوه أبعدَ من الاشتراك ، وأدلَّ على الوَحْدَانِيَّةِ ، والله أعلم .

وأما معنى : المُلَّاحَة ، فذهب قومٌ إلى أنها من المُلْحَةِ وهى البياضُ ، لقول العربُ : عِنَبٌ مُلَاحِىٌّ (١) والصحيح فى معنى المليح ، أنه مُسْتَعارٌ من قولهم : طعام مَلِيحٌ إذا كان فيه من المِلْح بقدر ما يُصْلِحه ، ولذلك إذا بالغوا فى المدح قالوا : مَلِيحٌ قَزِيحٌ ، فمليحٌ من مَلَحْتُ القِدرَ ، وقَزِيحٌ من قَزَحْتُها إذا طيبت نكهتها بالأفاويه ، وهى الأقْزَاحُ ، ويدلك على بُعْدِ هذا المعنى من البياض قولهم : فى الأسْوَد : مَلِيحٌ ، وفى العينين إذا اشتد سوادُهما وحُسْنُهما كما جاء فى تفسير قوله سبحانه : ﴿ وألْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى ﴾ طه : ٣٩ . أنها

---

(١) وقد تشدد اللام

. . . .

مَلَاحَةٌ فى العينين ، وقال الأَصْمَعِىُّ : الْحُسْنُ فى العَيْنَيْن، والجَمَالُ فى الأنف ، والمَلَاحَةُ فى الفَمِ . وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعلها : إنك لجميلٌ يا أبا صَفْوَانَ ، فقال : وكيف وليس عنـــدى رِدَاءُ الجمال ولا بُرْنُسُه ولا عَمُودُه ؟ ثم قال : عَمُودُه الطُّولُ ، وأنا رَبْعَةٌ ، وبُرْنُسُه سوَادُ الشعر ، وأنا أشْمَطُ ،ورِدَاؤُه البياضُ ، وأنا آدَمُ ، ولكن قولى : إنك مَلِيحٌ ظَرِيفٌ . فعلّمها أن المَلَاحَةَ قد تكون من صِفَةِ لآدَمَ ، فهى إذاً ليست من معنى البياضِ فى شىْء ، وإنما هى ضد المَسَاسَةِ .

غيرة نساء النبى ، والنظر إلى المرأة :

وقول عائشة فى جُوَيْرِية : فوالله ماهو إلا أن رأيتها على باب حُجْرَتى فكرهْتُها . فيه ما كان عليه أزواجُ النبى - صلى الله عليه وسلم - من الغَيْرَةِ عليه ، والعلم بموقِع الجمالِ منه ، كما قد روى أنه - عليه السلام - أنه خَطَبَ امرأةً فأرْسَلَ عائشةَ لتنظرَ إليها ، فلما رجعت إليه قالت : مارأيت طائلا ، فقال : بلى لقد رأيت : خالًا فى خدِّها اقْشَعَرَّتْ منه كلُّ شَعْرَةٍ فى جسدك . وأما نظرهُ عليه السلام لجُوَيْرِيَةَ حتى عرَفَ من حُسْنِها ماعرَف ، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة، ولو كانت حرّةً ماملأعينَه منها،لأنه لا يُكْرهُ النظرُ إلى الإماء ، وجائز أن يكون نظر إليها ، لأنه نوى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت له : إنى قد وَهَبْتُ نَفْسِى لك يارسولَ الله ، فصعّد فيها النظر ثم صوّب ، ثم أنكحها من غيره ، وقد ثبت عنه عليه السلام الرُّخْصَة فى النظر إلى المرأة عند إرادةِ نِكَاحِها ، وقال لِلْمُغِيرة حين شاوره فى نكاح امرأةٍ :

. . . .

لو نظرت إليها ، فإن ذلك أحرَى أن يُؤدَمَ بينكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مَسْلَمَةَ حين أراد نِكاح ثُبَيْتَةَ بنت الضَّحَّاكِ ، وقد أجازه مالكٌ في إحدى الروايتين عنه ، ذكرها ابن أبي زَيْد . وفي مُسْنَد البزَّار من طريق أبي بَكْرَةَ لاحرجَ أن ينظر الرجلُ إلى المرأة إذا أراد تَزَوُّجها ، وهي لاتشعُر . وفي تراجم البُخَارِيِّ : النظرُ إلى المرأة قبل التزويج ، وأورد في الباب قوله عليه السلام لعائشة أُرِيتُك في المنام يجيء بك المَلَكُ في سَرَقَةٍ من حَرِيرٍ ، فكَشَفْتُ عن وجهك ، فقال : هذه امرأتُك ، فقلت : إن يَكُن من عند الله يُمْضِه . وهذا استدلال حَسَنٌ . وفي قوله : إن يكُنْ من عند الله سؤالٌ ، لأن رؤياه وَحْيٌ ، فكيف يَشُكُّ في أنها من عند الله .

والجواب : أنه لم يشك في صحة الرؤيا ، ولكن الرُّؤيا قد تكون على ظاهِرِها . وقد تكون لمن هو نظيرُ المرء أو سَمِيُّه ، فمن هاهنا تَطَرَّق الشك مابين أن تكون على ظاهِرِها ، أو لها تأويل كذلك ، وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث ، ولغيره فيه قول لا أرضاه ، فلا يخلو نظرهُ عليه السلام إليها من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يُضرَبَ الحِجاب ، وإلا فقد قال الله تعالى له : ﴿ قُلْ للمؤمنين يَغُضُّوا من أبْصارِهم ﴾ وهو إمامُ المتقين وقُدْوَةُ الوَرِعين[1] صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هذا هو الحق ، ولا يلتفت أبداً إلى سواه . وللأستاذ العقاد فصل ممتاز عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم نختار منه ما يأتي : « لا حجة للمسلم على صدق محمد عليه السلام في رسالته أصدق من سيرته في زواجه ، وفي اختيار زوجاته . وليس للنبوة من آية أشرف من آيتها في معيشة نبي الإسلام من مطلع حياته =

. . . .

جويرية :

وأما جويرية فهي بنت الحارث بن أبي ضِرَارِ بن حَبيب بن عائذ بن مالك ابن جَذِيمَة ، وجَذِيمَةُ هو الْمُصْطَلِقُ من خُزَاعَة ، كان اسْمُها بَرَّة ، فسماها

= إلى يوم وفاته . ما الذى يفعله الرجل الشهوان الفاسق فى لذات الجسد إذا بلغ من المكانة والسلطان ما بلغه محمد بين قومه ؟

لم يكن عسيراً عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب ، وأفتن جوارى الفرس والروم .

ولم يكن عسيراً عليه أن يوفر لنفسه ، ولأهله من الطعام والكساء والزينة ما لم يتوفر لسيد من سادات الجزيرة فى زمانه .

فهل فعل محمد « ص » ذلك بعد نجاحه ؟ هل فعل محمد ذلك فى مطلع حياته ؟ كلا لم يفعله قط ، بل فعل نقيضه ، وكاد أن يفقد زوجاته لشكايتهن من شظف العيش فى داره .

ولم يحدث قط أن اختار زوجة واحدة ، لأنها مليحة أو وسيمة ، ولم يبن بعذراء قط إلا العذراء التى علم قومه جميعاً أنه اختارها ، لأنها بنت صديقه وصفيه وخليفته من بعده أبى بكر الصديق رضى الله عنه . . . وما بنى - عليه السلام - بواحدة من أمهات المسلمين ، لما وصفت به عنده من جمال ونضارة وإنما كانت صلة الرحم ، والضن بها على المهانة هى الباعث الأكبر فى نفسه الشريفة على التفكير فى الزواج منهن » . . . ثم يتحدث عن كل زوجة من أزواجه صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : « والسيدة جويرية بنت الحارث سيد قومه كانت بين السبايا فى غزوة بنى المصطلق ، فأكرمها النبى - عليه السلام - أن تذل ذلة السباء ، فتزوجها ، وأعتقها ، وحض المسلمين على إعتاق سباياهم ، فأسلموا جميعاً ، وحسن إسلامهم ، وخيرها أبوها بين العودة إليه ، والبقاء عند رسول الله ، فاختارت البقاء فى حرم رسول الله » ص ١٩٠ وما بعدها حقائق الإسلام ط ١

. . . .

رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - جُوَيْرِيَةَ(١) ، وقد رُوى مثل هذا فى حديث مَيْمُونَةَ بنتِ الحارثِ. وكذلك زَيْنَب بنت جَحْشٍ ، كان اسمُها بَرَّة أيضاً ، وزينب بنت أبى سَلَمَة ربيبته عليه السلام ، كان اسمُها بَرَّة فسماهُنَّ جُمَع بغير ذلك الاسم ، توفيت جُوَيْرِيَة فى شهر ربيع الأول سنة سِتٍّ أو خمسٍ وخمسين من الهجرة ، وكانت قبل أن تُسْبَى عند مُسَافِعِ بن صَفْوان الخُزَاعى .

حديث الإفك

فيه من الغريب قولُ عائشةَ: والله يَوْمَئِذٍ لم يُهَبِّجْهُنَّ(٢) اللحم فَيُثْقِلْنَ .

---

(١) فى حديث رواه مسلم وأبو داود عن محمد بن عمرو بن عطاء أن زينب سألته : ما سميت بنتك ؟ فقال : سميتها : برة ، فقالت زينب : كان اسم جويرية برة ، فغيره رسول الله — صلى الله عليه وسلم — باسم جويرية ، وفى حديث رواه أبو داود « نهى رسول الله أن يسمى بهذا الاسم ، فقال : لاتزكوا أنفسكم ، والله أعلم بأهل البر منكم » .

(٢) فى جميع النسخ المطبوعة : يهجهن أو يهبجهن . على حين ينقل المحققون للسيرة فى كل طبعة شرح الكلمة عن أبى ذر وعن الروض . وهى فى الروض يهجهن أيضاً ، والسهيلى يشرحها بقوله : التهبيج : انتفاخ فى الجسم ، أما أبو ذر فيقول : والتهبيج كالورم فى الجسد ، وفى الجمهرة : التهبج : انتفاخ الوجه وتقبضه . وما قاله أبو ذر هو الصواب ولعله خطأ من الناسخ فى الروض ومن الطابع فى السيرة !! وفى اللسان : هبجه بالباء تهبيجاً فتهبج ، أى ورمه فتورم . . والتهبيج : شبه الورم فى الجسد . والكلمة عدة روايات : لم يثقلهن اللحم ، أو لم يغشهن اللحم ، وفى رواية : لم يهبلهن اللحم . وهبله اللحم وأهبله إذا أثقله وأصبح فلان مهبلا أى كثير اللحم أو وارم الوجه ، وفلان مهبل أى مهبج ، كان به ورماً .

. . . .

التَّهْييجُ : انتفاخٌ فى الجسم قد يكون من سِمَنٍ ، وقد يكون من آفة ، قال الأصمعىُّ أو غيره : هَجَمْتُ على حَىٍّ من العرب بوادٍ خصيبٍ ، وإذا ألوانُهم مُصْفَرَّةٌ ووجوهُهم مُهَيَّجَةٌ ، فقلت لهم : ما بالُـكم ؟ واديكم أخْصَبُ وادٍ ، وأنتم لاتُشْبِهُون المخاصب، فقال لى شيخ منهم : إن بلدنا ليست له رِيحٌ ، يريد : أن الجبال أحاطت به فلا تُذهِب الرياحُ وَبَاءَه ولَا رُمْدَه .

صفوان بن المعطل :

وفيه ذكر صَفْوان بن المُعَطَّلِ بن رُبَيْضَةَ بن خُزَاعِىِّ بن مُحَارِبِ بن مُرَّةَ بن فَالِج بن ذَكْوان بن ثَعْلَبَة بن بُهْثَة بن سُلَيْم السُّلَمِىِّ ، ثم الذَّكْوانىّ يُكَنَّى أبا عَمْرٍو ، وكان يكون على سَاقَةِ العَسْكَرِ يلتقط مايَسْقُط من مَتاعِ المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تَخَلَّف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهلُ الإفك ما قالوا ، وقد رُوِى فى تخلُّفه سببٌ آخر ، وهو أنه كان ثقيلَ النَّوْمِ لا يستيقظ حتى يَرْتَحِلَ الناسُ. ويَشْهَد لصِحَّةِ هذا حديثُ أبى داود أن امرأةَ صَفْوَان اشتكت به إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — وذكرت أشياءَ منها أنه لا يُصَلِّى الصبحَ ، فقال صَفْوانُ : يارسول اللهِ إنى امْرُؤٌ ثقيلُ الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمسُ ، فقال له النبى عليه السلام : فإذا استيقظتَ فَصَلِّ وقد ضَعَّف البزّارُ حديثَ أبى دَاودِ[1] هذا فى مُسْنَدِه . وقُتِل صَفْوانُ

---

(١) يرويه أبو ذر فى سننه والبزار وابن سعد وابن حبان والحاكم من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد. وقد قال البزار : هذا الحديث كلامه منكر ، ولعل الأعمش أخذه من غير ثقة ، فدلسه فصار ظاهر سنده الصحة ، وليس للحديث عندى أصل وقد رد الحافظ فى الفتح على البزار رداً مطولا فانظره ص ٢٧٢ جـ ٨ ط ١ ١٣٤٨ عبد الرحمن محمد .

. . . .

ابن الْمُعَطَّل شهيداً في خلافة معاوية ، واندقَّتْ رِجْلُه يوم قُتِل ، فطاعن بها ، وهي مُنْكسرة ، حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع له شِمْشاط .

تفسير أسقطوا :

وفيه من غير رواية ابن إسحاق أنهم دَعَوْا الجارية ، فسألوها حتى أسقطوا لها به ، يريد : أفصحوا بالأمر ، ونقَّروا عنه ، يقال : ساقطته الحديثَ مُساقَطةً وأسقطوا به ، في هذا المعنى قال أبو حَيَّةَ [النُّمَيْري] :

إذا هُنَّ ساقَطْن الحديث كأنه سِقَاطُ حَصَا الْمَرْجَان من سِلْك نَاظِم[1]

كذا فسره أبو الحسن بن بطال ، وفيما ذكر ابنُ إسحاق من رواية الشيباني عنه ، أنهم أداروا الجاريةَ على الحديث ، ولم يصرحوا لها حتى فَطِنَتْ بما أرادوا ، فقالت : ما أعلم عليها عَيْباً ، الحديث . وأما ضَرْبُ عليٍّ للجارية وهي حُرَّة ، ولم تستوجب ضَرْباً ، ولا استأذن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ضربها ، فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول ، وتوعَّدها بالضرب ، واتَّهمها أن تكونَ خانت الله ورسولَه ، فكتَمت من الحديث مالا يسعها كَتْمُهُ مع إدلاله ، وأنه كان من أهلِ البيت ، وفي غير حديث ابن إسحاق

---

(١) البيت من قصيدة طويلة ذكر منها القالي ثمانية أبيات منها هذا البيت ورواية الشطرة الأولى هكذا :

إذا هن ساقطن الأحاديث للفتى

كما ذكرها البكري في السمط وزاد فيها ، وبين روايته ورواية القالي اختلاف يسير . ص ٢٨٠ ح ٢ ط ٢ الأمالي ، ص ٩٢٥ سمط اللآلي .

. . . .

قالت الجارية : والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغُ على الذَّهب الأحْمَر .

بريرة:

وأما بَرِيرَةُ فهى مَوْلاةُ عائشة ـ رضى الله عنها ـ التى اشترتها من بنى كاملٍ فاعْتَقَتْها ، وخُيِّرت فى زَوْجها ، وكان عَبْداً لبنى جَحْشٍ. هذه رواية أهل المدينة ، وفى رواية أهلِ العراق أنه كان حُرًّا ، وهى رواية الأسْوَد بن يزيد عن عائشة ، والأولى روايةُ عُرْوَةَ والقاسم بن محمد عن عائشة ، وكذلك يقولون بتخْيير الأَمَةِ إذا عُتِقَتْ ، وإن كان بعلُها حُرًّا ، وقول أهل الحجاز على حسب روايتهم ، فلا يرون تخييرها ، إلا إذا كان زوجُها عبداً ، وعاشت بَرِيرَةُ حتى روى عنها الحديثَ بعضُ التابعين . قال عبدُ الملك بن مَرْوانَ : كنت أجالس بَرِيرَة قبل أن أَلِيَ هذا الأمر ، فتقول لى : يا أبا عبد الملك ، إن فيك خصالا خَلِيقَةً بهذا الأمرِ ، فإن وَلِيتَ هذا الأَمْرَ فاتّق الله فى الدِّماء ، فإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : إن الرجل ليُحَالُ بينه وبين الجنّة بعد أن يَنْظُر إليها بمِحْجَمَةِ دم أراقها مِنْ مُسْلِمٍ فى غير حَقٍّ . والبَرِيرَةُ واحدة البَرِير وهو ثمر الأَرَاكِ .

أم رومان:

وأما أُمُّ رُومَانَ ، وهى أُمُّ عائِشة فقد مر ذكرها فى هذا الحديث ، وهى زَيْنَبُ بنتُ عامرِ بن عُوَيْمِرِ بن عَبْدِ شَمْسِ بن دُهْمَانَ ، وهى من كِنَانَةَ ، واختُلِف فى عَمُود نسبها ، ولدت لأبى بكر عائشةَ وعبدَ الرحمن ، وكانت قبل

. . . .

أبي بكر عند عبدِ الله بن الحارثِ بن سَخْبَرَةَ ، فولدت له الطُّفَيْلَ ، وتوفيت أمُّ رومانَ سنةَ ستٍّ من الهجرة ، ونزل النبي -صلى الله عليه وسلم- في قبرها. وقال « اللهم إنه لم يَخْفَ عليك مالقِيَتْ أمُّ رومان فيك ، وفي رسولك ». وقال : « مَنْ سَرَّه أن يَنْظُرَ إلى امرأةٍ من الْحُور العِين ، فلينظُرْ إلى أمِّ رُومَان »[1].

وهم للبخاري:

وروى البخاري حديثاً عن مَسْرُوق ، وقال فيه : « سألت أمَّ رُومَانَ وهي أمُّ عائشةَ عما قيل فيها » ومَسْروقٌ وُلِد بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بلا خلافٍ ، فلم ير أمَّ رُومَانَ قطُّ[2] ، فقيل إنه وهم في الحديث ، وقيل : بل الحديث صحيح ، وهو مُقَدَّم على ماذكره أهل السِّيرة من مَوْتها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تكلم شيخُنا أبو بكر - رحمه الله - على هذا الحديث ، واعتنى به لإشكاله ، فأوْرَدَه من طُرُقٍ ، ففي بعضها : حدثتني أمُّ رومان ، وفي بعضها عن مَسْرُوقٍ عن أمِّ رومَان مُعَنْعَناً ، قال رحمه الله : والْعَنْعَنَةُ أصَحُّ فيه ، وإذا كان الحديثُ مُعَنْعَناً كان محتملا ، ولم يلزم فيه مايلزم في حَدَّثنا ،

---

(١) الأول رواه أبو عمر ، والآخر رواه ابن سعد . وانظر الإصابة .

(٢) أنكر سماع مسروق من أم رومان جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي ، وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمن النبي « ص » قال الخطيب : وقد كان مسروق يرسله ، فيقول : سئلت أم رومان ، ويسوقه ، فلعل بعضهم كتب سئلت بألف فاعتقد الراوي أنها سألت ، فظنه متصلا

. . . .

وفى سألت ، لأن للراوى أن يقول : عن فلان ، وإن لم يُدرِكْهُ وهو كثير فى الحديث .

تناصبنى أو تناصينى :

وقول عائشة : لم تكن امرأة تُناصِبُنى فى المنزلةِ عنده غيرها ، هكذا فى الأصل تُناصِبُنى[1] ، والمعروفُ فى الحديث : تُناصِينى من المُناصاةِ . وهى المساواة ، وأصله من النّاصية .

شعر حسان فى التعريض بابن المعطل :

وذكر قول حسان :

أمسى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كثُروا ... وابن الفُرَيعَةِ أمسى بَيْضَةَ البَلَدِ

يعنى بالجلابيب الغُرَباءَ ، وبَيْضَةَ البلد ، يعنى : منفرداً ، وهى كلمة يُتَكلَّم بها فى المدح تارةً وفى معنى القُلِّ أُخرى ، يقال : فلانٌ بَيْضَةَ البَلَد ، أى : أنه واحدٌ فى قومه ، عظيم فيهم ، وفلان بَيْضَةُ البلَد ، يريد : أنه ذليلٌ ليس معه أحد .

وأما قوله :

قَدْ ثَكِلَتْ أمُّه مَنْ كنتَ صاحبَه

فقد يجوز أن يكون قوله : مَنْ مبتدأ ، وقد ثَكِلَتْ أمُّه فى موضع الخبرِ

---

(١) لعلها كانت كذلك فى نسخته ، أما هى فى السيرة : تناصينى بالياء لا بالباء .

. . . .

المقدَّم عليــه ، ويجوز أن يكونَ مَنْ مفعولًا بشَكِلَتْ ، وأُضمِر قبل الذِّكر مع اتصال الضمير بالفاعل ، فيكون مثل قوله :

جَزَى رَبُّه عنى عَدِىَّ بن حاتمٍ

ومثل قوله :

أَبْقَى اليَوم مَجْــدُه مُطْعِماً

وقد تقدم القولُ فيه[١] .

وقوله : فَيغْطَئِلُّ ، يريد : البَحر أى ، يَهِيجُ ويَغْتَلِمُ ، وأصل هذه الكلمةِ من الغَيْطَلَةِ ، وهى الظُّلمة ، وأصلها يَغطَالُّ مثل يَسْوَادُّ ، لكنه همز الألفَ لئلا يجتمع ساكنان ، وإن كان اجتماعُهما فى مثل هذا الموضع حَسَناً كقوله تبارك وتعالى ﴿ ولا الضَّالِّين ﴾[٢] ، ولكنهما فى الشعر لا يجتمعان إلا فى عرُوض واحــدةٍ ، وهى المُتقارِب ، ومع هذا فقد قرأ أيوب بن أبى تَمِيمَة [كيسان] السَّخْتيَانِىّ ولا الضأْلين بهمزة مفتوحة[٣] وقرأ عَمْرُو

---

(١) هو كما قال قد سبق القول فى هذا . والشطرة الأولى بقيتها : جزاء الكلاب العاويات ، وقد فعل . والبيت كما زعم ابن جنى وغيره للنابغة . وقيل لأبى الأسود الديلى يهجو به عدى بن حاتم الطائى .

وأبقى مجده مطعما . هى من بيت شعر لحسان يرثى به جبير بن مطعم هو :

ولو أن مجداً أخلد الدهر واحداً   من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

(٢) أصلها : الضاللين فحذفت حركة اللام الأولى ، ثم أدغمت اللام فى اللام ، فاجتمع ساكنان : مدة الألف واللام المدغمة .

(٣) وغير ممدودة كأنه فر من التقاء الساكنين ، وهى لغة .

. . . .

ابن عُبَيْد : ﴿ إِنسٌ قَبْلَهم ولا جَأَنٌّ ﴾[1] الرحمن : ٥٦ وأنشد الخطأبىُّ :

سَقَى مُطغيات الْمَحْلِ سَكْباً ودِيمَةً عِظَامُ ابنِ لَيْلَى حَيْثُ كان رَمِيمُها

فأصبح منها كلُّ وَادٍ وتَلْعَةٍ حَدَائِقَ خُضْراً مُزْهَئِرًّا عَمِيمُها

أنشد أ :

خَاطِمَها زَأَمَّهَا أن تَهْرُبَا[2]

فإن قيل : الهمزةُ فى هذا كلّه مفتوحة ، وفى قوله يَغْطَئِلُّ مَكسُورة ،

---

(١) حكى أبو زيد قال : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس، ولاجأن) فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب دأبة ، وشأبة . قال أبو الفتح : وعلى هذه اللغة قول كثير :

إذا ماالغوالى بالعبيطاحأرت

وانظر ص ٤٢٨ ح ٤ من شرح الشافية الرضى وص ١٠٥ ، وما بعدها ، ص ١٤٩ ح١ ومابعدها شرح تصريف المازنى لابن جنى وقد أفاض ابن جنى فى الكلام على هذا فى قراءة من قرأ ولا الضألين بهمز الألف فى ص ٢٢ ومابعدها من كتابه المحتسب .

(٢) استعار بعض الرجاز الخطام فى الحشرات ، فقال :

ياعجباً لقد رأيت عجبا حمار قبان يسوق أرنبا

عاقلها خاطمها أن تذهبا فقلت : أردفنى ، فقال

أراد : لئلا تذهب ، أو مخافة أن تذهب. ورواه ابن جنى كما روى السهيلى : خاطمهازأمها أن تذهبا . أراد : زامها . وزممت البعير : خطمته، ويقول اللسان إنه حرك الهمزة ضرورة لاجتماع الساكنين كما جاء فى الشعر : اسوأدت بمعنى : اسوادت.أنظر مادة خطم وزمم فى اللسان . وزأمها فى الأصل : رامها .

. . . .

وكذلك فى الحديث الصحيح : أسْوَد مُرْبَئِدّ فى رواية .

قلنا : إنما كُسرتْ الهمزةُ فى مُزْهَئِرّ ومُرْبَئِدّ ويَغطئِلُّ ، بعد أنْ فُتِحَتْ فى الماضى ، فقيل : اغطأَلّ ، وأزْهأَرّ ، فصار على وزن اطْمَأَنّ . فجاء اسمُ الفاعل والمستقبلُ على ذلك القياسِ مكسوراً كما يُكْسَر فى مُطْمَئِن .

تفسير العجب :

وقول ثابت لعبد الله بن رَوَاحَةَ : أما أعْجبَكَ ضَرْبَ حسانٍ بالسيفِ ، معناه : أما جعلك تعجب ، تقول : عجبْتُ من الشىء وأعجبنى الشىء ، إذا كان ذلك العجبُ من مَكْرُوهٍ أو مَحبوب ، وهو عند الناس بمعنى سَرَّنى لا غير ، وفى الحديث ، وكلامِ العربِ شواهدُ كثيرةٌ على هذا المعنى منها فى الـكامل فَلَأَعجَبَنى أنْ أعجَبه بكاء أبيه ، وفى حديثٍ ذكره عن عبد الرحمن بن حسان[1] ، وكذلك أنشد :

---

(١) فى اللسان : ذكر أبو زيد خارجة بن زيد أن حسان بن ثابت أنشد قوله :

انظر خليلى ببطن جلق هل تؤنس دون البلقاء من أحد

فبكى حسان بذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب بعد ما كف بصره ، وكان ابنه عبد الرحمن حاضراً ، فسر ببكاء أبيه ، قال خارجه : يقول : عجبت من سروره ببكاء أبيه . قال ومثله قوله :

فقالت لى ابن قيس ذا وبعض الشىء يعجبهـا

وفى مكان آخر من نفس المادة أنشد اللسان لابن قيس الرقيات :

رأت فى الرأس منى شيبـة لست أغيبهـا

فقالت لى : ابن قيس ذا وبعض الشىء يعجبهـا

أى يكسبها التعجب ، أو تتعجب منه وأراد : أبى قيس فترك الألف الأولى ..

. . . .

ألا هُزِئَتْ بنا قرشيَّةٌ يهتزُّ مَنكِبُها

تقول لي: ابنُ قَيسٍ ذا وبعضُ الشَّيبِ يُعجبُها

وقال كَعْبُ بنُ زُهَير:

لو كنتُ أعجَبُ من شيءٍ لأعجَبَني   سَعْيُ الفتى، وهو مَخْبُوءٌ له القَدَرُ[1]

وقوله عليه السلام: أتشَوَّهْتَ على قَوْمِي أنْ هداهم اللهُ، معناه: أقبَّحْتَ ذلك من فِعْلِهم حين سمَّيتَهُم بالجلابيبِ من أجل هِجْرتِهم إلى الله وإلى رسوله؟

بيرحاء:

وقوله: فأعطاه عِوَضاً منها بِيرَحاءِ، وذكر بعضُهم أن هذه البئر سُميت بِيرَحاءِ بزجْرِ الإبل عنها، وذلك أن الإبلَ يقال لها إذا زُجِرَتْ عن الماء، وقد رَوِيتْ: حَاحا، وهكذا كان الأصيلي يقيده برفع الرّاء إذا كان الاسم مرْفوعاً، وبالمد، وغير الأصيلي يقول: بَيْرحَاء بالفتح على كل حال وبالقصر

---

(١) وبعده:

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها   فالنفس واحدة، والهم منتشر

والمرء - ما عاش - ممدود له أمل   لاتنتهي العين حتى ينتهي الأثر

أنظر الاستيعاب لابن عبد البر والإصابة لابن حجر. وقال ابن عبد البر: كان كعب شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقته هو وأخوه بجير، وكعب أشعرهما، وأبوه زهير فوقهما

. . . .

يجعله اسماً واحداً ، وقد حكى عن بعضهم فيه بَيْرحاء بفتح الباء مع القصر ، وفي الصحيح أن أبا طلحة دَفَع بِيرَحَاءٍ إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعلها صَدَقَةً ، فأمره النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يجعلها في الأقربين ، فقسمها بين أُبَيٍّ وحَسَّان ، وفسر البخاري وأبو داود القَرابَةَ التي بين أبي طلحة وبينهما قالا : فأما حسانُ فهو ابن المنذِرِ بن ثابتِ بن حَرام ، وأبو طَلْحة هو زيد بن سَهْل بن حَرَامٍ [1] ، فهذه قرابةٌ قريبةٌ ، وأما أُبَيٌّ ، فيجتمع معه في الأب السادس ، وهو عَمْرو بن مالكِ بنِ النَّجّارِ ، وقد كان أُبَيٌّ غَنياً ، فكيف ترك مَنْ هو أقربُ منه ، وخصَّه ؟

والوجْهُ في ذلك أن أُبيًّا كان ابن عَمَّةِ أبي طَلْحَةَ ، وهي صهيلة بنت الأسْوَدِ بن حرام ، وهو معروف عند أهل النسب ، فمن أجل ذلك النسب خَصَّه بها ، لا من أجل النسب الذي ذكرناه فإنه بعيد ، وإنما قال له النبي صلى الله عليه وسلم : اجعلها في الأَقْربِين .

حول براءة عائشة :

وفي المسنَد من حديث عائشةَ أنه لما أنزل اللهُ براءتها قام إليها أبو بكر، فقبل رأسها ، فقالت له : هَلَّا كنت عَذَرْتني ، فقال : أيُّ سماءٍ تُظِلُّني ، وأي

---

(١) في الجمهرة لابن حزم : ابن سهل بن الأسود بن حرام ص ٢٢٧ فلعل الأسود سقط من الناسخ ، وقد استوفى السمهودي القول في بيرحاء فانظره ص١٣٣ ج٢ وفاء الوفاء ، وانظر معاجم أسماء الأماكن كمعجم البكري وياقوت ومراصد الإطلاع .

. . . .

أرضٍ تُقِلُّني ، إن قلت بما لا أعلم ، وكان نزول براءةِ عائشةَ — رضى الله عنها — بعد قدومهم المدينةَ بسَبْعٍ وثلاثين ليلةً فى قول بعض المفسرين .

شعر حسان في مدح عائشة :

وقول حسان فى عائشة :

حَصَانٌ رَزَانٌ ماتُزَنُّ بِرِيبَةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحُومِ الغَوَافِلِ

حَصَانٌ : فَعَالٌ بفتح الحاء يكثر فى أوصافِ المؤنث ، وفى الأعلام منها ؛ كأنهم قصدوا بتوالى الفتحات مُشاكَلةَ خِفَّة اللفظ لخفَّة المعنى ، أى المسَمَّى بهذه الصفاتِ خفيف على النفس ، وحَصَان من الحِصْنِ والتَّحَصُّن ، وهو الامتناعُ على الرجال من نظرهم إليها ، وقالت جارية من العرب لأمها :

يا أُمَّتَا أَبْصَرَنِى راكبٌ يَسِيرُ فى مُسْحَنْفِرٍ لاحِبِ[1]

جَعَلْتُ أَحْثِى الترابَ فى وَجْهِهِ حُصْناً وأَحْمِى حَوْزَةَ الغائِبِ[2]

فقالت لها أمها :

الحُصْنُ أَدْنَى لو تَآبَيْتِهِ مِنْ حَثْيِك التُّرْبَ على الرَّاكِبِ

ذكر هذه الأبيات أحمدُ بن أبى سَعيد السِّيرافى فى شرح أبياتِ الإيضاح

(١) المسحنفر : الممتد . واللاحب : الطريق الواسع المنقاد .

(٢) روايته فى اللسان هكذا :

فظلت أحثى التراب فى وجهه عنى وأحمى حوزة الغائب

. . . .

والرَّزانُ والثّقالُ بمعنى واحد ، وهى القليلةُ الحركة .

وقوله : وتُضْبِح غَرْثَى من لُحُوم الغَوافِل ، أى خَمِيصَة البَطْنِ من لُحوم الناسِ ، أى اغتيابهم وضَرَبَ الغَرْثَ مَثَلًا ، وهو عدم الطُّعْم وخُلُو الجَوْفِ، وفى التنزيل : ﴿ أيُحِبُّ أحدُكم أن يَأكُلَ لَحْمَ أخيه مَيْتاً ﴾ الحجرات : ١٢ ضرب المثل لأخْذِه فى العِرْض بأكْل اللّحْم، لأن اللحم سِتْرٌ على العَظْم ، والشاتمُ لأخيه كأنه يَقْشِرُ وَيكْشِف ما عليه من سِتْرٍ .

وقال : مَيْتاً،لأن الميتَ لايُحس ، وكذلك الغائبُ لايَسْمَعُ ما يقول فيه المُغتابُ ، ثم هو فى التحريم كأكْل لحم الميِّت.

وقوله : من لُحُوم الغَوافِلِ ، يريد : العفائفَ الغافلةُ قلوبُهُنَّ عن الشر ، كما قال سبحانه : ﴿ إن الذين يَرْمُون المُحصَنَاتِ الغافــلاتِ المُؤمنات ﴾ النور : ٢٣ جَعَلَهُنّ غافلاتٍ ، لأن الذى رُمِين به من الشَّرِّ لم يَهْمُمْنَ به قطُّ ولا خَطَرَ على قُلوبهن ، فهنَّ فى غَفْلَةٍ عنه ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف .

وقوله :

له رَتَبٌ عالٍ على الناسِ كُلِّهِم

الرَّتَبُ:ما ارتفع من الأرْضِ وعَلَا ، والرَّتَبُ أيضاً:قُوّةٌ فى الشّىء وغِلَظٌ فيه ، والسَّوْرَةُ رُتْبة رفيعة من الشرف مأخوذة اللفظِ من سُور البناء .

وقوله : فإن الذى قد قيل ليس بلائِطٍ ، أى : بلاصق ، يقالِ : ما يَلِيطُ

. . . .

ذلك بفلان ، أى : مايلصق به ، ومنه سُمّى الرِّبا : لِياطًا ، لأنه أُلصِقَ بالبَيْع ، وليس بِبَيْعٍ. وفى الكتاب الذى كُتب لثقيف : وما كان من دَيْنٍ ليس فيه رَهْنٌ ، فإنه لِيَاطٌ مُبَرّأٌ من اللهِ. وسيأتِى حديثُه مفسّراً إن شاء الله .

وقوله فى الشّعر :

فــلا رَفَعت سوطى إلَىَّ أناملى

دعاء على نفسه ، وفيه تصديقٌ لمن قال : إن حَسّان لم يُجْلَدْ فى الإفكِ ، ولا خاض فيه ، وأنشدوا البيت الذى ذكره ابن إسحاق :

لقد ذاق حَسّانُ الذى كان أهلَه

على خلاف هذا اللفظ :

لقــد ذاق عَبْدُ الله ما كان أهْلَه وحَمْنَةُ إذ قالوا : هجيراً ومِسْطَحُ

ما نزل في حق أصحاب الإفك :

وذكر ما أنزلَ اللهُ تعالى فى أصحاب الإفك وقوله تعالى : ﴿ إذ تَلَقَّوْنه بألسِنَتِكم ﴾ النور : ١٥ وكانت عائشةُ ـ رضى الله عنها تقرؤُها : إذْ تَلِقُونه بألسِنَتِكمْ من الوَلَقِ ، وهو استمرارُ اللسان بالكَذِبِ . وأما إقامةُ الحَدِّ عليهم ففيه التَّسْوِيَةُ بين أفضلِ الناس بعد النبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأدنى الناسِ دَرَجَةً فى الإيمان ، لايُزَاد القاذفُ على الثمانين ، وإن شتم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاينقص منها ، فإن قذف قاذفٌ اليومَ إحدى أمهاتِ المؤمنين سوى عائشة ، فيتوجه فيه للفقهاء قولان : أحدهما : أنْ يُجْلَد ثمانين كما يقتضيه عمومُ التنزيلِ ، وكما فعل النبىُّ ـ صلى الله

. . . .

عليه وسلم ـ بالذين قَذَفوا أهلَه قبل نزول القرآن ببراءتها ، وأما بعد نزول القرآن ببراءتها فيُقتَل قاذفها قَتْل كُفرٍ ، ولا يُصَلَّى عليه ، ولا يُورث . لأنه كَذَّب الله تعالى .

والقولُ الثاني في قاذف أمهاتِ المؤمنين غير عائشة ـ رضي الله عنهن ـ أن يُقتَل أيضاً ، وبه كان يأخذ شيخُنا ـ رحمه الله تعالى ـ ويحتج بقوله تعالى : ﴿ إن الذين يُؤْذُون الله ورسولَه لَعَنَهم اللهُ في الدنيا والآخرة ﴾ الأحزاب : ٥٧ الآية ، وإذا قذف أزواجَ النبي عليه السلام ، فقد سَبَّه . فمن أعظم الإذاية ، أن يُقَالَ عن الرَّجُل : قَرْنَان[1] وإذا سُبَّ نبيٌّ بمثل هذا فهو كُفْرٌ صُرَاحٌ وقد قال المفسرون في قوله تعالى (فَخَانَتَاهُمَا) أي: خانتا في الطاعة لهما ، والإيمان ، وما بغت امرأةُ نبيٍّ قطُّ ، أي مازنت .

إهداء سيرين إلى حسان :

وذكر أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطى حَسَّانَ جاريتَه بضربِه صَفْوَانَ بن المُعَطِّلِ له ، وهذه الجاريةُ اسمها سيرين بنت شَمْعُون أختُ ماريةَ سُرِّيَّةِ النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي أمُ عبدِ الرحمن بن حَسَّانَ الشاعر ، وكان عَبدُ الرحمنِ يَفخَر بأنه ابن خَالَةِ إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) القرنان هو الذي يشارك في امرأته كأنه يقرن به غيره أو هو نعته سوء في الرجل الذي لا غيرة له . قال الأزهري : هذا من كلام الحاضرة ، ولم أر البوادي لفظوا به ولا عرفوه .

. . . .

وقد روت سيرينُ هذه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً قالت : رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خللا فى قبر إبراهيم ابنِه فأصلحه ، وقال : أن الله يحب من العبد إذا عمل عملا أن يُتْقِنَه(١) .

---

(١) أخرج البخارى ومسلم حديث قصة الإفك فى صحيحيهما من حديث الزهرى . وفى روايتهما أن أمها قالت لها عقب تبشير الرسول « ص » لعائشة ببراءتها . « قومى إليه ، فقلت : والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذى أنزل براءتى » . وفى رواية للبخارى قالت : « لا والله ، لا أقوم إليه ، ولا أحمده ، ولا أحمدكما ، ولكن أحمد الله الذى أنزل براءتى ، لقد سمعتموه ، فما أنكرتموه ، ولا غيرتموه » ويقول ابن كثير عن الذى تولى كبره : « قيل : المراد به حسان ، وهو قول غريب ، ولولا أنه وقع فى صحيح البخارى ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة ، فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر ، وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله « ص » بشعره ، وهو الذى قال له رسول الله « ص » : هاجهم ، وجبريل معك » هذا وفى رواية البخارى أن الرسول « ص » لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأن عائشة ، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد ، ويجمع بأنها المدة التى كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن فى قصة الإفك ، وأما التقييد بالشهر فهو المدة التى أولها إتيان عائشة بيت أبويها حين بلغها الخبر .

ويقول الزمخشرى : لم يقع فى القرآن من التغليظ فى معصية ما وقع فى قصة الإفك بأوجز عبارة ، وأشبعها ، لاشتماله على الوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف ، واستعظام القول فى ذلك واستشناعه بطريق مختلفة ، وأساليب متقنة ، كل واحد منها كاف فى بابه ، بل ما وقع منها من وعيد عبدة الأوثان إلا بما هو دون ذلك ، وماذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانظر القول فى العصبة الذين جاءوا بالإفك فى ص ٢٧٣ جـ ٨ ط عبد الرحمن محمد فتح البارى . هذا وقد زاد الحاكم فى شعر حسان اللامى بيتين من غير رواية ابن اسحاق

=

أمر الحديبية فى آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوّالا ، وخرج فى ذى القعدة معتمراً ، لا يريد حرباً .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيلة بن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قُريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمَن معه من المهاجرين والأنصار ومن لَحِق به من العرب ، وساق معه الهَدْى ، وأحرم بالعُمرة ليأمن النَّاسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظِّماً له .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، عن عُروة بن الزُّبير عن مِسْوَر بن مَخْرمة ومَرْوان بن الحكم أنهما حدّثاه قالا : خرجَ

. . . .

= حليلة خير الخلق ديناً ومنصباً نبى الهدى والمكرمات الفواضل
رأيتك وليغفر لك الله حرة من المحصنات غير ذات الغوائل

وقد روى من طريق صالح بن كيسان عن الزهرى . قال عروة : كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول : إنه الذى قال

فإن أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عام الحُدَيْبِيَة يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالاً ، وساقَ معه الهَدْىَ سبعين بَدَنةً ، وكان الناس سبع مائة رجل ، فكانت كلّ بَدَنةٍ عن عَشْرة نفر .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغنى ، يقول : كنّا أصحابَ الحُدَيبية أربعَ عشرة مائة .

قال الزهرى : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعُسْفان لَقِيه بشر بن سُفيان الكَعْبى – قال ابن هشام : ويقال بُسْر – فقال : يارسول الله هذه قُريش ، قد سَمِعت بمَسِيرِكَ ، فخرجوا معهم العُوذُ المطافِيل ، قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور ، وقد نَزَلوا بذى طُوَى ، يُعاهدون الله لا تَدْخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد فى خَيْلِهم قد قَدّموها إلى كُراع الغَميم ، قال: فقال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ياوَيْحَ قُريش ! لقد أكَلتهم الحربُ ، ماذا عليهم لو خَلّوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابُونى كان الذى أرادُوا ، وإن أظْهَرَنِى اللهُ عليهم دخلوا فى الإسلام وافِرين ، وإن لم يَفعلوا قاتَلوا وبهم قُوّة ، فما تَظُنّ قريش ، فوالله لا أزال أجاهِد على الذى بَعثنى الله به حتى يُظهرَه الله أو تَنفرد هذه السّالفة .

الرسول صلى الله عليه وسلم يسلك طريقاً غير طريق قريش

ثم قال : مَنْ رَجُلٌ يَخرج بنا على طَريق غير طَريقهم التى هُمْ بها ؟

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر : أن رجلا من أسْلَم قال :

أنا يارسول الله ، قال : فسلك بهم طريقاً وَعْراً أجْرَل بين شِعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شقّ ذلك على المُسلمين وأفضَوْا إلى أرض سَهْلة عند مُنْقَطع الوادى ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس : قُولوا : نَستغفر اللهَ و نَتوب إليه ؛ فقالوا ذلك ، فقال : واللهِ إنهـــا لَلحِطَّة التى عُرِضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها .

قال ابنُ شهاب : فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرى الحَمْش ، فى طريقٍ تُخرجه على ثَنِيَّة المُرَار مَهْبط الحُديبية من أسفل مكّة ؛ قال : فسلك الجيشُ ذلك الطريق ، فلما رأت خيلُ قريش قَتَرَة الجيش قد خالفوا عن طَريقهم ، رَجعوا راكضين إلى قُريش ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك ، فى ثَنيَّة المُرَار بركت ناقته ، فقالت الناس : خَلأَتِ الناقة ، قال : ما خَلأَتْ وما هُوَ لها بخُلُق ، ولكنْ حَبسها حابسُ الفِيل عن مكة . لاتَدْعونى قريش اليومَ إلى خُطّة يسألوننى فيها صِلَة الرحم إلا أعطيتُهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ، قيل له : يارسول الله : ما بالوادى ماء ننزل عليه ، فأخرج سهماً من كِنانته ، فأعطاه رجـــلا من أصحابه ، فَنزل به فى قَليب من تلك القُلُب . فغرزه فى جَوْفه ، فجاش بالرَّوَاء حتى ضَرب الناس عنه بعَطَن .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعضُ أهل العلم عن رجال من أسْلم : أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُندَب بن عُمَير ابن يَعْمَر بن دارم بن عَمْرو بن وَاثِلَة بن سَهْم بن مازن بن سلامان بن أسْلَم بن أفْصَى

ابن أبى حارثة ، وهو سائق بُدْنِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أفصى بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى بعضُ أهل العلم : أن البَرَاء بن عازِب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

وقد أنشدت أسلم أبياتاً من شعر قالها ناجيةُ ، قد ظننا أنه هو الذى نزل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جاريةً من الأنصار أقبلت بدَلْوِها ، وناجيةُ فى القَلِيب يَمِيح على الناس ، فقالت :

يأيها المائح دَلْوِى دُونَكا   إنى رأيتُ الناسَ يَحْمَدُونَكا
يُثْنون خيراً ويُمَجِّدُونَكا

قال ابن هشام : ويُروى :

إنى رأيت النَّاس يَمدحونكا

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو فى القَلِيب يَمِيح على الناس :

قد علمت جاريةٌ يمانِيَهْ   أنى أنا المائح واسمى ناجِيَهْ
وطَعنةٍ ذات رَشاش واهِيَهْ   طعنتُها عند صدور العادِيَهْ

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أتاهُ بُدَيل بن وَرْقاء الخزاعىّ ، فى رجال من خُزاعَة ، فكلَّموه وسألوه : ما الذ

جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يُريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظِّماً لحرمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبِشْر بن سُفيان ، فرجعوا إلى قُريش فقالوا : يامعشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً هذا البيت ، فاتهموهم وجَبَّهوهم وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لايدخلها علينا عَنوة أبداً ، ولاتحدّثُ بذلك عنَّا العرب .

قال الزهرى : وكانت خُزَاعةُ عَيْبَةَ نُصْح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مُسلمُها ومُشركها ، لايُخفون عنه شيئاً كان بمكة .

قال : ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حَفْص بن الأخْيَف ، أخا بنى عامر بن لؤىّ ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبلا قال : هذا رجل غادِر ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلَّمه ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبُدَيل وأصحابه ، فرجع إلى قُريش فأخبرهم بما قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

ثم بعثوا إليه الحُلَيس بن عَلقمة أو ابن زَبَّان ، وكان يومئذ سَيِّد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة ؛ فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألَّهون ، فابعثوا الهَدْى فى وَجْهه حتى يراه ؛ فلما رأى الهَدْى يَسيل عليه من عُرْض الوادى فى قلائده ، وقد أكل أوْبارَه من طُول الحبس عن مَحَلِّه ، رجع إلى قُرَيْش ، ولم يَصِل إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابى لاعِلْم لك .

. . . .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن الحُلَيس غضب عند ذلك وقال : يامعشر قُريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أيُصَدُّ عن بيت الله مَنْ جاء مُعَظِّماً له ! والذى نفس الحُلَيس بيده ، لتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ماجاء له ، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفْرة رجل واحد . قال : فقالوا له : مَهْ ، كُفّ عنا ياحُلَيس حتى نأخذَ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهرىّ فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُروة بن مَسْعود الثَّقفى ؛ فقال : يامعشر قريش ، إنى قد رأيت مايلْقى منكم مَنْ بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التَّعنيف وسُوء اللَّفظ ، وقد عَرفتم أنكم والدٌ وإنى وَلد — وكان عُروة لسُبَيْعَةَ بنت عبد شمس — وقد سمعتُ بالذى نابكم ، فجمعتُ من أطاعنى من قومى ، ثم جئتكم حتى آسَيْتكم بنفسى ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتَّهم . فخرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يامحمد ، أجمعتَ أوْشابَ الناسِ ، ثم جِئْتَ بِهم إلى بَيْضَتك لتَفُضّها بهم ، إنها قُريش قد خَرجت معها العُوذُ المطافِيل . قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور ، يُعاهدون الله لاتَدْخلها عليهم عَنْوة أبداً وايْم اللهِ ، لكأنّى بهؤلاء قد انكشفوا عَنْك غداً . قال : وأبو بكر الصِّدِّيق خَلْف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ؛ فقال : امْصُصْ بَظْر اللَّاتِ ، أنحن نَنْكشف عنه؟ قال : من هذا يامحمد ؟ قال: هذا ابن أبى قُحافة ، قال : أما والله لولا يَدٌ كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعلَ يتَناول لِحْية رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلِّمه قال : والمغيرةُ بنُ شُعْبة واقف على

رأس رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فى الحديد . قال : فجعلَ يقْرَع يَده إذا تناول لِحْيةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكْفُفْ يدَك عن وَجْه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قبلَ أن لاتصلَ إليك ، قال : فيقولُ عُرْوَةُ : وَيْحَكَ ! ما أَفظَّك وأَغْلَظَك ! قال : فتبسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عُروة : مَن هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابنُ أخيك المُغيرة بن شُعْبة ، قال: أىْ غُدَر ، وهل غَسَلْتُ سَوْءَتك إلا بالأمس .

قال ابن هشام : أراد عُروة بقوله هذا أن المُغيرة بن شُعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيَّان من ثقيف : بنو مالك رهط المَقتولين ، والأحلاف رَهْط المُغيرة ، فوَدَى عُروة المَقتولين ثلاثَ عَشرة دِيَةً ، وأصلح ذلك الأمر .

قال ابن إسحاق : قال الزُّهْرِىُّ : فكلَّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنَحْوٍ مما كلَّم به أصحابَه ، وأخبره أنه لم يأتِ يُريد حَرْباً .

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى ما يصنع به أصحابُه ، لايتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يَبصق بُصاقاً إلا ابْتَدَرُوه . ولا يَسْقط من شَعره شىء إلا أخذوه . فرجع إلى قُريش ، فقال : يامعشر قُريش ، إنى قد جِئت كِسْرى فى مُلْكه ، وقيصر فى مُلْكه . والنَّجاشىَّ فى مُلْكه . وإنى والله مارأيت مَلِكا فى قوم قطّ مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيتُ قوماً لايُسْلِمونه لشىء أبداً ، فَرَوْا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِرَاشَ بن أميَّة الخزاعى ، فبعثه إلى قُرَيْش بمكة ، وحَمَله على بعير له يقال له الثَّعلب ، ليبلِّغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قَتْله ، فمنَعَتْه الأحابيش ، فخلَّوا سبيله ، حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعضُ من لا أتهم عن عكْرِمة مولى ابن عبَّاس عن ابن عبَّاس : أن قُرَيشاً كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يُطيفوا بعَسْكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليُصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا أخذاً ، فأُتِى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلَّى سبيلهم ، وقد كانوا رَمَوْا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنَّبْل .

ثم دعا عمرَ بن الخطَّاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلِّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يارسول الله ، إنى أخاف قريشاً على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدىّ بن كَعْب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قُرَيش عَدَاوتى إيَّاها ، وغِلْظَتى عليها ، ولكنى أدلُّك على رجل أعزّ بها منى ، عثمانَ بن عفَّانَ . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفَّان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش ، يُخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ، ومعظِّماً لحُرْمته .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمانُ إلى مكة ، فلقيه أبانُ بن سَعيد بن العاص

حين دخَل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلَّغ رسالةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانطلق عثمانُ حتى أتى أبا سُفيان وعُظماء قريش ، فبلَّغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تَطُوف بالبيت فطُف ؛ فقال : ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . واحتَبسَتْه قُرَيْش عندها ، فبلَغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أنّ عثمان بن عفّان قد قُتل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أنّ عثمان قد قُتل : لا نَبْرح حتى نُناجز القوم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ إلى البيعة . فكانت بيْعة الرّضْوانِ تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايَعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المَوْت ، وكان جابرُ بن عبد الله يقول : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يُبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفرّ .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلَّف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجدّ بن قَيْس ، أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته . قد ضَبأ إليها ، يَستتر بها من الناس . ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ الذى ذُكر من أمر عثمان باطل .

. . . .

قال ابن هشام : فذكرَ وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعبىّ : أن أوّل منْ بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعةَ الرّضوان أبو سِنان الأسدى.

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به عمن حدثه بإسْناد له ، عن ابن أبى مُلَيْكة عن ابن أبى عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثتْ قُريش سهَيل بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لُؤَىّ ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائْتِ محمداً فصالِحْه ولا يكن فى صُلْحه إلا أن يرجعَ عنّا عامه هذا ، فوالله لاتحدّث العربُ عنّا أنه دَخَلَها علينا عَنْوَةً أبداً . فأتاه سُهيل بن عمرو ؛ فلما رآهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قال : قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سُهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلّم فأطال الكلامَ ، وتراجَعا ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يَبْق إلا الكتابُ ، وثَب عمر بن الخطّاب ، فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبابكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى : قال أولسنا بالمسلمين؟ قال : بلى ؛ قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نُعطى الدّنيّة فى ديننا ؟ قال أبو بكر : ياعمر ، الزم غَرْزه ، فإنى أشهد أنه رسول الله ؛ قال عمر : وأنا أشهد أنه رسولُ الله ؛ ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يارسول الله ألستَ برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نُعطى الدَّنيَّة فى ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله ، لن أُخالف أمرَه ، ولن يُضَيِّعَنى ! قال : فكان عُمر يقول : مازلت أتصدّق وأصوم وأُصلى وأُعتق ، مِن الذى صنعتُ يومئذٍ ! مخافةَ كلامى الذى تكلَّمت به ، حتى رجوتُ أن يكون خيراً .

علىّ يكتب شروط الصلح

قال : ثم دَعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : اكتبْ : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سُهَيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللّهمّ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهمّ ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ماصالح عليه محمد رسولُ الله سُهَيل بن عمرو ، قال : فقال سُهيل : لو شهدت أنَّك رسول الله لم أُقاتلك ، ولكن اكتب اسمَك واسم أبيك ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سُهَيل بن عمرو ، اصطلحا على وَضع الحرب عن الناس عشرَ سنين يَأْمن فيهنّ الناسُ ، ويكفُّ بعضُهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قُرَيش بغير إذن وليِّه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، وإن بيننا عَيْبة مكفوفة ، وأنه لا إسْلَالَ ولا إغْلَالَ ، وأنه من أحبّ أن يدخل فى عقْد محمد وعَهْده دَخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل فى عقْد قُرَيش وعهدهم دخل فيه .

خزاعة فى عهد محمد ، وبنو بكر فى عهد قريش

فتواثبت خُزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعَهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عَقْد قُريش وعَهْدهم ، وأنَّك ترجع عنَّا عامَك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خَرَجنا عنك فدَخلتها بأصحابك ، فأقمتَ بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ، السُّيوف فى القُرُب ، لاتدْخلها بغيرها .

جندل بن سهيل

فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتابَ هو وسُهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهيل بن عمرو يَرْسُف فى الحديد ، قد انفلتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لايشُكُّونَ فِى الفَتْح ، لرُؤيا رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوْا مارأوْا من الصُّلح والرُّجوع ، وما تحمل عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيم ، حتى كادوا يهلكون ؛ فلما رأى سُهيل أبا جَنْدل قام إليه فضرَب وَجْهه ، وأخذ بتلبيبه ؛ ثم قال : يا محمد ؛ قد لَجَّت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ؛ قال : صدقتَ ، فجعل ينتره بتلبيبه ، ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جَنْدل يَصرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين ، أأُرَدّ إلى المشركين يَفتنونى فِى دينى ؟ فزاد ذلك الناسَ إلى مابهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جَنْدل ؛ اصبر واحتَسِبْ فإن الله جاعِلٌ لك ولمن معك من المُستضعفين فَرَجاً ومَخرجاً ، إنَّا قد عَقَدنا بيننا وبين القوم صُلحاً ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ،

. . . .

وإنّا لا نَغْدِرُ بهم ؛ قال : فوثب عمر بن الخطّاب مع أبى جندل يَمْشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دَمُ أحدهم دم كلب . قال : ويُدْنى قائم السَّيف منه . قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السَّيفَ فيضرب به أباه ، قال : فضَنَّ الرجلُ بأبيه ، ونفذت القضيَّة .

الذين شهدوا على الصلح

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشْهَدَ على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصدّيق ، وعمر بن الخطّاب ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسَعد بن أبى وقّاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومِكْرَز بن حَفْص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلىّ بن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

الإحلال

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطرباً فى الحِلّ ، وكان يُصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصُّلح قدم إلى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حَلقه ، فيما بلغنى ، فى ذلك اليوم خِراش بن أُميَّة بن الفضل الخزاعىُّ ، فلما رأى الناسُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نَحر وحَلق تواثبوا يَنْحَرون ويَحْلِقون .

المحلّقون والمقصرون

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مُجاهد ، عن ابن

. . . .

عبَّاس ، قال : حلق رجالٌ يوم الُحدَيبية ، وقصَّر آخرون . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يَرْحم الله المحلِّقين ، قالوا : والمُقَصِّرين يارسول الله ؟ قال: يرحم الله المحلِّقين ، قالوا : والمقصِّرين يارسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلِّقين ، قالوا : والمقصِّرين يارسول الله ؟ قال : والمقصِّرين ، فقالوا : يارسول الله : فلم : ظاهرت الترحيم للمحلِّقين دون المقصِّرين ؟ قال : لم يشكُّوا .

وقال عبد الله بن أبي نَجيح : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهْدى عام الُحدَيبية فى هَداياه جملا لأبى جَهْل ، فى رأسه بُرَةٌ من فضَّة ، يغيظ بذلك المشْركين .

نزول سورة الفتح

قال الزهرى فى حديثه : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : ﴿ إنَّا فَتَحْنا لكَ فَتْحاً مُبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ ، ويُتِمَّ نِعْمَتَه عَلَيْكَ ، ويَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيما ﴾ .

ذكر البيعة

ثم كانت القصَّة فيه وفى أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة ، فقال جلَّ ثناؤه : ﴿ إنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إنَّمَا يُبايِعُونَ اللهَ ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فإنَّما يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أوْفَى بِما عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ ، فَسيُؤْتِيهِ أجْرًا عَظِيما ﴾ .

ذكر من تخلف

ثم ذكر من تخلّف عنه من الأعراب، ثم قال: حين استفزّهم للخروج معه فأبطئوا عليه: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنا وأَهْلُونا ﴾. ثم القصّة عن خبرهم، حتى انتهى إلى قوله: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذا انْطَلَقْتُمْ إِلى مَغانِمَ لِتَأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا، كَذلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ . . . ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: فارس. قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن الزهري أنه قال: أولو البأس الشديد: حنيفةُ مع الكذّاب.

ثم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمَ مافِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً * وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها، وكانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً * وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ، وكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ويَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً * وأُخْرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحاطَ اللهُ بِها، وكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴾.

. . . .

ذكر كف الرسول عن القتال

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ والهَدْىَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : المعكوف : المحبوس ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وكأنّ السّموط عكّفه السّلــك بعطْفى جَيْداء أُمّ غزَال

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بغيرِ عِلْمٍ ﴾ ، والمعرّة : الغرم ، أى أن تصيبوا منهم (معرّة) بغير علم فتخرجوا دِيَته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية فى الوليد بن الوليد بن المُغيرة ، وَسَلَمَة بن هشام ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة ، وأبى جَنْدل بن سُهيل . وأشباههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا

. . . .

فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ، حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ ﴾ يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : ﴿ فأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ ، وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وكانوا أحقَّ بها وأهلها ﴾ : أى التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شاءَاللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تخافُونَ ، فَعَلِمَ مالَمْ تَعْلَمُوا ﴾ : أى لرؤيا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف ؛ يقول : محلِّقين رءوسكم ، ومقصِّرين معه لا تخافون ، فعلم من ذلك مالم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ، صلح الحديبية .

يقول الزهرى : فما فُتح فى الإسلام فتح قبلَه كان أعظَم منه ، إنما كان القتال حيث التقَى الناس ؛ فلما كانت الهُدنة ، ووُضعت الحرب ، وآمن الناس بعضُهم بعضاً ، والتقوا ، فتفاوضوا فى الحديث والمُنازعة ، فلم يكلِّم أحد بالإسلام يَعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تَيْنك السَّنتين مثلُ مَنْ كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على قول الزُّهرى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحدَيبية فى ألف وأربع مائة ، فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

ماجرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

مجىء أبى بصير إلى المدينة وطلب قريش له

قال ابن إسحاق : فلمّا قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بَصير عُتْبة بن أسِيد بن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزْهَر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرَة ، والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثّقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا رجلا من بنى لُؤَىّ ، ومعه مولى لهم ، فقَدِما على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بَصِيرِ إنا قد أعطينا هؤلاء القومَ ماقد علمتَ ، ولا يصلحُ لنا فى ديننا الغدرُ ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعَفين فَرَجاً ومخرجا ، فانْطلِق إلى قومك ، قال : يارسول الله ، أتردّنى إلى المشركين يَفْتِنوننى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلِق ، فإنّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعفين فَرَجاً ومَخْرجاً .

قتل أبى بصير للعامرى، ومقالة الرسول فى ذلك

فانطلَق معهما ، حتى إذا كان بذى الُحلَيفة ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بَصير : أصارمٌ سيفُك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظُر ، إن شئت . قال : فاستَلّه أبو بَصِير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو

جالس فى المسجد ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طالعاً ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فَزَعاً ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: ويحك ! مالك ؟ قال : قَتَل صاحبُكم صاحبى . فوالله مابَرِح حتى طلَع أبو بَصير مُتَوَشِّحاً بالسَّيف ، حتى وقف على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، وَفَتْ ذِمَّتك ، وأدّى الله عنك ، أسْلَمْتنى بيد القوم وقدامتنعتُ بدينى أن أُفتن فيه ، أو يُعْبَث بى . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل امِّه مِحَشُّ حرب لو كان معه رجال !

أبو بصير وزملاؤه فى العيص

ثم خرج أبو بَصير حتى نزل العِيصَ ، من ناحية ذى المَرْوة ، على ساحل البحر ، بطريق قُرَيش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المُسْلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير : « وَيْلُ امِّه مِحَشَّ حَرب لو كان معه رجال ! » ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعِيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضيَّقوا على قُرَيش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تَمُرُّ بهم عِيرٌ إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قُرَيش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم . فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : فلما بلغ سُهَيلَ بن عمرو قتلُ أبى بَصير صاحبَهم

العامرىّ ، أسند ظهرَه إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظَهْرى عن الكعبة حتى يُودَى هذا الرجل ، فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السَّفه ، والله لا يُودَى ثلاثاً . فقال فى ذلك مَوْهَب بن رياح أبو أُنَيس ، حليف بنى زُهرة :

قال ابن هشام : أبو أُنَيس أشعرىّ .

شعر موهب فى وَدْى أبى بصير

أتانِى عَنْ سُهَيْل ذَرْءُ قَوْلٍ ... فأيقظنى وما بِىَ مِنْ رُقادِ

فإنْ تَكُنِ العِتابَ تُرِيدُ منى ... فما تَبْغِى فمَا بكَ من بعادى

أتُوعدنى وعبدَ مَنافَ حَوْلِى ... بِمَخْزوم ألهفا مَنْ تُعادى

فإنْ تَغمِز قَناتى لاتجدْنى ... ضَعيفِ العُود فى الكُرَب الشِّداد

أسامِى الأكْرَمين أباً بقَوْمى ... إذا وَطِئ الضَّعيفُ بهم أُرادى

هُمُ مَنَعوا الظَّواهِرَ غيرَ شَكّ ... إلى حيثُ البَواطِنُ فالعَوادى

بكُلِّ طِمِرّة وبكُلّ نَهْدٍ ... سَوَاهِمَ قَدْ طُوِينَ من الطِّراد

لهم بالخَيْف قد عَلِمَتْ مَعدّ ... رِوَاق المَجْدِ رُفِّع بالعِماد

ابن الزبعرى يرد على موهب

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، فقال :

وأمْسَى مَوْهَب كحِمار سَوْء ... أجازَ ببَلدةٍ فيها يُنادِى

فإنّ العبدَ مِثلك لا يُناوى سُهَيلاً ضَلّ سَعْيك من تُعادى
فأقصِر يابنَ قَيْن السُّوء عنه وعَدِّ عَن المقالة فى البلاد
ولا تذكُر عِتاب أبى يزيدٍ فهيهات البُحور من الثِّماد

أمر المهاجرات بعد الهدنة

الرسول صلى الله عليه وسلم يأبى رد أم كلثوم

(قال ابن إسحاق) : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمّ كُلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيط فى تلك المدة ، فخرج أخَوَاها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة ، حتى قَدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردّها عليهما بالعَهْد الذى بينه وبَين قُريش فى الحُديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

حول آية المهاجرات المؤمنات

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزُّهرى ، عن عُروة بن الزُّبير ، قال : دخلتُ عليه وهو يَكْتب كتاباً إلى ابن أبى هُنَيْدَةَ ، صاحبِ الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ ، اللهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنَّ ، فإنْ عَلِمْتُمُوهُن مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ ، لاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ، وَلاهُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وآتُوهُمْ ماأنْفَقُوا ، وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنكِحُوهُنَّ إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ ﴾ .

— قال ابن هشام : واحدة العِصم : عِصْمة ، وهى الحبل والسَّبب . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

إلى المَرْء قَيْسٍ نُطيلُ السُّرَى ونأخذ من كُلِّ حَىٍّ عِصَم

وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ وَاسْأَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ ، وَلْيَسْأَلُوا ما أَنْفَقُوا ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قال : فكتب إليه عُروة بن الزُّبير : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قُرَيشاً يوم الحُدَيبية على أن يردّ عليهم مَنْ جاء بغير إذن وليّه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام أبَى اللهُ أنْ يُرْدَدْنَ إلى المُشركين إذا هنّ امتُحِنَّ بِمِحْنة الإسلام ، فعرفوا أنهنّ إنما جِئْن رغبة فى الإسلام ، وأمرَ بردّ صَدُقاتهنّ إليهم إن احتَبَسن عنهم ، إن هم ردّوا على المسلمين صداقَ من حُبِسوا عنهم من نسائهم ؛ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . فأمسك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النساء وردّ الرجال ، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل من صدُقات نساء من من حُبسوا منهنّ ، وأن يردّوا عليهم مثل الذى يردّون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النساء كما ردّ الرجال ، ولولا الهُدنة والعَهد الذى كان بينه وبين قُريش يوم الحُديبية لأمسك النساء ، ولم يردُدْ لهنّ صداقاً ، وكذلك كان يصنع بمَنْ جاءه من المسلمات قبل العهد .

. . . .

قال ابن إسحاق : وسألت الزُّهْرى عن هذه الآية ، وقول الله عزّ وجلّ فيها : ﴿ و إنْ فاتَكُمْ شَىْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فعاقَبْتُمْ ، فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنفقُوا واتقُوا اللهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنونَ ﴾ فقال : يقول : إن فات أحداً منكم أهلُه إلى الكفّار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوّضوهم من فَىْءٍ إن أصبتموه ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ياأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ﴾ ... إلى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ ﴾ ، كان ممن طلّق عمرُ بن الخطّاب ، طلّق امرأته قُرَيبة بنت أبى أُميّة بن المُغيرة ، فتزوّجها بعده مُعاوية بن أبى سفيان وهما على شركهما بمكة ، وأمّ كلثوم بنت جَرْوَل أمّ عبيد الله بن عمر الخُزاعيّة ، فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شرْكهما .

بشرى فتح مكة وتعجيل بعض المسلمين

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أنّ بعضَ منْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يارسول الله إنك تدخل مكة آمناً ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم مِنْ عامى هذ ؟ قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لى جبريل عليه السلام .

. . . .

غزوة الحديبية

يقال فيها : الْحُدَيْبِيَة بالتخفيف ، وهو الأعرف عند أهل العربية . قال الخطابى : أهلُ الحديث يقولون : الْحُدَيْبِيَّة بالتشديد ، والجِعِرّانَة كذلك ، وأهل العربية يقولونهما : بالتخفيف ، وقال البكرى : أهلُ العراقِ يشدِّدُون الراء والياء فى الجِعِرّانة والْحُدَيْبِيَّة ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من لَقِيته ممن أَثِق بعلمه عن الْحُدَيْبِيَة ، فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف(1) .

المِيقات والإشعار :

فصل : وذكر خروج النبىّ — صلى الله عليه وسلم — مُعْتَمِراً إلى مكّة ، ولم يذكر فى حديثه : من أَيْنَ أحرم ، وفى الصحيح من رواية الزُّهْرِىّ أنه أحرم من ذى الْحُلَيْفَة ، وهو خلاف مايروى عن علىّ رحمه الله من قوله : إن تمام العمرة أن تُحْرِمَ بها من دُوَيْرَة أهلك ، وهذا من قول علىّ مُتَأَوَّلٌ فيمن كان منزلُه من وَرَاء الميقاتِ ، فهو الذى يُحْرِم من دُوَيْرَةِ أهلِه ، كما يُحْرِمُ أهلُ مكّةَ من مكّةَ فى الحج .

وفيه : أنه أَشْعَرَ الْهَدْىَ ، وهو خلاف قول النَّخعِىّ وأهلِ الكوفة فى قولهم إن الإشعارَ منسوخٌ بنهيه عن الْمُثْلَةِ ، ويقال لهم : إن

---

(1) وأهل الحديث يكسرون العين وأهل الأدب يخففون الراء .

. . . .

النَّهى عن المُثْلَةِ كان بإثرِ غَزْوَة أُحُد ، فلا يكون الناسخُ متقدماً على المنسوخ.

من شرح حديث الحديبية :

وفيه أنهم مَرُّوا بطَرِيقٍ أَجْرَدَ ، ومعناه: كثيرُ الحجارةِ[١] ، والجَرْدُ: الحَجَرُ.

وفيه أنه بعث عَيْناً له من خُزَاعَة إلى مكة ، فدل على أنه يجوزُ للرجل أن يسافرَ وحده ، إذا مسَّتْ الحاجةُ إلى ذلك ، أو كان فى ذلك صَلاحٌ للمسلمين.

وفى البخارى والنَّسَوِىِّ أن عَيْنه الذى أرسل جاءه بغَدِيرِ الأشْطَاطِ ، والأشْطَاطُ: جَمْع شَطٍّ ، وهو السَّنَامُ ، قال الراجزُ[٢] :

شَطًّا رَمَيْتَ فوقه بِشَطٍّ

وشَطُّ الوادى : أيضاً جانبُه ، وبعضهم يقول فيه الأشْظَاظ بالظاء المعجمة ، واسم عينه ذلك بُسْرُ بن سُفيَانَ بن عَمْرو بن عُمَيْر الخُزَاعِى[٣] ، وهو الذى

---

(١) فى السيرة أجرل . والجرل: بالتحريك:الحجارة أو مع الشجر أو المكان الصلب الغليظ ، والجرد من الأرض مالا ينبت ، والفضاء لا نبت فيه وهذا الإسم للفضاء ، ومن هذا يتبين أن السهيلى وضع الجرد معنى الجرل ، أو لعله خطأ من الناسخ،إذ جعل اللام دالا .

(٢) الرجز لأبى النجم ، وهو الفضل بن قدامة بن عبيد الله عجلى من بنى عجل ابن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، والرجز هكذا .

علقت خوداً من بنات الزط ذات جهاز مضغط ملط
كأن تحت درعها المنعط شطا رميت فوقه بشط
لم ينز فى الرفع ولم ينحط

(٣) أوعو يمر الخزاعى .

. . . .

بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع بُدَيْل بن أم أَصْرَم[1] وهو بُدَيل ابن سَلَمة[2] إلى خزاعة يَسْتَنْفِرُهم إلى قتالِ أهْلِ مكّة عامَ الفَتْحِ .

وفيه أن قريشاً خرجت ومعها العُوذُ المطَافِيلُ . العُوذُ : جمع عائِذٍ ، وهى الناقة التى معها ولدُها ، يُريد أنهم خرجوا بذَوَاتِ الألْبَانِ من الإبل ، ليتَزَوَّدوا ألْبانَها ، ولا يَرْجعوا ، حتى يُناجِزوا محمداً وأصحابَه فى زعمهم ، وإنما قيل للناقة : عائذ ، وإن كان الولدُ هو الذى يعوذ بها ، لأنها عاطفٌ عليه ، كما قالوا تِجَارَةٌ رابحــة ، وإن كانت مَرْبُوحاً فيها ، لأنها فى معنى نامية وزَاكية ، وكذلك عيشة رَاضِيَة لأنها فى معنى صالحة ، ومن نحو هذا قوله : ﴿ والهَدْىَ مَعْكُوفاً ﴾ الفتح : ٢٥ وإن كان عاكِفاً ، لأنه مَحْبُوسٌ فى المعنى ، فتحول وزنُه فى اللفظِ إلى وَزْنِ ماهو فى معناه ، كما قالوا فى المرأة : تُهْرَاقُ الدِّمَاء ، وقياسه : تُهْرِيقُ الدِّمَاءَ ، ولـكنه فى معنى : تُسْتَحَاضُ ، فحُوِّل إلى وزن مالم يُسَمَّ فاعلُه وبقيت الدماء منصوبة على المفعول كما كانت[3] .

---

(١) فى الأصل : أصوم .

(٢) فى القاموس : بديل بن ميسرة بن أم أصرم ، وبديل بن سلمة . وفى الاشتقاق : بديل بن أم أصرم .

(٣) قد يكون منصوباً على التمييز ، وإن كان معرفة ، وله نظائر ، أو يكون قد أجرى تهراق مجرى : نفست المرأة غلاماً ، ونتج الفرس مهراً ، ويجوز رفع الدم على تقدير : تهراق دماؤها ، وتكون الألف واللام بدلا من الإضافة كقوله تعالى : (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) أى عقدة نكاحه أو نكاحها « اللسان مادة هرق » .

. . . .

وقوله فى بئر الحُدَيْبِيَة : إنما يَتَبرَّضُ ماؤُهَا تَبَرُّضاً من البَرْضِ ، وهو الماء الذى يَقْطُر قليلاً قليلاً ، والبارِضُ من النبات الذى كأنه يقطر من من الرِّىِّ والنعمة. قال الشاعر :

رَعَى بارِضَ الْبُهْمَى جَمِيماً وبُسْرَةً ‏ ‏ ‏ ‏ وصَمْعاءَ حتى آنَفَتْهُ نِصالُها[1]

يقال لكل شىء فى أوله : بُسْرة حتى للشمسِ عند طلوعها ، وصَمْعاء : مُتَجِدَة قد شَوَّكَت، قاله أبو حنيفة .

وذكر أن رَجُلًا من أسلم سلك بهم طَرِيقاً وَعْراً أَجْرَلَ يقال : إن ذلك الرَّجل هو ناجِيَة الأسلمى ، وهو سائق بُدْنِه ، وهو ناجية بن جُنْدَب ، ويقال فيه ابنُ عُمَيْر ، وكان اسمه : ذَكْوَانَ ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم : ناجِيَةً حين نجا من كفار قريش ، وعاش إلى زمن معاويةً ، وأما صاحبُ بُدْنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكور فى حديث آخر فى المُوطَّأ وغيره ، فاسمه : ذُؤَيْبُ بن حَلْحَلَةَ بن عَمْرو بن كُلَيْب بن أَصْرَمَ بن عبدِ الله بن قُمَيْر بن حُبْشِيَّةَ بن سَلُول بن كَعْب بن عَمْرو بن رَبِيعة ، وهو لَحُىُّ بنُ

---

(١) البيت فى اللسان وروايته : رعت . وفى الأصل : حيما وآلفته والتصويب من اللسان. وآنفته : جعلتها تشتكى أنوفها بسفاها . ويروى حتى أنصلتها . والبهمى : نبات تحبه الغنم حباً شديداً مادام أخضر . قال الأزهرى : البهمى أول ما يبدو منها البارض، فاذا تحرك قليلا فهو جميم ، فاذا ارتفع وتم قبل أن يتفقأ ، فهو الصمعاء . والبسرة : الغض من البهمى . انظر اللسان فى مادة بسر، وصمع، وبهم .

. . . .

حَارِثة جدُّ خُزَاعَةَ ، وذُؤَيبٌ هذا هو والدُ قَبِيصَةَ بن ذُؤَيْبٍ القاضى صاحبِ عبدِ الملك بن مَرْوَانَ ، وعاش ذُؤَيبٌ إلى خِلَافَةِ معاوية أيضاً .

وذكر فى نَسَبِ أَسْلَمَ بن أَفْصَى بن أبى حارثة ، وهو وهم ، وقد أصلحه ابنُ هشام ، فقال : هو حارثة يعنى بن ثَعْلَبَةَ بن عَمْرو بن عَامِرِ بن ماءِ السَّماءِ ابن حَارِثَةَ الْغِطْرِيفِ بن امرِىءِ القيس بن ثَعْلَبَةَ بن مازِنِ بن الأسد ، ويحتمل أن يكون ابن إسحاق لم يَهِمْ فيه ، ولكنه نسبه إلى أبى حارثة بن عَمْرو بن عامر ، وهو عَمُّ حارثَةَ بن ثَعْلَبَةَ ، وحارثةُ هو أبو الأَوْسِ والخَزْرَجِ[1] .

وذكر قوله عليه السلام : لا تَدْعُونى قريشٌ اليوم إلى خطَّةٍ ، الحديث ، وفى غير رواية ابن إسحاقٍ عن الزُّهْرِى أنه قال : والذى نفْسِى بيده ، لا تدعونى قريش ، ولم يقل فى الحديث : إن شاء الله ، وقد تكلموا فى ذلك فقيل : إنما أسقط الاستثناء ، لأنه أمرٌ واجبٌ كان قد أُمر به ، ألا تراه يقول فى الحديث : إنما أنا عبدُ الله ورسُوله لن أخالف أمره ، ولن يُضَيِّعَنى[2] ، وقيل إن إسقاطَ الاستثناء إنما هو من الراوى إمَّا نَسِيَه وإمَّا لم يَحْفَظْه .

وفى الحديث : أَوْ تَنْفِردُ هذه السالفةُ . السالفةُ : صَفْحَةُ العُنُقِ ، وانفرادُها

---

(١) هذا لأن حارثة ولد ربيعة ، وولد ربيعة عمراً ، وهو أبو خزاعة .

(٢) رأى غير جيد ، لأنه تعالى قال فى هذه القصة : (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) مع تحقيق وقوع ذلك تعليما وإرشاداً «من فتح البـــارى» .

. . . .

عبارةٌ عن القتل أو الذبح ، وفى الرجز الذى أنشده :

يَا أيُّها المائحُ دَلْوِى دُونَكَا

لو قال دُونَكَ دَلْوِى لكان الدَّلْوُ فى موضع نَصْبٍ على الإغراء ، فلما قَدَّمها على دُونَكَ ، لم يَجُزْ نصبُها بدونك ، ولكنه بفعلٍ آخرَ ، كأنه قال : املأْ دَلْوِى ، فقوله : دُونَكَا أَمْرٌ بعد أَمْرٍ .

وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : فى الْخُلَيْسِ : إن هذا من قوم يَتألَّهون ، أى : يُعَظِّمون أمرَ الإله ، ومنه قول رؤبة :

سَبَّحْنَ ، واسْتَرْجَعْنَ من تَأَلُّه[1]

أى : من تَنَسُّكٍ وتعظيم لله سبحانه .

وصف الجمع بالمفرد :

وقول عُرْوَةَ بن مَسْعُودٍ لقريش : قد عَرَفْتُم أنكم والدٌ : أى كُلُّ واحدٍ منكم كالْوَالِدِ ، وقيل معناه : أنتم حَىٌّ قد وَلَدَنى ، لأنه كان لسُبَيْعَةَ[2] بنتِ عَبْدِ شَمْسٍ[3] ، وقد يجوز أن يقال فى الجماعة : هم لى صَدِيقٌ وَعَدُوٌّ . وفى

---

(١) القصيدة فى ديوان رؤبة والبيت هكذا :

لله در الغانيات المده   سبحن واسترجعن من تألهى

(٢) فى الأصل : سفيعة ، وهو خطأ .

(٣) وعبد شمس هو ابن عبد مناف بن قصى .

. . . .

التنزيل : ﴿ وَحَسُن أولئك رَفيقاً ﴾ النساء : ٦٩ فيُفرَد لأنه صفة لفريق وحزب ويَقْبُحُ أن تقولَ : قومُك ضاحِكٌ أو باكٍ ، وإنما يحسُن هذا إذا وَصَفْتَ بصديقٍ ورَفيقٍ وَعَدُوٍّ لأنها صفة تَصْلُح للفريقِ والحِزْبِ ، لأن العَدَاوَةَ والصَّدَاقَةَ صفتان مُتَضادَّتَان ، فإذا كان على أحدِهما الفريقُ الواحدُ ، كان الآخرُ على ضِدِّها ، وكانت قلوبُ أحد الفريقين فى تلك الصفةِ على قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ فى عُرْف العادة ، تَحسُن الإفرادُ ، وليس يلزم مثلُ هذا فى القيام والقعود ونحوه ، حتى يقال : هم قاعِدٌ أو قائمٌ كما يقال : هم صَدِيقٌ لما قدمناه من الاتفاق والاختلافِ . وأما قوله تعالى : ﴿ يُخرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ غافر : ٦٧ ، بلفظ الإفراد، وقال فى موضع آخر : ﴿ وإذا بَلَغ الأطفَالُ منكم الحُلُمَ ﴾ النور: ٥٩ فالأحسن فى حكم البلاغةِ أن يُعبَّر عن الأطفَالِ الرُّضَّع بالطِّفْل فى الواحدِ والجميع ، لأنهم مع حِدْثَانِ الوِلَادَةِ كالجِنْسِ الذى يقع على القليل والكثير بلفظ واحد ، ألا تَرى أن بَدْء الخلقِ طينٌ ، ثم منىٌّ ، والمَنِيُّ جِنْسٌ لا يتميز بعضُه مِنْ بَعْضٍ ، فلذلك لا يُجْمَع ، وكذلك الطين ، ثم يكون الخلق علقاً ، وهو الدم ، فيكون ذلك جِنْساً ، ثم يخرجهم الله طِفْلاً ، أى : جنساً تالياً للعَلَق والمَنِيِّ لا يكاد يَتَمَيَّزُ بعضُهم من بعضٍ إلا عند آبائهم ، فإذا كبروا وخالطوا الناس ، وعرف الناسُ صُوَرَهم بعضَهم من بَعْضٍ فصاروا كالرجال والفِتيان ، قيل فيهم : حينئذ أطفَالٌ ، كما يقال : رِجَالٌ وفِتْيَانٌ ، ولا يُعْتَرضُ على هذا الأصلِ بالأَجِنَّةِ أنهم مُغَيَّبُون فى البُطُون ، فلم يكونوا كالجنس الظاهر للعيون كالماء والطين والعَلَقِ ، وإنما جُمِعَ الجَنِينُ على أَجِنَّةٍ ، وحَسُن ذلك فيه ، لأنه تَبَعٌ للبَطنِ الذى هو فيه ، ويقوى هذا الغرضَ الذى صَمَدْنا إليه فى الطِّفْل

. . . .

قولُ رجلٍ من بنى مُجاعَةَ لِعُمَرَ بن عبدِ العَزِيز ، وقد سأله : هل بقى من كُهُول بنى مُجَاعَةَ أحدٌ ؟ قال : نعم ، وشَكِيرٌ كثيرٌ ، فانظر كيف قال : الكهول وجَمَع ، وقال فى الصغار : شَكِيرٌ كما تقول : حَشِيشٌ ، ونباتٌ ، فتُفرد ، لأنه جِنْسٌ واحدٌ ، والطِّفْل فى معنى الشَّكِير ماداموا رُضَّعاً ، حتى يَتَمَيَّزوا بالأسماء والصور عند الناس ، فهذا حكمُ البلاغة ، ومَساقُ الفَصَاحَةِ فافْهَمْه .

وأما قول عُرْوَةَ : جمعت أو شابَ الناس ، يريد : أخلاطاً ، وكذلك الأوْبَاشُ .

وقوله فى حديث الْمُغِيرَة : أما المالُ فلستَ منه[1] فى شىء . فيه مِن الفقه أنَّ أمْوالَ الْمُشركين حرامٌ إذا أَمِنُوك وأَمِنْتَهم ، وإنما يَحِلُّ بالْمُحَارَبَةِ والْمُغَالَبَةِ لا عند طمأنينتهمْ إليك وأَمَنَتِهم منك ، فإن ذلك هو الْغَدْرُ ،

---

(١) كان المغيرة قبل إسلامه صحب قوماً فى الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بنى مالك لما خرجوا للمقوقس بمصر بهدايا ، فأحسن إليهم ، وأعطاهم ، وقصر بالمغيرة ، لأنه ليس من القوم ، بل من أحلافهم ، فغار منهم ولم يواسه أحد منهم ، فلما كان ببعض الطريق شربوا الخمر ، وناموا ، فوثب المغيرة ، فقتلهم كلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء إلى المدينة ، فأسلم فقال أبو بكر : مافعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قال : قتلتهم ، وجئت بأسلابهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخمس ، أو ليرى رأيه فيها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما الإسلام — بالنصب على المفعولية — فأقبل ، وأما المال فلست منه فى شىء « المواهب ص ١٩١ ح ٢ » ورواية البخارى ومسلم « صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبى « ص » أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه فى شىء »

. . . .

وفى هذا المعنى آثار قد مضى بعضُها ، وسيأتى بعضُها فى غَزْوَةِ خَيْبَرَ وغيرِها.

وفيه : أنهم كانوا يَتدلَّكُون بنُخَامَةِالنبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم إذا تَنَخَّمَ. وفى ذلك دليل على طهارة النُّخَامَة خِلافًا للنَّخَعِىِّ ، وما يُرْوَى فى ذلك عن سَلْمانِ الفارِسِىِّ. وحديث : إذا تَنَخَّمَ أحدُكم فى الصَّلاةِ أَبـيَنُ فى الْحُجَّة، لأن حديث السيرة يَحْتَمِل الخصوصَ بالنبى صلى الله عليه وسلم(١) .

حول المصالحة :

فصل: وذكر مُصاَلَحَةَ النبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقُرَيشٍ وشَرْطِهِم أَنْ لَا يأتيه منهم أحدٌ مِمَّن هو على دِينِه إلّا ردَّه عليهم ، وفى هذا الحديث مصالحةُ

---

(١) لا يعتبر عمل الصحابة هنا هدياً يهتدى به، أو أسوة يقتدى بها، أو عملا يمكن أن يضاف إلى الإسلام كشعيرة أو سنة . فانه عمل إن صح الحديث مرتبط بما عمل من أجله ، لا يتعداه ، ولا يحسب قاعدة . بدليل أن أحداً من الصحابة لم يفعله بعد ذلك ، وهى لمحة رائعة من لمحات صاحب الفتح أن يقول : « ولعل الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة وبالغوا فى ذلك إشارة إلى الرد على ما خشيه من فرارهم ، فكأنهم قالوا بلسان الحال : من يحبه هذه المحبة . ويعظمه هذا التعظيم ، كيف يظن به أن نفر عنه ونسلمه لعدو ، بل هم أشد اغتباطا به وبدينه ونصره من هذه القبائل التى تراعى بعضها بمجرد الرحم » ص ١٩٢ ح ٢ المواهب . ولعل من دنس الفهم وقذارته أن نتصور فى الإسلام أنه يجد مثل هذا أن يفتح له بابا يدخل منه إلى شريعته . أو يحث الناس على التدلك بنخامة شيوخهم كما يفترون ! ! هذا وقد روى عن أبى هريرة وأبى سعيد أن رسول الله « ص » رأى نخامة فى جدار المسجد فتناول حصاة . فحتها . وقال إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه ، ولا عن يمينه ، وليبصق عن يساره ، أو تحت قدمه اليسرى « متفق عليه » وفى رواية للبخارى : فيدفنها .

. . . .

المشركين على غير مالٍ يؤخذ منهم ، وذلك جائزٌ إذا كان بالمسلمين ضعفٌ ، وقد تقدم مصالحتُهم على مالٍ يعطُونه في غزوة الخَنْدَقِ ، واختلف : هل يجوزُ صُلحُهم إلى أكثر من عشر سنين ؟ فقال بعضهم : يجوز ذلك إذا رآه الإمامُ ، وقالت طائفة : لا يُتَجاوَزُ في صلحهم إلى أكثرَ من عَشر سنين ، وحجتُهم أنَّ حَظرَ الصُّلح هو الأصل بدليل آيةِ القتال ، وقد ورد التحديدُ بالعشر في حديث ابن إسحاق فحصلت الإباحةُ في هذا المقدارِ مُتَحَقِّقَةً ، وبقيت الزيادة على الأصل وهو الحظر ، وفيه الصلحُ على أن يُرَدَّ المسلمُ إلى دارِ الكُفْرِ ، ، وهذا منسوخ عند أبي حَنِيفَةَ بحديثِ سَرِيَّة خالدٍ حين وجهه النبي — صلى الله عليه وسلم إلى خَثْعَمَ ، وفيهم ناسٌ مُسْلِمون فاعْتَصَمُوا بالسُّجُود فقتلهم خالدٌ ، فَوَدَاهُم النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — نِصْفَ الدِّيَة ، وقال : أنا برىء من مُسْلِم بَيْن مُشْرِكين ، وقال فقهاء الحجاز : هو جائز ، ولكن للخليفة الأكبَرِ لا لِمَنْ دونه ، وفيه : نَسْخُ السُّنَّةِ بالقرآن على أحدِ القولين ، فإن هذا العهد كان يقتضي أن لا يأتيه مُسْلِمٌ إلَّا ردَّه ، فنسخ اللهُ تعالى ذلك في النِّساءِ خاصَّةً ، فقال عز وجل : ﴿ فإن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ [فلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ] ﴾ الممتحنة : ١٠ هذا على رواية عقيل بن خالد عن الزُّهْرِيِّ ، فإنه قال في الحديث : أَنْ لا يأتيه أحدٌ ، وأحَدٌ يتضمن الرجال والنساء ، والأحسن أن يقال في مثل هذا تخصيصُ عُمُومٍ لا نَسْخٌ ، على أن بعض حُذَّاق الأصوليِّين قد قال في العموم : إذا عُمِل بمقتضاه في عَصر النبي — صلى الله عليه وسلم — واعتقد فيه العمومُ ، ثم ورد التخصيصُ فهو نَسْخٌ ، وهو قول حَسَنٌ ، وفي رواية أخرى أن لا يأتيه رجل . فهذا اللفظ لا يتناول

. . . .

النساء وقالت طائفـــة : إنما استجاز النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ردَّ المسلمين إليهم فى هذا الصلح لقوله عليه السلام : لاتدعونى قريشٌ إلى خُطَّةٍ يعظمون فيها الحُرَمَ إلا أجبتُهم إليها ، وفى رَدِّ المسلم إلى مكةَ عِمارةُ البيت، وزيادة خَيْر له فى الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت ، فكان هذا من تعظيم حُرُماتِ الله تعالى ، فعلى هذا القولِ يكون حُكماً مخصوصاً بمكة ، وبالنبى صلى الله عليه وسلم ، ويكون غير جائز لمن بعده كما قال العراقيون .

حكم المهاجرات :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : ﴿ إذا جاءكُمُ المؤمناتُ مُهاجِرَاتٍ ، فامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ الممتحنة : ١ . هذا عند أهل العلم مخصوصٌ بنساء أهلِ العهد والصلح ، وكان الامتحان أن يَسْتَحْلِف المرأة المهاجِرَةَ أنها ماخرجت ناشزاً ولا هاجرت إلَّا لله ولرسوله[1] ، فإذا حلفت لم تُرَدَّ ورُدَّ صداقُها إلى بَعْلِها ، وإن كانت من غير أَهْلِ العَهْد لم تُسْتَحْلَف ، ولم يُرَدَّ صداقُها .

وفيه : أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم محا اسمه ، وهو رسولُ الله ، وكتب : هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبد الله ، لأنه قولُ حَقٌّ كلُّه ، وظن بعضُ الناس أنه كتب بيده ، وفى البخارى أنه كتب ، وهو لايُحْسِن الكتابةَ ، فتوهم أن الله تعالى أطلق يده بالكتابة فى تلك الساعة خاصَّةً ، وقال : هى آيةٌ ، فيقال له : كانت تكون آيةً لولا أنها مناقضة لآية أخرى ، وهو كونه أُمِّيًّا لايكتب ،

---

(١) اقرأ تفسير ابن كثير للآية فقد روى غير هذا .

. . . .

وبكونه أمِّيًا فى أمةٍ أمِّيَّةٍ قامت الحجةُ ، وأُفحِم الجاحدُ ، وانحسمَتْ الشُّبهَةُ ، فكيف يُطْلِق اللهُ يدَه ، لتكونَ آيةً ؟ وإنما الآية أن لا يكتبَ والمعجزاتُ(١) يَسْتَحِيلُ أنْ يَدْفَعَ بعضُها بَعْضاً ، وإنما معنى : كتب أى : أمر أن يُكْتَب(٢) وكان الكاتبُ فى ذلك اليوم عَلِيَّ بنَ أبى طالب ، وقد كتب له عِدَّةٌ

---

(١) أذكر هنا بأن الله سبحانه سمى ما أعطاه لرسله آيات ، لا معجزات .

(٢) نص رواية البخارى والنسائى وأحمد « فأخذ الكتاب ، وليس يحسن أن يكتب ، فكتب مكان رسول الله محمد بن عبد الله » ولهذا يتبين لنا ان تأويل السهيلى غير جيد . ولأن هذه الرواية مخالفة لكل الروايات الصحيحة أنكر بعض المتأخرين على أبى موسى المدينى نسبتها للبخارى فقال : ليست فى البخارى ولا فى مسلم . وهو كما قال عن مسلم ، ولكنها ثابتة فى البخارى .

وقد تمسك بظاهر رواية البخارى أبو الوليد الباجى سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب المتوفى سنة ٤٧٤ هـ ، فزعم أن النبى « ص » كتب بعد أن لم يكن يحسن أن يكتب ، فشنع عليه علماء الأندلس ، ورموه بالزندقة ، وشنعوا عليه من على المنابر فى الجمع ، فجمعهم به الأمير ، فاستظهر الباجى بما كان يعرف من فنون القول والمجادلة ، وزعم أن رأيه غير مخالف للقرآن ، بل إنه يؤخذ من مفهوم القرآن ، لأنه قيد نفى الكتابة عنه بما قبل ورود القرآن : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخط بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) وبعد أن تحققت أميته ، وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب فى ذلك ، لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم ، فيكون معجزة أخرى وقد وافقه جماعة ، وأنكر عليه آخرون كثيرون . أنظر فتح البارى فى شرح الحديث والمواهب اللدنية ص ١٩٦ وما بعدها ج ٢ . أقول : وما استنبطه الباجى مخالف لما تواتر والروايات الصحيحة .

. . . .

من أصحابه، منهم عبدُ الله بن الأرْقم ، وخالدُ بن سعيد ، وأخوه أبانُ ، وزَيْد ابن ثابت ، وعبدُ الله بن عبد الله بن أُبَيِّ بن سَلُول ، وأُبَيُّ بن كَعْب القارى ، وقد كتب له أيضاً فى بعض الأوْقَاتِ أبو بكر وعُمَر وعُثمانُ رضى الله عنهم ، وكتب له كثيراً معاويةُ بن أبى سُفيانَ بعد عام الفتح ، وكتب له أيضاً الزُّبَيْرُ ابن العَوَّام ، ومُعَيْقيبُ بن أبى فَاطِمَة ، والمغيرةُ بن شُعْبَةَ ، وشُرَحْبِيلُ بن حَسَنَةَ ، وخالدُ بن الوَليد ،وعَمْرو بن العاصى ، وجُهَيْمُ بن الصَّلْتِ ، وعَبْدُ الله ابن رَوَاحَةَ ، ومحمد بن مَسْلَمَة ، وعبدُ الله بن سَعْد بن أبى سَرْحٍ ، وحَنْظَلَةُ الأُسَيْدِيُّ ، وهو حَنْظَلَةُ بن الرَّبيع، وفيه يقول الشاعر بعد موته :

إنَّ سَوَادَ العَيْنِ أوْدَى به حُزْنٌ على حَنْظَلَةَ الكاتب

والعلاء بن الحَضْرَمِيُّ ، ذكرهم عُمَرُ بن شَبَّةَ فى كتابِ الكُتَّابِ له[1] .

باسمك اللهم :

وأما قولُ سُهَيْلِ بن عَمْرٍو له : ولكن اكْتُبْ : باسمك اللَّهُمَّ ، فإنها كلمةٌ كانت قريشٌ تقولها ولقولهم لها سببٌ قد ذكرناه فى كتاب التعريف والإعْلَام ، وأول من قالها أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْتِ ، ومنه تَعلَّمُوها وتعلَّمها هو من رَجُلٍ من الجِنِّ فى خَبَرٍ طويلٍ ذكره المَسْعُودى[2] وهو الخبر الذى لخصناه فى الكتاب المذكور .

---

(١) ذكر ابن القيم فى زاد المعاد منهم عامر بن فهيرة ، وثابت بن قيس ابن شماس.

(٢) يثير الدهشة أن يصدق الرجل الكثير مثل هذا الخرف الصغير ،

. . . .

عيبة مكفوفة :

فصل : وذكر فى الكتابِ : وإنَّ بَيْنَنا وبَيْنكمْ عَيْبَةً مَكْفُوفَةً[1] أى : صُدُور مُنْطَوِيَة على مافيها لا تُبْدِى عَداوة ، وضرب العَيْبَة مثلا ، وقال الشاعر :

وكادتْ عِيابُ الوُدِّ مِنّا ومِنْهُمُ وإن قيل أبناء العُمُومَة تَصْفَرُ

وقال صَلَّى اللهُ عليه وسلم : الأنصارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِى[2] فضَرَبَ الْعَيْبَةَ مَثَلاً لموضِع السِّرِّ ، وما يُعْتَدُّ به من وُدِّهِم . والكَرِشُ وِعَاءٌ يُصْنَع من كَرِش الْبَعِير ، يجعل فيه ما يُطْبَخ من اللَّحْم ، يقال : ماوَجَدت لهذه الْبَضْعَة فَا كَرِشٍ ، أىْ : إنَّ الكَرِشَ قد امتلأ ، فلم يَسَعْها فمُه . ويُضْرَبُ أيْضاً هذا مَثَلاً[3] ،

---

(١) ليس فى السيرة : وبينكم .

(٢) أراد « ص » أنهم بطانته وموضع سره وأمانته ، والذين يعتمد عليهم فى أموره . واستعار الكرش والعيبة لذلك ، لأن المجتر يجمع علفه فى كرشه ، والرجل يضع ثيابه فى عيبته . وقيل : أراد بالكرش : الجماعة أى : جماعتى وصحابتى ، يقال : عليه كرش ، أى جماعة « النهاية لابن الأثير » والحديث فى البخارى : « أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كرشى وعيبتى ، وقد قضوا الذى عليهم ، وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » .

(٣) أى لم أجد إليه سبيلا ، وعن اللحيانى : لو وجدت إليه فا كرش ، وباب كرش ، وإنى و كرش لأتيته ، يعنى قدر ذلك من السبل ، ومثله قولهم لو وجدت إليه : فاسبيل . وأصل المثل أن رجلا فصل شاة ، فأدخلها فى كرشها ، ليطبخها ، فقيل له : أدخل الرأس ، فقال : إن وجدت إلى ذلك فا كرش يعنى : إن وجدت إليه سبيلا . وقيل غير ذلك ولكنه قريب من هذا .

. . . .

كما قال الحجاج : ما وَجَدْتُ إلى دَمِ فُلاَنٍ فَاكْرِشْ .

وقوله : ولا إغلال ، هى الخِيَانَةُ ، يقال : فُلان مغل الأصْبَع ، أى خائن اليد. قال الشاعر :

حَدَّثْتَ نفسكَ بالوَفاءِ، ولمْ تَكُنْ بالغَدْرِ خائنة مثل الأُصْبَعِ

والإسْلاَلُ : السرقَة ، والخُلْسَةُ ونحوها ، وهى السلة . قالوا فى المثل : الخلةُ تدعو إلى السَّلَّةِ .

أبو جندل وصاحباه فى الخمر :

فصل : وذكر خُرُوج أبى جَنْدَلٍ يَرْسُفُ فى الحديد . أبو جندل ، هو العاصى بن سُهَيْلٍ ، وأما أخوه عبد الله بن سهيل ، فكان قد فر يوم بدر إلى المُسلمين ، فلحق بهم ، وشهد بدراً ، والمشاهد كلَّها ، وقتل يوم اليَمَامَةِ شهيداً ، وأما أبو جَنْدَلٍ ، فاستشهد مع أبيه بالشام فى خلافة عُمَرَ ، وهو الذى شَرِب الخمرَ مُتأوِّلاً لقوله تبارك وتعالى ﴿ ليس على الذين آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ جُنَاحٌ فيما طَعِمُوا [إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ ، ثم اتَّقَوْا وآمنوا ثم اتَّقَوْا وأحسنوا ؛ والله يُحِبُّ المحسنين] ﴾ المائدة : ٩٣ فجلده أبو عُبَيْدَةَ بأمر عُمَرَ وجلد صاحبَه ، وهو ضِرار ، ثم إن أبا جَنْدَلٍ أشفق من الذَّنْبِ حتى قال : لقد هلكْتُ ، فبلغ ذلك عمرَ رضى الله عنه ، فكتب إليه : إن الذى زيَّن لك الخطيئة هو الذى حظر عليك التوبة :

. . . .

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ حم[1] تنزيلُ الكتابِ من الله العزيزِ العليمِ . غافرِ الذَّنْبِ وقابلِ التَّوْبِ ﴾ الآية . وكان شربها معه ضرارُ بن الخطاب ، وأبو الأَزْوَرِ ، فلما أمر عمرُ أن يُجْلَدوا ، قالوا : دعنا نلْقَى العَدُوَّ ، فإن قُتِلْنَا فذاك ، وإلا حَدَدْتُمُونا ، فقتل أبو الأَزْوَرِ ، وحُدَّ الآخران .

الدنية التى رفضها عمر :

فصل : وذكر قول عُمَرَ — رضى الله عنه — فَعَلَامَ نُعْطَى الدَّنِيَّةَ فى دِينِنا ، هى فَعِيلَةٌ من الدَّنَاءَةِ ، وأصلها الهَمْزُ ، وفى غير رواية ابن إسحاق أن النبىَّ صلى الله عليه سلم قال لعمر : إنى عبدُ الله ولستُ أَعْصِيَه ، وهو ناصرى ، وأنه أتى أبا بكر — رضى الله عنه — فقال له مثل ما قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، فجاوبه أبو بكر بمثل ما جاوبه به النبىُّ صلى الله عليه وسلم حَرْفاً بِحَرْفٍ ، ثم قال له : يا عُمَرُ الزَمْ غَرْزَهُ[2] ، فإنى أشهد أنه رسولُ الله ، قال عُمَرُ : وما شَكَكْتُ منذ أَسْلَمْتُ إلا تلك الساعةَ ، وفى هذا أن المؤمن قد يَشُكُّ ، ثم يُجَدِّدُ النظر فى دلائلِ الحقِّ فيذهب شَكُّه ، وقد رُوِى عن ابن عباس أنه قال : هو شىءٌ لا يَسْلَمُ منه أحَدٌ ، ثم ذكر ابنُ عباس قولَ إبراهيم — صلى الله عليه وسلم (ولكن لِيَطْمَئِنَّ قلبى) ولولا الخروجُ عما صَمَدْنا إليه فى هذا الكتاب

---

(١) تقرأ هكذا : حا ميم ، وكل أخواتها

(٢) أى اعتلق به ، وامسكه . واتبع قوله وفعله ولا تخالفه . فاستعار له الغرز كالذى يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره . والغرز هو ركاب كور الجمل ، وقيل : هو الكور مطلقا مثل الركاب للسرج « مختصر عن النهاية »

. . . .

لذكرنا ما للعلماء فى قول إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم (ولـكن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) ، وذكرنا النُّكْتَةَ العُظْمَى فى ذلك ، ولعلنا أن نلتقى لها موضعاً ، فنذكرها . والشَّكُّ الذى ذكره عُمَرُ وابنُ عباس مالا يُصِرُّ عليه صاحبُه ، وإنما هو من باب الوَسْوَسَةِ التى قال فيها عليه السلام مُخْبِراً عن إبليس : الحمدُ لله الذي رَدَّ كيده إلى الوَسْوَسَةِ .

موقف أم سلمة فى الحديبية :

وفى غير رواية ابن إسحاق من الصحيح أنه عليه السلام دخل على أمِّ سَلَمَة ، وشكا إليها مالقى من الناس حين أَمَرَهم أن يَحْلِقُوا ويَنْحَرُوا ، فلم يَفْعَلوا لما بهم من الغَيْظِ ، فقالت : يارسولَ اللهِ اخْرُجْ إليهم ، فلا تكلمهم ، حتى تَحْلِقَ وتَنْحَر ، فإنهم إذا رأوك قد فعلت ذلك ، لم يُخَالِفُوك . ففعل صلى الله عليه وسلم ، وفعل الناسُ ، وكان الذى حلق رأسَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك اليوم خِراشُ بن أُمَيَّةَ [بن ربيعة بن الفضل بن منقذ بن عفيف بن كليب بن حُبْشية بن سَلُول] الخزاعى [ثم الـكلبى][(1)] وهو الذى كان بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ إلى مكة فعقروا جَمَلَه ، وأرادوا قتله ، فحينئذ بعث إليهم عثمانَ بن عَفَّانَ رضى الله عنه ، ففى تَرْكِهِمْ للبِدَارِ دليلٌ على أن الأمرَ ليس على الفَوْرِ ، كما ذهب إليه بعضُ الأُصُولِيِّين ، وفيه أنهم حَمَلُوا الأمرَ على غير الوُجُوبِ لقرينةٍ ، وهى أنهم رَأَوْه لم يَحْلِقْ ولم يَنْحَر ،

---

(١) الزيادة من الإصابة .

. . . .

ولم يُقَصِّر ، فلما رأَوْه قد فعل اعتقدوا وجوبَ الأمر وامْتَثَلوه . وفيه أيضاً إباحةُ مَشَاوَرَةِ النِّساء ، وذلك أن النهى عن مُشَاوَرَتِهِنَّ إنما هو عندهم فى أمر الوِلَايةخاصَّةً ، كذلك قال أبو جعفر النحاس فى شرح هذا الحديث .

المقصرون :

فصل : وذكر ابنُ إسحاقِ استغفارَ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لِلمُحَلِّقين ثلاثاًوللمُقَصِّرين مرَّةًواحدةً.ولم يكن الْمُقَصِّر يَوْمَئِذٍ من أصحابه إلا رَجُلَيْنِ ، أحدُهما عُثْمَانُ بن عفَّان،والآخر أبو قَتَادَةَ الأَنْصَارِىّ ، كذلك جاء فى مُسْنَدِ حديثِ أبى سعيد الخُدْرِىّ رضى الله عنه .

أبو بصير :

وذكر حديثَ أبى بَصِيرٍ واختلف فى اسمِه ، فقيل : عُبَيْد بن أَسِيد بن جارِيَةَ ، وقيل عُتْبَة .

وذكر قول النبىِّ صلى الله عليه وسلم له حين قَتَل أحدَ الرجلين : وَيْلُ أمِّه مِحَشُّ حَرْبٍ.وفى الصحيح : وَيْلُ أُمِّه مِسْعَرُ حَرْبٍ ، يقال : حَشَشْتُ النار ، وأَرَّثْتُها ، وأَذْكَيْتها ، وأَثْقَبْتُها وَسَعَّرتُها بمعنى واحد ، وسُمِّى الأَسْعَر الجُعْفِىُّ أَسْعَرَ بقوله :

فلا يَدْعُنِى قَوْمى لِسَعْدِ بن مالكٍ   لَئِنْ أنا لم أُسْعِرْ عليهم وأُثْقِبِ

وكان اسمه مَرْثَدَ بن حُمْرَان[1] ، ومالك فى هذا البيت : هو مَذْحِجٌ ،

---

(١) فى المؤتلف للآمدى ص٥٨ ابن أبى حمران وكذلك فى الاشتقاق ص٤٠٨ =

. . . .

وأما لُحُوقُ أبي بَصِيرٍ بِسِيفِ البحر ، ففي رواية مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ ، أنه كان يُصَلِّي بأصحابه هنالك ، حتى لحق بهم أبو جَنْدَل بن سُهَيْلٍ فقدموه ، لأنه قُرَشِيٌّ ، فلم يزل أصحابُه يكثرون ، حتى بلغوا ثَلَاثَمِائةٍ ، وكان أبو بصير كثيراً مايقول هنالك : الله العَلِيُّ الأكْبَرُ ،مَنْ يَنْصُر الله فسوف يُنْصَر ، فلما جاءهم الفرجُ من الله تعالى ، وكلمت قريشٌ النبيَّ عليه السلام أن يُؤْوِيَهُم إليه لما ضَيَّقُوا عليهم ، ورد كتابُ النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بَصِيرٍ في الموت ، يجود بنفسه ، فأعطِي الكتابَ فجعل يقرأه ويُسَرُّ به ، حتى قُبِضَ والكتابُ على صَدْرِهِ ، فبُنِي عليه هناك مسجدٌ ، يَرْحمه الله[1].

عبرة :

وفي الحديث من غير السيرة أن المسلمين حين حَلَقُوا في ذلك اليوم ، وهم بالحِلِّ قد مُنِعوا أن يَدْخُلوا الحَرَمَ جاءت الريحُ ، فاحتملت شُعُورَهم حتى

= ولكنه في سمط البكري ص ٩٤ كما هنا ،والكل على أن كنيته : أبو حمران ، وهو شاعر جاهلي .

(١) لاريب في أنه بني بعد ذلك بكثير ، فليس من هدى الإسلام إقامة المساجد على القبور . فقد وصف الرسول « ص » ـ كما جاء في البخاري ومسلم ـ الذين يفعلون ذلك بأنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة ولعن الذين يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، أما إقامة مسجد على كهف أهل الكهف فكان من عمل الذين غلبوا على الأمر ، أما الذين قالوا : ربهم أعلم بهم — وهذه كلمة الإيمان العظيم — فقالوا ابنوا عليهم بنياناً . أي سدوا عليهم باب الكهف .

. . . .

أَلقَتْها فى الحَرَم ، فاستَبْشَروا بقبول الله عُمْرَتَهُمْ . ذكره أبو عُمَر .

والعُمْرةُ مُشْتَقَّةٌ من عِمَارَةِ المسجد الحرام وبُنِيَت على فُعْلة ، لأنها فى معنى قُرْبَة ووُصْلَة إلى الله تعالى ، وليس قول من قال : إنها الزيارة فى اللُّغَةِ بَبيِّن ، ولا فى قول الأعشى حُجَّةٌ لهم لأنه مُحْتَمِلُ التأويل وهو قوله :

وجاشَتِ النفسُ لما جاء فَلُّهُمُ ورا كبٌ جاء من تَثْلِيث مُعْتَمِرُ

قتل أبي بصير للكافر :

فصل : ومما يُسْأَلُ عنه فى حديث أبى بَصِيرٍ قتلُه الرجلَ الكافرَ ، وهو فى العهد : أكان ذلك حَرَاماً أم مُبَاحاً له ، وظاهرُ الحديثِ رفعُ الحَرَج عنه ، لأن النبىَّ — صلى الله عليه وسلم — لم يُثَرِّبْ ، بل مَدَحَه ، وقال : وَيْلُ أمه مِحَشُّ حَرْبٍ . فإن قيل : وكيف يكون ذلك جائزاً له ، وقد حَقَنَ الصُّلحُ الدماءَ ؟ قلنا : إنما ذلك فى حق أبى بَصِير على الخُصوص ، لأنه دافع عن نفسه ودينه ، ومَنْ قُتِلَ دون دَمِه فهو شَهِيدٌ ، وإنما لم يُطالِبْهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِدِيَةٍ ، لأن أولياءَ المقتول لم يطالبوه ، إمَّا لأنَّهُمْ كانوا قد أسْلَموا ، وإما لأن الله شَغَلَهم عن ذلك ، حتى انتَكَثَ العهدُ ، وجاء الفتح .

فإن قيل : فإن النبىَّ صلى الله عليه وسلم كان يَدِى مَنْ قُتِل خَطَأً من أهل الصُّلح كما وَدَى العامِرِيِّين[1] وغيرهما قلنا : عن هذا جوابان ، أحدهما :

---

(١) هذا بنص القرآن (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة)

. . . .

أن أبا بَصِيرٍ كان قد رده إلى المشركين ، فصار فى حُكْمِهِمْ ، ولم يكن فى فِئَةِ الْمُسْلِمين وحِزْبِهِمْ ، فيحكم عليه بما يحكم عليهم .

والجواب الثانى : أنه إن كان قَتَلَ عَمْداً ، ولم يكن قَتَلَ خطأً ، كما كان قَتْلُ العامريين ، وقد قال عُمَر بن الخطاب لا تَعْقِلُ العاقِلَةُ عَمْداً ولا عَبْداً [ولا صُلْحاً ولا اعترافاً][1]

من مواقف عمر فى الحديبية :

فصل : وقولُ عُمَرَ للنبىِّ – صلى الله عليه وسلم : أَلَمْ تَعِدْنَا أَنَا نَأْتِي البيتَ ، ونطوفُ به ؟ فقال : نعم ،وذكر الحديث . كان النبىُّ – صلى الله عليه وسلم – قد أُرِىَ ذلك فى مَنامِه ، ورُؤْيا الأنبياء وَحْىٌ ، ثم أنزل الله تعالى : ﴿ لقد صَدَقَ الله رَسُولَه الرُّؤْيا بالْحَقِّ ﴾ الآية الفتح : ٢٧ ويُسْأَلُ عن قوله : إن شاء اللهُ آمِنين : مافائدة هذا الاستثناء ، وهو خَبَرٌ واجبٌ ؟ وفى الجواب أقوال : أحدُها : أنه راجعٌ إلى قوله : آمِنين ، لا إلى نفس الدُّخُولِ ، وهذا ضَعِيفٌ ، لأن الوعدَ بالأمانِ قد انْدَرَجَ فى الْوَعْدِ بالدخول .

---

(١) سبق الحديث عن العقل والعاقلة وهى العصبة والأقارب من قبل الأب الذين يعطون دية قتيل الخطأ . والمعنى أن كل جناية عمد ، فإنها من مال الجانى خاصة ، ولا يلزم العاقلة منها شىء ، وكذلك ما اصطلحوا عليه من الجنايات فى الخطأ ، وكذلك إذا اعترف الجانى بالجناية من غير بينة تقوم عليه ، وإن ادعى أنها خطأ لا يقبل منه ، ولاتلزم بها العاقلة . وأما العبد ، فهو أن يجنى حر على عبد ، فليس على عاقلة الجانى شىء ، إنما جنايته فى ماله خاصة.أنظر مادة عقل فى النهاية لابن الاثير .

. . . .

الثانى أنه وَعْدٌ على الجملة ، والاستثناء راجع إلى التَّفصيل ، إذ لا يَدْرِى كلُّ إنسانٍ منهم : هل يعيش إلى ذلك ، أم لا ، فرجع الشكُّ إلى هذا المعنى ، لا إلى الأمرِ الموعود به ، وقد قيل إنما هو تعليم للعبادِ أن يقولوا هذه الكلمة ، ويستعملونها فى كل فعل مُستقبَلٍ أعنى : إن شاء الله[1] .

بيعة الشجرة وأول من بايع :

فصل : وذكر بَيْعَةَ الشجرة ، وسَبَبَها ، ولم يذكر أولَ من بايع ، وذكر الواقدى أن أول مَنْ بايع بَيْعَة الرضوان سِنَان بن أبى سِنَانٍ الأَسَدِىّ وقال موسى ابن عُقْبَةَ : أول من بايَع أبو سِنَان ، واسمه : وَهْبُ بن مِحْصَن أخى عُكَّاشة ابن مِحْصَن الأَسَدِىّ ، وقال الواقدى: كان أبو سِنَانٍ أَسَنَّ من أخيه عُكَّاشة بعشر[2] سنين، شَهِد بدراً ، وتُوُفِّى يوم بنى قُرَيْظَةَ ، ويروى أنه حين قال

---

(١) يقول البيضاوى « هى تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد أو إشعاراً بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا ، أو النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه » .

(٢) فى رواية : بعشرين .

تعليق عام على الحديبية

الحديبية : بئر سمى المكان بها ، وقيل شجرة سمى بها المكان ، أو هى قرية ليست كبيرة بعضها فى الحل وبعضها فى الحرم ، وهى على تسعة أميال من مكة عدد أبطالها : فى الصحيحين عن جابر أنهم كانوا خمسمائة وألفاً . وفيهما عن جابر نفسه أنهم كانوا أربعمائة وألفاً . ويقول ابن القيم : والقلب إلى هذا أميل . وفى الصحيحين أيضاً عن عبد الله بن أبى أنهم كانوا ثلثمائة وألفاً .

المبايعة : كانت على ألا يفروا كما فى الصحيحين .

أول من بايع : هو أبو سنان الأسدى ، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات =

. . . .

للنبي صلى الله عليه وسلم ابسُطْ يدك أبايعك ، قال : عَلَامَ تبايِعُنى ؟ قال : على ما فى نفسك يارسول الله ، وأما سِنَانُ ابنُه ، فهو أيضاً بَدْرِيٌّ ، مات سنة ثلاث وثلاثين ، وأما مبايعتُهُمْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة فى إحدى الروايتين عن جابر ، وألفاً وخمسمائة فى الرواية الأخرى عنه ، فبايعوه فى قول جابر على أن لا يَفِرُّوا . قال : ولم يبايعوه على الموت . وقال سَلَمَةُ بن الأَكْوَع : بايَعْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على الْمَوتِ ، قال

= فى أول الناس وأوسطهم وآخرهم من كلام عروة لقريش عن النبى «ص» وصحبه: «إذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه تعظيما له ، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها » الصحيحان.

كلام عمر : فى رواية الصحيحين أنه قال : « والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ » وقالها عقب مجىء أبى جندل ورفض سهيل بن عمرو تركه ، وصرخة أبى جندل الحزينة ثم قوله « وقد جئت مسلماً ، الا ترون مالقيت » ويقول الراوى فى الصحيحين : « وكان قد عذب فى الله عذاباً شديداً » وكان مما قاله عمر للنبى «ص» : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ فرد عليه الرسول «ص» بمثل ما ورد فى السيرة ، فقال عمر : « أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قلت — القائل عمر — لا ، قال : فانك آتيه ومطوف به » .

مشورة أم سلمة : فعل بها رسول الله «ص» . ويقول الراوى فى الصحيحين: « فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضهم غماً » ويقول ابن القيم : « وقد اعتذر عن تأخيرهم الامتثال بأنهم كانوا يرجون النسخ ، فأخروا متأولين لذلك ، وهذا الاعتذار أولى أن يعتذر عنه ، وهو باطل ، فانه «ص» لو فهم منهم ذلك لم يشتد غضبه عليهم لتأخير أمره ، ويقول : مالى لا أغضب ، وأنا آمر بالأمر ، فلا أتبع ، وإنما =

. . . .

الترمذى : وكلا الحديثين صحيحٌ ، لأن بعضَهم بايَع على أن لا يَفِرُّوا ، ولم يذكروا الموتَ ، وبعضُهم قال : أبايعك على الموت .

= كان تأخيرهم من السعى المغفور لا المشكور ، وقد رضى الله عنهم ، وغفرلهم وأوجب لهم الجنة ، ص ٢١٦ ح٢ زاد المعاد .

الماء فى الحديبية : فى الصحيح « أن النبى « ص » توضأ ، ومج فى بئر الحديبية من فمه ، فجاشت بالماء » كذلك قال البراء بن عازب وسلمة بن الأكوع فى الصحيحين .

وفى الصحيحين أيضاً فى حديث جابر « عطش الناس يوم الحديبية ، وبين يدى رسول الله « ص » ركوة يتوضأ منها ، فأقبل الناس نحوه ، فقال : مالكم ؟ قالوا : يارسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ منه ، ولا نشرب إلا ما فى ركوتك ، فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا » وقد أخرج أحمد حديث جابر ، وفيه : فجاءه رجل بإداوة فيها شىء من ماء ليس فى القوم ماء غيره ، فصبه « ص » فى قدح ، ثم توضأ ، فأحسن الوضوء ، ثم انصرف ، وترك القدح ، فتزاحم الناس عليه ، فقال : على رسلكم فوضع كفه فى القدح ، ثم قال : أسبغوا الوضوء . قال : فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه ، وفى حديث زيد بن خالد أنهم أصابهم مطر بالحديبية ، فلما صلى الصبح قال : أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » هذا وقد استنبط الإمام ابن القيم من قصة الحديبية ستاً وثلاثين فائدة فقهية تشهد له بالبراعة والألمعية ، كما استنبط منها عدة حكم ، فانظر كل هذا فى كتابه القيم « زاد المعاد » ص ٣١١ ح ٢ ط السنة المحمدية .

ذكر المسير إلى خيبر

فى المحرم سنة سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال: ثم أقام رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة حين رجَع من الُحدَيْبِيَـةِ ، ذا الحجة وبعضَ المحرّم ، ووَلِى تلك الحِجّة المشركون ، ثم خرج فى بقيّة المحرَّم إلى خَيبر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَـيْلَةَ بن عبد الله اللّيثى ، ودَفع الراية إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

ما قاله أبو جندل :

فصل : ومما قاله أبو جَنْـــدَلِ بن سُهَيْل أيام كونه مع أبى بَصِيرٍ بِسِيفِ البَحْرِ :

أَبْـلِغْ قُرَيْشاً عن أبى جَنْدَلِ   أنا بِذِى الْمَرْوَةِ فالسَّاحِلِ

فى مَعْشَرٍ تَخْـفُقُ أَيْمانُهم   بالبِيضِ فيها والقَنَا الذَّابِلِ

يَأبَوْنَ أن تَبْقى لهم رُفْقَةٌ   من بعـــد إسلامِهِم الواصِلِ

أو يجعل اللهُ لهم مَخْرَجاً   والحقُّ لا يُغْلَبُ بالباطلِ

فَيَسْلَمَ المـــرء بإسْلامِه   أو يُقْتَـل المرء ولم يأتَلِ

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التّيْمي عن أبي الهيثم ابن نصر بن دُهْر الأسلمي أنّ أباه حدّثه : أنه سَمِعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ يقول في مسيره إلى خَيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عمّ سَلمة بن عمرو ابن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سِنان : انزل يابن الأكوع ، فخذ لنا من هَنَاتِك ، قال : فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

وَاللهِ لَوْلا اللهُ ما اهْتَدَيْنا ... ولا تَصَدَّقْنا وَلا صَلَّينا

إنّا إذا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنا ... وإنْ أرادوا فِتْنَةً أَبَيْنا

فأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنا ... وثَبِّتِ الأقْدام إنْ لاقَينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطّاب : وَجبت والله يارسول الله ، لو أمْتَعْتنا به ! فقُتِل يوم خَيبر شهيداً ، وكان قَتْله ، فيما بلغني ، أنّ سيفه رَجع عليه وهو يُقاتِل ، فكَلَمه كَلْماً شديداً ، فمات منه ؛ فكان المسلمون قد شكُّوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحُه ، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ بن عمرو بن الأكوع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيدٌ ، وصلّى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : حدثني من لاأتهم ، عن عَطاء بن أبي مَرْوان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي مُعتِّب بن عمرو : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خَيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قِفُوا ، ثم قال : اللهمّ ربّ

السماوات وما أظللن وربَّ الأرضين وما أقللن ، وربَّ الشياطين وما أضللن ، وربَّ الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خيرَ هذه القرية وخيرَ أهلها وخيرَ مافيها ، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ مافيها ، أقدموا بسم الله .
قال : وكان يقولها عليه السلام لكلّ قرية دخلها .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتّهم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُغِرْ عليهم حتى يُصْبح ، فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار . فنزلنا خيبر ليلا ، فبات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يَسْمع أذاناً ، فركب وركبنا معه ، فركبتُ خلف أبي طلحة ، وإن قدمي لتمسّ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبلَنا عُمّال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والجيشَ ، قالوا : محمدٌ والخميسُ معه !
فأدبروا هُرّاباً ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، خَرِبَتْ خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحةِ قومٍ ، فساء صَباحُ المُنذَرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حُميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خَيبر سلك على عِصْر فبنى له فيها مَسجدٌ ، ثم على الصَّهباء ، ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجَيْشه ، حتى نزل بوادٍ يقال له : الرَّجيع ، فنزل بينهم وبين غطَفان ، ليَحُول بينهم وبين أن يُمِدّوا أهلَ خيبر ، وكانوا لهم مُظاهِرين على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

. . . .

فبلغني أنّ غطفان لمّا سمعت بمنزل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من خَيبر جمعوا له ثم خرجوا ليُظاهِروا يهُودَ عليه ، حتى إذا ساروا مَنْقَلَةً سمعوا خَلْفهم فى أموالهم وأهْلِيهم حسًّا ظنّوا أن القَوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهلِيهم وأموالهم ، وخلَّوا بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وتَدَنّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالًا مالًا ، ويفتتحها حِصْنًا حِصْنًا ، فكان أوّل حُصونهم افتُتح حِصْن ناعم ، وعنده قُتل محمود ابن مَسْلمة ، أُلقِيَت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القَموص ، حِصْن بنى أبى الحُقيق ، وأصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم سَبايا ، منهنّ صَفيَّة بنتُ حيي بنِ أخطب ، وكانت عندَ كنانةَ بن الرَّبيع بن أبى الحُقَيق ، وبِنْتَى عَمّ لها ، فاصطفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفيَّة لنفسه .

وكان دِحْيةُ بن خليفة الكَلْبيّ قد سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَفية ، فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنَتىْ عمِّها ، وفَشَت السَّبايا من خَيْبر فى المُسلمين .

مانهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فى خيبر

وأكل المُسلمون لُحوم الحُمر الأهليَّة من حُمرها ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فنَهى الناسَ عن أُمور سمّاها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدُ الله بن عمرو بن ضَمْرة الفَزارى عن عبد الله

ابن أبى سَليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نَهْىُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عن أَكْل لُحوم الحُمُر الإنْسِيَّة ، والقُدور تَفُور بها ، فكَفأْناها على وجوهها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مَكْحُول : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذٍ عن أربع : عن إتيان الحَبَالَى من السَّبايا ، وعن أكل الحِمار الأهلى ، وعن أكل كلّ ذى ناب من السباع ، وعن بَيْع المغانم حتى تُقْسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سَلَّام بن كِرْكِرة ، عن عَمْرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، ولم يشْهد جابر خَيْبر : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين نَهَى النـــاس عن أكل لُحوم الحُمُر ، أذِن لهم فى أكل لحوم الخَيْل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تُجِيب ، عن حنش الصَّنعانى ، قال : غزونا مع رُويفع بن ثابت الأنصارى المغرب ، فافتتحَ قرية من قُرى المغرب يقال لها جَرْبَةَ ، فقام فينا خطيباً ، فقال : ياأيها الناس ، إنى لا أقول فيكم إلا ماسمعت من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقوله فينا يومَ خيبر ، قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : لايحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقِىَ ماؤه زرعَ غيره ، يعنى إتيانَ الحبالى من السَّبايا ، ولايحلّ لامرىء يُؤمن بالله واليوم الآخر أن يُصيب امرأة من السَّبى حتى يستبرئها ، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم

الآخر أن يبيع مَغْنما حتى يُقسم ، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابةً مِنْ فَىْء المسلمين حتى إذا أعْجَفَها ردَّها فيه ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَلبس ثوباً من فَىْء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيدُ بن عَبْدِ الله بن قُسَيْطٍ ، أنه حُدِّث عن عُبَادَةَ بن الصامت ، قال : نهانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيْبَر عن عن أن نَبيع أو نَبْتاع تِبر الذّهبِ بالذّهبِ العَيْنِ ، وتبر الفضّة بالوَرِق العَيْنِ ، وقال : ابتاعوا تِبْرَ الذهبِ بالورِق العَيْنِ ، وتِبْرَ الفضّةِ بالذهب العَـيْنِ .

قال ابن إسحاق : ثم جَعَلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَتدَنَّى الحُصُونَ والأموال .

شأن بني سهم

فحدثنى عبدُ الله بن أبى بَكْر أنه حدّثه بعضُ أسْلم : أن بنى سَهْم من أسْلم أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شىء ؛ فلم يَجِدوا عند رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم شيئاً يُعطيهم إياه ؛ فقال : اللهمّ إنك قد عَرَفت حالَهم وأن لَيْست بهم قوّة ، وأن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعْظم حُصونها عنهم غناء ، وأكثرها طَعاماً وَوَدكا ، فغدا الناسُ ، ففتح اللهُ عزّ وجلّ حِصْنَ الصَّعْب بن مُعاذ ، وما بخيبر حِصْن كان أكثر طَعاماً وَوَدكا منه .

مقتل مرحب اليهودى

قال ابن إسحاق : ولمَّا افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حُصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ماحاز ، انتهوا إلى حِصْنيهم الوَطِيح والسُّلالِم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً ، فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يامنصور ، أمِت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن سَهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مَرْحب اليهودىّ من حِصْنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنّى مَرْحَبْ ... شاكى السِّلاحِ بَطَلٌ مُجرَّبْ
أَطْعُنُ أحْياناً وحِيناً أضْرِبْ ... إذا اللُّيوث أقْبَلَتْ تَحَرَّبْ
إنّ حِماى لَلحِمى لا يُقرب

وهو يقول : من يُبارز ؟

فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد عَلِمَت خَيْبر أنّى كَعْبُ ... مُفَرِّجُ الغَمَّى جَرِيءٌ صُلْبُ
إذْ شَبَّتِ الحَرْبُ تَلَتْها الحَرْبُ ... مَعِى حُسام كالعَقِيق عَضْبُ
نَطَؤُكم حتى يَذِلّ الصَّعْبُ ... نُعْطِى الجزاءَ أو يَفِىءَ النَّهْبُ
بكفٍّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ

. . . .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زَيْدٍ الأنصارِى :

قد عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنّى كَعْبُ   وأنّنِى مَتى تُشَبُّ الحربُ
ماضٍ على الهَوْل جَرِىءٌ صُلْبُ   معى حُسام كالعَقيق عَضْبُ
بكَفِّ ماضٍ لَيس فيهِ عَتْبُ   نَدُكُّكُمْ حتى يَذِلَّ الصَّعْبُ

قال ابن هشام : ومَرْحب من حِمْيَر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سَهْل ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَن لهذا ؟ قال محمد بن مَسْلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله المَوتور الثائر، قُتل أخى بالأمس ؛ فقال : فقم إليه ، اللهمّ أعِنْهُ عليه . قال : فلما دنا أحدُهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عُمْرية من شجر العُشَر فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه ، كلّما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه مادونه منها ، حتى بَرز كلٌّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرّجل القائم ، مافيها فَنَن ، ثم حمَلَ مَرْحبٌ على محمد بن مَسْلمة ، فضربه ، فاتّقاه بالدَّرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضّت به فأمسكته ، وضربه محمدُ بن مَسْلمة حتى قتله .

مقتل ياسر أخى مرحب

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مَرْحب أخوه ياسر ، وهو يقول : مَن

يبارز ؟ فزعم هشام بنُ عروة أن الزّبير بن العوّام خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفيّة بنت عبد المطلب : يقتل ابنى يارسول الله ! قال : بل ابنُك يقتله إن شاء الله . فخرج الزُّبير فالتقيا ، فقتله الزّبير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بنُ عروة : أن الزّبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عَضْباً ، قال : والله ما كان صارماً ، ولكنى أكرهتُه .

شأن علىٍّ يوم خيبر

قال ابن إسحاق : وحدثنى بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه برايته ، وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام، إلى بعضِ حصون خَيْبر ، فقاتل ، فرَجع ولم يك فَتْحٌ ، وقد جهد ؛ ثم بعث الغد عمرَ بن الخطّاب ، فقاتَل ، ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لأعطينّ الرّايةَ غداً رجلا يحبّ الله ورسولَه ، يفتح اللهُ على يديه ، ليس بفرّار . قال : يقول سلمة : فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علياً رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتفل فى عينه ، ثم قال : خُذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يَأْنِحُ ، يُهَرْوِل هَرْوَلة ، وإنا لَخَلْفه نَتْبَعُ أَثَرَه ، حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحِصْن ، فاطّلع إليه

يهودىٌّ من رأس الحِصْن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا علىّ بن أبى طالب . قال يقول اليهودى : عَلَوْتم ، وما أُنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يَدَيه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن أبى رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برايته ؛ فلما دَنا من الحِصْن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجلٌ من يهود ، فطاح تُرْسُه من يده ، فتناول علىّ عليه السلام باباً كان عند الحصْن فترّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نَفَر سبعة معى ، أنا ثامنهم ، نجْهد على أن نَقْلب ذلك الباب ، فما نقلبه .

أمر أبى الْيَسَر

قال ابن إسحاق : وحدثنى بُرَيدة بن سُفْيان الأَسْلَمِىّ ، عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليَسَرِ كَعْب بن عَمْرو ، قال : والله إنّا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيبر ذات عشيّة ، إذ أقبلت غَنم لرجل من يَهود تريد حِصْنهم ، ونحن مُحاصِرُوهم فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ رجلٌ يُطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليَسر : فقلت : أنا يارسول الله ؛ قال : فافعل ، قال : فخرجت أشتدّ مثل الظَّليم ، فلما نظَر إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

مولِّياً قال : اللهمّ أمْتِعنا به ؛ قال : فأدركتُ الغنم وقد دخلت أولاها الحِصْن وأخذت شاتين من أُخراها ، فاحتضنتهما تحت يدىّ ، ثم أقبلت بهما أشتدّ ، كأنه ليس معى شىء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبحوها وأكلوهما ، فكان أبو اليَسَر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكا ، فكان إذا حدّث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أُمتِعوا بى ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هُلْكا .

صفية أم المؤمنين

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القَمُوصَ ، حصنَ بنى أبى الُحقَيْقِ ، أُتِىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصفِيَّة بنت حُيَىٍّ ابن أخْطَبَ ، وبأخرى معها ، فمرّ بهما بلال ، وهو الذى جاء بهما على قَتْلى من قَتْلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفيَّة صاحت ، وصكّت وَجْهَها وحثت الترابَ على رأسها ؛ فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أَعْزِبوا عنى هذه الشَّيْطَانَةَ ، وأمر بصفِيَّة فحِيزَت خلفه ، وألقى عليها رِدَاءَه ، فعرف المسلمون أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليَهُودِيَّة ما رأى : أنُزِعَتْ منك الرحمةُ يا بِلَالُ ، حين تمرّ بامرأتين على قَتلى رجالهما ؟ وكانت صفيَّة قد رأت فى المنام وهى عروس بكِنَانة بن الربيع بن أبى الُحقَيْق ، أن قمراً وَقَع فى حِجْرِها ، فعرضت رُؤْياها على زَوْجها ، فقال : ما هذا إلا أنك

تَمَنَّيْن مَلِكَ الحجازِ محمداً ، فلطَم وجهَها لَطْمَةً خضَّر عينها منها . فأتى بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ماهو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

بقية أمر خيبر

وأُتِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِكِنانة بن الربيع ، وكان عنده كَنْز بنى النَّضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخَرِبة كلَّ غداة ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِكِنانة : أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال : نعم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحُفِرت ، فأخرج منها بعض كَنْزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يُؤَدِّيه ، فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الزُّبيرَ بن العوّام ، فقال : عذّبه حتى تَسْتأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزَنْدٍ فى صَدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مَسْلمة ، فضرب عُنقه بأخيه محمود بن مَسْلمة .

صلح خيبر

وحاصر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أهلَ خيبر فى حِصْنَيهم الوَطِيح والسلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهَلَكة ، سألوه أن يُسَيِّرهم وأن يحقِن لهم دماءهم ، ففعل . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها : الشَّقّ

ونَطَاةَ والـكَتِيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذَيْنك الحِصْنين . فلما سَمِع بهم أهلُ فَدَك قد صنعوا ماصنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُسَيِّرَهم ، وأن يَحْقِنَ دماءهم ، ويخلُّوا له الأموال ، ففعل . وكان فيمن مَشَى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك مُحَيِّصة ابن مَسْعود أخو بنى حارثة ، فلما نزل أهلُ خَيْبر على ذلك، سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُعاملهم فى الأموال على النِّصف،وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها ؛ فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على النِّصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فَدك على مثل ذلك ، فكانت خَيْبر فَيْئاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يَجْلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

الشاة المسمومة

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينبُ بنت الحارث، امرأة سلاَّم بن مِشْكم ، شاةً مَصْلِيَّةً ، ، وقد سألتْ أىّ عُضو من الشاة أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها: الذّراع، فأكثرت فيها من السّمّ ، ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ؛ فلما وضعتها بين يدى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، تناول الذّراع ، فلاك منها مُضْغة ، فلم يُسِغها ، ومعه بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرُور ، قد أخذ منها كما أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأما بشر فأساغها ؛ وأما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَلَفظها ، ثم قال: إن هذا العَظْم ليُخبرنى أنه مَسْموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت ، فقال : ماحملكِ على

ذلك ؟ قالت : بلغتَ من قَوْمى مالم يَخْفَ عليك ، فقلت : إن كان مَلِكاً استرحتُ منه ، وإن كان نبيًّا فسيُخْبَرُ ، قال : فتجاوزَ عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومات بِشْر من أَكْلَتِه التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مَروان بن عثمان بن أبى سَعيد بن المُعَلَّى ، قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ، ودخلت أمّ بِشْر بنت البراء بن مَعْرور تعوده : يا أُمّ بشر ، إن هذا الأَوانَ وجدتُ فيه انقطاع أَبْهَرِى من الأُكْلَة التى أكلت مع أخيك بخيبر . قال : فإن كان المسلمون لَيُرَوْن أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوّة .

رجوع الرسول إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبر انصرف إلى وادى القُرى ، فحاصَر أهلَه ليالى ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

مقتل غلام للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبدالله بن مُطيع ، عن أبى هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خَيبر إلى وادى القُرى نزلنا بها أصيلا مع مَغْرب الشمس ، ومع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم غلام له أهداه له رِفاعةُ بن زيد الجُذَامِىّ ، ثم الضُّبَيْنى .

قال ابن هشام : جُذام ، أخو لخم .

قال : فوالله إنه ليضع رَحْلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه سَهْم غَرْب فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئاً له الجنةُ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، والذى نفس محمد بيده ، إنّ شملته الآن لتحترق عليه فى النار ، كان غلَّها من فئ المسلمين يوم خَيْبر . قال : فسمعها رجل من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : يارسول الله ، أصبتُ شِرا كَيْن لِنعلين لى ، قال : فقال : يُقدّ لك مثلهما من النار .

أمر ابن مغفل والجراب

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُغَفَّل المُزَنى ، قال : أصبتُ من فَئ خيبر جِرَابَ شَحْم ، فاحتملته على عاتقى إلى رَحْلى وأصحابى . قال : فلقينى صاحبُ المَغانم الذى جُعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هَلُمّ هذا نقسمه بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ، قال : فجعل يُجابذنى الجراب. قال : فرآنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن نَصْنع ذلك . قال : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المَغانم : لا أبا لك ، خلّ بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقتُ به إلى رَحْلى وأصحابى ، فأكلناه .

أبو أيوب يحرس الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة بنائه بصفية

قال ابن إسحاق : ولما أعرس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصفيّة بخيبر أو ببعض الطريق ، وكانت التى جمّلتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشّطتها وأصلحت من أمرها أمّ سُليم بنت مِلْحان ، أمّ أنس بن مالك . فبات بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى قُبة له ، وبات أبو أيُّوب خالد بن زيد ، أخو بنى النَّجّار متوشّحاً سيفه ، يحرس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويُطيف بالقُبة ، حتى أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال : مالكْ يا أبا أيوب ؟ قال : يارسول الله ، خِفْت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلتَ أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثةَ عَهْدٍ بكُفْرٍ ، فخِفتها عليك . فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهمّ احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى .

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُّهرى ، عن سعيد بن المُسيِّب ، قال : لما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيْبر ، فكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل : مَنْ رجل يحفظ علينا الفَجر لعلّنا ننام ؟ قال بِلال : أنا يارسول الله أحفظه عليك . فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلالٌ يصلى ، فصلى ماشاء الله عزّ وجلّ أن يصلى . ثم استند إلى

بعيره، واستقبل الفَجْرَ يَرْمُقه ، فغَلَبتْه عينه ، فنام، فلم يُوقظهم إلاَّ مَسُّ الشمس » وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولَ أصحابه هَبّ ، فقال : ماذا صنعتَ بنا يا بلال ؟ قال : يارسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : صدقت ، ثم اقتاد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما سلَّم أقبل على الناس فقال : « إذا نَسيتم الصلاة فصلُّوها إذا ذَكَرْتموها » ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى ﴾ .

شعر ابن لُقيم فى فتح خيبر

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، قد أعطى ابن لُقَيم العَبسىّ ، حين افتتح خَيْبر ، مابها من دَجاجة أو داجن ، وكان فتح خَيبر فى صَفر ، فقال ابنُ لُقَيْم العَبْسى فى خَيبر :

رُمِيتْ نَطَاةُ من الرَّسول بفَيْلَقٍ شَهباء ذاتِ مَناكب وفَقارِ
واستَيْقنت بالذّلّ لما شُيِّعَتْ ورجال أسْلَمَ وسْطها وغِفار
صَبحتْ بنى عمرو بن زُرْعة غُدوةً والشّقُّ أظلَمَ أهــلُه بنَهار
جرّتْ بأبطَحها الذيول فلم تدع إلا الدَّجاج تَصيح فى الأسْحار
ولكلّ حِصْن شاغِلٌ من خَيْلهم مِن عَبْد أشهلَ أو بنى النَّجَّار
ومُهاجِرِين قدَ اعلَمُوا سِيماهُمُ فوقَ المَغافر لم يَنُوا لفِرار
ولقــد عَلِمتُ ليَغلبَنّ محمّد وليَثْوِيَنّ بهــا إلى أصْفار

فَرَّت يَهُودُ يوم ذلك فى الوَغَى   تحت العَجاج غَمائمَ الأبْصارِ

قال ابن هشام : فَرَّت : كشفت ، كما تُفرّ الدّابة بالكشف عن أسنانها ، يريد كشفت عن جُفون العُيون غمائم الأبصار ، يريد الأنصار .

حديث المرأة الغفارية

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نِساء من نساء المسلمين ، فَرَضَخ لهنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الفَىْء ، ولم يضرب لهنّ بسهم .

قال ابن إسحاق : حدثنى سليمان بن سُحَيم ، عن أُمَيَّة بن أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غِفار ، قد سمَّاها لى ، قالت : أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نِسْوة من بنى غِفارٍ ، فقلنا : يارسولَ الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خَيْبر ، فنُداوى الجَرْحى ، ونُعين المسلمين بما استَطعنا ، فقال : على بَرَكَةِ الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حَدَثة ، فأرْدَفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حَقيبةِ رَحْله . قالت : فوالله لنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصُّبح وأناخ ، ونزلت عن حَقيبة رَحْله ، وإذا بها دَمٌ منى ، وكانت أوّلَ حَيضة حِضْتُها ، قالت : فَتَقبّضْتُ إلى الناقة واستَحْيَيْت ، فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مابى ورأى الدم ، قال : مالكِ ؟ لعلك نُفِسْتِ ، قالت : قلت : نعم ، قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خُذِى إناء من ماء ، فاطْرَحى فيه مِلحاً ، ثم اغسِلى به ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودى لمرْكبك .

قالت : فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه سلم خيبر ، رضَخ لنا من الفىء ، وأخذ هذه القِلادة التى تَرَيْن فى عنق فأعطانيها ، وعلَّقها بيده فى عُنق ، فوالله لا تُفارقنى أبداً .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تُدفن معها . قالت : وكانت لاتطهّر من حيضة إلا جعلت فى طَهُورها مِلْحاً ، وأوصت به أن يجعل فى غُسلها حين ماتت .

شهداء خيبر

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استُشهد بخيبر من المسلمين ، من قُريش ثم من بنى أميّة بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَةَ بن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دُودان بن أسد ، وثَقِيف بن عمرو ، ورِفاعة بن مَسْروح .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى : عبد الله بن الهُبَيْب ، ويقال : ابن الهَبِيب ، فيما قال ابنُ هشام ، ابن أُهَيْبِ بن سُحَيْم بن غِيَرَةَ ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بِشر بن البَرَاء بن مَعْرور ، مات من الشاة التى سُمّ فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ وفُضَيْل بن النعمان . رجلان .

ومن بنى زُرَيْق : مسعود بن سَعْد بن قيس بن خَلَدَةَ بن عامر ابن زُرَيْق .

ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مَسْلمة بن خالد بن عدىّ ابن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضَيَّاح بن ثابت بن النُّعمان بن أميَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ؛ وعروة ابن مُرَّة بن سُرَاقة ، وأَوْسُ بن القائد ، وأُنَيْف بن حُبَيْبٍ ، وثابت بن أَثْلَةَ ، وطلحة .

ومن بنى غِفار : عُمارة بن عُقْبة ، رمى بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعى من أهل خَيْبَر .

وممن استُشهد بخَيبر فيما ذكر ابن شهاب الزّهرىّ ، من بنى زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارَة

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف : أوس بن قَتادة .

أمر الأسود الراعى فى حديث خيبر

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى ، فيما بلغنِى : أنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حُصون خيبر ، ومعه غَنم له، كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يارسول الله ، اعرض علىّ الإسلام ، فعرضه عليه ، فأسلم ـ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لايَحْقِر أحداً أن

يَدْعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه ـ فلما أسلم قال : يارسول الله ، إنى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وُجوهها فإنها ستَرْجع إلى ربها ـ أو كما قال ـ فقال الأسود : فأخذ حَفْنة من الحصى فرَمى بها فى وُجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك أبداً ، فخرجت مجتمعة كأنّ سائقاً يسوقها ، حتى دخلت الحِصْن ، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليُقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قطّ ، فأُتى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوُضع خلفه ، وسُجِّى بشَمْلَة كانت عليه ، فالتفت إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا : يارسول الله ، لِمَ أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زَوْجَتيه من الحور العين .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح أنه ذُكر له : أن الشهيد إذا ما أُصيب تدلّت (له) زوْجتاه من الُحور العين ، عليه تَنْفُضان التراب عن وجهه ، وتقولان : تَرّب الله وجهَ من ترّبك ، وقتلَ مَنْ قتلك .

أمر الحجاج بن علاط السلمى

قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خيبر ، كلّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، الحَجّاجُ بن عِلَاطٍ السُّلَمِى ثم البَهْزى ، فقال : يارسول الله ، إن لى بمكّةَ مالاً عند صاحبتى أمّ شَيْبة بنت أبى طَلْحَة ـ وكانت عنده ، له منها مُعْرِّض بن الحَجّاج ومالٌ متفرّق فى تجّار أهل مكة ، فأذن لى يارسول الله ،

فأذن له ، قال : إنه لابدّ لى يارسول الله من أن أقول ؛ قال : قل. قال الحجّاج : فخرجتُ حتى إذا قدمت مكة وجدت بَثَنِيَّة البيضاء رجالا من قريش يتسمّعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قَرْية الحجاز ، رِيفاً ومَنَعة ورجالا ، فهم يتحسّسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن عِلاط — قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى ، عنده والله الخبر — أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أنّ القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ، قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسرّكم ، قال : فالتبطوا بجنبى ناقتى يقولون : إيهٍ ياحجاج ، قال : قلت : هُزم هزيمة لم يسمعوا بمثلها قطّ ، وقُتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قطّ ، وأُسر محمد أسراً ، وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمَنْ كان أصاب من رجالهم. قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم ، فيُقتل بين أظهُركم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكّة وعلى غُرمائى ، فإنى أُريد أن أَقدم خيبر ، فأصيب من فَلّ محمد وأصحابه قبل أن يَسْبقنى التجّار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فىء محمد .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأَحَثّ جَمْع سمعت به . قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عِندها مال موضوع ، لعلى ألحق بخيبر ، فأُصيبَ من فُرص البيع قبل أن يسبقنى التجّار ، قال : فلما سمع العباس بن عبد المطّلب الخبر ، وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف إلى

جَنْبي وأنا فى خيمة من خِيام التجار ، فقال : يا حجَّاج ، ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حِفْظ لما وضعتُ عندك؟ قال: نعم. قال : قلت :فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فإنى فى جَمْع مالى كما ترى ، فانصرفْ عنى حتى أفرُغ : قال : حتى إذا فرغتُ من جمع كل شىء كان لى بمكة،وأجمعتُ الخروجَ ، لقيت العباسَ ، فقلت : احفظ علىّ حديثى. يا أبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ، ثم قل ماشئت ، قال : أفعل . قلت : فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بِنْت مَلِكهم يعنى صفيَّة بنت حُيىّ ، ولقد افتتح خَيْبر ، وانتثل مافيها ، وصارت له ولأصحابه ، فقال : ماتقول يا حجَّاج ؟ قال : قلت : إى والله فا كتم عنى ، ولقد أسلمتُ وماجئتُ إلا لآخذ مالى ، فَرَقاً من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهر أمرك ، فهو والله على ماتحبّ ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لَبس العباس حلة له ، وتخلَّق ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلُّد لحرّ المصيبة ، قال : كلا ، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خَيبر وتُرِك عروساً على بنت مَلِكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحتْ له ولأصحابه ، قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مُسْلماً ، فأخذ مالَه ، فانطلق ليَلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه . قالوا : يالعباد الله ! انفلت عدوّ الله ، أما والله لو عَلمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم يَنْشَبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

شعر حسان عن خيبر

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسّان ابن ثابت :

بِئْسَما قاتَلَتْ خَيابِرُ عَمَّا جَمَعُوا مِن مَزارِعٍ ونخيل

كَرِهُوا المَوْتَ فاسْتُبِيحَ حِماهُم وأقَرّوا فِعْلَ اللَّئيمِ الذّليل

أمِنَ المَوْتِ يَهْرَبُونَ فإنَّ الـــموت مَوْتَ الهُزَال غيرُ جميل

حسان يعتذر عن أيمن

وقال حسّان بن ثابت أيضاً ، وهو يعذر أيمَن بن أمّ أيمن بن عُبيد ، وكان قد تخلّف عن خيبر ، وهو من بنى عوف بن الخزرج ، وكانت أمُّه أمُّ أيمن مولاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى أمّ أُسامَة بن زيد ، فكان أخا أسامة لأمه :

على حِينَ أن قالَتْ لأَيْمَنَ أُمُّهُ جَبُنْتَ ولم تَشْهَد فوارسَ خَيْبر

وأيْمَنُ لم يجْبُن ولكنّ مُهْرَه أضرّ به شُرْبُ المَديدِ المُخَمّر

ولولا الذى قد كانَ من شأن مُهْرِه لَقاتَل فيهم فارساً غير أعسر

ولكنّه قد صدّه فعل مُهرِهِ وما كان منه عندَه غير أيْسَر

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك ، وأنشدنى :

ولكنّه قد صدّهُ شأنُ مُهرِهِ   وما كانَ لولا ذاكُمُ بمُقصّرِ

شعر ناجية فى يوم خيبر

قال ابن إسحاق : وقال ناجية بن جُنْدب الأسلمىّ :

يا لِعِبادِ للهِ فِيمَ يُرْغَبُ   ماهُوَ إلا مَأكلٌ ومَشْرَبُ
وجَنَّةٌ فيها نَعيمٌ مُعْجِبُ

وقال ناجية بن جُنْدَب الأسْلَىّ أيضاً :

أنا لِمَنْ أنكَرَنِي ابْنُ جُنْدَبِ   يارُبَّ قِرْنٍ فِي مَكَرِّى أنكَبِ
طاحَ بمَغْدَى أنسُرٍ وثَعْلب

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض الرواة للشعر قوله : « فى مَكَرّى » ، و« طاح بمَغْدَى » .

شعر كعب فى يوم خيبر

وقال كعب بن مالك فى يوم خيبر ، فيما ذكر ابن هشام ، عن أبى زيد الأنصارى :

ونحن وَرَدْنا خَيْبَراً وفُرُوضَهُ   بكلّ فَتى عارِى الأشاجِع مِذْوَدِ
جَوادٍ لدى الغايات لا واهنِ القُوَى   جَرِىءٍ على الأعْداء فى كلّ مَشْهَدِ
عظيم رَمادِ القِدْرِ فى كلّ شَتْوَةٍ   ضَرُوبٍ بنصلِ المَشْرَفِىِّ المُهَنّد

يَرى القتلَ مَدْحاً إنْ أصابَ شَهادة ... مِنَ اللهِ يَرْجُوها وَفَوْزاً بأحمَدِ
يَذُود ويحمى عَن ذِمار محمدٍ ... ويدفَعُ عنـــه باللِّسان وباليدِ
وينصُره مِن كلّ أمْرٍ يَريبه ... يجُود بنَفْس دونَ نَفْسِ محمَّد
يصدّق بالأنباء بالغيب مُخْلِصاً ... يريد بذاك الفوزَ والعزَّ فى غدِ

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشّقّ ونطاةَ والكَتيبَة، فكانت الشّقُّ ونَطاةُ فى سُهمان المسلمين ، وكانت الكَتيبَة خُمْسَ الله ،وسهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذوى القُرْبى واليتامى والمساكين، وطُعَمَ أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وطُعَمَ رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فَدَك بالصلح ؛ منهم مُحَيِّصَةُ بن مَسْعود ، أعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وَسَقاً من شعير ، وثلاثين وَسْقاً من تمر ، وقُسمت خيبرُ على أهل الحُدَيبية ، مَن شهد خيبر ، ومَن غاب عنها ، ولم يَغِب عنها إلا جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، فقَسم له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كَسَهْم مَنْ حضرها ، وكان واديَاها ، وادى السُّريْرة ، ووادى خاص ، وهما اللذان قُسِمت عليهما خيبر ، وكانت نَطاة والشّقُّ ثمانية عشر سهماً ، نَطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشّقّ ثلاثة عَشَرَ سهماً ، وقُسِمت الشّقُّ ونَطاةُ على ألف سهم ، وثمانمائة سهم .

من قسمت عليهم خيبر

وكانت عِدّة الذين قُسمت عليهم خَيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم، الرجال أربع عشرة مائة والخيل مائتا فارس ، فكان لكلّ فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكلّ راجل سهم ؛ فكان لكل سهم رأسٌ جمع إليه مائة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهماً جُمع .

قال ابن هشام : وفى يوم خَيبر عَرَّب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العربىّ من الخيل ، وهَجَّن المجين .

قال ابن إسحاق : فكان علىّ بن أبى طالب رأساً ، والزّبير بن العوّام ، وطلحةُ بن عبيد الله وعُمر بن الخطّاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عَدىّ ، أخو بنى العَجْلان ، وأُسَيْدُ بن حُضَير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بَياضَةَ ، وسهم بنى عُبيد ، وسهم بنى حَرام من بنى سَلمة وعُبَيْد السّهام .

قال ابن هشام : وإنما قيل له عُبَيْد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عُبَيْدُ بن أوْس ، أحدُ بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوْس .

قال ابن إسحاق : وسهم ساعدة ، وسهم غِفار وأسْلَم ،وسهم النَّجار وسهم حارثة ، وسهم أوْس . فكان أوّل سهم خرَج من خَيْبر بنَطاةَ سهم الزبير

. . . .

ابن العوّام ، وهو الخوْع وتابعه الشَّرِيْز ، ثم كان الثانى سهم بَيَاضَة ، ثم كان الثالث سهم أُسَيْد، ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزْرج ومُزَينة وشُركائهم ، وفيه قُتِل محمود بن مَسْلمة ، فهذه نَطاة .

ثم هبطوا إلى الشّقّ ، فكان أوّل سهم خرج منه سهم عاصم بن عَدِى ، أخى بنى العَجْلان ، ومعه كان سهم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجّار ، ثم سهم علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طَلْحة بن عُبيد الله ، ثم سهم غِفار وأسْلَم ، ثم سهم عمر بن الخطّاب ، ثم سهما سَلَمَة بن عُبَيْد وبنى حَرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عُبَيْد السّهام ، ثم سهم أوْس ، وهو سهم اللفيف ، جمعت إليه جُهَيْنة ومن حَضر خيبر من سائر العرب ، وكان حَذْوَه سَهمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدىّ .

ثم قسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الكَتيبة ، وهى وادى خاص ، بين قرابته وبين نسائه ، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مائتى وَسْق ، ولعلىّ بن أبى طالب مائة وَسْق ، ولأُسامةَ بن زيد مائتى وَسْق ، وخمسين وسقاً من نوًى ، ولعائشة أمّ المؤمنين مائتى وَسْق ، ولأبى بكر بن أبى قُحافة مائة وَسْق ، ولعقيل بن أبى طالب مائة وَسْق وأربعين وَسقاً ، ولبنى جعفر خمسين وَسْقاً ، ولربيعة بن الحارث مائة وَسْق ، وللصَّلْت بن مَخْرَمة وابنيه مائة وَسْق ، للصَّلْت منها

أربعون وَسْقاً ، ولأبى نَبِقة خمسين وَسقاً ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وَسْقاً ، ولقَيْس بن مَخْرَمة ثلاثين وَسْقاً ، ولأبى القاسم بن مَخْرَمة أربعين وَسْقاً ، ولبنات عُبَيْدة بن الحارث وابنة الُحصَين بن الحارث مائة وَسْق ، ولبنى عُبيد بن عبد يزيد ستين وَسقاً ، ولابن أوْس بن مَخرمة ثلاثين وَسْقاً. ولِمِسْطَح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وَسْقاً ، ولأمّ رُمَيْثَة أربعين وَسْقاً ، ولنُعَيْم بن هِند ثلاثين وَسْقاً ، ولبُحَيْنة بنت الحارث ثلاثين وَسْقاً ، ولعُجَيْر بن عَبد يزيد ثلاثين وَسْقاً ، ولأمّ الحكم ثلاثين وَسْقاً ، ولُجمانَة بنت أبى طالب ثلاثين وَسْقاً ، ولابن الأرقم خمسين وَسْقاً ، ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وَسْقاً ، ولحَمْنَة بنت جَحش ثلاثين وَسْقاً ، ولأمّ الزبير أربعين وَسْقاً ، ولضُباعة بنت الزُّبير أربعين وَسْقاً ، ولابن أبى خُنَيْس ثلاثين وَسْقاً ، ولأمّ طالب أربعين وَسْقاً ، ولأبى بصْرة عشرين وَسْقاً ، ولنُمَيلة الكَلْبى خمسين وَسْقاً ، ولعبد الله بن وَهْب وابنتيه تسعين وَسْقاً ، لابنيه منها أربعين وسقاً ، ولأمّ حبيب بنت جَحْش ثلاثين وَسْقاً ، ولمَلْكُو بن عَبْدَة ثلاثين وَسْقاً ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعُ مائة وَسْق .

قال ابن هشام : قمحٌ وشعير وتمر ونَوًى وغير ذلك ، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى عبد المطَّلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من قمح خَيبر

قسم لهن مائة وسق وثمانين وَسْقاً ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسةً وثمانين وَسْقاً ، ولأُسامة بن زيد أربعين وَسْقاً ، وللمِقْداد بن الأسود خمسةَ عَشَر وَسْقاً ، ولأمّ رُمَيْثَة خمسة أوْسُق .

شهد عثمانُ بن عَفّان وعباس وكتب .

وصاة الرسول عند موته

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كَيْسان ، عن ابن شهاب الزُّهْرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : لم يُوصِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث ، أوصى للرَّهاويين بجادّ مائة وَسْق من خيبرَ ، وللداريين بجادّ مائة وَسْق من خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجادّ مائة وَسْق من خيبر ، وأوصى بتَنْفيذ بعث أُسامة بن زيد بن حارثة ، وألاّ يُترك بجزيرة العرب دِينان .

أمر فدك فى خبر خيبر

قال ابن إسحاق : فلما فرَغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبرَ قذف الله الرُّعْب فى قلوب أهل فَدَك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النصف من فَدَك ، فقدمت عليه رُسُلُهم بخيبر ، أو بالطائف ، أو بعد ما قَدِم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فَدَك لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يوجَف عليها بخيل ولا ركاب .

تسمية النفر الداريين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر

وهم بنو الدار بن هانى بن حَبيب بن نُمارةَ بن لخم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : تميم بن أوس ونُعَيْم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قَيْس ، وعرفة بن مالك ، سماه رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

قال ابن هشام : ويقال : عَزّة بن مالك : وأخوه مُرّان بن مالك .

قال ابن هشام : مَرْوان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نُعمان ، وجَبَلة بن مالك ، وأبو هِنْد بن بَرّ ، وأخوه الطيِّب بن بَرّ ، فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، يبعث إلى أهل خَيْبر عبدَ الله بن رَواحَة خارصاً بين المسلمين ويهود ، فيَخْرُص عليهم ، فإذا قالوا : تعدّيت علينا ، قال : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السماوَاتُ والأرض .

وإنما خَرَص عليهم عبدُ الله بن رَواحَة عاماً واحداً ، ثم أصيب بمُؤتة رحمه الله ، فكان جبّار بن صخر بن أُمية بن خَنْساء ، أخو بنى سَلِمة ، هو الذى يخرُص عليهم بعد عبد الله بن رَواحة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأساً فى معاملتهم ، حتى عَدَوْا فى عَهْد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على عبدالله بن سَهل ، أخى بنى حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنىَ الزّهرىّ عن سهل بن أبى حَثْمة ؛ وحدثنى أيضاً بُشَير بن يَسار ، مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبى حَثْمَة قال : أُصيب عبد الله بن سهل بخيبر ، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار منها تمراً ، فوُجِد فى عَين قد كُسِرَتْ عُنُقُه ، ثم طُرح فيها ؛ قال : فأخذوه فغيّبوه ، ثم قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له شأنه ، فتقدّم إليه أخوه عبدُ الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمّه حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَة ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سناً ، وكان صاحبَ الدم ، وكان ذا قَدم فى القوم ، فلما تكلّم قبل ابنى عمّه ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الكُبْرَ الكُبْرَ .

قال ابن هشام : ويقال : كَبِّرْ كَبِّرْ - فيما ذكر مالك بن أنس - فسكت ؛ فتكلّم حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة ، ثم تكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلَ صاحبهم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أتُسَمُّون قاتلكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فنُسْلِمه إليكم ؟ قالوا : يارسول الله ، ما كنا لنحلف على مالا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يميناً ماقتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يَبرءون من دمه ؟ قالوا : يارسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، مافيهم من الكفر أعظمُ من أن يحلفوا على إثم قال : فوداهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة .

قال سهل : فوالله ما أنسى بَكْرَةً منها حمراء ضربتنى وأنا أحُوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ ، عن عبد الرحمن بن بُجَيْد بن قَيْظِىّ ، أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وايم الله ، ما كان سَهْل بأكثر علماً منه ، ولكنَّه كان أسنّ منه ؛ وإنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أوْهَمَ ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلفوا على مالا علم لكم به ولكنه كتب إلى يهود خيبرَ حين كلّمته الأنصار : إنه قد وُجِدَ قتيل بين أبياتِكم فَدُوه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ماقتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا . فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بُجيد ، إلا أنه قال فى حديثه : دُوهُ أو ائذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ماقتلوه ولا يعلمون له قاتلا ؛ فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

عمر يجلى يهود خيبر

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهرىّ : كيف كان إعطاء رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبرَ نخلَهم ، حين أعطاهم النخل على على خَرْجها ، أبَتَّ ذلك لهم حتى قُبِض ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟

وأخبرنى ابنُ شِهابٍ : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم افتتح خَيبر عَنْوَةً بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عزّ وجلّ على رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، خَمسها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقَسَمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تُعمِلوها ، وتكون ثمارُها بيننا وبينكم ، وأُقِرُّكُم ما أقرَّكُمُ الله ، فقبلوا، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبدَ الله بن رَوَاحة ، فيقسم ثَمَرَها ، ويعدِل عليهم في الخَرْص، فلما توفَّى اللهُ نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، أقرّها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المُعاملة التي عاملهم عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تُوفى ؛ ثم أقرّها عمر رضى الله عنه صَدراً من إمارته . ثم بلغ عُمَرَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال في وَجَعِه الذي قبضه الله فيه: لا يَجْتمعنّ بجزيرة العرب دِينان ؛ ففحص عُمَرُ ذلك ، حتى بلغه الثَّبْتُ ، فأرسل إلى يهودَ ، فقال : إن الله عزّ وجلّ قد أذن في جَلائكم ، قد بلغني أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يَجْتَمِعَنّ بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به ، أُنْفِذْهُ له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليتجهز للجلاء ، فأجْلَى عُمَرُ من لم يكن عنده عهد من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر قال : خرجت أنا والزُّبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قَدِمْنا تفرّقنا في أموالنا ، قال : فعُدِىَ علىّ تحت الليل ، وأنا

نائم على فراشى ، فَفُدِعَتْ يداىَ من مِرْفَقىّ ، فلما أصبحت استصرخَ علىّ صاحباى ، فأتيانى فسألانى : من صَنَع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ؛ قال : فأصلَحا من يدَىّ ، ثم قَدِما بى على عمر رضى الله عنه ، فقال : هذا عمل يهودَ ، ثم قام فى الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كان عامَل يهودَ خيبر على أنا نخرجُهم إذا شئنا ، وقد عَدَوا على عبد الله ابن عمر ، ففَدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عَدْوِهم على الأنصارىّ قبله ، لانشكّ أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدوّ غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فإنى مُخرج يهودَ ، فأخرجهم .

قسمة عمر لوادى القرى بين المسلمين

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مَكْنَف ، أخى بنى حارثة ، قال : لما أخرج عمرُ يهودَ من خيبرَ ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبَّار بن صخر بن أميَّة بن خنساء ، أخو بنى سَلَمة ، وكان خارصَ أهل المدينة وحاسبَهم - ويزيدَ بن ثابت ، وهما قَسما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السُّهمان ، التى كانت عليها .

وكان ما قَسَم عمر بن الخطَّاب من وادى القُرَى ، لعثمانَ بن عَفَّان خَطَرٌ ، ولعبد الرحمن بن عوف خَطَرٌ ، ولعمرَ بن أبى سَلَمة خَطَرٌ ، ولعامر بن أبى ربيعة خَطَرٌ ، ولعمرو بن سُراقة خَطَرٌ ، ولأُشَيْم خَطَر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خَطَر ، ولمُعَيْقيب خَطَر ،

ولعبد الله بن الأرقم خَطَرٌ ، ولعبد الله وعُبَيْد الله خَطَرَان ، ولابن عبد الله ابن جَحْش خَطَر ، ولابن البُكَيْر خَطَرٌ ، ولمُعْتمر خَطَر ، ولزيد بن ثابت خَطَر ، ولأُبىّ بن كَعْب خَطَر ، ولمُعاذ بن عَفْراء خَطَر ، ولأبى طلحة وحَسَن خَطَر ، ولجبَّار بن صخر خَطَر ، ولجابر بن عبد الله بن رئاب خَطَر ، ولمالك ابن صَعْصَعة وجابر بن عبد الله بن عَمْرو خَطَر ، ولابن حُضَيْر خَطَر ، ولابن سَعْد بن مُعاذ خَطَر ، ولسَلامة بن سَلامة خَطَر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خَطَر ، ولأبى عَبْس بن جَبْر خَطَر ، ولمحمّد بن مَسلمة خَطَر ، ولعبادة بن طارق خَطَر .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق : ولجَبْر بن عَتِيك نِصْفُ خَطَر ، ولابنى الحارث بن قيس نصف خَطَر ، ولابن حَزَمَةَ والضحاك خَطَر ، فهذا ما بلغنا من أمر خَيبر ووادى القُرَى ومقاسِمِها .

قال ابن هشام : الخَطَر : النَّصيب يقال : أخْطَرَ لى فلان خَطَراً .

ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام : وذكر سُفيان بن عُيَينة عن الأجْلح ، عن الشَّعْبى : أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قَدِمَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يومَ

فتح خَيْبَر ، فقبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عَيْنيه ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيّهما أنا أُسَرُّ : بفتح خَيْبر ، أم بقدوم جعفر ؟

قال ابن إسحاق : وكان مَنْ أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى عمرَو بن أُميَّة الضَّمْرى ، فحملهم فى سَفينتين ، فقَدِم بهم عليه ، وهو بخَيبر بعد الحُدَيْبِية .

مِن بنى هاشم بن عبد مَناف : جعفر بن أبى طالب بن عبد المُطَّلب ، معه امرأتُه أسْماء بنت عُمَيس الخَثْعَمِيَّة ، وابنه عبد الله بن جَعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قُتل جعفر بمُؤْتة من أرضِ الشام أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجل .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سَعيد بن العاص بن أُمَيَّة ابن عبد شَمْس ، معه امرأته أُمينة بنت خلف بن أسْعد ـ قال ابن هشام : ويقال : هُمَيْنَة بنت خلف ـ وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتْهما بأرض الحبشة . قُتِل خالد بمَرْج الصُّفَّر فى خلافة أبى بكر الصدّيق بأرض الشام ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صَفْوان ابن أُميَّة بن مُحَرِّث الكنانى ، هلكت بأرض الحبشة . قُتل عمرو بأجْنادِين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سَعيد بن العاص بن أُميَّة أبو أُحَيحة :

ألا ليتَ شعرى عنك ياعمرو سائلا ... إذا شَبَّ واشتدّت يَداه وسُلِّحا
أتترُك أمرَ القومِ فيه بَلابل ... تكشِّف غيظا كان فى الصَّدر مُوجَحا

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سَعيد بن العاص، حين أسلما، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّرَيْبة، من ناحية الطائف، هلك فى مال له بها:

ألا لَيتَ مَيْتاً بالظُّرَيْبةِ شاهدُ ... لما يَفترِى فى الدِّين عَمْرو وخالد
أطاعا بِنا أمْرَ النِّساء فأصْبَحا ... يُعينان مِنْ أعدائنا مَن نُكايد

فأجابه خالد بن سعيد، فقال:

أخى ما أخى لا شاتمٌ أنا عِرْضَه ... ولا هو من سُوء المَقالة مُقْصِر
يقولُ إذا اشتدّت عليه أمورُه ... ألا لَيتَ مَيْتاً بالظُّرَيْبة يُنشَر
فدَعْ عَنكَ مَيْتاً قد مَضَى لسبيلِه ... وأقبِل على الأدنى الذى هوَ أفقَر

ومُعَيْقِيب بن أبى فاطمة، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المُسلمين، وكان إلى آل سعيد بن العاص؛ وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس، حليف آل عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر.

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَى: الأسود بن نوفل بن خُوَيلد. رجل.

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ: جَهْم بن قَيْس بن عبد شُرَحبيل، معه

ابناه عمرو بن جَهْم وخُزيمة بن جهم ، وكانت معه امرأته أمّ حَرملة بنت عَبْد الأسود هَلَكت بأرض الحبشة ، وابناه لها . رجل .

ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عامر بن أبى وقّاص ، وعُتبة بن مسعود ، حليف لهم من هُذيل . رجلان .

ومن بنى تَيْم بن مُرّة بن كَعْب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت معه امرأته رَيطة بنت الحارث بن جُبيلة ، هَلَكت بأرض الحبشة . رجل .

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بن رَبيعة بن أهبان . رجل .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، مَحْمِيَّة بن الجزء ، حليف لهم من بنى زُبيد ، كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، جعله على خُمُس المسلمين . رجل .

ومن بنى عَدِىّ بن كعب بن لُؤَىّ : مَعْمر بن عبد الله بن نَضْلة . رجل .

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ بن غالب : أبو حاطب بن عَمْرو بن عبد شمس ؛ ومالك بن ربيعة بن قَيْس بن عبد شمس ، معه امرأته عَمْرة بنت السعْدِى ابن وَقْدان بن عَبْد شمس . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فِهران بن مالك : الحارث بن عَبدقَيْس بن لَقِيط . رجل . وقد كان حُمِل معهم فى السَّفِينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين .

* * *

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أميّة الضَّمْرى فى السَّفينتين ، فجميع من قَدِم فى السَّفينتين إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر رجلا .

وكان ممَّن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدَم إلا بعد بدر ، ولم يَحْمل النجاشى فى السَّفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، من مُهاجرة الحبشة :

من بنى أميَّة بن عبد شَمس بن عبد مَناف : عُبيد الله بن جَحْش بن رِئاب الأُسْدى ، أسْد خُزيمة ، حليف بَنى أُميَّـة بن عبد شمس ، معه امرأته أمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان ، وابنته حَبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تُكنى أمّ حَبيبة بنت أبى سفيان ، وكان اسمها رَمْلة .

خرج مع المُسلمين مُهاجراً ، فلما قَدِم أرض الحبشة تنصر بها وفارق الإسلام ، ومات هُنالك نصرانياً ، فَخلف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عُروة ، قال خرج عُبيد الله بن جَحْش مع المُسلمين مُسْلِماً ، فلما قدم أرضَ الحبشة تنصَّر ، قال فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال : فقَّحنا وصأصأتم ، أى قد أبصرنا وأنتم تَلْتمسون البصر ولم تُبْصِروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صَأْصَأ قبل ذلك

. . . .

فضرب ذلك له ولهم مثلا : أى أنَّا قد فتَّحنا أعْيننا فأبْصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتُبْصروا ، وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق : وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خُزَيمة ، وهو أبو أميَّة بنت قَيس التى كانت مع أمّ حَبيبة ؛ وامرأته بركة بنت يَسار ، مولاة ، أبى سُفيان بن حرب ، كانتا ظِئْرَى عُبيد الله بن جحش ، وأمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ : يزيد بن زَمَعة بن الأسود بن المطَّلب بن أسد ، قُتل يوم حُنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً ؛ وعمرو بن أميَّة بن الحارث بن أسد ، هَلَك بأرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى عَبْد الدّار بن قُصىّ : أبو الرُّوم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار ؛ وفِراس بن النَّضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة ابن عَبْد مناف بن عبد الدار . رجلان .

ومن بنى زُهرة بن كِلابِ بن مُرّة : المُطَّلب بن أزهر بن عبد عَوْف ابن عبد (بن) الحارث بن زُهرة ، معه امرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن ضُبيرة ابن سُعيد بن سَعْد بن سهم ، هَلَك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبدَ الله ابن المُطَّلب فكان يقال : إن كان لأوّلُ رجل وَرِث أباه فى الإسلام رجل.

ومن بنى تَيْم بن مرة بن كعب بن لؤىّ : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم ، قُتل بالقادسيَّة مع سعد بن أبى وقّاص . رجل .

. . . .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب : هَبّار بن سُفيان بن عبد الأسد ، قُتل بأجْنادِين من أرض الشام ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ؛ وأخوه عبد الله بن سُفيان ، قُتل عام اليَرْموك بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يشكّ فيه أقتل ثَمّ أم لا ؛ وهشام بن أبى حُذيفة بن المُغيرة ، ثلاثة نفر .

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : حاطب بن الحارث بن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المُجَلَّل هَلك حاطب هنالك مُسلماً ، فقَدِمت امرأته وابناه ، وهى أمهما ، فى إحدى السّفينتين ؛ وأخوه حطّاب بن الحارث ، معه امرأته فُكَيهة بنت يَسار هَلك هنالك مُسلماً ، فقَدِمت امرأته فُكَيهة فى إحدى السّفينتين ؛ وسُفيان بن مَعمر بن حَبيب ، وابناه جُنادة وجابر ، وأمهما معه حَسنة ، وأخوهما لأمهما شُرَحبيل بن حَسنة ؛ وهَلك سفيان وهلك ابناه جُنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . ستة نفر .

ومن بنى سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ بن سعد بن سَهم الشاعر ، هَلك بأرض الحبشة ، وقَيْس بن حُذافة بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سَهم ؛ وأبو قَيْس بن الحارث بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، قُتِل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وعبد الله بن حُذافة بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، وهو رسولُ (رسولِ) الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، والحارث بن الحارث

ابن قَيْس بن عدىّ ، ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدىّ ، وبِشر بن الحارث ابن قيس بن عدىّ ، وأخ له من أمه، من بنى تميم ، يقال له سعيد بن عمرو، قُتِل بأجْنادين فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وسعيد بن الحارث بن قَيس ، قُتل عام اليَرْموك فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، والسائب بن الحارث بن قيس ، جُرح بالطائف مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتل يوم فِحْل فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، ويقال : قُتل يوم خَيبر ، يُشكّ فيه ، وعُمير بن رئاب بن حُذَيفة بن مِهْشَم بن سعد بن سهم ، قُتل بعَيْن التمر مع خالد بن الوليد ، مُنْصَرفه من اليمامة ، فى خـلافة أبى بكر رضى الله عنه . أحد عشر رجلا .

ومن بنى عدىّ بن كعب بن لُؤَىّ : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان بن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كعب ، هَلك بأرض الحبشة ، وعدىّ ابن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرْثان ، هَلك بأرض الحبشة . رجلان .

وقد كان مع عدىّ ابنه النُّعمان بن عدىّ ، فقَدِم النعمان مع من قَدِم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطّاب ، فاستعمله على مَيْسان ، من أرض البَصرة ، فقال أبياتاً من شعر ، وهى :

ألا هَلْ أتَى الحسْناءَ أنّ حَليلَها	بمَيْسان يُسْقَى فى زُجاجٍ وحَنْتَم
إذا شئتُ غَنَّتْنِى دَهاقِينُ قَرْيةٍ	ورقّاصَةٌ تجذُو على كلّ مَنْسِم
فإن كنتَ نَدْمانِى فبالأكبرِ اسقِنى	ولا تَسْقِنى بالأصغرِ المُتثلّم
لعلّ أميرَ المُؤمنينَ يَسُوؤه	تنادُمُنا فى الجَوْسَقِ المُتَهَدِّم

فلمّا بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوءنى ، فمن لقيه فليُخبره أنى قد عَزَلته ، وعَزَله . فلما قَدِم عليه اعتذر إليه وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ماصنعت شيئاً ممّا بلغك أنى قلته قطّ ، ولكنى كنت امرأً شاعراً ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ، فقال له عمر : وايمُ الله ، لا تعملُ لى على عمل مابقيتُ ، وقد قلتَ ما قلت .

ومن بنى عامر بن لُؤىّ بن غالب بن فِهْر : سَلِيط بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وهو كان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذَةَ بن علىّ الحَنَفى باليمامة . رجل .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن عبد غَنْم بن زُهير بن أبى شدّاد ، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقيط بن عامر بن أُميّة بن ظَرِب بن الحارث ابن فِهْر ، وعِياض بن زُهير بن أبى شدّاد . ثلاثة نفر .

فجميع من تخلّف عن بَدْر ، ولم يَقدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ومن قَدِم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السّفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا .

وهذه تسمية جملة من هَلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عُبيد الله بن جَحْش بن رئاب ، حليف بنى أمية ، مات بها نَصرانياً .

. . . .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : عمرو بن أميّة بن الحارث ابن أسد .

ومن بنى جُمح : حاطب بن الحارث ، وأخوه حطّاب بن الحارث .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث ابن قَيس .

ومن بنى عدىّ بن كعب بن لُؤَىّ : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان ابن عوف ، وعَدِىّ بن نَضْلة . سبعة نفر .

ومن أبنائهم ، من بنى تَيْم بن مُرّة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر . رجل .

مهاجرات الحبشة

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قَدِم منهنّ ومن هَلك هنالك ستّ عشرةَ امرأة ، سوى بناتهنّ اللاتى وُلدن هنالك ، من قَدِم منهنّ ومن هَلك هنالك ، ومن خرج به معهنّ حين خَرجن .

من قُريش ، من بنى هاشم : رُقية بنت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى أميّة : أمّ حبيبة بنت أبى سُفيان ، معها ابنتُها حَبيبة ، خرجت بها من مكة ، ورَجعت بها معها .

ومن بنى مخزوم : أمّ سَلمة بنت أبى أمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سَلمة ولدتها هنالك .

ومن بنى تَيم بن مُرّة : رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيلة ، هلكت بالطريق، وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك عائشة بنت الحارث وزينب بنت الحارث هَلكن جميعاً ، وأخوهنّ موسى بن الحارث ، من ماء شربوه فى الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرُها ، يقال لها فاطمة .

ومن بنى سَهم بن عمرو : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن ضُبيرة .

ومن بنى عدىّ بن كعب : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤىّ : سودة بنت زَمَعة بن قيس ، وسهلة بنت سُهَيل بن عمرو ، وابنة المجلِّل ، وعمرة بنت السَّعْدى بن وقدان ، وأمّ كلثوم بنت سُهَيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عُمَيس بن النُّعمان الخَثْعمية ، وفاطمة بنت صَفْوان بن أميّة بن مُحرّث الكِنانية ، وفُكَيهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحَسنة ، أمّ شُرَحبيل بن حَسنة .

وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة .

ومن بنى هاشم : عبدُ الله بنَ جعفر بن أبى طالب .

ومن بنى عبد شَمس : محمد بن أبى حُذَيفة ، وسعيد بن خالد بن سَعِيد، وأختة أمَة بنت خالد .

ومن بنى مخزوم : زينب بنت أبى سَلمة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المُطَّلب بن أزْهر .

ومن بنى تَيْم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبى حُـذَيفة ، وسعيد ابن خالد ، وعبد الله بن المطَّلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سَلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

غزوة خيبر

ذكر البَـكْرِىُّ أن أرضَ خَيْبَر سُمِّيَتْ باسْم رَجُلٍ من العَمَالِيقِ نَزَلها ، وهو خَيْبَرُ بن قَانِية بن مَهْلَايِلَ[1] ، وكذلك قال فى الوَطِيح ، وهو من حُصونها أنه سُمِّى بالوَطِيحِ بن مازِن ، رجلٍ من ثَمودَ ولفظُه مأخوذ من الوَطْح ، وهو ما تَعَلَّق بالأظافر ، ومخالب الطير من الطين .

شرح هنة والحداء :

وذكر ابن إسحاق قوله عليه السلام لِسَلَمَة بن الأَكْوَع : خُذْلنا من

---

(١) قاله فى المعجم منسوباً إلى محمد بن سهل ، وفيه قاينة بدلا من قانية .

. . . .

هَنَاتِك. الْهَنَةُ : كناية عن كُلِّ شيء لا تَعْرِف اسْمَه ، أو تَعرِفُه ، فتَـكْنِي عنه، وأصلُ الْهَنَةِ : هنهة وَهَنْوة . قال الشاعر :

[أَرَى ابنَ نَزارٍ قد جَفَانِي وقَلَّنى] على هَنَوَاتٍ شأنُها مُتَتَابِـعُ

وفى البخارى : أن رَجُلاً قال لابن الأَكْوَع : ألا تَنْزِلُ فتُسْمِعُنا من هُنَيْهَاتِك، صَغَّره بالهاء، ولو صغره على لغةِ من قال هَنَوَاتٍ ، لقال هُنَيَّاتِك ، وإنما أراد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يَحْدُو بهم ، والإبِلُ تُسْتَحَثُّ بالْحُدَاءِ ، ولا يكون الْحُدَاء إلا بِشِعْرٍ أو رَجَزٍ ، وقد ذكرنا أولَ من سَنَّ حُدَاء الإبل ، وهو مُضَرُ بن نِزَارٍ ، والرَّجز شِعْرٌ ، وإن لم يكن قَرِيضاً ، وقد قيل ليس بشعر ، وإنما هى أشطار أبيات ، وإنما الرَّجَزُ الذى هو شِعْرٌ سُداسِيُّ الأجزاء ، نحو مَقْصورَةِ ابن دُرَيدٍ[1] أو رباعى الأجزاء نحو قول الشاعر :

يامر ياخَــيْرَ أخٍ نَازَعْتَ دَرَّ الْحَلَمَهْ

---

(١) من جيد شعر ابن دريد المقصورة التى يمدح بها الشاه ميكائيل وولديه وهو الأمير أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكائيل رئيس نيسابور ، أحاط فيها بأكثر المقصورة : وأولها :

إما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

وقد اعتنى بشرحها كثير من المتقدمين والمتأخرين منهم العلامة أحمد بن خالويه . ولكن أولها فى المطبوعة :

ياظبية أشبه شــىء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وهى أكثر من مائتين وخمسين بيتاً .

. . . .

واحتج من قال فى مَشْطُورِ الرَّجز أنه ليس بِشِعْرٍ أنه قد جرى على لسان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان لايجرى على لسانه الشعر ، وقد روى أنه أنشد هذا الرجز الذى قاله ابن الأكوع فى هـذا الحديث ، وقال أيضاً إمَّا مُتَمَثِّلاً وإما مُنْشِئاً :

هل أنتِ إلَّا إصْبَعٌ دَمِيتِ وفى سَبِيـــلِ الله مالَقِيتِ

وفى هذا الرجز من غير رواية ابن إسحاق مما وقع فى البُخارى وغيره :

فاغْفرْ فِداء لك[1] ما أبقَيْنا

ويروى ما اقْتَفَيْنَا أى[2] : ما تَتَبَّعْنَا من الخطايا ، من قَفَوْتُ الأثر ، واقْتَفَيْتُه. وفى التنزيل : ﴿ ولا تَقْفُ ماليس لك به عِلْمٌ ﴾ ، وأما قوله : ما أبقينا ، أى : ما خَلَّفْنَا مِمَّا اكْتَسَبْنا ، أو يكون معناه : ما أَبْقَيْنَا من الذنوب ، فلم نُحَقِّقْ التوبةَ منه كما ينبغى .

وقوله فداء لك قد قيل : إن الخطابَ للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى : اغفر لنا تقصيرَنا فى حقك وطاعتك ، إذ لا يتصور أن يُقـال لله تبارك وتعالى مثلُ هذا الكلام ، وذلك أن معنى قولهم : فداءٌ لك أى : فداءٌ لك أنفسُنا وأهلُونا ، وحذف الاسم المبتدأ لكثرة دَوْره فى الكلام مع العلم به ، وإنما

---

(١) قد تكون فداء منونة على أنها مبتدأ .

(٢) هذه رواية مسلم والبخارى فى الأدب ، وللقابسى : مالقينا ، وفى رواية ما اتقينا ، أى ما تركنا من الأوامر . وما ظرفية .

. . . .

يَفدى الإنسانُ بنفسه مَنْ يجوز عليه الفناء .

استعمال الكلمة في غير موضعها :

وأقرب ماقيل فيه من الأقوال إلى الصّواب أنها كلمةٌ يترْجَم بها عن محبة وتعظيم، فجاز أن يخاطَب بها مَنْ لايجوز فى حَقِّهِ الفداء ، ولا يجوز عليه الفناء قصداً لإظهار المحبة والتعظيم(١) له ، وإن كان أصلُ الكلمة ماذكرنا ، فَرُبَّ كلمةٍ تُرِكَ أصلُها ، واستُعمِلَتْ كالْمَثَل فى غير ماوُضِعَتْ له أوّلُ ، كما جاءوا بلفظ القَسَم فى غير موضع القسم، إذا أرادوا تعجباً واستعظاماً لأمر، كقوله عليه السلامُ فى حديث الأعرابى من رواية إسماعيل بن جعفر . أَفْلَحَ وأَبِيه إن صَدَق ، ومُحَالٌ أن يَقصُد صلى الله عليه وسلم القسمَ بغير الله تبارك وتعالى ، لاسِيَّما برجلٍ مات على الكفر ، وإنما هو تعجب من قول الأعرابى ، والمتعجَّب منه هو مُستَعْظَمٌ ، ولفظ القَسَمِ فى أصل وضعِه لما يُعظَّم ، فاتُّسِع فى اللفظ حتى قيل على ذا الوجه . وقال الشاعر :

فإن تَكُ لَيلى استَوْدَعَتْنِى أمانة فــلا وأبى أَعْدَائها لا أَخُونُها

لم يُرِدْ أن يُقْسِم بأبى أعدائها ، ولكنه ضَرْبٌ من التعجُّب ، وقد ذهب أكثرُ شرّاح الحديث إلى النسخ فى قوله أفلح وأبيه ، قالوا نَسخَه قوله عليه السلام : لاتحلِفُوا بآبائكم ، وهذا قولٌ لايصح ،لأنه لَمْ يثبُتْ أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ـ كان يَحْلِف قبل النَّسْخ بغير الله ، ويُقْسِم بقومٍ كُفّارٍ ، وما أبعد هذا من شِيمَتِه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تالله مافعل هذا قَط(٢) ، ولا كان

---

(١) هذا كلام محمد بن على بن عمر التميمى المازرى

(٢) هذا كلام ممتاز لأن القسم بغير الله كفر .

. . . .

له بخلق . وقال قوم: رواية إسماعيل بن جعفر مُصحَّفة ، وإنما هو أفلح والله إن صدق . وهذا أيضاً مُنكَرٌ من القول ، واعتراض على الأثباتِ العُدُول فيما حفِظوا[1] ، وقد خرج مسلم فى كتاب الزكاة قولَه عليه السلام لرجل سأله: أىُّ الصَّدَقة أفضل ؟ فقال : وأبيك لأُنَبِّئُك أو قال لأخبِرَنَّك ، وذكر الحديث ، وخرج فى كتاب البرِّ والصِّلَة قوله لرجل سأله : مَنْ أحَقُّ الناسِ بأن أبَرَّهُ ، أو قال : أصِلُه ؟ فقال : وأبيك لأُنَبِّئُك ، صِلْ أمَّك ، ثم أباك ثم أدْناك فأدْناك ، فقال فى هذه الأحاديث كما ترى وأبيك ، فلم يأت إسماعيل ابن جعفر إذاً فى روايته بِشَىْء إمْرٍ ، ولا بِقَوْلٍ بِدْعٍ ، وقد حمل عليه فى روايته رجلٌ من عُلَماء بلادنا وعظماء مُحدِّثيها ، وغفل — عفا الله عنه — عن الحديثين اللذين تقدم ذكرهما ، وقد خرَّجهما مُسْلِمُ بنُ الحجَّاج . وفى تراجم أبى داود فى كتاب الأيمان فى مصنفه مايدل على أنه كان يذهب إلى قول من قال بالنسخ ، وأن القَسَم بالآباء كان جائزاً ، والذى ذكرناه ليس من باب الحَلِفِ بالآباء كما قدمنا ، ولا قال فى الحديث : وأبى ، وإنما قال : وأبيه ، أو وأبيك بالإضافة إلى ضمير المخاطَب أو الغائب ، وبهذا الشرط يخرُج عن معنى الحَلِفِ إلى معنى التعجب الذى ذكرناه[2] .

---

(١) ولم لا يكون الأمر أنه قد تشابه على النساخ حروف أبيه بحروف الله ؟ وليس فى هذا أى طعن على العدول .

(٢) وأكثر هذا الرجز الذى جر كل هذا نسبه البخارى فى الجهاد إلى عبد الله بن رواحة . ولكن هنا زيادات عما نسب إلى ابن رواحة . وللبخارى فى صة خيبر رواية فيها اختلاف عما روى ابن إسحاق هنا من هذا الرجز فراجعه

. . . .

الإسناد عن عطاء بن أبي مروان :

وذكر ابنُ إسحاق حديثَه عليه السلام حين أشرف على خَيْبَر ، وقال : فى إسنادِه عن عَطاَء بن [أبى] مَرْوَانَ ، وهذا هو الصحيح فى هذا الإسناد ، لأن عطاء بن أبى مَرْاوَن الأسْلَمِىّ معروفٌ فى أهل المدينة يكنى أبا مُصْعَب، قاله البخارى فى التاريخ ، وبعض من يَرْوى السيرة يقول فى هذا الإسناد عن عَطاَء ابن أبى رَبَاحٍ ، عن مَرْوَان الأسْلَمى والصحيح ما قدمناه .

المكاتل :

فصل : وذكر حديثَ أنسٍ حين استقبلتهم عُمَّالُ خَيْبَر بمساحِيهم ومَكَاتِلِهم المَكَاتِل : جمع مِكْتَلٍ وهى القُفَّةُ العظيمة ، سُمِّيَتْ بذلك لتَكَتُّلِ الشىء فيها ، وهو تلاصُقُ بعضِه ببعض ، والكُتْلَةُ من التمر ونحوه فصيحة ، وإن ابتذلتها العامّةُ .

خربت خيبر :

وقولُ النبى صلى الله عليه وسلم حين رآهم : الله أكبر خَرِبَتْ خَيْبَرُ . فيه إباحة التَّفَاؤُل وقوةٌ لمن استجاز الرَّجْزَ ، وقد قدمنا فى ذلك قولًا مُقْنِعًا ، وذلك أنه رأى المَساحِىَ والمَكَاتِلَ وهى من آلة الهَدْم والحفر مع أن لفظ المِسْحاةِ من سَحَوْتُ الأرضَ إذ قشرتُها ، فدل ذلك على خَرَابِ البَلْدَةِ التى أشرف عليها[1] ، وفى غير رواية ابن هشام قال : حين ذكر المساحى : كانوا

---

(١) وأشرف من هذا ماذكره الحافظ فى الفتح : ويحتمل أن يكون قال : خربت خيبر بطريق الوحى ، ويؤيده قوله بعد ذلك : إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين،وقد اقتبس من القرآن فى كلامه .

. . . .

يُؤَتُّونَ الماءَ إلى زَرْعِهم معناه : يَسُوقُونَ . والأَتِيُّ هى الصافية[1] .

الخميس :

وقولُ اليهود : محمدٌ والخميس ، سمى الجيشُ العظيمُ خَمِيساً ، لأن له ساقَةً ومُقَدِّمة ، وجناحين[2] وَقَلْباً ، لامن أجْلِ تخميس الغنيمة ، فإن الْخُمُسَ من سُنَّةِ الإسلام ، وقد كان الجيشُ يُسَمَّى خَمِيساً فى الجَاهِلِيَّة . وقد ذكرنا الشاهد على ذلك فيما تَقَدَّمَ .

تدنى الحصون :

وقوله: يَتَدَنَّى الحصون ، أى يأخذ الأدنى فالأدنى .

حكم أكل لحوم الحمر الأهلية والخيل :

وذكر نهيه عليه السلام عن أكل لحوم الحمر الأهلية ، وحديثُ جابر أنه نهى عليه السلام يوم خَيْبَرَ عن أكل لحوم الْحُمُر الأَهْلِيَّة ، وأَرْخَصَ لهم فى لحوم الخيل ، أما الْحُمُر الأهليةُ فمجْتَمَعٌ على تحريمها إلا شيئاً يُرْوَى عن ابنِ عبَّاسٍ وعائشة ، وطائفةٍ من التابعين . وحُجَّةُ من أباحها قولُه تعالى :

---

(١) فى اللسان : الآتى بوزن غنى : النهر يسوقه الرجل إلى أرضه ، وكل مسيل سهلته لماء أتى ، وكل جدول ماء أتى . وأتى للماء — بفتح الهمزة وتشديد التاء مع فتح — وجه له مجرى .

(٢) وكانا يسميان : الميمنة والميسرة .

. . . .

﴿ قل : لا أجِدُ فيما أوحِيَ إليَّ مُحرَّماً على طاعِمٍ ﴾ الآيةُ وهى مكّيّةٌ ، وحديثُ النهى عن الحُمُرِ كان بخيبر فهو المبين للآية ، والناسخُ للإباحَةِ(1) ، ومن حُجَّتِهم أيضاً قوله ، صلى الله عليه وسلم لرجل استفتاه فى أكل الحمار

(1) عجيب والله أمر هؤلاء الذين يزعمون أن رسول الله «ص» يحرم ما أحله الله . وقد أخرج البخارى عن عمرو بن دينار قال : « قلت لجابر بن زيد : يزعمون أن رسول الله « ص » نهى عن الحمر الاهلية ، قال : قد كان يقول ذلك الحكم بن عمر الغفارى عندنا بالبصرة ، ولكن أبى ذلك البحر ابن عباس ، وقرأ : (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً) وفهم ابن عباس دقيق . ففى الآية حصر لا يأذن لشىء أن يطيف بقدسه ، ولا أن يضاف إلى المحصور ، ومن يتدبر الآية بهدى الإيمان فى قلبه ، والتقديس لما يقول القرآن يجد فهم ابن عباس رضى الله عنه . أو يمكن أن نظن بالقرآن الكريم أن بيانه الحكيم القوى تنهار حكمته وتهى قوته بهذه السهولة ؟ ! (قل : لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ، فإنه رجس أو فسقاً ، أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فان ربك غفور رحيم) الأنعام: ١٤٥ . وقد ورد بعدها ما حرم الله على الذين هادوا . فتدبر النفى السابق للفعل أجد ، ثم كلمة إلا ليتبين أن الآية تؤكد بهذا البيان المحكم أن الله سبحانه لم يحرم شيئاً غير ما ورد فى الآية القرآنية . ثم إذا تبين بالدليل القطعى الذى تؤيده التجربة أو الواقع أن شيئاً ما يضر الناس تناوله ، فانه يكون محرماً بنص آية أخرى حيث وصف الرسول صلى الله عليه وسلم فى سورة الأعراف بأن « يحل الطيبات ويحرم الخبائث » فكل طيب حلال ، وكل خبيث حرام بهذا النص .

هذا ولا يصح ترديد أن الحديث ينسخ القرآن ، وإلا بهتناه صلى الله عليه وسلم ، بأنه كان يتقول على الله بعض الأقاويل . وأضرع إلى الله أن يفتح القلوب لكلمة الحق هذه ، فلا يرجمنا بسببها قوم لا نكن لهم إلا ما نكن للصفاء والحب والخير .

. . . .

الأهلى ، يقال فى اسمه : غالب بن أبجر المُزَنى: أطْعِم أهلَك من سَمِين مالِك[1] ، وهو حديثٌ ضعيفٌ لا يُعارَض بمثله حديثُ النهى مع أنه مُحتَمِلٌ لتأويلين ، أحدهما : أن يكون الرجلُ ممن أصابته مَسْغَبَةٌ شديدةٌ ، فأرخَصَ له فيه ، أو يكون ذلك منسوخاً بالتحريم، على أن بعضَ رُوَاةِ الحديث زاد فيه بياناً ، وهو قوله عليه السلام للرجل : إنما نهيت عن حوالى القَرْيَةِ أو جوالى[2] القرية على اختلافٍ فى الرواية ، وأما حديثُ جابرٍ فى إباحة لحوم الخيل ، فصحيح ويُعَضِّدُه حديثُ أسماء أنها قالت : ضَحَّيْنا على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بفرسٍ[3] . وقال بإباحة لحومِ الخيلِ الشافعىُّ والليثُ وأبو يُوسُفَ وذهب مالكٌ والأوْزَاعِىُّ إلى كَرَاهَةِ ذلك ، وقد رُوِى من طريقِ خالد بن الوليد أنه عليه السلام نهى عن أكْلِ لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّة والبغالِ والخيلِ ، وقد خَرَّجَه أبو دَاوُود ، وحديث الإباحة أصَحُّ غير أن مالكاً رحمه الله نَزَعَ بآيةٍ من كتابِ الله ، وهى أن الله جلَّ ذِكْرُه ذكر الأنعام ، فقال : ﴿ ومنها تأكلون ﴾ ثم ذكر الخيل والبغال والحمير فقال : ﴿ لِتَرْكَبُوها وزِينَةً ﴾ وهذا انْتِزَاعٌ حَسَنٌ . ووجْه الدليل من الآية أنه قال : ﴿ والأنعامَ

---

(١) أخرجه أبو داود وفيه « أطعم أهلك من سمين حمرك » ولست أدرى كيف يحرم الحمار الأهلى ، ويقال بحل أكل الحمار الوحشى ؟ !

(٢) هى جوال بفتح الجيم والواو وتشديد اللام جمع جالة مثل دواب وسوام وهوام جمع دابة وسامة وهامة . والجوال هى التى تأكل العذرة .

(٣) عن أسماء بنت أبى بكر قالت : « ذبحنا على عهد رسول الله «ص» فرساً ، ونحن بالمدينة ، فأكلناه » متفق عليه .

. . . .

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ﴾ النحل : ٥ فذكر الدِّفْء والمنافع والأكل ، ثم أفرد الخيلَ والبغالَ والحميرَ بالذكر ، ثم جاء بلام العِلَّة والنَّسَب ، فقال : لتركَبُوها ، أى لهذا سَخَّرْتُها لكم ، فوجب أنْ لا يتعدَّى ما سُخِّرت[1] له ، وأما نَهْيُه يوم خَيْبَرَ عن لُحوم الجَلَّالَة وعن رُكُوبها[2] ، فهى التى تأكل الجِلَّةَ وهو الرَّوْثُ والبَعْرُ ، وفى السُّنَنِ للدارَقُطنيِّ أنه عليه السلامُ نهى عن أكل الجَلَّالَة ، حتى تُعلَفَ أربعين يوماً ، وهذا نحوٌ مما رُوِى عنه عليه السلام أنه كان لا يأكل الدَّجَاجَ المُخَلَّاةَ ، حتى تُقْصَر ثلاثةَ أيَّام . ذكره الهَرَوِيُّ .

الورق :

وذكر فى الحديث نَهْيَه عليه الصلاة والسلام عن بَيْع الفِضَّةِ بالفِضَّةِ ، وإباحَة بَيْعِ الذَّهَب بالوَرِقِ ، فدل على أن الوَرِقَ والفِضَّةَ شَىْءٌ واحدٌ ، وقد فرق بينهما أبو عُبَيْدٍ فى كتاب الأموال ، فقال : الرِّقَةُ والوَرِق ما كان سكَّةً مَضْرُوبَةً ، فإن كان حُلِيًّا أو حِلْيَةً ، أو نُقراً[3] لم يُسَمَّ وَرِقاً ، يريد بهذه التفرقة أن لا زَكَاةَ فى حُلِىِّ الفِضَّة والذَّهَبِ ، لأن النَّبى - صلى الله عليه

---

(١) وإن كانت اللام للعلة ، فانها لا تفيد الحصر فى الركوب والزينة ، فإنه ينتفع بالخيل فى غيرهما ، وفى غير الأكل اتفاقاً .

(٢) عن ابن عمر قال . « نهى رسول الله « ص » عن أكل الجلالة وألبانها » رواه الخمسة إلا النسائى . وفى رواية أن رسول الله « ص » نهى عن الجلالة فى الإبل أن يركب عليها ، أو يشرب من ألبانها . رواه أبو داود .

(٣) جمع نقرة ، وهى القطعة المذابة من الذهب والفضة ، وقيل : هو ما سبك مجتمعاً منها .

. . . .

وسلم — حين ذكر الزَّكَاةَ قال : فى الرِّقَةِ الْخُمْسُ[١] ، وحين ذكر الرِّبا قال الفِضَّةُ بالفِضَّة .

قال المؤلف : وفى هذا الحديث الذى ذكره ابن إسحاقٍ ، وفى أحاديث سواه قد تتبعتها مايدل على خلافِ ما قال ، منها قوله عليه السلام فى صفة الحَوْضِ : يَصُبُّ فيه مِيزَابَانِ من الجَنَّة أحدُهما [من ذهب والآخر] من وَرِقٍ[٢] ، وفى حديث عَرْفَجَةَ حين أصيب أنفهُ يوم الكُلَاب قال : فاتخذتُ أنفاً من وَرِقٍ[٣] الحديث ، فى شواهدَ كثيرةٍ تدل على أنَّ الفِضَّةَ تُسَمَّى وَرِقاً على أىِّ حال كانتْ .

---

(١) زكاة الفضة هى ربع العشر ، ففى حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى « هاتوا صدقة الرقة من كل أربعين درهما درهما » وفى حديث آخر رواه البخارى فى الرقة — بكسر الراء وتخفيف القاف — وهى الفضة الخالصة — فى مائتى درهم ربع العشر وهذا حر .

(٢) من حديث رواه مسلم .

(٣) لما اتخذ أنفاً من ورق أنتن ، فاتخذ أنفاً من ذهب ، وقد ظنها الأصمعى ورقا بفتح الراء ، ظناً منه أنَّ الفضة لا تنتن ، وخطأه القتبى . والكلاب بضم القاف وفتح اللام اسم ماء كان به يوم من أيام العرب بين البصرة والكوفة . قال أبو عبيد : كلاب الأول وكلاب الثانى يومان كانا بين ملوك كندة ، وبنى تميم وفيه أسرت بنو تميم عبد يغوث بن أبى وقاص الحارثى فقال قصيدته اليائية التى أولها :

ألا لا تلومانى كفى اللوم مابيا ... فما لكما فى اللوم خـــير ولا ليا

ومنها

جزى الله قومى بالكلاب ملامة ... صريحهم والآخرين الموا‌ليـــا =

. . . .

وقوله: بالذَّهَبِ الْعَيْن والورق العَيْن، يريد النقد، لأنَّ الغائبَ تُسَمَّى ضِماراً، كما قال، وعَيْنُه كالـكالىء الضِّمارِ[1]، وسمى الحاضر: عَيْناً اوضع الْمُعايَنة، فالعَيْن فى الأصلِ مَصْدَرُ عِنْته أعينُه إذا أبصرتَه بعينك، وسُمِّى المفعولُ بالمصدَرِ، ونَحْوٌ منه الصَّيْدُ، لأنه مصدر صِدْت أَصِيدُ، وقد جاء فى التنزيل: ﴿ لَاتقْتُلُوا الصَّيْدَ وأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ المائدة: ٩٥ فسّماه بالمصدر، ولعلك أن تلحظ من هذا المطلع معنى العَيْنِ من قوله تعالى: ﴿ ولِتُصْنَعَ على عَيْـنِى ﴾ طه: ٣٩ فقد أمْلَينا فيها، وفى مَسْأَلَة اليدِ مَسْألتيْن لا يُعْدَل بقيمتهما الدنيا بحذافيرِها[2]

= ويقول ابن دريد عن الكلاب: «والكلاب «وضع بالدهناء بين اليمامة والبصرة كانت فيه وقعتان إحداهما بين ملوك كندة الإخوة، والأخرى بين بنى الحارث وبين بنى تميم يذكر ذلك أبو عبيدة فى كتاب الأيام» أنظر ص ٤٥ حـ ٢، ص ٢٦٧ حـ ٤ البيان للجاحظ، واللسان، وابن الأثير فى مادتى كاب وورق وص ٢١ الاشتقاق لابن دريد.

(١) المال الضمار: الغائب الذى لا يرجى. والكالىء فى حديث أنه نهى عن الكالىء بالكالىء، أى النسيئة بالنسيئة، وذلك أن يشترى الرجل شيئاً إلى أجل، فاذا حل الأجل لم يجد ما يقضى به، فيقول بعنيه إلى أجل آخر بزيادة شىء فيبيعه منه، ولا يجرى بينهما تقابض، يقال: كلأ الدين كلوءًا، فهو كالىء إذا تأخر.

(٢) من خير من كتب عن هذا الإمام ابن القيم فى كتابه «الصواعق المرسلة» فراجعه، وقد سبق القول بأنه يجب الإيمان. بكل ما نسبه إلى نفسه من مثل اليد والعين وغيرهما إيماناً مطمئناً بأن الله سبحانه له كل هذا الذى نسبه إلى نفسه، فله يدان وله عينان، ولكن لا تشبه يده يد، ولا عينه عين، لأنه جل شأنه ليس كمثله شىء.

. . . .

متى حرم نكاح المتعة ؟:

فصل : ومِمَّا يَتَّصِل بحديث النهى عن أكل الْحُمُر تنبيهٌ على إشْكَالٍ فى رواية مالكٍ عن ابن شهابٍ،فإنه قال فيها: نهى النبىُّ صلى الله عليه وسلم عن نِـكاح الْمُتْعَةِ يوم خَيْـبَرَ ، وعن لُحُوم الْحُمُرِ الأَهْلِيَّة ، وهذا شىء لا يعرفه أحدٌ من أهلِ السِّيَرِ ، ورواة الأثَرِ ، أن الْمُتْعَةَ حُرِّمَتْ يوم خيبر ، وقد رواه ابن عُيَـيْنَةَ عن ابن شهابٍ عن عبدِ الله بن محمد ، فقال فيه : إن النبىَّ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن أكْل الْحُمُر الأهلية عامَ خَيْـبَرَ ، وعن الْمُتْعَةِ ، فمعناه على هذا اللفظ : ونَهَى عن الْمُتْعَةِ بعد ذلك ، أو فى غير ذلك اليوم ، فهو إذاً تقديمٌ وتأخير ، وقع فى لفظ ابن شهاب ، لا فى لفظ مالك ، لأن مالـكا قد وافقه على لفظه جماعةٌ من رُوَاةِ ابن شِهَابٍ ، وقد اختُلِفَ فى تحريم نِـكَاح الْمُتْعَةِ فأغْرَبُ مارُوى فى ذلك روايةُ مَنْ قال : إن ذلك كان فى غَزْوةِ تَبُوك ، ثم رواية الحسنِ أن ذلك كان فى عُمْرَةِ القَضَاء ، والمشهورُ فى تحريم نِـكَاح الْمُتْعَةِ روايةُ الربيع بن سَبْرَةَ[1] عن أبيه أن ذلك كان عامَ الفَتْح . وقد خَرَّجَ مُسلِم الحديث بطوله[2] وفى هذا أيضاً حديثٌ آخرُ خرجه أبو داود أن تحريم

---

(١) نص النووى فى التهذيب على ضبطها بفتح السين وسكون الباء ، وضبطت فى نيل الأوطار بضمها .

(٢) ورواه أيضاً أحمد . هذا وقد روى عن ابن مسعود أنه قال : « كنا نغزو مع رسول الله « ص » ليس معنا نساء ، فقلنا : ألا نختصى ، فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ، ثم قرأ عبد الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية . متفق عليه . وعن =

. . . .

نِكَاحِ الْمُتْعَةِ كان فى حجـــــة الوداع ، ومن قال من الرُّواة كان فى غزوة

= أبى جمرة قال : « سألت ابن عباس عن متعة النساء، فرخص ، فقال له مولى له : إنما ذلك فى الحال الشديد وفى النساء قلة أو نحوه ، فقال ابن عباس : نعم » رواه البخارى .

وقد روى ابن حزم فى المحلى عن جماعة من الصحابة غير ابن عباس ، فقال : وقد ثبت على تحليلها بعد رسول الله « ص » جماعة من السلف منهم من الصحابة: أسماء بنت أبى بكر ، وجابر بن عبد الله وابن مسعود وابن عباس ومعاوية وعمرو بن حريث وأبو سعيد وسلمة ابنا أمية بن خلف ، ورواه جابر عن الصحابة مدة رسول الله ومدة أبى بكر ومدة عمر إلى قرب آخر خلافته ، وروى عنه أنه إنما أنكرها إذا لم يشهد عليها عدلان فقط ، وقال بها من التابعين : طاوس وعطاء وسعيد بن جبير وسائر فقهاء مكة . وقال ابن المنذر : جاء عن الأوائل الرخصة فيها ، ولا أعلم اليوم أحداً يجيزها إلا بعض الرافضة » .

وقال عياض : « ثم وقع الإجماع من جميع العلماء إلا الروافض » وقال ابن بطال : « روى أهل مكة واليمن عن ابن عباس إباحة المتعة . وروى عنه الرجوع بأسانيد ضعيفة ، وإجازة المتعة عنه أصح ، وهو مذهب الشيعة . ونقل البيهقى عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال : هى الزنا بعينه » وقال القرطبى « الروايات كلها متفقة على أن زمن إباحة المتعة لم يطل . وأنه حرم ، ثم أجمع السلف والخلف على تحريمها إلا من لا يلتفت إليه من الروافض » انظر ص ١٣٥ ج ٦ نيل الأوطار . أقول : وقد أسرفت فئات من الآخذين بحلها فأحالوها زنا بأجر ، وبغاء فاجر الفسوق ، أيتفق وقداسة الإسلام ، وجلال هديه ، وسمو الصفاء فى روحانيته ، أن يتصل رجل بامرأة أياماً أو أشهراً ثم يتركها بما حملت ؟ ! ترى لمن ينتسب هذا الجنين ؟ وكيف يعيش وتعيش أمه ، وهى لا تعرف لابنها أباً ، وهـــو لا يدرى له أباً ؟ وأية علاقة بالغة السوء تكون بينه وبين أمه . ومن سيرث بأترى ؟ تلك هى نكبة الزنا بعينه .

وإذا ثمنا وجوهنا وأفكارنا وقلوبنا لله فى كتابه . فإننا لا نجد فى الذكر =

أَوْطَاس ، فهو موافِقٌ لمن قال عام الفتح ، فتأمَّله والله الْمُسْتَعَانُ .

وذكر قوله ـ عليه السلام ـ : لَأُعْطِيَنَّ الرايةَ غداً رَجُلاً يُحِبُّ الله ورسوله

= الحكم شيئاً مما يروج له دعاة المتعة ، أو دعاة الفسوق . فقوله سبحانه فى سورة النساء (فما استمتعتم به منهن ، فآتوهن أجورهن فريضة) هذا القول ليس نصاً لا من بعيد ، ولا من قريب يدل على إباحة المتعة ولا بأثارة من فهم إلا فهم الذين يبتغون البغاء اليوم فى إباحة المتعة ، فالله سبحانه قد بين فى الآية ما يحل من نكاح النساء فى مقابلة ما حرم فيما قبلها . وفى صدرها . وبين أنه إذا استمتع الإنسان بامرأة أحلها الله فيمن أحل أى تزوجها فعليه الأجر ، وهو المهر . ولو تدبرنا قوله جل شأنه فى صفات المؤمنين (والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم ، أو ما ملكت أيمانهم ، فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك ، فأولئك هم العادون) المؤمنون ٦،٥ . لو تدبرنا هذا لعلمنا أن هذه المتعة بالمعنى الذى فسروه بها أمر باطل . فما ثم فى الآية إلا نوعان : زوجات وملك يمين ، فأين نضع صاحبة المتعة بين هذين النوعين ؟ ؟ لا يمكن اعتبارها زوجة لأن للزواج شروطه المبينة فى القرآن وهذه الشروط لا تنطبق على صاحبة المتعة ، ولا يمكن اعتبارها أمة ، فمن ابتغى وراء هذين فهو من العادين. ويقول الإمام ابن القيم « ولم يحرم المتعة يوم خيبر ، وإنما كان تحريمها عام الفتح، هذا هو الصواب ، وقد ظن طائفة من أهل العلم أنه حرمها يوم خيبر ، واحتجوا بما فى الصحيحين ، ثم ذكر ما ورد فى الصحيحين ثم ضعف رأى القائلين بأنها حرمت ، ثم أبيحت ثم حرمت ثم قال : « وقصة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتعون باليهوديات ، ولا استأذنوا فى ذلك رسول الله « ص » ولا نقله أحد قط فى هذه الغزوة ، ولا كان للمتعة فيها ذكر البتة ، لا فعلا ولا تحريماً بخلاف غزاة الفتح . فإن قصة المتعة كانت فيها فعلا وتحريماً مشهورة ، وهذه الطريقة أصح الطريقتين » ص ٣٤٦ حـ ٢ زاد المعاد .

. . . .

وَيَفْتَحُ على يَدَيْه ، وفى غير رواية ابن إسحاق : فبات الناسُ يَدُوكُونَ أيُّهم يُعْطَاهَا[١] ومعناه من الدَّوْكَةِ ، والدَّوْكَةُ ، وهو اخْتِلاطُ الأَصْوَاتِ .

على ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم :

وذكر أن عَلِيًّا - رضى الله عنه - انطلق بالراية يَأْنِـح ، وفى غير رواية ابن إسحاق يَؤُجُّ ، فمن رواه يَأْنِح ، فهو من الأَنِـيح وهو عُلُوُّ النَّفَس ، يقال فَرَسٌ أَنُوحُ من هذا ، ويُروى عن عُمَرَ - رضى الله عنه - أنه رأى رجلا يَأْنِـح بِبُطْنِه ، فقال : ما هذا ؟ فقال : بَرَكَةٌ من الله ، فقال : بل هو عذاب عَذَّبك به ومن رواه يَؤُجُّ ، فمعناه : يُسْرع ، يقال : أَجَّتْ الناقةُ تَؤُجُّ إذا أسرعت فى مَشْيِها ، وزاد الشَّيْبَانِيُّ عن ابن إسحاق فى هذا الحديث حين ذكر أنَّ عَلِيًّا كان أَرْمَدَ ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم - تَفَل فى عَيْنَـيْه فبَرَأَ ، قال : فما وَجِعَتْ عينُه حتى مضى سبيله[٢] ، قال : وكان عَلِيٌّ يلبس القَبَاءَ المَحْشُوَّ الثَّخِين فى شِدَّةِ الحَرِّ ، فلا يُبالى بالحَرِّ ، ويلبس الثوبَ الخفيفَ فى شِدَّة البَرْد ، فلا يبالى بالبرد ، وسئل عن ذلك ، فأخبر أن النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - دعا له يوم خَيْبَرَ حين رَمِدَتْ عينه أن يَشْفِيه الله ، وأن يُجَنِّبه الحرَّ والبردَ ، فكان ذلك .

صاحب المغانم وابن مغفل :

فصل : وذكر حديثَ عبدِ الله بن مُغَفَّلٍ حين احْتَمَلَ جِرابَ الشَّحْم ،

---

(١) فى حديث أبى حازم عن سهل بن سعد فى البخارى .

(٢) فى الدلائل للبيهقى : فما وجعها حتى مضى لسبيله ، أى : مات .

. . . .

وأراد صاحبُ المغانم أخذَه منه ، ولم يذكر اسم صاحبِ المغانم ، وروى عن ابن وَهْبٍ أنه قال : كان على المغانم يوم خَيبرَ أبو اليَسَر كَعبُ بن عَمْرو بن زيد الأنصارى هكذا وجدتُه فى بعض كتبِ الفقه مَرْوِيًا عن ابن وَهْبٍ ، ولم يتصل لى به إسناد .

الصفى والمرباع :

فصل: وَذَكَر صَفِيَّةَ بنتَ حُيَىٍّ ، وأمُّها بُرْدَةُ بنت سَمَوْأل، أخت رِفَاعَةَ ابن سَمَوْأل المذكور فى المُوطَّأ ، وأنه اصطفاها لنفسه ، وفى حديث آخرَ عن عائِشَةَ قالت : كانت صَفِيَّةُ من الصَّفِيِّ ، والصَّفِىُّ ما يصطفيه أمير الجيش لنفسه قال الشاعر [عبدُ الله بن غَنَمَةَ الضَّبِّيُّ يُخاطِب بِسْطَامَ بنَ قيس] :

لك المِرْبَاعُ منها والصَّفَايَا [وحكمك والنشيطة والفُضول[1]]

فالمِرْبَاعُ رُبْع الغَنِيمة . والصَّفِىُّ ما يُصْطَفَى للرئيس ، وكان هذا فى الجاهلية، فنُسِخَ المِرْبَاعُ بالخُمس وبقى أمرُ الصَّفِىِّ .

مصدر أموال النبى صلى الله عليه وسلم ، وزواجه من صفية :

وكانت أموالُ النبى صلى الله عليه وسلم من ثلاثةِ أوجُهٍ : من الصَّفِىِّ ، والهَدِيَّة تُهْدَى[2] إليه ، وهو فى بيته لا فى الغَزْو من بلاد الحرْبِ ، ومن

---

(١) الزيادة التى بين قوسين من اللسان مادة « نشط وصفى » .

(٢) روى أحمد وأبو داود وصححه ابن حبان والحاكم من طريق أبى أحمد=

. . . .

خُمُسِ الْخُمُسِ ، وروى يُونسُ عن إبراهيمَ بنِ إسماعيل بن مُجَمِّع الأنْصَارِيِّ، قال : حدثني عُثْمانُ بن كَعْبِ الْقُرَظِيُّ، قال : حدثني لى رجلٌ من بني النَّضِير ، كان في حِجْر صَفِيَّة بنت حُيَيٍّ مِنْ رَهْطِها يقال له : ربيع ، عن صَفِيَّة بنت حُيَيٍّ قالت : ما رأيت أحداً قطُّ أحسن خُلُقاً مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لقد رأيته رَكِبَ بى من خَيْبَرَ حين أفاء اللهُ عليه على ناقته ليلا فجعلت أنْعُسُ فيضربُ رأسِي مُؤْخِرَةَ الرَّحْلِ ، فَيَمَسُّنِي بيده ، ويقول : يا هٰذِهِ مَهْلًا يا ابنَةَ حُيَيٍّ ، حتى إذا جاء الصَّهْبَاء[1] ، قال : أمَا إني أعْتذر إليك يا صَفِيَّةُ مما صنعتُ بقومك ، إنهم قالوا لى : كذا ، وقالوا لى : كذا . وحديثُ اصطفائه صفية يعارضُه في الظاهر الحديثُ الآخر عن أنسٍ أنها صارت لدِحْية فأخـذها منه ، وأعطاه سَبْعَةَ أرْؤُسٍ ، ويروى أنه أعطاه بِنْتَيْ عَمِّها عِوَضاً منها ، ويروى أيضاً أنه قال له : خُذْ رأساً آخر مكانَها[2] ، ولا مُعَارَضَةَ بين الحديثين ، فإنما أخذها من دِحْيَةَ

= الزبيدى عن سفيان الثورى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت صفية من الصفى ، وقد فسره ابن سيرين فيما أخرجه أبو داود بإسناد صحيح عنه قال : كان يضرب للنبى « ص » بسهم مع المسلمين ، والصفى يؤخذ له رأس من الخمس قبل كل شيء . ومن طريق الشعبى قال : كان للنبى « ص » سهم يدعى الصفى إن شاء ، عبداً ، وإن شاء أمة ، وإن شاء فرساً يختاره من الخمس . ومن طريق قتادة : كان النبى « ص » إذا غزا كان له سهم صاف يأخذه من حيث شاء ، وكانت صفية من ذلك السهم .

(١) الصهباء موضع بينه وبين خيبر بريد كما ذكر ابن سعد ، وهى التى بنى فيها رسول الله « ص » بصفية كما جاء فى البخارى وفى رواية عند سد الروحاء .

(٢) قد ذكر البخارى فى رواية له أن صفية كانت فى السبى ، فصارت إلى =

. . . .

قبل القَسْم : وما عَوَّضه منها ليس على جِهَةِ البَيْع ، ولـكن على جِهَة النَّفْل والهِبَةِ ، والله أعلم . غير أن بعض رُواةِ الحديث فى المسنَد الصحيح يقولون فيه : إنه اشترى صَفِيَّة من دِحْيَـة ، وبعضهم يزيد فيه : بعد القَسْم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

وكان أمر الصَّفِيّ أنه كان عليه السلام إذا غزا فى الجيشِ اختار من الغَنيمَة قبل القَسْمِ رأساً وضُرب له بسَهْمٍ مع المُسلِمين ، فإذا قَعَدَ ، ولم يخرج مع

= دحية ، وفى رواية أن دحية جاء إلى رسول الله « ص » فقال : أعطنى يارسول الله جارية من السبى ، قال اذهب ، فخذ جارية ، فأخذ صفية ، فجاء رجل ، فقال : يارسول الله : أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير ، لا تصلح إلا لك ، قال : ادعوه بها ، فجاء بها ، فلما نظر إليها « ص » قال : خذ جارية من السبى غيرها ، ثم صارت إلى النبى « ص » فتزوجها ، فجعل عتقها صداقها ، ورواية سبعة أرؤس رواية مسلم عن أنس نفسه الذى روى عنه البخارى أنه أعطاه جارية !! ولاشك فى أن تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم فوق ماقيل نبلا وحكمة وسموا فالرجل العظيم الذى اصطفاه الله للنبيين خاتماً ، واستطاع - بتوفيق الله - تطبيق القرآن كما أمر الله ، وأنشأ به خير أمة أخرجت للناس . هذا الإنسان العظيم لا يجوز أن يقال عنه إن جمال صفية هو الذى دعاه إلى هذا التصرف .

إن هذا التصرف قد يترفع عنه قائد عسكرى ممتاز الخلق . فما بالك بنبى هو خاتم النبيين يصفه الله بأنه على خلق عظيم ؟ ومن خير مايقال هنا ماذكر الحافظ فى الفتح لو أن رسول الله « ص » خص بها دحية - وهى كما روى ابن سعد من أضوأ ما يكون من النساء — لأمكن تغير خاطر بعض الصحابة ، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه ، واختصاصه عليه الصلاة والسلام ، فإن فى ذلك رضا الجميع ص ٢٣٢ ح ٢ المواهب . وانظر ما كتب العقاد عنها ص ١٩٣ حقائق الإسلام ط ١ .

. . . .

الجيش ضُربَ له بِسَهْمٍ ، ولم يكن له صَفِيٌّ ، ذكره أبو داود ، وأَمْرُ الصَّفِيِّ بعد الرسول عليـــه السلام لإمام المسلمين فى قول أبى ثَوْرٍ ، وخالفه جمهورُ الفقهاء ، وقالوا : كان خُصُوصاً للنبى عليه السلام(١) .

صداق صفية :

وقوله : أَعْتَقَها ، وجَعَل عِتْقَها صَدَاقَها ، هو صَحيحٌ فى النقل ، وقال به كثير مِن العلماء ، ومَنْ لم يَقُلْ به من الفُقهاء تأوَّله خُصوصاً بالنبى صلى الله عليه وسلم أو منسوخاً ، ومِمَّن لم يَقُـلْ به مالكُ بن أنَسٍ ، وجماعةٌ سواه لَا يَرَوْنَ مُجَرَّد العِتق يُغنى عن صَدَاقٍ(٢) .

حنش الصنعانى :

وذكر حديثَ حَنَشٍ الصَّنْعَانِى عن رُوَيفع بن ثابت . هو حَنَشُ بن

---

(١) سبق الكلام عن الصفى فى الشرح

(٢) فى حديث متفق عليه عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أعتق صفية وجعل عتقها صداقها .

وقد ذهب الأكثر إلى عدم صحة جعل العتق مهراً متأولين بأنه «ص» أعتقها بشرط أن يتزوجها ، فوجب له عليها قيمتها ، وكانت معلومة ، فتزوجها بها . والذى يرد هذا التأويل أنه ورد فى مسلم بلفظ «ثم تزوجها . وجعل عتقها صداقها» والحق مع القائلين بعدم صحة جعل العتق صداقاً ، لأن الله يقول : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) . فالصداق فرض ، ولا يجوز المرأة أن تتنازل عنه كله ، بل عن بعضه

. . . .

عَبْد الله السَّبَائى[١] جاء إلى الأندلس مع مُوسى بن نُصَيْرٍ ، وهو الذى ابْتَنَى جامِعَ سَرَقُسْطَةَ ، وأسَّسَ جامعَ قُرْطُبَةَ أيضاً ، فيما ذكروا ، وتوهم البخارى أنه حَنَشُ بن عَلِيٍّ ، وأن الاختلافَ فى اسم أبيه ، وقد فَرَّق بينهما عَلِيُّ بن الْمَدِينِيِّ فقال : حَنَشُ بن عَلِيٍّ السَّبَائِيّ من صَنْعَاء الشَّأْمِ ، ومنها أبو الأشعثِ الصَّنْعَانِي ، و حَنَشُ بن عَبْدِ الله السَّبَائِيّ من صَنْعَاءِ الْيَمن ، وكلاهما يروى عن عَلِيٍّ ، فمن هُهُنا دَخل الوهمُ على البُخَارِى ، هكذا ذكر أبو بكر الْخَطِيب ، ويَرْوى عن على أيضاً حنشُ بن رَبيعةَ ، وحَنَشُ بن الْمُعْتَمِر وهما غيرُ هذين[٢] .

وطأ منهى عنه :

وفيه : أن لا تُوطأُ حَامِلٌ من السبايا حتى تَضَعَ ، وذكر باقى الحديث ، وقد ثبت عن النبى — صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر أنه نظر إلى أَمَةٍ مُجِحٍّ أى مُقْرِبٍ[٣] ، فسأل عن صاحبها ، فقيل : إنه يُلِمُّ بها ، فقال : لقد هَمَمْتُ أن أَلْعَنه لَعْنَةً تدخُل معه فى قبره . وذكر الحديث .

---

(١) ضبطها الخزرجى فى خلاصة تذهيب الكمال بدون ألف ، وهى فى تهذيب اللباب السباى . وقال عنه الخزرجى ابن عبيد الله أو ابن على ، وفى التهذيب : وابن الملقن عبد الله يروى عن على وابن عباس وفضالة بن عبيد مات سنة ١٠٠ .

(٢) فى تذهيب الكمال : حنش بن المعتمر أو ابن ربيعة بن المعتمر الكنانى أبو المعتمر الكنانى .

(٣) هى الحامل التى دنا ولادها . وفى الأصل : مغرب .

. . . .

فهذا وجه فى معنى قوله : لايَحِلّ لامْرِئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقِي ماؤُه زرعَ غيره، يعنى إتيان الحَبَالَى من السَّبَايا ، فإن فعل فالولَدُ مختلف فى إلْحاقه به ، فقال مالك والشافعى : لا يُلْحَق به ، وقال الليث : يُلْحَق به لقول النبى صلى الله عليه وسلم : كيف يَسْتَعْبِدُه ، وقد غذاه فى سَمْعِه وَبَصره .

علىّ يقتل مرحباً :

فصل : ومما يتصل بقصة مَرْحَبٍ اليَهُودِى مع عَلِىٍّ بن أبى طالبٍ — رضى الله عنه — من غير روايةِ الكِتاب قول على :

أنا الذى سَمَّتْنِي أُمِّى حَيْدَرَهْ
أَضْرِب بالسَّيْفِ رءوسَ الْكَفَرَهْ
أَكيلهم بالصَّاع كَيْلَ السَّنْدَرَهْ[1]

---

(١) هى من رواية يونس عن ابن إسحاق ، وفيها : كليث غابات شديد القسورة . بدلا من الشطرة الثانية . وفيها أيضاً : أكيلكم . وفى رواية البزار : كليث غابات كريه المنظره ، أوفيهم بالصاع كيل السندرة . أنظر ص١٨٧ وما بعدها حـ ٤ البداية والنهاية لابن كثير . وهى فى صحيح مسلم أيضاً . ويقول الحافظ: وخالف أهل السير فى هذا ، فجزم ابن إسحاق وابن عقبة والواقدى بأن الذى قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة ، وكذا روى أحمد بإسناد حسن عن جابر . وقيل : إن ابن مسلمة كان بارزه فقطع رجليه . فأجهز على عليه ، وقيل : قاتله هو الحارث أخو مرحب . ولكن الحافظ يميل إلى أن ما فى الصحيح مقدم على ما سواه ، ولا سيما وقد جاء عن بريدة أيضاً عند أحمد والنسائى وابن حبان والحاكم . يقصد أن علياً هو قاتل مرحب.

. . . .

أى أجْزِيهم بالوَفاء . والسَّنْدَرَة : شجرةٌ يُصْنَع منها مكاييلُ عِظَامٌ

حيدرة :

وفى قوله رضى الله عنه : سَمَّتْنِي أُمِّى حَيْـدَرة ثلاثةُ أقوال ، ذكرها قاسم بن ثابت ، أحدها : أن اسمَه فى الـكُتُبِ المتقدمةِ أسدٌ ، والأسدُ : هو الحَيْدَرَةُ . الثانى : أن أمَّه فاطمةَ بنت أسدٍ حين ولدته كان أبوه غائباً ، فسمَّته ، باسم أبيها أسدٍ ، فقدِم أبوه فسَّماه عَلِيًّا . الثالث : أنه لُقِّب فى صِغَرِه بحَيْدَرَة ، لأن الحَيْـدَرَةَ المُمْتَلِى لَحْماً مع عِظَم بَطْنٍ ، وكذلك كان علىٌّ رضى الله عنه ، ولذلك قال بعضُ اللصوص حين فَرَّ من سجنه الذى كان يسمى نافعاً ، وقيل فيه : يافع أيضاً بالياء :

ولو أنى مَكَثْتُ لهم قليـلا   لَجَرُّونى إلى شَيْخٍ بَطِـين

من حصون خيبر :

وذكر شَقا والنَّطَاةَ وشَقّ بالفتح أعْرَفُ عند أهل اللغة كذلك قيده البكرى .

وذكر وادى خاص من أرضِ خَيْبَر . وقال أبو الوليد : إنما هو وادى خَلْصٍ باللام ، والأول تصحيف . وقال البـكرى : هو خَلْصٌ باللام وأنشد البـكرى لخالد بن عامر :

وَإنَّ بخَلْصٍ خَلْصٍ آرَةَ بُدَّنًا   نواعِمَ كالغِزْلَانِ مَرْضَى عيُونُها

الحال المعرفة لفظا :

فصل : وذكر فى أشعارِ خَيْبَر قولَ العَبْسِىِّ ، وفى آخره :

. . . .

فَرَّتْ يَهُودُ يوم ذلك فى الوَغَا   تحت العَجَاج غَمَائِم الأَبْصَارِ

وهو بيت مُشْكِلٌ غير أن فى بعضِ النسخ ، وهى قليلة عن ابن هشام أنه قال: فَرَّتْ فتحت ، من قولك : فَرَرْتُ[1] الدَّابة ، إذا فتحْتَ فاها . وغمائم الأبصار ، هى مفعول فَرَّتْ ، وهى جُفون أعينهم ، هذا قولٌ ، وقد يصح أن يكون فَرَّتْ من الفِرارِ ، وغمائم الأبصار من صِفَةِ العَجَاج ، وهو الغُبار ونَصَبَه على الحالِ من العَجَاج ، وإن كان لفظُه لفظَ المَعْرِفَة عند من ليس بشاذٍ فى النحو ، ولا ماهرٍ فى العربية ، وأما عند أهل التحقيق ، فهو نكرة ، لأنه لم يرد الغمائم حقيقةً وإنما أراد مثل الغمائم ، فهو مثل قول امرىء القيس :

. . . . بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ[2]

فَقَيْدُها هُنا نكِرَةٌ ، لأنه أراد مثل القَيْدِ ، ولذلك نَعَتَ به مُنْجَرِدًا ، أو جعله فى معنى مُقَيِّد ، وكذلك قول عَبْدَة بن الطَّبِيب[3] :

تحية من غادرته غَرَضَ الرَّدَى . . . .

فنصب غرضاً على الحال : وأصحُّ الأقوالِ فى قوله سبحانه : ﴿ زَهْرَةَ

---

(١) فى الأصل : فرت . وفى اللسان : فر الدابة يفرها كشف عن أسنانها .

(٢) من معلقته ، وأوله : وقد أغتدى والطير فى وكناتها .

(٣) فى الأصل : الطيب ، والتصويب من الأمالى للقالى والسمط للبكرى والبيان للجاحظ .

. . . .

الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[1] طه : ١٣١ أنه حالٌ من المُضمَرِ المَخفُوضِ ، لأنه أرادَ التشبيهَ بالزهرةِ من النبات ، ومن هذا النحو قولُهم : جاء القومُ الجَمَّاء الغَفِير انتصب على الحال ، وفيه الألفُ واللامُ ، وهو من باب ماقدمناه من التشبيه ، وذلك أن الجَمَّاء هي بَيْضَةُ الحَدِيدِ تُعْرَفُ بالجَمَّاءِ والصَّلْعاء ، فإذا جُعِل معها المِغْفَرُ ، فهي غَفِيرٌ ، فإذا قلت : جاءُوا الجَمَّاءَ الغَفِير ، فإنما أردت العمومَ والإحاطَة بجميعهم ، أي جاءوا جَيْئَةً تشملهم وتستوعبهم ، كما تُحيط البيضةُ الغَفِيرُ بالرأس ، فلما قصدوا مَعنى التشبيه دخل الكلامُ الكثيرُ كما تقدم ، وكذلك قولُهم : تَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَا ، وأَيَادِي سَبَا ، أي : مثل أَيْدِي سَبَا ، فحَسُنَتْ فيه الحالُ لذلك ، والذي قُلْنَاه في معنى الجَمَّاءِ الغَفِير رواه أبو حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ ، وكان عَلَّامَةً بكلام العَرب ، ولم يَقَعْ سِيبَوَيْهِ على هذا الغرضِ في معنى الجَمَّاء ، فجعلها كلمةً شاذَّة عن القياسِ ، واعتمد فيها التعريفَ وقرنها بباب وَحْده ، وفي باب وَحْده[2] أسرارٌ قد أمليناها في غيرهذاالكتاب.

---

(١) في إعرابها أقوال:أولها أن تكون منصوباً بفعل محذوف اى جعلنا لهم زهرة ، ثانيها أن تكون بدلا من موضع به،ثالثها : أن تكون بدلا من أزواج والتقدير : ذوى زهرة فحذف المضاف . رابعها : أن يكون النصب على الذم ، أى أذم أو أعني ، خامسها : أن يكون بدلا من ما . ، ، لكن يلزم من هذا الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي . سادسها : أن يكون حالا من الهاء . أو من ما ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وجر الحياة على البدل من ماء،سابعها: أنه تمييز لما أوالهاء في به ، حكى عن الفراء وهو غلط «إملاء ما من به الرحمن العكبرى» .

(٢) قال أبو بكر : وحده منصوب في جميع كلام العرب إلا في ثلاثة مواضع تقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ومررت بزيد وحده ، وبالقوم =

. . . .

ومَسْأَلةُ وَحْدَه تختص بباب وَحْده ، وهذا الذى ذكرنا من التَّنْكير بسبب التشبيه ، إنما يكون إذا شَبَّهْتَ الأول باسمٍ مُضَافٍ ، وكان التشبيهُ بصفةٍ مُتَعَدِّيةٍ إلى المضاف إليه ، كقوله : قَيْدِ الأوَابِدِ ، أى مُقَيِّد الأوابد ، ولو قلت : مررت بامرأة القمر على التشبيه لم يجز ، لأن الصفة التى وقع بها التشبيهُ غير غير مُتَعَدِّية إلى القمر ، فهذا شَرْطٌ فى هذه المسألة ، ومما يحسُن فيه التنكير وهو مضاف إلى معرفةٍ اتفاقُ اللفظين كقوله : له صَوْتٌ صوتَ الحِمَارِ وزَئيرٌ زئيرَ الأسَدِ ، فإن قلت : فما بالُ الجَمَّاء الغفير ، جاز فيها الحالُ ، وليست بمضافة ؟ قلنا : لم تقل العربُ جاء القومُ البَيْضَةَ ، فيكون مثل ما قدمناه من قولك : مررت بهذا القمر ، وإنما قالوا : الجَمَّاء الغفير بالصفة الجامعة بينها ، وبين ماهى حالٌ منه ، وتلك الصفة الجَمَم ، وهو الاسْتِوَاء والغَفْرُ ، وهى التغطية فمعنى الكلام : جاءوا جَيْئَةً مُسْتَوِيَةً لهم ، مُوعِبَة لجميعهم ، فقَوِى معنى التشبيه بهذا الوصفِ ، فدخل التنكيرُ لذلك ، وحَسُن النَّصْبُ على الحال وهى حال من المجىء .

الشاة المسمومة :

فصل : وذكر حديث الشاةِ المَسْمُومَةِ ، وأكل بِشرِ بن البَرَاءِ منها ،

= وحدى ، قال : وفى نصب وحده ثلاثة أقوال . قال جماعة من البصريين : هو منصوب على الحال ، وقال يونس : وحده هو بمنزلة عنده ، وقال هشام : وحده منصوب على المصدر . وقال أبو عبيد : العرب تنصب وحده فى الكلام كله لا ترفعه ولا تخفضه إلا فى ثلاثة أحرف : نسيج وحده ، وعيير وحده ، وجحيش وحده . اللسان . ولكلامه عنها بقية أخرى .

. . . .

وفيه : أن الذراعَ كانت تُعجِبُه ، لأنها هادِى الشاةِ ، وأبعدُها من الأذى ؛ فلذلك جاء مُفَسَّراً فى هذا اللفظ .

فأما المرأةُ التى سَمَّتْه ، فقال ابن إسحاقٍ : صفح عنها ، وقد روى أبو داود أنه قتلها ، ووقع فى كتابِ شَرَفِ الْمُصْطفى ، أنه قتلها وصَلبها ؛ وهى زينب بنت الحارث بن سلام ، وقال أبو داود : وهى أختُ مَرْحَب اليهودى ، وروى أيضاً مثل ذلك ابن إسحاق . ووجهُ الجمع بين الروايتين أنه عليه السلام صفح عنها ، أوّلُ لأنه كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ لاينتقم لنفسه ، فلما مات بِشرُ بن الْبرَاءِ من تلك الاكْلَةِ ، قتلها ، وذلك أن بشراً لم يزل مُعتَلًّا من تلك الأُكْلَة حتى مات منها بعدَ حوْل ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم عند موته : « مازالت أُكْلَةُ خَيْبَر تُعَادُّنِى ، فهذا أَوانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِى » وكان يَنفُثُ منها مثلُ عَجَمِ الزَّبِيب . وتُعَادُّنِى ، أى تعتادُنِى الْمرَّةَ بعد الْمَرَّةِ ، قال الشاعر :

أَلَاقِى من تذكُّر آلِ لَيْلَى كما يَلْقَى السَّلِيمُ من الْعِدَادِ

والأَبْهَرُ : عِرْقٌ مُسْتَبْطِن القلب . قال ابن مُقْبِل :

وللفُؤاد وَجِيبٌ تحتَ أَبْهَرِه لَدْمَ الْوَلِيدِ وراءَ الغَيْبِ بالْحَجَرِ

وقد روى مَعْمَرُ بن راشدٍ فى جامِعِه عن الزُّهْرِىِّ أنه قال : أسْلَمَتْ فتركها النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال معمر : هكذا قال الزُّهْرِى :

. . . .

أسلمت ، والناس يقولون : قتلها ، وأنها لم تُسْلِم[1] ،وفى جامع مَعْمَرِ بن رَاشِدٍ أيضاً أن أمَّ بِشرِ بن البَرَاء قالت للنبى صلى الله عليه وسلم فى المرض الذى مات منه ما تَتَّهِمُ يارسول الله ، فإنى لا أتهم ببشرٍ إلَّا الأُكْلَةَ التى أكلها معك بخيبر ، فقال : وأنا لا أتهم بنفسى إلا ذلك ، فهذا أوانُ قَطعَتْ أبْهَرِى.

حول حديث المرأة الغفارية :

فصل : وذكر حديث الغِفَارِيَّة التى شَهِدت خَيْبَر ، ولم يُسَمِّها ، وقد يقال : اسْمُها لَيْلَى ، ويقال : هى امرأةُ أبى ذَرٍّ الغِفَارِيِّ ، وقولها رَضَخَ لى رسولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَصْلُ الرَّضْخ أن تَكْسِر من الشَّىْءِ الرَّطْبِ كِسْرَةً فتُعْطِيَها ، وأما الرَّضْحُ بالحاء المهملة ، فكَسْرُ اليابس الصُّلْب . قال الشاعر :

كما تَطَايَرَ عن مِرْضَاحِهِ العَجَمْ

---

(١) يقول الحافظ « ولم ينفرد الزهرى بدعواه أنها أسلمت فقد جزم بذلك سليمان التيمى فى مغازيه . وجعلها فى الإصابة فى القسم الأول من الصحابيات ، هذا وقد روى البخارى قصة الشاة المسمومة ، وفى الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم — بشاة مسمومة ، فأكل منها . فجىء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألها عن ذلك ، قالت : أردت لأقتلك ، فقال : ما كان الله ليسلطك على ، أو قال : علي ذلك . قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : لا . قال أنس ، فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله « ص » واللهوات جمع لهاة ، وهى اللحمات فى سقف أقصى الفم .

. . . .

من أحكام الماء :

وقولها : أمرنى أن اجْعَلَ فى طَهُورِى مِلْحاً . فيه رَدٌّ على مَنْ زَعَمَ مِن الفقهاء أن المِلْحَ فى الماء إذا غيَّر طعمَه صيَّره مُضافاً طاهراً غير مُطَهِّر ، وفى هذا الحديث ما يدفع قوله . ومن طريق النظر أن المخالِط للماء إذا غلَب على أحدِ أوصافه الثلاثة : الطَّعْم ، أو اللونِ ، أو الرائحة ، كان حكمُ الماء كحُكم المُخالِطِ له ، فإن كان طاهراً غيرَ مُطهِّرٍ كان الماء به كذلك ، وإذا كان لا طاهراً ولا مُطَهِّراً كالبَوْل كان الماء لمخالطته كذلك ، وإن كان المخالِط له طاهراً مُطَهِّراً كالترابِ كان الماء طاهِراً مُطَهِّراً ، والمِلْح إن كان ماءً جامداً ، فهو فى الأصل طاهر مُطَهِّرٌ ، وإن كان معدنياً تُرَابيًّا ، فهو كالتراب فى مخالطة الماء ، فلا معنى لقول من جعله ناقلا للماء عن حُكم الطهارة والتطهير ، ووقع فى رواية يونس فى السيرة أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم اغتسل عامَ الفتح من جَفْنَةٍ فيها ماء وكافور ، ومَحْمَلُ هذه الرواية عندى إنْ صحَّت على أنه قَصَد بها التَّطَيُّبَ ، وأنه لم يكن مُحْدِثاً ، ولأبى حَنِيفَةَ فى هذه الرواية مُتَعَلَّقٌ لترخيصه .

من شهداء خيبر :

وذكر فيمن اسْتُشْهِد بخَيْبَرَ : أبا الضَّيَّاح بن ثابت ، ولم يُسَمِّه ، وقال الطبرى : اسمُه النُّعْمَانُ بن ثابت بن النُّعْمَانِ ، وقال غيره : اسمُه عُمَيْرٌ .

وذكر فيمن اسْتُشْهِد : عامرَ بن الأكْوَعِ ، وهو الذى رجع عليه سيفُه

. . . .

فقتله ، فشك الناسُ فيه ، فقالوا : قتله سلاحُه ، فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه جاهِدٌ مُجاهِدٌ ، وقَلَّ عَرَبِيٌّ ، مُشابِهاً مثله ، وفي رواية : مَشَى بها مثلَه ، ويروى أيضاً : نَشأَ بها مِثْله ، كل هـــذا يُروى في الجامع الصحيح ، وهذا اضطرابٌ من رُوَاةِ الكتاب ، فمن قال : مشى بها مِثْلَه فالهاء عائدة على المدينة ، كما تقول : ليس بين لابَتَيْها مثلُ فلان ، يقال هذا في المدينةِ ، وفي الكُوفَةِ ، ولا يقال في بلد ليس حوله لابَتَانِ ، أي حَرَّتان ، ويجوز أن تكون الهاء عائدةً على الأرضِ ، كما قال سبحانه : ﴿كُلُّ مَنْ عليها فَانٍ﴾ الرحمن : ٢٦ .

الحال من النكرة :

ومن رواه مُشابِهاً مُفاعِلًا من الشَّبَه ، فهو حالٌ من عَرَبي ، والحال من النكرة لا بأس به إذا دَلَّت على تَصْحِيح مَعْنًى كما جاء في الحديث : فصلَّى خَلْفَه رجالٌ قياماً . الحالُ هاهنا مُصَحِّحَةٌ لفقهِ الحديث ، أي : صَلَّوا في هذهِ الحال ، ومن احتج في الحالِ من النَّكرة بقولهم : وقع أمْرٌ فَجْأَةً ، فلم يصنع شَيْئاً ، لأن فَجْأَةً ، ليس حالاً من أمرٍ ، إنما هو حالٌ مِن الوقوع ، كما تقول : جاءني رجل مَشْياً ، فليس مَشْياً حالٌ مِنْ رجل ، كما توهموا ، وإنما هي حالٌ من المجيء لأن الحال هي صاحبُ الحال ، وتنقسم أقساماً : حالٌ من فاعلٍ كقولك : جاء زيدٌ ماشِياً ، وحال مِن الفِعْل ، كقولك : جاء زيدٌ مَشْياً ورَكْضاً ، وحال من المفعولِ ، كقولك : جاءني القومُ جالِساً ، فهي صفة المفعول في وقت وقوع الفعل عليه ، أو صفةُ الفاعل في وقت وقوع الفعل منـــه ، أو صِفَةُ الفعل في وقت وقوعه ونعني بالفعل : المصدر .

. . . .

حديث الحجاج بن علاط :

فصل : وذكر حديث الحجاج بن عِلَاطٍ السلمى : وقد ذكرنا فى حديثه إسلامه خبراً عجيباً اتفق له مع الجِنِّ ، وهو والد نَصرِ بن حَجَّاج الذى حاق عمرُ رأسَه ، ونفاه من المدينة لما سمع قول المرأة فيه :

أَلَا سَبِيلَ إلى خَمْرٍ فأشْرَبَها ... أم لاسَبِيلَ إلى نَصرِ بن حَجَّاج

وهذه المرأة هى الفُرَيْعَةُ بنت هَمَّامٍ ، ويقال : إنها أمُّ الحَجَّاج بن يُوسُفَ ، ولذلك قال له عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر : يا ابْن المُتَمَنِّيَة[1] ، وكان من أحسن الناس لِمَّةً ووَجْهاً ، فأتى الشامَ ، فنزل على أبى الأعْوَر السُّلَمِى ، فَهَوِيَتْه امرأتُه ، وهَوَاها[2] ، وفَطَن أبو الأعور لذلك بسبب يطول ذِكْرُه ، فابتنى له قُبَّة فى أقصى الحَىِّ ، فكان بها ، فاشتد ضناه بالمرأة ، حتى مات كَلَفاً بها ، وسمى المُضْنَى وضُرِبت به الأمثالُ . وذكر الأَصْبهَانِىُّ فى كتاب الأمثال له خبره بطوله[3] .

---

(١) زعموا أنهما كانا بحضرة عبد الملك بن مروان ، فذكر عروة أخاه عبد الله بن الزبير ، فقال له الحجاج : أعند أمير المؤمنين تكنى أخاك المنافق لا أم لك ، فقال له عروة : يا ابن المتمنية ! ! إلى تقول هذا لا أم لك ، وأنا ابن عجائز الجنة .

(٢) المعرف فى اللغة أن هوى كرضى ، وهو ولاشك خطأ فى الطبع أو النقل وقد ذكرها البغدادى « وهويها » نقلا عن الروض .

(٣) سبق الحديث عن قصتهما وذكرنا بعض مراجع قصتهما .

. . . .

وقوله : الحجاجُ بن عِلَاطٍ ، والعِلَاطُ وَسْمٌ فى العنق ، ويقال له : العُلْطَة أيضاً ، وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم : لا بُدَّ لى أن أقولَ ، فقال له : قل ، يعنى التَّكَذُّبَ(١) ، فأباحه له ، لأنه من خُدَعِ الحَرْب ، وقال : المُبَرِّد : إنما صوابه : أَتَقَوَّل إذا أردت معنى التَّكَذُّب ، وأخذ هذا المعنى حبيب فقال :

بحَسْبِ امْرِيءٍ أثنى عليك بأنه ... يقول ، وإن أرْبَى فــلا يَتَقَوَّلُ

أى : يقول الحق إذا مدحك ، وإن أفرط فليس إفراطُه بتَقَوُّلٍ .

تفسير أولى لك :

وذكر غير ابن إسحاق فى حديث حَجَّاج أن قُرَيْشاً قالت : حين أفْلَتَهم: أوْلى له ، وهى كلمة معناها : الوعيد ، وفى التنزيل : ﴿ أَوْلى لك فَأَوْلَى ﴾ القيامة : ٣٤ ، فهى على وزن أَفْعَل ، من وَلِىَ أى : قد وَلِيَه الشَّرُّ ، وقال الفارسى : هى اسمُ عَلم ولذلك لم ينْصَرِفْ ، وجدت هذا فى بعض مسائله ، ولا تَتَّضِحُ لى العَلَمِيَّةُ فى هذه الكلمة ، وإنما هو عندى كلامٌ حُذِف منه ، والتقدير : الذى تصير إليه من الشر أو العقوبة أولى لك ، أى ألزم لك ، أى إنه يَلِيك ، وهو أولى لك ، مما فَرَرْتَ منه ، فهو فى موضع رفع ، ولم ينصرف لأنه وَصْفٌ على وزن أَفْعَل(٢) ، وقول الفارسى : هو فى موضع نَصْبٍ جعله من

---

(١) فى قصة الحجاج عند أحمد أنه قال للرسول (ص) « أفأنا فى حل إن أنا نلت منك ، أو قلت شيئاً ، فأذن له « ص » أن يقول ماشاء » .

(٢) مما فى اللسان عنها أنها اسم لدنوت وقاربت . وقال ثعلب : لم يقل أحد فى أولى لك أحسن مما قال الأصمعى . وقد قال الأصمعى عنها : أولى لك : قاربك ما تكره . وانظر مادة أول ففيها الكثير عنها .

. . . .

جاب تَبّاً له (١)، غير أنه جعله عَلَماً لما رآه غير مُنوَّن .

أم أيمن :

فصل : وذكر شِعْرَ حسّان فى ابن أمّ أَيْمَنَ ، واسم أبيه عُبَيْدٌ ، واسم أمه أمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةُ ، وهى أم أُسامَة بن زَيْد ، يقال لها : أم الظِّباء ، قال الواقدى : اسمُها بَرَكَةُ بنت ثَعْلَبَة [بن عمرو بن حصن بن مالك بن مسلمة بن عمرو بن النعمان](٢) وكانت أَمَةً لعبدِ الله بن عَبْدِ المطلب ، وكان النبىُّ صلى الله عليه وسلم يقول : أمُّ أَيْمَنَ أُمّى بعد أُمّي(٣) ، ويقال : كانت لآمِنَة بنتِ وَهْبٍ أمّ النبي – صلى الله عليه وسلم – وهى التى هاجرت على قَدَمَيْها من مَكَّةَ إلى المدينة ، وليس معها أحد، وذلك فى حَرٍّ شَديد ، فَعَطِشَتْ ، فسمعت حَفِيفاً فوق رأسِها ، فالتفتت ، فإذا دِلْوٌ قد أُدْلِيَتْ لها من السَّماءِ فَشَرِبَتْ منها، فلم تَظْمأ أبداً(٤) ، وكانت تَتَعَهَّد الصومَ فى حَمارَّةِ القَيْظِ ، لِتَعْطَشَ فلا تَعْطَشُ

---

(١) تبأ له دعاء، نصب ، لأنه مصدر محمول على فعله كما تقول شقياً لفلان ، معناه : شقى فلان شقياً ، ولم يجعل اسماً مسنداً إلى ما قبله .

(٢) الزيادة فى نسب أم أيمن من الإصابة من أول ابن عمرو بن حصن الخ .

(٣) ذكره ابن أبى خيثمة وانظر ترجمتها فى الإصابة فى الجزء الثامن .

(٤) أخرجه ابن سعد بسنده إلى عثمان بن القاسم يقول : لما هاجرت . . الحديث ، وأخرجه ابن السكن من طريق هشام بن حسان عن عثمان بنحوه . وقد أخرج البخارى فى تاريخه ومسلم وابن السكن أن أم أيمن كانت وصيفة لعبد الله ابن عبد المطلب .

. . . .

وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - يزورها ، وكان الخليفتان يَزُورَانِها بعده ، وقد رُوِى مثلُ قِصَّتِها عن أمِّ شريك الدَّوْسِيَّة[1] أنها عَطِشَت فى سفر فلم تجد ماءً إلَّا عند يَهُودِى ، وأبى أن يَسْقِيها إلَّا أن تَدِين بدينه ، فأبَتْ إلا أن تموتَ عَطشاً ، فدُلِّيَتْ لها دِلْوٌ من السماء فشربت ، ثم رُفِعَت الدِّلوُ ، وهى تنظر . ذكر خبَرَها ابنُ إسحاق فى السيرة من غير رواية ابن هشام ، وهو أطول مما ذكرنا.

وقول حسان :

وأَيْمَنَ لم يَجْبُنْ ، ولكن مُهْرَه أَضَرَّ به شُرْبُ الْمَدِيد الْمُخَمَّرِ[2]

المديد : وقع فى الأصل ، وهو معروف ، ولكن أَلْفَيْتُ فى حاشية الشيخ عن ابن دُرَيْدٍ : الْمَرِيد براءٍ ، والْمَرِيسُ أيضاً ، وهو تمرٌ يُنقَع ثم يُمْرَس وأنشد :

مُسْنَفَات تُسْقَى ضَيَاحَ الْمَرِيد

أبو أيوب في حراسة النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لأبى أيُّوبَ حين بات يحرسه : حَرَسَكَ الله يا أبا أيُّوبَ ، كما بِتَّ تحرس نبيَّه .

---

(١) قصتها وقصة عطش أم أيمن لم يخرجهما غير أصحاب السير ، وأما المحدثون أصحاب الصحيح والمسانيد والسنن ، فلم يخرجوا شيئاً من ذلك .

(٢) شرحه أبو ذر الخشنى : بقوله « هو الدقيق يخلط مع الماء فتشربه الخيل » .

. . . .

قال المؤلف : لحرس الله أبا أيوبَ بهذه الدعوة ، حتى إن الرومَ لتحرُسه قبرَه ، ويَسْتَسْقُون به ، ويَسْتَصحُّون[1] ، وذلك أنه غزا مع يَزيدَ بن مُعاوِيَة سَنَةَ خمسين ، فلما بلغوا القُسْطَنطِينَةَ مات أبو أيُّوبَ هنالك ، وأوصى يزيدأن يَدفنه فى أقرب موضع من مدينة الروم ، فركب المسلمون ، ومَشَوْا به حتى إذا لم يجدوا مساغاً ، دفنوه ، فسألتهم الرومُ عن شأنهم ، فأخبروهم أنه كبير من أكابرِ الصحابة ، فقالت الروم ليزيدَ ما أحمقَك وأحمقَ مَنْ أرسلك أأمِنتَ أنْ نَنبشه بعدَك ، فنَحْرِق عظامَه ، فأقسم لهم يزيد لئن فعلوا ذلك لَنَهْدِمَنَّ كلَّ كَنيسةٍ بأرض العرب ، ولَنَنْبِشَنَّ قبورَهم ، فحينئذ حلفوا لهم بدينهم لَيُكْرِمُنَّ قبرَه ، ولَيحرُسُنَّه ما استطاعوا ، فروى ابنُ القاسم عن مالك ، قال : بلغنى أن الرومَ يَسْتَسْقُون بقبرِ أبى أيُّوبٍ رحمه الله ، فَيُسقَون[2] .

قسم أموال خيبر وأراضيها

أمَّا قَسْم غنائمها ، فلاخِلَافَ فيه وفى كل مَغْنَم بنصِّ القرآن كما تقدم فى غزاة بدر ، وأما أرْضُها ، فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بين من حَضَرها من أهل الحُدَيْبِيَة ، وأخرج الخُمسَ لله ولرسولِه ، ولذِى القُرْبى واليَتامى والمساكين وابنِ السبيل ، وقد تقدم الكلام فى معنى : لله ولرسوله ، وما معنى سَهْمِ الله ، وسَهْمِ الرَّسُولِ ، ولولا الخروجُ عما صَمَدْنا إليه لذكرنا سِرًّا بديعاً وفقهاً عجيباً فى قوله تعالى : ﴿ للهِ وللرسول ولذِى القربى ﴾ باللام ، ولم يقل ذلك فه

---

(١) عمل جهال قلوبهم فى أكنة .

(٢) ليس هذا من هدى الإسلام فى شىء ، هذا وكان غزو القسطنطينية سنة ٥٥ هـ

. . . .

اليتامى والمساكين ، وقال : وللرسول ، وقال فى أول السورة ﴿ قُلِ الأَنْفَالُ لله والرسول ﴾ وقال فى آية الفَىْء ﴿ ما أفاء الله على رسوله فلله وللرسول ﴾ ولم يقل : رسوله ، وكل هذا لحكمة، وحاشا لله أن يكون حرفٌ من التنزيل خالياً من حِكمة . وقال أبو عُبَيْدٍ فى كتاب الأموال : قسم النبى صلى الله عليه وسلم أرضَ خَيْـبَر أثلاثاً أثلاثاً ، السُّلالِم والوَطِيحَ والكَتِيبَةَ ، فإنه تركها لنوائب المسلمين وما يَعْرُوهم ، وفى هذا ما يُقَوِّى أن الإمام مُخَيَّرٌ فى أرضِ العَنْوةِ إن شاء قسمها أخذاً بقول الله سبحانه : ﴿ واعلموا أَنَّما غَنِمْتُم مِنْ شَىْءٍ ﴾ الآية فيُجريها مَجرى الغَنِيمة ، وإن شاء وقفها كما فعل عُمَرُ — رضى الله عنه — أخذاً بقول الله تعالى : ﴿ ما أفاء اللهُ على رسولِه من أهلِ القُرَى ﴾ إلى قوله : ﴿ والذين جاءوا مِنْ بعدهم ﴾ فاستَوْعَبَتْ آيةُ الفَىْءِ جميعَ المسلمين ، ومن يأتى بعدهم ، فسمى آية القرى فَيْئاً وسَمَّى الأُخرى غَنِيمةً ، فَدَلَّ على افتراقهما فى الحكم ، كما افترقا فى التَّسْمية ، وكما اختلف الفقهاء فى هذه المسألةِ على أقوال منهم : مَنْ يرى قَسْمَ الأرضِ كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بخَيْبَر، وهو قول الشافعى ، ومنهم من يراها وَقْفاً على المسلمين لبَيْتِ مالهم ، ومنهم من يقول بتَخْيير الإمام فى ذلك ، فكذلك افترق رأىُ الصحابة عند افتتاح البلاد ، فكان رأىُ الزُّبَيْرِ القَسْم ، فكلم عَمْرَو بن العاصى حين افتتح مصر فى قَسْمِها فكتب عَمْرو بذلك إلى عُمَر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : أنْ دَعْها ، ولا تقسمها ، حتى يجاهد منها حَبَلُ الحَبَلَةِ[1] ، وقد شرحنا هذه الكلمة فى

---

(١) يريد : حتى يغزو منها أولاد الأولاد ، ويكون عاما فى الناس والدواب ، أى يكثر =

. . . .

فى الْمَبْعَثِ قبل هذا بإجزاء ، وكذلك استأمر عُمَرُ ـ رضى الله عنه ـ الصحابةَ فى قَسْم أرض السَّواد حين افْتُتِحَتْ ، فكان رأىُ عَلِىٍّ مع رأى عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ أن يَقِفَها ، ولا يَقْسِمَها ، وأرضُ السَّوادِ أولها من تُخُوم الْمَوْصِلِ مدامِجُ الماء إلى عَبَّادَانِ من الساحلِ عن يَسَارِ دِجْلَة ، وفى العَرْضِ من جِبَال حُلْوَانَ إلى القَادِسِيَّة مُتَّصِلًا بالعُذَيْبِ من أرضِ العربِ ، كذا قال أبو عُبَيْدٍ ، وكانت العربُ تقول : دَلَعَ الْبَرُّ لِسَانَه فى السَّواد ، لأن أرضَ القادسية كلِسانٍ من الْبَرِّيَّة داخلٍ فى سَوَاد العراق ، حكاها الطبرى .

ولما سار عُمَرُ إلى الشام ، وكان بالْجَابِيَةِ شاور فيما افتتح من الشام : أَيَقْسِمُها ؟ فقال له مُعَاذ : إنَّ قِسْمَتَها لم يكن لمن يأتى بَعْدُ من الْمُسْلِمين شىءٌ ، أو نحو هذا ، فأخذ بقول مُعَاذٍ ، فألحَّ عليه بِلَالٌ فى جماعةٍ من أصحابه ، وطلبوا الْقَسْمَ ، فلما أكثروا ، قال : اللهم اكْفِنِى بِلَالًا وذَوِيه ، فلم يأتِ الْحَولُ ، ومنهم على الأرض عَيْنٌ تَطْرِفُ ، وكانت أرضُ الشام كُلُّها عَنْوَةً إلا مَدَائِنَها ، فإن أهلها صالحوا عليها ، وكذلك بيتُ الْمَقْدِسِ فتحها عُمَرُ صُلْحاً بعد أن وَجَّه إليها خالد بن ثابتٍ الفَهْمِىَّ فطلبوا منه الصلح ، فكتب بذلك إلى عُمَر ، وهو بالجابيةِ ، فقَدِمَها ، وقبل صلح أهلِها . وأرْضُ السَّوادِ كُلُّها عَنْوَةً إلا الْحِيرَة فإن خالد بن الوليد صالح أهلَها ، وكذلك أرض بانْقِيَا[1]

= المسلمون فيها بالتوالد ، فإذا قسمت لم يكن قد انفرد بها الآباء دون الأولاد ، أو يكون : أراد المنع من القسمة حيث علقه على أمر مجهول . النهاية لابن الأثير .

(١) هى أرض بالنجف دون الكوفة .

. . . .

أيضاً صُلحٌ ، وأخرى يقال لها : الليس[1] . وأرضُ خُرَاسَان عَنْوَة إلّا تِرْمِذَ ، فإنها قَلْعَةٌ مَنيعة وقِلاعٌ سواها ، وأما أرضُ مِصْرَ ، فـكان الليث بن سَعْدٍ قد افْتَتَى بها مالاً وعاب ذلك عليه جماعةٌ منهم يحيى بن أيوب ومالكُ بن أَنَسٍ ، لأن أرضَ العَنْوَة لاتُشْتَرَى ، وكان الليثُ يَرْوِى عن يزيد بن أبى حبيب ، أنها فُتِحَتْ صُلحاً ، وكلا الخبرين حَقٌّ لأنها فُتِحَتْ صُلحاً أوَّلُ، ثم انتَـكَثَتْ بعدُ ، فأُخِذَتِ عَنْوَةً ، فمن هٰهنا نشأ الخلافُ فى أمرِها ، قاله أبو عُبَيْدٍ ، وقد احتج مَنْ قال بالقَسْم فى أرضِ العَنْوَة بأن عُمَرَ لم يقف أرضَ السَّوادِ وغيرها حتى استطابَ نُفوسَ المُفْتَتِحين لها ، وأعطاهم حتى أرضاهم ، ورَوَوْا أن أم كُرْزٍ البَجَلِيَّةَ سألت سَهْمَ أبيها فى أرضِ السَّواد ، وأبت أن تتركه فَيئاً ، حتى أعطاها عُمَرُ راحلةً وقطيفة حمراء وثمانين ديناراً ، وكذلك رَوَوْا عن جرير بن عبد الله البَجَلِيِّ فى سَهْمه بأرض العراق نحواً من هذا ، وقال مَنْ يحتج للفريق الآخر : إنما تَرَضَّى عُمَرُ جريراً ، لأنه كان نَفَله تلك الأرضَ ، فـكانت مِلْـكاً له ، حتى مات ، وكذلك أم كُرْزٍ كان سهم أبيها نَفلا أيضاً، جاءت بذلك كلِّه الآثارُ الثابتة والله المستعان[2] .

---

(١) فى معجم البكرى : أُلَيس بضم الهمزة وتشديد اللام مع فتحها ، وهى بلدة بالجزيرة وكذلك ضطبت فى المراصد ، وقال : الموضع الذى فيه الوقعة بين المسلمين والفرس فى أول أرض العراق من ناحية البادية . وقيل : قرية من قرى الأنبار .

(٢) يقول الإمام ابن القيم « ومن تأمل السير والمغازى حق التأمل تبين له أن خيبر إنما فتحت عنوة ، وأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — استولى على أرضها كلها بالسيف عنوة » ثم ساق الأدلة على هذا ثم قال : « فالصواب =

. . . .

أبو نبقة :

وذكر فيمن قَسَم له يوم خَيْبر أبا نَبِقَةَ قسم له خَمْسين وَسْقًا ، واسمه :

= الذى لا شك فيه أنها فتحت عنوة ، والإمام مخير فى أرض العنوة بين قسمها ووقفها ، ووقف البعض ، وقد فعل رسول الله « ص » الأنواع الثلاثة ، فقسم قريظة والنضير ، ولم يقسم مكة ، وقسم شطر خيبر ، وترك شطرها ، وإنما قسمت — أى أرض خيبر — على ألف وثمانمائة سهم ، لأنها كانت طعمة من الله لأهل الحديبية من شهد منهم ، ومن غاب » ص ٣٢٥ ح ٢ . زاد المعاد .

ويقول — رحمه الله — فى مكان آخر : « وقد اختلف الفقهاء فى الفىء . هل كان ملكا لرسول الله « ص » يتصرف فيه كيف يشاء أو لم يكن ملكا له ؟ على قولين فى مذهب أحمد وغيره . والذى تدل عليه سنته وهديه أنه كان يتصرف فيه بالأمر ، فيضعه حيث أمره الله ، ويقسمه على من أمر بقسمته عليهم ، فلم يكن يتصرف فيه تصرف المالك بشهوته وإرادته ، يعطى من أحب ، ويمنع من أحب ، وإنما كان يتصرف فيه تصرف العبد المأمور ينفذ ما أمره به سيده ، ومولاه ، فيعطى من أمر باعطائه ، ويمنع من أمر بمنعه ، وقد صرح ، فقال : والله إنى لا أعطى أحداً ، ولا أمنعه إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت ، فكان عطاؤه ومنعه وقسمته بمجرد الأمر ، فإن الله سبحانه خيره بين أن يكون عبداً رسولا وبين أن يكون ملكا رسولا ، فاختار أن يكون عبداً رسولا ، والفرق بينهما أن العبد الرسول لا يتصرف إلا بأمر سيده ومرسله ، والملك الرسول له أن يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء كما قال تعالى للملك الرسول سليمان (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) ص: ٣٩ . أى : أعط من شئت ، وامنع من شئت ، لا نحاسبك ، وهذه المرتبة هى التى عرضت على نبينا « ص » فرغب عنها إلى ما هو أعلى منها ، وهى رتبة العبودية المحضة التى يكون تصرف صاحبها فيها مقصوراً على أمر السيد فى كل دقيق وجليل » ص ٤٦٧ ح ٤ زاد المعاد .

. . . .

عَلْقَمَةُ بنُ المُطَّلِب ، ويقال : عَبْدُ الله بن عَلْقَمَة ، وقال أبو عُمَر : هو مجهول ، وقال ابن الفَرَضِيّ : أبو نَبِقَةَ بن المطلب بن عبدِ مَنَافٍ ، واسم أبي نَبِقَةَ : عبدُ الله ، ومن ولده : محمد بن العَلَاء بن الحُسَيْن بن عبدِ الله بن أبي نَبِقَةَ ، ومن ولده : أبو الحسين المُطَّلِبيّ إمامُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبدِ الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبي نَبِقَةَ بن المطلب بن عبد مناف .

أم الحكم :

وذكر فيهم أم الحَكم ، وهي بنت الزُّبَيْر بن عبد المطلب أخت ضُبَاعَة ، هكذا قال : أم الحكم ، والمعروف فيها أنها أم حَكِيم ، وكانت تحت رَبِيعَة ابنِ الحارثِ ، وأما أمُّ حكمٍ فهي بنتُ أبي سفيان ، وهي من مسلمة الفتح ، ولولا ذلك لقلت : إن ابن إسحاقٍ إياها أراد ، لكنها لم تشهد خَيْبَر ، ولا كانت أسلمت بعد .

أم رمثة وغيرها :

وذكر فيمن قسم له أمَّ رِمْثَة[1] ، ولا تُعرف إلاَّ بهذا الخبرِ ، وشهودِها فَتْحَ خيبر .

---

(١) ذكرها ابن سعد ، وزاد مع التمر خمسة أوسق من الشعير ، ونسبها ، فقال : أم رمثة بنت عمرو بن هاشم بن المطلب ؛ بن عبد مناف ، ويقال أم رميثة بالتصغير أسلمت وبايعت . وهي والدة حكيم والد القعقاع ، وذكرها فيمن بايع النبي « ص » من المهاجرات « الإصابة » .

. . . .

وذكر بُحَيْنَةَ بنتَ الحارثِ . وبُحَيْنَةُ تصغير: بَحْنَة ، وهى نخلة معروفة ، قاله أبو حنيفة ، ولفظُها من البَحْونَةِ ، وهى جُلَّةُ التَّمْرِ ، وهى أُمُّ عَبْدِ الله بن بُحَيْنَةَ الفقيه ، وهو ابنُ مالك بن القِشْبِ الأَزْدِيّ .

القسم للنساء من المغنم :

وفى قَسْمِهِ لهؤلاء النساء حُجَّة للأَوْزَاعِيّ لقوله : إن النساء يُقْسَم لهُنَّ مع الرجال فى المغازى ، وأكثرُ الفقهاء لا يَرَوْن للنساء مع الرجالِ قَسْمًا ، ولكن يُرْضَخُ لهن من المَغْنَم أخذًا بحديث أُمِّ عَطِيَّة قالت : كنا نَغزو مع النبي – صلى الله عليه وسلم – فنداوى الجَرْحَى ، ونُمرض المَرْضَى ويُرْضَخُ لنا من المَغْنَمِ[1] .

المصافحة والمعانقة :

فصل : وذكر قدومَ أصحاب السَّفينة من أرض الحَبَشَةِ ، وفيهم جَعْفَرُ بن أبى طالب ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم التزمه وقَبَّل بين عينيه[2] ، وقد

---

(١) الرضخ : العطية القليلة ، وفى حديث عن ابن عباس « أن النبى « ص » كان يغزو بالنساء ، فيداوين الجرحى ، ويحذين من الغنيمة ؛ وأما بسهم فلم يضرب لهن » أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه . ويحذين : يعطين ولهذا قال الترمذى : إنه لا يسهم لهن عند أكثر أهل العلم ، وهو قول سفيان الثورى والشافعى . وقال الخطابى عن قول الأوزاعى : أحسبه ذهب إلى حديث حشرج ابن زياد ، وإسناده ضعيف لا تقوم به حجة .

(٢) روى قصة أصحاب السفينة البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى مع اختلاف يسير وليس فى روايته الالتزام والتقبيل ولكنهما فى رواية البيهقى.

. . . .

احتج بهذا الحديث الثَّوْرِيُّ على مالِكِ بن أنس فى جواز المُعَانَقَة ، وذهب مالِكٌ إلى أنه خصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وماذهب إليه سُفيَانُ من حَمْلِ الحديث على عُمومه أظْهَرُ ، وقد التزم النبيُّ صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حَارِثَة ، حين قَدِم عليه من مكة . وأما المصافحةُ باليد عند السلام ففيها أحاديثُ منها قوله عليه السلام : تمام تَحِيَّتِكُم المصافحةُ ، ومنها حديثٌ آخر أن أهل اليمن حين قدموا المدينةَ صافَحوا الناس بالسلام ، فقال النبى صلى الله عليه سلم : إن أهلَ اليمن قد سَنُّوا لكم المصافحة ، ثم نَدَب إليها بلفظٍ لا أذكره الآن غير أن معناه : تنزل عليها مائة رَحْمَة تسعون منها للبادىء[1] ، وعن مالكٍ فيها روايتان : الإباحة والكَرَاهة ، ولا أدرى ما وَجْه الكراهية فى ذلك .

---

(١) روى الطبرانى بإسناد فيه نظر إلى أبى هريرة قال : قال رسول الله «ص» « إن المسلمين إذا التقيا ، فتصافحا ؛ وتساءلا أنزل الله بينهما مائة رحمة تسعة وتسعين لأبشهما وأطلقهما وجهاً ، وأبرهما ، وأحسنهما مسألة بأخيه» وروى البزار بسنده عن عمر بن الخطاب إذا التقى الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه ، فإن أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه ، فإذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة للبادى منها تسعون ، وللمصافح عشرة . وفى المصافحة روى البخارى والترمذى عن قتادة قال : « قلت لأنس بن مالك رضى الله عنه : أكانت المصافحة فى أصحاب رسول الله « ص » ؟ قال : نعم » وروى الطبرانى بسنده إلى أنس قال : « كان أصحاب النبى « ص » إذا تلاقوا تصافحوا ، وإذا قدموا من سفر تعانقوا » ورواته محتج بهم فى الصحيح .

. . . .

ولد جعفر والنجاشي :

وكان جعفر قد وُلِد له بأرضِ الحَبَشة محمدٌ وعونٌ وعبدُ الله ، وكان النَّجاشِي قد وُلِد له مولودٌ يوم وُلِد عبدُ الله ، فأرسل إلى جَعْفَر يسأله : كيف أسميتَ ابنَك ؟ فقال : أسْمَيْتُه عبدَ الله ، فسمى النجاشيُّ ابنَه عبدَ الله ، وأرضعته أسماء بنتُ عُمَيْس امرأةُ جَعْفر مع ابنها عبدِ الله ، فكانا يَتَوَاصَلَان بتلك الأُخُوَّة .

ضبط اجنادين :

وذكر عمرو بن سعيد ، وأنه استشهد بأَجْنَادِين ، هكذا تقيد فى الأصل بكسر الدال وفتح أوله ، وكذا سمعت الشيخَ الحافظ أبا بكر ينطق به ، وقيدناه عن أبى بكر بن طاهر عن أبى على الغَسَّانِي : إجنادَين بكسر أوله وفتح الدال . وقال أبو عبيد البكرى فى كتاب مُعْجَم ما استَعجم : أَجْنادَيْن بفتح أوله ، وفتح الدال ، وقال كأنه تثنية أَجْنَاد .

القادسية ويوم الهرير :

وذكر عَمْرَو بن عثمان التَّيْمِي ، وأنه قُتِل بالقَادِسِيَّة مع سَعْدِ بن أبى وَقَّاص والقادِسِيَّةُ آخرُ أرض العرب ، وأولُ أرض السَّواد ، وفى أيامِها قُتِلَ رُسْتُم ملكُ الفُرْسِ فى يومٍ من أيامها يُسَمَّى يوم الهَرِيرِ ، وكان قد أقبل بالفِيَلَة ، وجموع لم يُسْمَع بمثلها ، والمسلمون فى عَدَدٍ دون العُشْرِ من عدد المجوس ،

. . . .

فـكان الظَّفرُ للمسلمين ، وكان الأمير عليهم سعْدَ بن أبى وقَّاص ،وخَبَرُها طويلٌ يشتمل على أعاجيبَ من فَتْح الله تعالى على هذه الأُمَّة استقصاها سَيْفُ بن عُمَر فى كتاب الفتوح ، ثم الطبرى بعده ، وسُمِّيَتْ القادِسِيَّةُ برجُلٍ من الْهَرَاةِ ، وكان كِسْرَى قد أسكنه بها اسمُهُ : قادس ، وقيل : سميت بقومٍ نزلوها من قَادِس ، وقادِسُ بخُرَاسَانَ ، وأما القادِس فى لغة العرب، فمن أسماء السفينة[1] .

عن بعض القادمين من الحبشة :

فصل : وذكر فيمن قدم من أرض الحَبَشَةِ هِشَامَ بن أبى حُذَيفَةَ بن المُغِيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزُوم ، واسم أبى حُذَيفَةَ مُهَشِّم ، وذكر

---

(١) ماذكره عن قادس أخذه عن البكرى ، وقد بدأ أمر القادسية — كما روى الطبرى — فى السنة الرابعة عشرة من الهجرة وقيل سنة ١٦ ، فى عهد عمر وقد زحف فيها رستم القائد بستين ألفاً وقيل ١٢٠ ألفاً ، وكان المسلمون إثنى عشر ألفاً أو عشرة آلاف ، وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا وقيل : ثلاثون . وسميت ليلة الهرير باسمها هذا ؛ لأن المقاتلين اجتلدوا فى تلك الليلة من أولها حتى الصباح لا ينطقون كلامهم الهرير . وقد قتل فيها من المسلمين قرابة نصفهم ، وحطم جيش كسرى وقتل رستم ، واقتحم المسلمون القادسية صدر النهار - الذى أعقب ليلة الهرير ، وقد أتت الصلاة وقد أصيب المؤذن فتشاح الناس فى الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف فأقرع سعد بينهم . فخرج سهم رجل . فأذن ، وقيل - كما روى الواقدى - كان قتال القادسية الخميس والجمعة وليلة السبت ، وهى ليلة الهرير . أنظر الطبرى ج ٣ ص ٤٨٠ إلى ص ٥٩٧ وانظر فتوح البلدان ص ٢٦٨ . إن قوماً يكادون يجتلدون بالسيوف من أجل الأذان . ولا ينسون الصلاة لابد أن ينتصر الله لهم .

. . . .

الواقدىُّ هِشَاماً .هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قال فيه : هاشم ، ولم يذكره مُوسى بن عُقْبَةَ ، ولا أبو معشر فى القادمين من الحبشة .

وذكر فيمن قدم من الحبشة عبدَ الله بن حُذَافَةَ ، وأنه الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم إلى كِسْرى.

وذكر أيضاً سَلِيط بن عَمْرو ، وأنه كان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذَةَ بن على الحَنَفِيِّ صاحبِ اليَمَامَةِ .

فأما كِسْرى فهو أبْرَوِيْزُ بن هُرْمُزَ بن أنوشَرْوَانَ ، وَمَعْنَى أبْرَوِيْزَ المظفَّر فيما ذكر المسعودى ، وهو الذى كان غلب الروم ؛ فأنزل اللهُ فى قصتهم : ﴿الم[١] غُلِبَتِ الرُّومُ فى أَدْنَى الأَرْض﴾ وأدنى الأرض هى بُصرَى وفِلَسْطِين ، وأَذْرِعَاتُ[٢] من أرضِ الشام ، قاله الطبرى .

من رسل النبي إلى الملوك والرؤساء :

وذكر أبو رِفَاعَةَ وَثِيمَةُ بن موسى بن الفُرَاتِ ، قال : قَدِم عبدُ الله بن حُذَافَةعلى كِسْرَى قال: يا مَعْشَرَ الفُرْسِ إنكم عِشْتُم بأحلامكم لعدةأيامكم بغير نبيٍّ ، ولا كتاب ، ولا تَمَلَّكِ من الأرض إلا مافى يديك ، وما لا تملك منها أكثر ، وقد ملك قبلَكَ ملوكٌ أهلُ دنيا وأهلُ آخرة ، فأخذ أهلُ الآخرةِ

---

(١) تقرأ هكذا : ألف لام ميم .

(٢) قال الخليل : هى منسوبة إلى أذرع مكان أيضاً.قال : ومن كسر الألف لم يصرفها ، ومن فتحها صرفها .

. . . .

بحظهم من الدنيا ، وضيّع أهلُ الدنيا حظَّهم من الآخرةِ ، فاختلفوا فى سَعْى الدنيا ، واستَوَوْا فى عَدْلِ الآخرة ، وقد صَغَّر هذا الأمرَ عندك أنا أتيناك به ، وقد والله جاءك من حَيْثُ خِفْتَ ، وما تَصْغِيرُك إياه بالذى يدفعه عنك ، ولا تكذيبُك به بالذى يُخرِجك منه ، وفى وَقْعَةِ ذى قَار على ذلك دليل ، فأخذ الكتابَ فمزَّقه ، ثم قال : لى مُلْكٌ هَنِيءٌ لا أخشى أن أُغلَبَ عليه ، ولا أُشارَكَ فيه ، وقد مَلَكَ فرعونُ بنى إسرائيل ، ولستم بخير منهم ، فما يمنعنى أن أملككم ، وأنا خير منه ، فأما هذا المُلْكُ ، فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب ، وأنتم أولئك تَشْبَع بطونُكم ، وتأبى عيونُكم ، فأمَّا وَقْعَةُ ذِى قَارٍ ، فهى بِوَقْعَةِ الشأم. فانصرف عنه عبدُ الله. وإنما خص النبىُّ — صلى الله عليه وسلم — عبدَ الله بن حُذَافَة بإرساله إلى كسرى ، لأنه كان يتردد عليهم كثيراً ويختلفُ إلى بلادهم ، وكذلك سَلِيط بن عَمْرٍ وكان يختلف إلى اليمامة ، قال وَثِيمة: لما قدم سليطُ بن عمرو العامرى على هَوْذَة ، وكان كسرى قد توَّجه ، قال : يا هَوْذَةُ إنك سوَّدتك[1] أعظُمٌ حَائِلَةٌ ، وأرواحٌ فى النار ، وإنما السيدُ من مُتِّع بالإيمان ثم زُوِّد التَّقوى ، وإن قوماً سَعِدوا برأيك فلا تَشْقَ به ، وإنى آمرك بخير مأمور به ، وأنهاكَ عن شرٍّ مَنْهِىٍّ عنه ، آمرك بعبادة الله ، وأنهاك عن عبادةِ الشيطان ، فإن فى عبادةِ الله الجنةَ وفى عبادة الشيطان النارَ ، فإن قبلتَ نلتَ مارَجَوْتَ ، وأمِنْتَ ماخِفْتَ ، وإن أبَيْتَ فبيننا وبينك كشفُ الغطاء ، وهول المطلع[2] ، فقال هَوْذَةُ : ياسَلِيط سَوَّدَنِى مَنْ لو سَوَّدكَ شَرُفْتَ به ، وقد

(١) فى الأصل : إنه سودت : والتصويب من المواهب ص ٣٥٥ ج ٣ .
(٢) فى الأصل : وهو المطلع ، والتصويب من المرجع السابق.

. . . .

كان لى رأى أختبر به الأمورَ ، ففقدته فوضعه من قلبى هَوَاء ، فاجعل لى فُسْحَةً يرجع إلىَّ رأيى ، فأجيبك به إن شاء الله . قال : ومن شِعْرِ عبدِ الله ابن حُذَافَةَ فى رسالته إلى كسرى وقدومه عليه :

أبى اللهُ إلا أنَّ كِسْرَى فريسةٌ ... لأوّلِ داعٍ بالعراق مُحَمَّدا
تقاذف فى فُحِش الجواب مُصَغِّراً ... لأمرِ العريب الخائضين له الرَّدَى
فقلت له : أَرْوِدْ ، فإنك داخل ... من اليوم فى البَلْوَى ومُنْتَهَبٌ غدَا
فأَقْبِلْ وأَدْبِرْ حيث شِئْتَ ، فإننا ... لنا الْمُلْكُ فابْسُط للمُسالَمة الْيَدَا
وإلّا فأَمْسِكْ قارِعاً سِنَّ نادِمٍ ... أَقرَّ بذُلِّ الخَرْج أَوْمُتْ مُوَحِّدا
سَفِهْتَ بِتَمْزِيقِ الكِتابِ ، وهذه ... بِتَمْزِيقِ مُلْكِ الفُرْس يكفى مبددا

وقال هوذة بن على فى شأن سَلِيط :

أتانى سِلِيطٌ والحوادثُ جَمَّة ... فقلت لهم : ماذا يقول سَلِيط ؟
فقال التى فيها عَلَىَّ غَضَاضَـــةٌ ... وفيها رَجَاءٌ مُطْمِـعٌ وقُنُوطُ
فقلت له : غاب الذى كنت أجتلى ... به الأمْرَ عنى فالصُّعود هُبُوط
وقد كان لى والله بالغ أمره ... أباالنَّضْرِ جَأْشٌ فى الأُمُورِ رَبيطَ
وأَذْهَبَـــهُ خَوْفُ النبىِّ مُحَمَّدٍ ... فَهَوْذَةُ فَـــهٌ فى الرجال سَقِيط
فأجمع أمرى من يَمِين وشِمْأَلٍ ... كأنى رَدُودٌ للنبال لَقِيط
فأذهب ذاك الرأىَ إذ قال قائل ... أتاك رسولٌ للنَّـــبى خَبِيطُ
رسولُ رسولِ الله راكبُ ناضِح ... عليه من اوْبَارِ الحِجاز غَبِيط

. . . .

سكرت وَدَبَّتْ فى المَفَارِقِ وَسْنَةٌ لها نَفَسٌ عالى الفؤاد غَطِيط

أُحاذر منه سَوْرَةً هاشِمِيَّـةً فوارسُها وَسْطَ الرِّجال عَبِيط

فــلا تَعْجَلَنِّى ياسَلِيطُ فإننا نبادر أمْراً والقَضَاء مُحِيطُ

وسنذكر بقية إرسال النبى صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ، وما قالوا ، وما قيل لهم فيما بعد إن شاء الله .

حديث النوم عن الصلاة :

وذكر حديث نوم رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الصلاةَ مَقْفَلَه من خَيْبر ، وهذه الرواية أصحُّ من قول من قال : كان ذلك فى غَزَاة حُنَيْنٍ ، ومن قال فى روايته للحديث كان ذلك عام الْحُدَيْبِيَة ، فليس ذلك بمخالفٍ للرواية الأولى ، وأما رواية ابن إسحاق للحديث عن الزهْرِى عن سَعِيد بن الْمُسَيِّب مُرْسَلًا ، فهكذا رواه مالكٌ وأكثرُ أصحاب الزُّهْرِى ، ورواه عنه صالح ابن أبى الأَخْضَرِ ، وقال فيه عن أبى هُرَيْرَة : قاله التِّرْمِذِىُّ ، وقال أبو داود : قد رواه أيضاً عن الزُّهْرِى مُسْنَداً يونسُ بن يزيد ومَعْمَرٌ من طريق أبان العطار عن مَعْمرٍ عنه ، وكذلك رواه الأوْزَاعِىّ مُسْنَداً أيضاً ، وذكر فيه هو وأبان العَطَّار أنه أذَّن ، وأقام فى تلك الصلاةِ حين خرج من الوادى[١] ، ولم يذكر الأذانَ من رُواة الحديث إلا قليل .

---

(١) حديث توكيل بلال بالفجر رواه مسلم أيضاً وابن ماجة . وقد روى قصة النوم عن صلاة الصبح عمران بن حصين ولم يذكر فى أى غزوة كانت ، ولم يوقت مدتها . وروى مالك عن زيد بن أسلم أن ذلك كان بطريق مكة وهذا مرسل ، وقيل إنها كانت فى غزوة تبوك . وقيل إن الحارس فى قصة النوم كان ابن مسعود .

تم بحمد الله

الجزء السادس، ويليه الجزء السابع

ان شاء الله تعالى

وأوله : ﴿ عمرة القضاء ﴾

تصحيح الكتاب

انتُدِبتُ للتدريس في قسم الدراسات الإسلامية العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة ، فتولى تصحيح الكتاب الأخ الفاضل محمود غانم غيث ، فله جزيل شكري على مجهوده السخي الكريم .

عبد الرحمن الوكيل



فهرس

الجزء السادس من الروض الأنف

---

(١) «س» رمز عن السيرة . و «ن . ل» رمز عن النحو واللغة . و «ش» رمز عن الشرح . أما الروض فبدون رمز .

فهرس الجزء السادس